الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

عنوان البحث:

المساءلة الفلسفية لمشكلة الاقتصاد والعلم

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية :فلسفة،

تخصص: ابستمولوجيا التنمية والعلوم الاجتماعية

من اعداد الطالب:

صافي بن عتو

اشراف الدكتور:

أ.د رايس زواوي

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	مؤسسة الانتماء
01	قسول ثابت	أستاذ	رئيسا	جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس
02	رايس زواوي	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس
03	قدوسي محمد	أستاذ	مناقشا	جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس
04	أولاجي وسيني	أستاذ	مناقشا	جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس
05	محمد بن سعيد	أستاذ	مناقشا	جامعة البيض
06	محمد الزين شوقي	أستاذ	مناقشا	جامعة تلمسان

السنة الدراسية: 2022- 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

إلى الوالدين الكريمين رحمهم الله تعالى، وأدعو الله تعال بأن يجعل هذا العمل صدقة جارية عليهما.

إلى زوجتي الكريمة وبناتي الغاليات: رفيدة. دعاء. أسماء. حفظهم الله جميعا

إلى إخوتي الأعزاء

إلى جميع الأصدقاء والزملاء

اهدي هذا البحث المتواضع.

كلمة شكـــر وعرفان

أشكر الأستاذ المشرف الدكتور: **رايس زواوي**على ما قدمه لي من نصح وإرشاد في سبيل انجاز هذا العمل المتواضع.

وكما أشكر كل أساتذة الفلسفة الذين ساهموا في تكويننا عبر كل مراحل الدراسة بجامعة وهران لمرحلة الليسانس، وبجامعة سيدي بلعباس لطور الماستر والدكتوراه.

مقدمة

أصبح العلم هو القوة الإنتاجية الأولى في تحديد سيطرة الإنسان على الطبيعة ،وعلى خلاف الثورة الصناعية فإن الثورة الحالية لا تنبثق من اختراع وانتشار الآلات وإنما من العلم.

إن الثورة العلمية التكنولوجية التي عبّدت طريقها كل الإنجازات التي حققها الإنسان من قبل في مجالي العلم والإنتاج قد جعلت من العلم نفسه قوة إنتاجية مباشرة وأصبح العلم يجعل من معدل النمو ويزيد من كفاءة الإنتاجية ويشجع على إدخال أساليب إنتاج جديدة متطورة، ومن هنا كان النصيب المتزايد للبحث والتصميم في مجموع العملية الإنتاجية، وأصبح البحث العلمي نفسه وسيلة فعالة لزيادة الإنتاج.

وهكذا نشأت صناعة جديدة هي صناعة المعرفة وأصبح العلم سلعة، وموضوعا للإنتاج وللمبادلة. وازدهرت صناعة الاختراع التي صارت الصناعة الأولى من حيث استثماراتها ونفقاتها، ولم تعد المنافسة الاقتصادية تقتصر على ميدان الإنتاج المادي بل امتدت الى المجال الغير مادي وأصبحت التكنولوجيا الحديثة موضوعا أساسيا للتجارة الدولية، بينما اتجه قطاع الخدمات ليحل محل الصناعة بوصفه القطاع القائد للنمو والعمالة، ومن هذا المنطلق كان يقين النظرية النقدية بضرورة إثارة الأسئلة حول بنية العقل وما أفضى إليه من نظريات علمية في شتى الحقول وخاصة حقل الاقتصاد والتنمية ،والصورة التي وصلت إليها الحضارة المعاصرة نتيجة التماهي الذي حدث بين العقل والمطلق فانتهى هذا التماهي إلى دمار الإنسانية ، فكان لابد لهذه الفلسفة القائمة على مثل هذه الأسس أن تسير في درب الانحطاط في ظروف بدأ فيها يتعزز العلم مع بداية تشكل أسلوب أو نمط الإنتاج الجديد في أحشاء المجتمع الجديد الإقطاعي ما بين القرنين الرابع والخامس عشر، وقد كانت بداية ذلك التشكل عبر إطارين: إطار التعاونيات، وإطار المانيفاكتورة.

كما شهد العلم على مدى القرن التاسع عشر تطورات هامة كان لها الأثر الواضح، إيجابا وسلبا، على الفكر الفلسفي بعامة في أوروبا وأمريكا، وعلى صورة الانسان ومفهوم حريته . وكانت نهاية

القرن العشرين بداية تحول في مركز الثقل العالمي، اقتصاديا متمثلا في المال والإنتاج أولا ثم فكرا بعد ذلك.

لقد أصرت المدرسة النقدية خاصة مدرسة فرانكفورت على ضرورة فك ذلك الغموض الذي اكتنف تلك المزاوجة بين العلم والايدولوجيات ، ويشكل نوع الاستهلاك لمجموعة من السلع والخدمات، وبعث ديناميكية داخل المجتمع وبين مؤسساته المختلفةفي ظل صيرورة اقتصادية غير متكافئة بين وسائل الإنتاج وقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج ممارسات تسودها وتشوبها نوع من عدم الاستقرار. هذا الواقع الاقتصادي طرح عدة أسئلة على مستوى دوائر البحث، البحث في مسائل الاقتصاد والتغيّرات الطارئة التي تزامنت والحركة التنموية الاقتصادية التي عرفها العصر المعاصرحول إعادة التساؤل حول مصير الإنسانيةوعودة أنماط قديمة في ثوب جديد تتمثل في عودة أشكال نمطية مع الأخذ في الحسبان، مراعاة هذا الفعل الإنساني في الحياة بما يسمح بالعيش في كنف كوكب سليم وبيئة طبيعية نظيفة، فأضحى المشروع التنموي بدلا من البحث عن تعزيز قيم التعاون وتقسيم الثروة، يشكل عائقا بما يمليه من إكراهات اقتصادية وتجارية ، وتنموية يحول بينه وبين مقصد التنمية الشاملة عوائق كثيرة .

1- **سبب اختيار الموضوع**: نظرا للوضعية الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها المجتمع المعاصر والذي غلب عليه الطابع الاستهلاكي والاستغلالي والذي نتج عنه عدة أزمات سياسية واقتصادية واخلاقية، مما دفعنا للبحث عن أسباب هذه الازمات وكشف عوائقها ودراستها بالتحليل والنقد مبرزين أهم المذاهب والنظريات الفلسفية التي عالجت هذهالإشكالية بعدة جوانب ومن زوايا مختلفة، وهو ما سنتطرق اليه في بحثنا هذا.

2- **أهمية الموضوع**: يكتسي هذا الموضوع إعطاء أهمية لأهم المفكرين والفلاسفة الذين اقترحوا بدائل واعطوا حلولا لا تتنافى والقيمة الأخلاقية للمجتمع، أي بما يحقق التنمية الشاملة والمستدامة في كل جوانب الحياة ومن دون الاخلال بكرامة الانسان وبما يحافظ على السلم والسلام داخل

المجتمعات ومع الدول من دون صراعات لها أغراض اقتصادية وسياسية تهمل قيمة الإنسانية وحقوق الانسان التي تسعى الى تحقيق العدالة الاجتماعية وضمان الحرية والمساواة لكل أفراد المجتمع من دون تمييز.

3- **تحديد الإشكالية:** وقد طرح طبيعة هذا الموضوع عدة إشكاليات، ونجملها كالآتي:

ـ لقد كان للعلم عدة إنجازات في جميع جوانب الحياة وفي ميادين مختلفة حتى أنه أصبح المعيار الوحيد لقياس مدى شرعية أي تجربة علمية مهما كان المجال الذي تختص به فهل كانت درجة هذا النجاح كافية بما يخدم المجال الاجتماعي عامة والاقتصاد خاصة.

ـ وما البدائل الاقتصادية والتنموية في ظل النظام العالمي الجديد.

ـ وما هي آفاق التنمية المستقبلية للمجتمعات المعاصرة في ظل المتغيرات السريعة والمستجدة في هذا العصر العولمي.

الفرضيات: من خلال التساؤلات المطروحة فإنه يمكن استخلاص مجموعة من الفرضيات التي تجيب على ذلك:

ـ لعل يكون من أكبر العوائق التي تعرقل المسار التنموي للمجتمعات النامية هو اختلال التوازن الاقتصادي والاعتماد على الأسلوب التقليدي دون مواكبة هذا العصر الذي يعتمد اقتصاده على التكنولوجيا والتقنية.

ـ يمكن لهذا النظام العالمي الجديد أن يحدث ثورة على كل ماهو تقليدي ويجعل المجتمعات والدول تعيش عدالة تشترك فيها جميع الشعوب بأن تستفيد بكل منتجاتها السلعية والخدماتية عبر الشركات العالمية العابرة للقارات، وذلك كفيل بأن يحقق تنمية مستدامة للجميع.

_ يمكن للتنمية البشرية في أن تساهم في التنمية المستدامة وتحقق نهضة اقتصادية يمكن من خلالها الوصول لمستوى العدالة الاجتماعية التي تحفظ للإنسان حريته وكرامته والعيش الكريم.

الأهداف: تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن الحلول الاستراتيجية للعوائق التي تسبب بها اقتصاد الاحتكار، وكذا معالجة أسباب تقسيم العالم الى دول غنية تتحكم في الاقتصاد العالمي وأخرى فقيرة تعتبر سوق استهلاكية لمنتجات هذه الدول، وكذا البحث في السبل التي يمكن أن تمهد للرفاهيةبما يضمن حقوق الانسان وفق مواثيق هيئة الأمم المتحدة مع ضرورة الحفاظ على البيئة والمحيط وفق ثقافة علمية تدل على التحضر والتفتح على العالم الآخر[1]

الدراسات السابقة:

01- الصادق بخوش، تمظهرات الهيمنة في الفكر الغربي من عصر الأسطورة الى عصر العولمة، (أطروحة دكتوراه)، سنة الجامعية 2013-2014 جامعة وهران.

وقد تناول في هذه الرسالة مجموعة من النقاط التي تشكل منها الفكر الغربي الذي أصبح يهيمن على العالم بالعولمة، حيث تناول جذور هذا الفكر من بداية الفلسفة اليونانية والى غاية عصر الانوار ثم النهضة العلمية والحضارية في الفلسفة ووصولا الى الفلسفة المعاصرة التي تنافس شديد بين الفلسفة الأوروبية والفلسفة الامريكية اللذان يمثلان وجهان لعملة واحدة تسمى العولمة.

02- نور الدين بوزوار بعنوان: الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت (أطروحة دكتوراه)جامعة وهران 2 الموسم الجامعي 2016،2017.

وقد بحث فيها حول مدرسة فرانكفورت من حيث النشأة والتطور والإنقسامات والإختلاف في فلسفة منتسبيها وكذا مؤيديها وأهم روادها، وكذا معارضيها بالنقد وطرح البديل عنها بما يخدم الفلسفة والعلم بشكل عام.

[1] خليفة إبراهيم أحمد دور الأمم المتحدة في تنمية الشعوب الافريقية في ظل التطورات الدولية المعاصرة دار الجامعة الجديدة 2007 ص 58، 59

03 – بن علي محمد، الانسان في الفكر العربي والإسلامي والليبيرالي الغربي، (أطروحة دكتوراه)، جامعة وهران السانيا قسم الفلسفة سنة 2012-2013.

وقد تناول في هذه الدراسة مفهوم الإنسان زما يتعلق به من الحق والواجب وحقوق الإنسان، وقد تعمق في ذلك بالبحث عن تطور تلك المفاهيم عبر العصور، بداية من الحضارات القديمة ثم العصلا اليوناني ثم الاسلامي ثم في المذاهب الفلسفية الحديثة والمعاصرة.

04 هند بن عمار ، المسؤولية الدولية عن تخلف التنمية الاقتصادية في الدول النامية،أطروحة دكتوراه، جامعة ابن خلدون الجزائر سنة 2004.

وقد درست في هذا الموضوع أسباب التخلف الإقتصادي في الدول النامية وعالجت أشكاله وأنواعه، وكذا مسؤوليته القانونية الدولية، وأضرار التخلف على المستوى المحلي والدولي مبرزة أهم الحلول لتجاوز هذه العوائق وتحقيق تقدم فعلي يخرج هذه الدول من دائرة الدول المتخلفة نظرا لما تملكه من ثروات طبيعية ومواقع ستراتيجية.

05 ليلى لعجال واقع التنمية وفق مؤشرات الحكم الراشد في المغرب العربي أطروحة الماجستير في العلوم السياسية جامعة قسنطينة 2009-2010.

لقد تناولت هذه الدراسة واقع التنمية والحكم الراشد في المنطقة العربية وهذا تزامنا مع سيطرة الشركات الاقتصادية العالمية من خلال توظيف الوسائل التكنولوجية لاستغلال والحد من تطور الدول الأخرى كما شملت هذه الدراسة الانعكاف على التقارير الدولية وابرازها بما يساهم في تعيل الحكم الراشد الذي يفضي الى التمية المستدامة ولعل ما يستدعي استخدام المناهج المتعددة في مثل هذه المواضيع نسجل اعتماد المنهج الوصفي ، منهج تحليل المضمون ،

-06 سقني فاكية التنمية الإنسانية وحقوق الانسان أطروحة ماجستير جامعة سطيف كلية الحقوق سنة . 2010/2009 والاشكالية التي يدور حولها تتعلق بمعرفة إن كانت التنمية الإنسانية المستدامة كمفهوم جديد وبديل تشكل البيئة التي تسمح بالانتفاع بالحقوق والرفع من مستوى الحياة

الاجتماعية ماديا ومعنويا ولهذه الدراسة منهجية معينة تمثلت في استخدام المنهج التحليلي وكما أن هذه الدراسة لا تخلو من محاولة استقراء للوقائع التاريخية من خلال المنهج التاريخي

منهج البحث:وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التحليلي والنقدي نظرا لطبيعة الموضوع الفلسفي من أجل معالجة تساؤلات وإشكاليات فلسفية معاصرة تبحث في العلاقة بين العلم والإقتصاد، وكذا أهميتهما في خدمة البشرية وتحقيق التنمية الحقيقة الشاملة والمستدامة.

هيكلة البحث:لقد تم البحث في هذا الموضوع وفق خطة معينة وهي كالأتي:

مقدمة: تضمنت تمهيد للموضوع ومجموعة من العناصر الأسياسية التى تتعلق بموضوع الدراسة.

الفصل الأول:التأصيل اللغوي والاصطلاحي والفلسفي للعلم والاقتصاد

المبحث الأول: جينيا لوجيا المفهوم "الاقتصاد والعلم"

المبحث الثاني: كرون ولوجيا المفهوم " الاقتصاد والعلم"

الفصل الثاني: المشكلات الاقتصادية في ضوء التطور العلمي المعاصر

المبحث الأول: مدرسة النقد الاجتماعي (رؤية عامة مشكلة الاستهلاك)

المبحث الثاني:النقد الإبستمولوجي لقضايا علم الاقتصاد

المبحث الثالث:بدائل التنمية والاقتصاد الذكي

الفصل الثالث: التفكير النقدي للاقتصاد

المبحث الأول: التنمية المستدامة واحترام كرامة الانسان

المبحث الثاني: مشكلات البيئة والوعي الإيكولوجي نحو تنمية شاملة متكاملة.

المبحث الثالث:الإقتصاد الأخضر وموقع البيئة في الفكر الاقتصادي

وخاتمة: تضمت خلاصة للموضوع وأهم النتائج المتوصل إليها وكذا أفاق الدراسة.

الفصل الأول:

التأصيل اللغوي والإصطلاحي والفلسفي للعلم والاقتصاد

المبحث الأول: جينيالوجيا المفهوم الاقتصاد والعلم

المبحث الثاني: كرونولوجيا المفهوم لاقتصاد والعلم

الفصل الأول: التأصيل اللغوي والإصطلاحي والفلسفي للعلم والاقتصاد

المبحث الأول: جينيالوجيا المفهوم الاقتصاد والعلم

كرونولوجيا الإقتصاد:

تبدأ قصة علم الاقتصاد عام1776، فقبل هذا التاريخ مرّت ستة آلاف سنة ، دون عمل تأصيلي واحد منشور عن ذلك النشاط الذي يسيطر عمليا على الوجود الإنساني، وفي هذا العصر عندما كان متوسط العمر المتوقع فقط أربعين سنة وصف الكاتب الإنجليزي توماس هوبز ThomasHobbesالحياة الإنسانية بصدق بل إنها معزولة وبائسة وكريهة وحيوانية وقصيرة [1] فقد كان النشاط الحرفي ركيزة أساسية للثورة الصناعية ولتقدم الفن الإنتاجي فيما بعد، كما كان النشاط التجاري أساسا للعمل على تنمية حركة التبادل بما يتطلبه من السعي الدائم لزيادة الإنتاج بالقدر الذي يفوق كثيرا حاجة المنتج. وقد نمت حركة التبادل تدريجيا على النحو أدى إلى إحداث تغييرات عميقة في المجتمع الإنساني سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، يقول كارل ماركس في تركيبة المجتمعات التي تتغير خلال حركة التاريخ، ليس التاريخ سوى تعاقب أجيال مختلفة يستثمر كل جيل منها المواد والقوى الإنتاجية التي تنقل اليه من الأجيال السابقة[2]

وقد كان ذلك مدعاة إلى إنهاء حقبة المجتمع البدائي القائم على الملكية الجماعية والعمل المشترك الذي استهدف الإشباع المباشر لحاجات أفراده، وبدء فترة جديدة في التاريخ الإنساني هي حقبة الحضارات القديمة التي حلت خلالها سلطة الدولة محل سلطة العشيرة واستبدل أثناءها نظام العمل المشترك بنظام الرق. فقد نجم عن ارتفاع الإنتاجية من جراء التحول في زيادة حجم الإنتاج، أن أضحت أهمية العمل الإنساني كعنصر أساسي في العملية الإنتاجية.

[1] مارك سكويسن، الثلاثة الكبار في علم الاقتصاد تر مجدي عبد الهادي المركز القومي للترجمة ط، 1القاهرة، 2018 ص 17.

[2] محمد علي محمد المفكرون الاجتماعيون، قراءة معاصرة لأعمال خمسة من أعلام علم الاجتماع الغربي، دار النهضة بيروت، 1983ص 35،36

هذا الكلام نجده في أشعار العصر الوسيط وفي الأقوال الحكيمة للوعاظ والمعلمين الكنسيين، فما كان يرويه هؤلاء عن المرابين والمقرضين من النكت المتهكمة كثيرا جدا، ولعل من الأسباب التي جعلتهم يرفضون جني الربح من مجهود.

إن إحدى أهم القواعد المسيحية تؤكد أهمية مزاولة نشاط مقابل سدّ الحاجيات تثمين العمل ،[1] بل إن المرابي كان يُشبّه بسارق الزمن وسارق الإله كما ذكر المؤرخ الفرنسي " فاردناه–برديل في كتابه الحضارة والاقتصاد والرأسمالية، تحيل سرقة الزمن هنا على القرض بالفائدة " فالمال لا ينبغي له أن يلد مالا ". وهذه العبارة كّررها القديس برناردينو وردّدها مجمع تورينتو في عام 1563[2] ، ولذلك تم تهميش اليهود في أوروبا باعتبارهم سارقي الزمن والإله لتعاملهم بالربا وإقراضهم المال بالفائدة، ما سمح لليهود لعب دورا أساسي في الحركة الاقتصادية .

وكان بروديل اقتصاديا قبل أن يكون مؤرخا، وقد أراد من جانبه أن يطلق تاريخا اقتصاديا للعالم وأن يقدم صياغة لأول تاريخ للمبادلات على مستوى الكرة الأرضية [3]

لقد وقف جاك–لوغوف عند العديد من الظواهر، ليبين تغيّر مفاجئ في البنى الاقتصادية والاجتماعية.[4] كما أبرز المحلل النفسي إريك فروم أثناء حديثه عن المجتمع القروسط وروح العصور الوسطى تباينهما الشديد عن المجتمع الرأسمالي. ومن الناحية الفعلية، لا شك في أن العصور الوسطى لم تنته فجأة في لحظة من اللحظات ولم يبدأ المجتمع الحديث في لحظة أخرى، فكل القوى الاقتصادية والاجتماعية التي تميز المجتمع الحديث كانت قد نشأت ضمن المجتمع القروسط وفي المدن [5]. استحضر جاك لوغوف في دراسته عن موضوع التعاملات الربوية الذهنيات وتغيرها ، يسمح لنا بفهم

[1] جاك لوغوف ، هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط ، تر محمد حناوي ويوسف نكادي وجدة، مطبعة مفكر 2015 ص 159

[2] فرناد بروديل، الحضارة والاقتصاد والرأسمالية من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر، التبادل التجاري وعملياته، ترجمة مصطفى ماهر القاهرة. المركز القومي للترجمة 2013ص 731 729.

[3] جيرار ليكرلك ، العولمة الثقافية "الحضارات على المحك" تر، جورج كتورة ،توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية ليبيا ، ط، 1، 2004 ص 40

[4] إريك فروم، الهروب من الحرية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي دار الحوار للنشر والتوزيع،دمشق 2016. ص 101

[5] المرجع نفسه ص 82

مسألة المرور نحو الحداثة جيدا ، وقد ربط بين تطور الحياة الدينية والاقتصادية في تلك الفترة الزمنية الانتقالية ، ففي الوقت الذي كانت فيه الحياة المالية تنمو ، كان تحريم استثمار المال يعتبر مخاطرة حقيقية وعائقا أمام الازدهار الاقتصادي في أوروبا [1]. كان القديس توما الإكويني خير ممثل لهذه الفترة. فقد كتب أصول الحكم في القرن الثالث عشر، حيث بحث في السعادة الإنسانية التي تعتمد على الرفاهية المادية. الأولى خصوبة التربة بحيث تمد الحياة البشرية بكل الضروريات. والثانية هي التجارة التي تساعد على جلب ضروريات الحياة[2]

ويبرز المنطق العلمي عند ابن خلدون في نظرته إلى السكان، حيث يبرز أن قوة الدولة تبرز في زيادة الإنتاج وارتفاع المعيشة.يقول إن إصلاح علاقات الإنتاج هو الذي يؤدي إلى إلغاء الاستغلال إن أعظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة ،اعتمد النشاط الاقتصادي في المدينة الأوربية خلال العصور الوسطى على التجارة والصناعات الحرفية ذات الطابع المنزلي في بداية الأمر كالمنسوجات والصناعات الحرفية ذات الطابع المنزلي. فعمد سادة الإقطاعيات إلى تخفيف القيود المفروضة على التابعيين والحد من التزاماتهم مما أدى إلى تحول الكثير منهم إلى فلاحين أحرار تربطهم بسيد الإقطاعية علاقات اقتصادية أشبه ما تكون بالعلاقة بين المالك والمستأجر[3].

وفي السنوات التي أعقبت وفاة سميت برز ثلاثة أشخاص عظام معاصرين لبعضهم البعض وهم،جون جون بابتيس ساي Jean-BaptisteSay 1767، وRobert-Malts روبار مالتس 1766-1834، Ricardo،David دافيد ريكاردو . وهؤلاء عاصروا وشاهدوا جميعا الثورة الصناعية في كامل ازدهارها وسعوا في محاولة منهم لتحسين آراء سميت، إلى جعل التفكير الاقتصادي متمشيا مع التغيير الهائل، ومعهم جاء الفكر الاقتصادي للنظام الصناعي، وظل قانون Sayساي منتصرا حتى وقع الكساد

[1] المرجع نفسه ص 83

[2] إبراهيم مشورب الاقتصاد السياسي دار المنهل اللبناني مكتبة النبع، ط-1 سنة 2002 ص 28

[3] يونس أحمد البطريق ومحمد عبد العزيز عجمية التطور الاقتصادي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1984 ص9.

الكبير، عندئذ حل محله، وكان ذلك بمنزلة النهاية لسيادة الاستثنائية للأفكار .[1] ويرى هذا القانون " أنه من إنتاج البضائع يأتي مجموع فعال أي إنفاق من الناحية الفعلية للطلب يكفي لشراء العرض الكلي للبضائع، لا أكثر ولا أقل)من سعر أي ناتج يباع يأتي عائد في شكل أجور أو فائدة أو ربح يكفي لشراء الناتج..."

فعلى امتدادات آلاف السنين، كما ذكر Keynes فيما بعد، وكما ستأتي مناسبات التأكيد، لم يطرأ على مستوى معيشة الرجال والنساء أي تغيير أساسي ومستمر –كانت الأحوال حينا أفضل قليلا، وحينا آخر أكثر سوءا، ولم يكن هناك اتجاه أساسي دائم. وهذا استنتاج مهم لاستفحال تغيير الوضع الاقتصادي من خلال تلك الأطروحات الجريئة وهذا ما ساهم إلى تغيير في نمط التفكير لدى رجال الاقتصاد والفلاسفة في تصورهم لغد أفضل.

والآن، مع التصنيع، حدث تحسن في أساسيات الحياة ومهما يكن في عبودية المصانع من سوء، فمن المؤكد أنها كانت بالنسبة للجميع أفضل من الحياة السابقة في القرى أو العمل إلى نهاية على الانوار اليدوية المنزلية، أو الكدح الموحش بالمزارع مقابل عطاء هزيل، وهذا العالم هو الذي كان يدعو إلى الثورة وما يزال يدعوا إليها حتى الآن، يرى ماركس بأن الطبقات تكون موجودة متى ما كانت علاقات الإنتاج منطوية على تقسيم متمايز يُمكن لأقلية ما أن تضع يدها على فيض الإنتاج وبالتالي ستدخل في علاقة استغلالية مع جمهور المنتجين العريض[2]

في معرض مقارنته بين الحضارات العالمية الكبرى، قام هيجل عام 1820بمقارنة أوروبا المسيطرة والديناميكية، بوصفها الصورة الأخيرة للروح، بالشرق (الهند والصين والإسلام) الغارق في الاستبداد والوهم بعد أن مثل ولادة مراحل متطورة من حركة الروح المتجسدة في التاريخ [3] ولكن مع مطلع القرن العشرين كان لوقع الحرب بمثابة تمزق داخلي في قلب الحضارة الغربية الأوروبية ولقد شعر مجموعة من

[1]. محمد إبراهيم، نقد الليبيرالية واستعبادها للشعوب، مركز الحضارة العربية ،ط1، القاهرة 2014ص .239

[2] سمير بالكفيف، الفلسفة الألمانية والفتوحات النقدية مجموعة من المؤلفين دار جداوللنشر والتوزيع، 2019ص 209.

[3] جيرارد لكيرك، العولمة الثقافية «الحضارات على المحك مرجع سابق ص36.

المؤرخين بخطورة الوضع التي آلت اليه الحضارة الغربية وسارعوا الى فهمها من خلال نظرة كونية وعالمية باعتبار أن الأوروبي مهما علا كعبه يبقى صورة من صور الانسان وحيث الغرب ليس إلا صورة ممكنة للحداثة [1]، اعتمد النشاط الاقتصادي في المدينة الأوربية خلال العصور الوسطى على التجارة والصناعات الحرفية ذات الطابع المنزلي في بداية الأمر كالمنسوجات والصناعات الحرفية ذات الطابع المنزلي، وقد قامت المدن الأوروبية في تلك العصور نتيجة لازدهار بعض القرىإما لوقوعها في مفترق الطرق أو بالقرب من ميناء أو من كنيسة هامة تجتذب الحجاج والمريدين، وأصبحت بذلك أسواقا دائمة جذبت إليها العديد من أهل الريف.

عمد سادة الإقطاعيات إلى تخفيف القيود المفروضة على التابعيين والحد من التزاماتهم مما أدى إلى تحول الكثير منهم إلى فلاحين أحرار تربطهم بسيد الإقطاعية علاقات اقتصادية أشبه ما تكون بالعلاقة بين المالك والمستأجر[2]، وقد أدى ازدياد حجم التبادل واتساع نطاق السوق وانتشار استخدام النقود إلى انتعاش المدن أصبحت أسواق المدن ملتقى لكل من المزارعين الذين يقومون بتسويق منتجاتهم وصناعتهم الحرفية التي ازداد طلب أهالي الإقطاعيات عليها.

على المستوى الاقتصادي بالتحول إلى الريع النقدي أو على مستوى الاجتماعي بهجرة بعض المزارعين إلى المدن وتفضيل بعض الأمراء الإقامة في المدن، وهذا الانتقال للقوة الاقتصادية من الريف إلى الحضر مهد القضاء على النظام الإقْطاعي وفقدان طبقة النبلاء ومؤيديهم من رجال الكنيسة لنفوذهم السياسي وظهورالقوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية" المتمثلة في البرجوازية التي دفعتها قوتها الاقتصادية إلى قمة الهيكل-الاجتماعي. أصل كلمة اقتصاد ظهرت عام 400ق م، حيث ألف المؤرخ زينوفن كتابا تحت عنوان economicus والتي تعني فن إدارة البيت، ثم توسع الناس في مدلول البيت حتى أطلق على الجماعة التي تحكمها دولة واحدة، وعليه فلم يعد المقصود من كلمة اقتصاد المعنى اللغوي وهو التوفير، ولا منى الما فحسب، وإنما المقصود بالمعنى الاصطلاحي لمسمى معين وهو تدبير

[1] جيرارد لكيرك، العولمة الثقافية «الحضارات على المحك المرجع نفسه ص 37.

3 يونس أحمد البطريق، ومحمد عبد العزيز عجمية، التطور الاقتصادي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1984 ص9.

شؤون المال، إما بتكثيره و تأمين إيجاده وإما بتوزيعه[1] ونظرا لما لكلمة اقتصاد من ارتباط وثيق في الحياة العامة بكلمة مادة أو مادي فقد ذهب كثير من علماء الاقتصاد الي إضفاء الصفة الاقتصادية على كل ما يمت الى الوقائع المادية [2].الاقتصاد هو العلم الباحث عن الوسائل والسبل الكفيلة بتخفيف وطأة المظالم الاجتماعيّة وتحسين حال العمل وطرق توفير وسائل العمل وإتاحة فرص للدخل القومي العام وكيفيّة القضاء على البطالة فالاقتصاد التطبيقي يبحث عن الوسائل التي يتسنى بها زيادة الثروة والإنتاج وإصلاح النظم الاقتصادية.

ثم جاء عام 1776، عندما اتسعت وارتفعت توقعات الانسان العادي الكادح لأول مرة، إنها الفترة المعروفة بالتنوير، فرنسا l'Age, des lumières. فلأول مرة في التاريخ أصبح العمال يتطلعون للحصول على أدنى أساسي من المأكل والملبس والمأوى ...

وكان التوقيع على اعلان الاستقلال الأمريكي في 4 يوليو واحدا من عدة أحداث مهمة في ذلك العام،فتحت تأثير شعارات جون لوك–وتوماس جيفرسون بأن الحياة والحرية والسعي الى السعادة هي حقوق لا يمكن مصادرتها، تكوّن الإطار القانوني لأمة مناضلة ستصبح تدريجيا القوة الاقتصادية الأعظم على الأرض، ووضع أساس دستوري للحرية ستتم محاكمته حول العالم[3]

وكذلك يوجد فرع آخر لا يقل أهمية عن باقي فروع الاقتصاديات الأخرى ألا وهو الاقتصاد السياسي الذي يطرح تصورات وأفكار ونظريات للتمييز بين جميع الأطر المستعملة والرائدة في سبيل إيجاد حلول لقضايا الثروة لفئة واسع من المجتمع ككل.

قد ادعى الاقتصاديون منذ أن كتب آدم سميت كتابه ثروة الأمم. إنهم أكثر العلماء الاجتماعيين ويبدو هذا الادعاء مقبول وما يدل على ذلك المكافئة الرمزية العالمية لجل النشطاء في هذا المجال

[1] محمود بابلي، الاقتصاد الإسلامي في ضوء الشريعة الإسلامية، مطبعة، المدينة المنورة، ط2، 1976، ص 15.

[2] خالد الحامض، الاقتصاد السياسي أسس ومبادئ، منشورات جامعة حلب – كلية الحقوق ،1995، ص 12.

[3] مارك سكويسين مرجع سابق ص ص 17،18

بإدراجهم في زمرة العلماء الطبعيين الذي ذاع صيتهم لأنهم أخضعوا النظرية الاقتصادية للتدقيق الرياضي وجعلها في صورة، تسمح بالتكميم الإبريق واختبار الفرضيات الإحصائية كما يضيف أو يعقب **شوماخر** إننا بحاجة إلى اقتصاد يهدف إلى تعليم الناس ويسمو بهم وليس اقتصادا كميا لا يهدف إلا إلى مجرد قياس سلوكهم الدنيء.[1]

لكل علم من العلوم مادة خاصة به. أي أنه يدرس مادة معينة، موضوعا معينا، من مواضيع الحياة. فهناك علوم الطبيعة تدرس قوانين الكيمياء والفيزياء...وهناك علوم تدرس جوانب الحياة المجتمع البشري فماذا يدرس الاقتصاد السياسي؟

هو العلم الذي يدرس العلاقات الإنتاجية التي تقوم بين أفراد المجتمع وكيفية توزيع الخيرات المادية بينهم خلال تطور الحياة البشرية[2] والاقتصاد السياسي مرتبط بالقوانين الاقتصادية التي لا يمكن مشاهدتها وإنما اكتشافها ودراستها. فهي قوانين لا ينتجها وعي الإنسان وإرادته. فهي تفعل فعلتها سواءا أُكتُشِفَتْ أم لم تُكتشف وقد تكون هذه القوانين مخالفة لإرادة البشر ورغباتهم[3]

لقد لاحظنا كيف برزت سنوات معينة في تاريخ الاقتصاد، وكيف تحدث مجموعة من الاحداث في نفس الوقت، كما هو الحال بالنسبة لسنة استقلال و-م-أ وصدور كتاب ثروة الأمم، وكما هو الحال بالنسبة لسنة 1848، سنة صدور البيات الشيوعي لماركس وانجلز وصدور كتاب المبادئ الاقتصاد السياسي لجون سيتوارث ميل.

وهكذا كانت أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر وخصوصا سنة 1871 وقتا من هذا النوع، وقت يشير لفترة وصل فيها ثلاثة اقتصاديين مستقلين عن بعضهم لمبدأ المنفعة الذاتية مبشرين بثورة حدية وكلاسيكية marginal, subjective,utility[4]وكان الاقتصادي الأساسي الذي قاد هذا التحول من

[1] محمد نبيل جامع اجتماعيات التنمية الاقتصادية وتعزيز الأمن القومي دار غريب للطباعة والنشر والتوجيه القاهرة،2000 ص 48

[2] إبراهيم مشوربّ: الاقتصاد السياسي مبادئ –مدارس –أنظمة دار المنهل اللبناني مكتبة راس النبع، للطباعة والنشر لبنان ط، 1، 2002 ص13

[3] المرجع نفسه، ص ص 19-20.

[4] مارك سكوين، الثلاثة الكبار في علم الاقتصاد، المرجع السابق ص 153

الثورة الحدية والذي بموجبه لم يعد الاقتصاد كما كان من قبل، و أصبح بسرعة علما ناميا هو ألفريد مارشال 1924,1842 الذي غير من مبادئ الاقتصاد السياسي الى علم الاقتصادبما يشير الى اقتصاد منهجي وتخصص علمي دقيق ، كما أن هذا التغيير كان إقرارا بأن الاقتصاد محكوم بقانون طبيعي لا ممارسة سياسية [1]

وفي معجم الفلسفة يقصد بعلم الاقتصاد في التفكير اتجاه عام في التفكير العلمي والفلسفي يرمي إلى الإيجاز والتعويل على اقل ما يمكن من الفروض لتفسير ظواهر مختلفة أما الاقتصاد المختلط، فهو عبارة عن اشتراك السلطات العامة والأفراد معاً في إدارة مرفق عام وتتخذ هذه المشاركة شكل شركة مساهمة عادة تكتتب الدولة أو أحد الأشخاص العامة في جزء كبير من رأسمالها فتشترك في إدارتها وتتحمل كباقي المساهمين مخاطِره، هو علم يدرس الظواهر الاقتصادية الخاصة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك، ويكشف عن القوانين التي تخضع لها ويعرض تبعا لهذا للعوامل المؤثرة في الإنتاج والتوزيع من أجور وأسعار وأسواق ونقد وتجارة داخلية وخارجية في رسم سياسة الدولة[2]

إن صعوبة هذا التحديد للاقتصاد بناءا على التنظيم الباهظ الكلفة للوسائل النادرة، متأتية في المجتمعات الصغيرة والقديمة يستحيل، تقريبا، عزل النشاط الذي يطابق هذا الاختيار العقلي للوسائل بالنظر الى اهداف معينة فالحاجات والاعتقادات الدينية بصورة نهائية بشكل واسع وأنه لمن الصعوبة عزل الحساب الاقتصادي أو عزل حساب الاستخدام العقلي للوسائل النادرة.[3]

فعلم الاقتصاد السياسي يتعلم منه الإنسان التبصر في العواقب ،والبحث عما يعود منه الخير الشامل للعشيرة ، بل للأمة بتمامها ، وإذا نظرنا الى ثروة إنكلترا في الوقت الحاضر نجد الجزء الأعظم منها نتيجة السير بمقتضى القواعد التي وضعها العالم آدم سميت في كتابه الذي سماه ثروة الشعوب[4]

---

[1] مارك سكو.ين، الثلاثة الكبار في علم الاقتصاد، مرجع نفسه ص ص 160-161

[2] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر 1983 ص 19

[3] ريمون آرون، المجتمع الصناعي، تر فكتور باسل منشورات عويدات بيروت باريس الطبعة الثالثة 1983 ص 79

[4] ويليام ستانلي جيفونس، الاقتصاد السياسي ، تر علي أبو الفتوح كامل إبراهيم صالح نور الدين ، محمد مسعود المرجع نفسه ص 12

والاقتصاد السياسي في النظم الرأسمالية عبارة عندراسة سعي الإنسان والجماعات، للحصول على نقود الأزمة لتأمين معاشهم، وتنفيذ مشاريعهم التي تستهدف الربح وتحقيق مآربهم المختلفة وأبرز ممثل لها آدم سميت 1723-1790، حيث أعلن أن العمل هو مصدر الثروة الاجتماعية وتحدد القيمة بمقدار العمل المقاس بالزمن،ولا حظوا عن حق أن تبادل البضائع هو في التحليل الاخيرتبادل النشاط العملي[1]هذا أما في النظم الاشتراكية فهو دراسة سعي الجماعات والأفراد في سبيل تحقيق النهج الاقتصادي المرسوم.نظر آدم سميت الى ربح الرأسماليين كحصيلة عمل غير مدفوع للعمال المأجورين، وهكذا ركن الفكر التقدمي البرجوازي الى نظام المجتمع الاستغلالي وسعت البرجوازية الي تصوير النظام الرأسمالي مع أوضاعه الجائرة الى نظام خالد ومواف لحاجة العقل الخالد و الطبيعة ولأوامرالروح المطلق[2]

إن العلم الاقتصادي كسائر العلوم الأخرى يستند إلى قوانين علمية خاصة به فهل توجد قوانين اقتصادية بهذا المعنى؟

لقد اختلف الاقتصاديون في هذا الأمر، فيما اعتبر الاقتصاديان البريطانيان، جون ستيوارت ميل، وألفرد مارشال أن القوانين الاقتصادية ليست علمية بكل معنى الكلمة ولا تصل في دقتها إلى مستوى القوانين العلمية المعروفة في العلوم الطبيعية .فقد وضعا القوانين الاقتصادية في المرتبة الوسطى بين العلوم الطبيعية الدقيقة كعلم الفلك والعلوم الطبيعية الأقل دقة كعلم الأحوال الجوية وأطلقا عليها اسم القوانين التقريبية أو الاتجاهية. وذهب فريق آخر من الاقتصاديين إلى اعتبار الاقتصاد السياسي علم بكل ما للعلم من معنى وأن قوانينه العلمية لا تختلف في شيء عن القوانين العلمية الأخرى المعروفة في سائر العلوم ومن القائلين بهذا الرأي الفرنسي لويس – بودان .

[1] مينابيف، نشوء الاشتراكية العلمية ومبادئها، دار التقدم موسكو ص 23

[2] مينابيف، نشوء الاشتراكية العلمية ومبادئها، نفس المرجع ص 25

من جهة أخرى ميّز ليون ولاس بين الاقتصادي النظري والتطبيقي والاقتصاد الاجتماعي أو السياسة الاقتصادية، واعتبر أن العلم يقتصر على الاقتصاد النظري الذي يحلل الظواهر الاقتصادية ويستنبط القوانين العامة.

من جهة أخرى وجدنا تعريفا لا يقل أهمية عن باقي هذه المحاولات دون إقصاء الجوانب التي لا تخفى عن الاختصاصين من علماء الاقتصاد والسياسة والاجتماع وفروع أخرى مجاورة لأبعاد التنمية الاقتصادية.

يعرفه سام ولسون هو الدراسة لكيفية اختيار الناس أو اختيار المجتمع سوءا باستخدام النقود أو بدونها لتوظيف الموارد النادرة والمنتجة وذلك لإنتاج السلع المختلفة على مدار الزمن. أوالقيام بتوزيعها للاستهلاك في الحاضر والمستقبل بين مختلف الناس والجماعات .[1]علم الاقتصاد هو دراسة السلوك الإنساني كعلاقة بين العديد من الغايات من ناحية والوسائل النادرة ذات الاستعمالات البديلة من ناحية أخرى[2] وهذا التعريف حسب رأينا لا يختلف من حيث المضمون عن بقية التعاريف الأخرى

كما لاقتصاد تعاريف أخرى مختلفة فحسب تقارير هيئة الأمم المتحدة للشؤون الاقتصادية والاجتماعية حسب التقرير العالمي للأوضاع الاجتماعية في العالم نيويورك الأمم المتحدة سنة 1961ص23 قامت بتسريب تعار يف متعددة في تلك الفترة فيما يحص ماهية الاقتصاد وحاولت أن يكون التعريف شاملا وملما بكافة الشؤون الخاصة بالعملية الاقتصادية سوءا كانت ذات علاقة مباشرة بالفرد تعنى بالجوانب النفسية والرغبات المعلنة أو كل العمليات التي تخص المبادلات بين الناس النقدية منها أو غير النقدية كذلك شمل التعريف الكيفية التي يختار بها الفرد مستلزماته الغذائية والاستعمالية و الخدماتية وهذه الدراسة كانت منصبة ومهتمة بعملية الاستهلاك بالإضافة إلى الاهتمام بحياة الناس في ما يخص فرص العمل المتاحة وتضيف هيئة الأمم المكلفة بالشؤون

[1] Samuelson .Paula economic : An,Introductory, analys.New York ;McGRAW-Hill book company

[2] ROBBINS ,lionel.AnEssay;An the Nature and Significance of Economic , Science , London : Macmilan , 1940 , p.16

الاجتماعية والاقتصادية إلى إضافة دراسة الثروة والعمليات الخاصة بالإنتاج السلع النادرة وفرص توزيع وتوفير الخدمات لجميع الناس كما أضاف مجلسا لأمم للشؤون الخاصة بالمجتمع والاقتصاد تلك السلع والخدمات القابلة للتقييم في السوق النقدية.

فالحضارة الإنسانية تعني الغور في عمق ذلك الفكر الاقتصادي الذي تركه الإنسان منذ بدء التفكير الاقتصادي، ومنه سوف نتحدث عن أبرز ما تداوله الفكر اليوناني فيما يخص قضايا الاقتصاد ولعل نظرية القيمة والأسعار هو جوهر دراسات الاقتصاد السياسي، فمثلا إذا كان الحج عرفة، في اعتقاد المسلمين، والسوق هو الرأسمالية في اعتقاد الرأسماليين، فإن الاقتصاد السياسي هو القيمة في اعتقاد الكثير من الاقتصاديين وسنحاول أن نتطرق إلى أفكار أكبر مفكرين عرفتهما الحضارة اليونانية في مجال الاقتصاد وبالتحديد في نظرية القيمة ، [1]تعتبر الفترة الزمنية التي عاشها أفلاطون 428-347 قبل الميلاد من ألمع فترات الحضارة اليونانية ، وبالأخص الفكرية منها ، لم يكتب أفلاطون في الاقتصاد كتخصص ، ولكن آثاره الاقتصادية جاءت متضمنة في كتابه المشهور الجمهورية التي تكلم فيها على المدينة الفاضلة ، وقد جاءت أفكاره حول القيمة في معرض كتابه عن العمل كمنشأ للقيمة وتقسيم العمل الذي يؤدي إلى زيادة الإنتاج والإنتاجية ، كما ظهرت أفكاره عن القيمة بشكل أكثر وضوح عندما تكلم عن النقود ووظائفها ، يرى أفلاطون بأن العمل هو الذي يوجد الأشياء ويجعل له قيمة معيشة وبالرغم من أنه كان كعامة اليونانيين، يحتقر العمل اليدوي ولا يقيمه ويمجد العمل الفكري ويرقعه [2]

كما أن حاجيات البشر لا تتوقف عند هذا الحد من العلوم بل نضيف إلى هاته المنافع التي تعمل على تقدم الإنسان وتمده بضروريات الحياة وتحقيق سعادته، نجد علوما اجتماعية لا تقل أهميتها عن العلوم الأخرى مثل القانون الذي يبحث عن الحق الشرعي لبني الإنسان، وعن الطريقة التي يحدد بها هذا الحق، وتكفله قوانين عادلة، وكذا علم الفلسفة السياسية يقصد إلى معرفة الأنظمة

[1] الطيب داودي، بداية أسطورة مؤسس علم الاقتصاد الحديث الرائد ابن خلدون، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع ط 1، 2014 الأردن ج 2ص 18

[2] الطيب داودي ،نفس المرجع ص 19

والسياسات التنموية المختلفة للدولة والحكومات، وعلم الطب وكذا علم الإحصاء، فإنه يحوي جميع المعلومات حول الحوادث الاقتصادية والاجتماعية.فهذه العلوم كلها تهدينا إلى طريق الثروة والنعيم والعقل. كله هذه المنافع هو عين الغرض علم الاقتصاد السياسي الذي يمتاز بامتياز عن البحث عن الثروة [1]إلا أنه في هذا الصدد نجد هناك من يعارض هذا التوجه في إطار البحث عن الثروة والحياة السعيدة والاهتمام بالمسائل اليومية للإنسان منذ فترة طويلة وهذا ما يخبرنا به التاريخ والذي تجد الكثير ممن يسيئون الاعتقاد والنوايا الحسنة لمهمة الاقتصاد والاقتصاديون ويطعنون في مسعاهم فبدلا من التشجيع والتفهم والمناقشة إلا إنه ثمة أمور أخرى يجب الاهتمام بها وتعتبر ثروة هي أيضا كالفضيلة والمحبة والكرم وبذلك تعد الأخلاق هي الثروة المستهدفة والتي يجب الإمعان والتطرق لها في فلسفتهم، وإذا بحثنا عن أسرار تهافت أولئك الذين يقفون ضد سياسات التنمية والزيادة في البحث عن الثروة نجد أنه كان يوجد في الأزمان الغابرة فريق يبغض دراسة العلوم الطبيعية وينفر منها .[2]

الاقتصاد السياسي هو العلم الذي يعنى بمختلف أوجه النشاط الإنساني المرتبطة بالأموال الاقتصادية، والقوانين العلمية التي تفسّر الظواهر الاقتصادية المرافقة لهذا النشاط [3]من جهة ثانية يعتبر النشاط الاقتصادي محاولة مستمرة لوضع الأشياء في نصابها، بشكل يلبي حاجات البشر. الاقتصادي يقتصر على الاقتصاد النظري الذي يحلل الظواهر الاقتصادية ويستنبط القوانين. وإذا نظرنا الى ثروة الانجليز نجد أنها جزاءا كبيرا منها يعود الى قواعد الاقتصاد ل آدم سميت ثروة الأمم [4]

والاقتصاد السياسي في النظم الرأسمالية عبارة عن دراسة سعي الإنسان والجماعات، للحصول على النقود الأزمة لتأمين معاشهم، وتنفيذ مشاريعهم التي تستهدف الربح وتحقيق مآربهم المختلفة أما في النظم الاشتراكية فهو " دراسة سعي الجماعات والأفراد في سبيل تحقيق النهج الاقتصادي المرسوم. وفي هذا الإطار نجد أرسطو يثير مسألة قديمة وحديثة مازالت تدار حولها النقاشات ذات مغزى

[1] وليام ستانلي، الاقتصاد السياسي، المرجع السابق ص ص 10-11.

وليام ستانلي، الاقتصاد السياسي، المرجع نفسه ص 11.[2]

[3] عزمي رجب –مبادئ الاقتصاد السياسي دار العلم للملايين، بيروت 1964 الجزء الأول ص 11.

وليام ستالني، الاقتصاد السياسي مرجع سابق ص 12.[4]

أخلاقي ظلت مشكلة مستمرة بالنسبة للاقتصاديين، وهي لماذا تكون بعض الأشياء الأكثر نفعا هي الأشياء الأقل قيمة في السوق، على حين أن بعض الأشياء الأقل نفعا تستحوذ على أعلى سعر؟[1] وحتى منتصف القرن التاسع عشر كان الكُتّاب الاقتصاديون مازالوا تصارعون حول سبب الفرق بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية، مع ملاحظة أن الخبز والمياه النقية سلعتان مفيدتان ورخيصتا الثمن نسبيا على حين أن الأقمشة الحريرية وقطع الألماس أقل نفعا بكثير وأغلى ثمنا بلا جدال. ومن المؤكد أنه يوجد في ذلك، أو كان يوجد شيء لا تقبله الأخلاق. وقد تحقق تقدم رئيسي في علم الاقتصاد عندما حلت هذه المشكلة بصورة نهائية.

وفيما تعلق بالنقود في أكثر أشكالها واستعمالها أولوية فهي مجرد سلعة تشغل دورا وسيطا بين التبادل، بسبب قابليتها للتقسيم، وتحملها، وتوفرها بقدرٍ كاف، إن لم يكن بلا حدود، وبالتالي قبول الناس لها وهي فقط لكون استعمالها كنقود تعطي سلعة ما شخصية خاصة وقدرا من الغموض والندرة، فإن سعرها –أي ما يتعين على المرء التنازل عنه من سلع أخرى مقابل امتلاكها[2]، يصبح مشكلة ذات طابع خاص كما أنه فقط لكون السلعة تفسح المجال لأشكال تمثيلية صرفه–ودائع ورقية أو مصرفية –ينشأ الغموض بشأن ما يحدد قيمة النقود. وقد نجد مسبقا في كتابات أرسطو العديد من المسائل الاقتصادية ولكن تكتسي طابعا أخلاقيا. فقد شغلت أرسطو مشكلة ظلت مستمرة بالنسبة للاقتصاديين وهي لماذا تكون الأشياء الأكثر نفعا للإنسان هي الأشياء الأقل قيمة في السوق، بينما بعض الأشياء الأقل نفعا تكون قيمتها عالية في السوق[3] وقد استمر هذا النقاش على مر العصور. كما بحث ارسطو موضوع نشأة النقود وبصورة تدعو الى الاعجاب فيقول: فالناس في المراحل الأولى من التطوّر كانوا يلجئون الى المقايضة، أي الى مبادلة السلع في مقابل السلع الأخرى كمبادلة القمح في مقابل القماش مثلا ليحصل كل منهم على ما يلزمه من الآخرين عن طريق التنازل لهم عن جزء مما

[1] جون كريبت تاريخ الفكر الاقتصادي، تر ، أحمد فؤاد بلبع الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت 1978ص ص 25-26

[2] تاريخ الفكر الاقتصادي، المرجع نفسه ، ص 27

[3] إبراهيم مشورب ،الاقتصاد السياسي المرجع السابق ص 27

يفيض من انتاجه هو.[1]إن الاقتصاد السياسي الكلاسيكي يستمد من النشاط العملي الصناعي هذه الفكرة الرائجة بين الصناعيين وهي أن الصناعي يشتري عمل عماله ويدفع أجره. وقد كانت هذه الفكرة تكفي الصناعي تماما لمباشرة الأعمال والمحاسبة وحساب الأسعار. فما أن نقلت بكل سذاجة الى ميدان الاقتصاد السياسي، حتى أحدثت فيه بلبلة غريبة وتشوشا مدهشا.[2] إن الاقتصاد السياسي يواجه الواقع التالي، وهو أن أسعار جميع البضائع، ومنها سعر البضاعة التي يسميها العمل تتغير استمرار، وأنها ترتفع وتهبط بفعل ظروف غاية في التنوع والتباين، وكثيرا ما لا تَمُت بأية صلة إلىإنتاج البضاعة نفسه، فيبدو أن الأسعار إنما تتحدد على وجه العموم بفعل الصدفة وحدها، ولكن ما إن ظهر الاقتصاد السياسي بمظهر العلم، حتى ترتب عليه، بين مهامه الأولى، أن يجد القانون الذي يختفي وراء هذه الصدفة عينها. والذي يسيطر في الواقع على هذه الصدفة عينها. وضمن حدود هذه الأسعار، التي تتقلب باستمرار، وترجيحاتها تارة من أدنى الى أعلى وتارة من أعلى الى أدنى، بحث الاقتصاد السياسي عن النقطة الوسطية الثابتة التي تدور حولها هذه التقلبات وهذه الترجيحات.[3] وبكلمة موجزة، انطلق الاقتصاد السياسي من أسعار البضائع ساعيا وراء قيمة البضائع بوصفها القانون الذي يتحكم بالأسعار، وراء القيمة التي ستساعد على تفسير جميع ترجيحات الأسعار والتي يمكن نسبتها كلها إلى هذه القيمة في آخر التحليل. والحال، أن الاقتصاد السياسي قد وجد أن قيمة البضاعة إنما يحددها العمل الضروري المبذول في انتاجها، وقد كان ماركس أول من درس بتعمق قدرة العمل على خلق القيمة ووجد أن ليس كل عمل ضروري ظاهرا أو فعلا لإنتاج بضاعة معينة يضيف، في مطلق الأحوال، الى هذه البضاعة قدرا من القيمة يتناسب مع كمية العمل المبذول (ريكاردو) ولكن ما إن طبق الاقتصاديون طريقة تحديد القيمة بالعمل، على البضاعة " العمل" حتى راحوا في تناقض إثر تناقض. فكيف تحدد قيمة العمل؟ بالعمل الضروري المتجسد فيه[4] ولذا حاول الاقتصاد السياسي الكلاسيكي استخدام طرقة أخرى بديلة عن العمل ألا وهي تكاليف الإنتاج ولما كان من

[1] إبراهيم مشورب ،الاقتصاد السياسي، المرجع السابق ص ص 28-29

[2] كارل ماركس، العمل المأجور ورأس المال، تر الياس شاهين الناشر: دار التقدم موسكو 1891 ص6

[3] كارل ماركس، المصدر نفسه ص 7

[4] كارل ماركس، المصدر نفسه ص 6-7

غير الممكن، مع الأسف، تحديد نفقات إنتاج العمل بالذات، فهم إن حاولوا فهي تتغير حسب الزمن والظرف، ونحن نعيش اليوم في طل اقتصاد رأسمالي، وتزايد سكاني ولقاء عمل أجرة عند مالكي وسائل الإنتاج —من أدوات وآلات ومواد أولية ووسائل عيش، وعلى الأساس هذا الأسلوب في الإنتاج، تتقوّم نفقات إنتاج العامل في مجمل وسائل عيشه–أو في مجمل أثمانهانقدا–التي هي ضرورية، بصورة، بصورة وسطية،لمده بقدرته على العمل، لا بقاءه هذه القدرة حية، للاستعاضة عنه بعامجديد إذا ما أقصاه المرضأو العمر، او الموتعن الإنتاج، أي لتمكينالطبقة العاملة من التناسلوالتكاثر لا لمقادير الضرورية[1]

الخلفية الاجتماعية لعلم الاقتصاد:

ان مفهوم الاقتصاد نفسه من الصعب تحديده بدقة وهناك نوعان لتحديده، إما بالرجوع الى حاجات الأفراد فنسمي اقتصادا ذلك النشاط الذي يميل الى سد حاجات البشر، و هذا غير ممكن أن يسد حاجات كالحاجات الجنسية مثلا التي لا يمكن أن نقول بأن اشباعها يستلزم نشاطا اقتصاديا بحصر المعنى ومن ثمة فلا يمكننا قط إحصاء حاجات الناس بطريقة دقيقة[2] أما النوع الثاني من التعريف الذي يعني النشاط الاقتصادي أو يرجع أيضا إذا ما استخدمنا لغة ماكس–ويبر[3]، الى المعنى الذي يعطيه الناس للاقتصاد بسلوكهم ذاته، في هذه الحالة يسمى اقتصاداتوزيع المواد النادرة .إن الأهداف التي يسعى إليهاالأفراد في مجتمعنا واضحة وكثيرة والرغبات تتزايد باستمرار ووسائل إشباعها متعددة وهذه الوسائل تستخدم في حالات متناوبة وخاصة استخدام المال[4]. فتصميم التجديد النقدي للثروة يدخل

[1] كارل ماركس، المصدر نفسه ص 8-9

[2] ريمون آرون، المجتمع الصناعي، تر فكتور باسل ، منشورات عويدات، بيروت باريس الطبعة الثالثة 1983 ص 78.

* ماكس ويبر 1864–1920: مفكر وعالم ألماني في الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف البيروقراطية، وعمله الأكثر شهرة هو كتاب ط الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية «. (ينظر: مقدمة محمد حديدي، منشورات الاختلاف، –الجزائر، ط1، 2009، ص 15–20 [3]

[4] ريمون آرون المجتمع الصناعي المصدر السابق ص 78

فكرة اختيار الاستخدام المتعاقب للأهداف والوسائل فالمال هو وسيلة عامة لإدراك الأهداف التي يسعى اليها كل فرد.

المبحث الثاني: كورونولوجيا الإقتصاد والعلم

كرونولوجيا العلم:

تاريخ العلم طويل، بدأ منذ بدأ الإنسان يعمل ويفكر، وما سجل منه يرجع إلى بضعة ملايين من السنين. والمتفق نشأته عند بيئة بذاتها ولا شعب بعينه، بل أسهم فيه بنو البشر جميعا كل بنصيبه. فتاريخه إذن تاريخ الحضارة الإنسانية. يسجل حركاتها، ويتتبع تطوراتها، ويعرض مراحل نموها وازدهارها وفترات تلاشيها وانقراضها، ويبين مدى التلاقي والتعاون بين الحضارات المتعاقبة.

وتاريخه أيضا تاريخ العقل البشري، يرسم محاولاته الأولى التي أملتها الغريزة والحاجة، وظهرت في صورة بدائية قامت على الجزيئات والخلط بين حقائق الأشياء.

ويوضح كيف انتقل من ذلك إلى ضرب من التفكير الخرافي والأسطوري الذي يعتمد على الوهم والخيال والسحر والشعوذة، ويزعم أنه يدرك ما لا يدرك من أسرار خفية وقوى باطنية، ويسايرها إلى أن ينتهي به إلى ذلك التفكير المنطقي الذي يلاحظ ويجرب، ويحلل ويركب، ويصنف ويعمم، ويبرهن ويعلل. وفي كل هذا يبين الصلة الوثيقة بين تاريخ العلم من جانب، وتاريخ الفن والصناعة والدين والفلسفة من جانب آخر.

يخبرنا تاريخ الفكر البشري أن المفكرين قد عبروا منذ أقد العصور الفلسفية عن الجدل جول طبيعة المعرفة وأشراطها، كما يخبرنا أنا بعضا منهم قد اشتط فأنكر إمكانها من حيث المبدأ، فحسبوا أن البشر بطبعهم غير قادرين عليها، أن بعضا آخر منهم قد ارتأى أنها نور يقذفه الله في صدور من يصطفيهم من عباده [1]

[1] رودرك، م. تشيرهولم، نظرية المعرفة، تر نجيب الحصاد الدار الدولية للنشر والتوزيع مصر-كنداط، 1 1985 ص 6.

ذهب فريق آخر الى كونها المعرفة لا تكون معرفة ما لم ترتد – بشكل أو بآخر–الى أصول حسية خالصة وأخيرا هناك من اعتد بكون المعرفة عملية توليفيه تشترك في القيام بها ملكتا: الحساسية والفهم، في صحة ما يزعم معرفته ويمتلك الشواهد بما يكفل صحة اعتقاده، ما لم يكن اعتقاده في واقع الامر صحيحا. [1]

يطرح أفلاطون في محاورةثيوتيس السؤال التالي ما الفرق بين المعرفة والرأي الصحيح أو الصائب؟ بعد ذلك يضطلع بمهمة حصر أنواع المعرفة المختلفة في تعريف واحد ورغم أن الشكوك لتساورنا حول نجاحه في تحقيق هذه المهمة،إلا أنها لا تساورنا حول عجزنا عن أن نكون أسعد حظا منه على ذلك فقد يكون في وسعنا أن نلقى بعض الضوء على أنواع المعرفة المختلفة في حال اعتبارنا للصعوبات التي يتضمنها سؤال أفلاطون لتساورنا حول نجاحه في تحقيق هذه المهمة، الا أنها لا تساورنا [2]

يعد **جورجسارتون** بحق على رأس المنشغلين بتاريخ العلم في نصف القرن الأخير، واتجه نحوه منذ عهد الشباب حيث تقدم إلى جامعة جان –البلجيكية حيث مسقط رأسه برسالة الدكتوراه موضوعها ليونارد فنشي ومنذ ذلك التاريخ اهتم بتاريخ العلم وأخذ يحاضر في كبريات الجامعات العالمية منها الأوربية والأمريكية.

شاءسارتون أن يضع كتابا جامعا في تاريخ العلم، فجاء كتاب الجمع الشامل والنضج الكامل. وقسمه إلى أربعة أقسام التاريخ القديم و العصور الوسطى من القرن الخامس إلى القرن السابع عشرثم من القرن الثامن عشر إلى العصر الحالي.إن سارتون لم يقف عند حضارة بذاتها، بل تتبع الحضارات الإنسانية على اختلافها، ويتحاشى ذلك الخطأ الذي وقع فيها القائلون بالمعجزة الإغريقية ،لان هذه الأخيرة سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد الرافدين وغيرهما من الأقاليم والعلم اليوناني كان إحياء أكثر منه اختراعا وقدنجح سارتون كل النجاح في بيان مدى تأثير الحضارتين المصرية والأشورية ، ملاحظا أن تراثهما اشتمل على وثائق علمية موغلة في القدم ، قل أن نجد لها نظيرا في التراث

[1] رودرك، م. تشيرهولم، نظرية المعرفة المصدر نفسه ص 6،7.

[2] رودرك، م. تشيرهولم، نظرية المعرفة المصدر نفسه ص 15.

اليوناني . ولما أخذت معرفة الأشياء تنمو وتدق، راح الفلاسفة يحددون نطاق تأملاتهم ويُمعِنون التفكير في الأشياء، ونحُوا هذا المنحنى في تدرج، بحيث لا يكاد يتجلى للعيان قبل سنة 451.

بقي الفلاسفة النصف الأول من القرن الخامس أشبه ما يكون بفلاسفة القرن السابع، ومع هذا كانوا أبعد ما يكون عن الأنبياء وفق هذا، تعد مساهمات سقراط إيجابية وضرورية لتطور العلم في المستقبل، فثمة أولا تمسكه بالتحديد والتصنيف الواضحين، ولا جدوى في المناقشة إذا لم نكن نعرف على أدق وجه ممكن الموضوع الذي نتكلم عنه، وهذا شيء أساسي في العلم أكثر منه في الفلسفة [1]ثانيا كان يستخدم أسلوبا جيدا للجدل والكشف المنطقيوهو ما دعاه بفن التوليد

تمهيد: من مميزات الرئيسية أنه قابل للتطور بل يخضع للتطور بصورة دائمة، فه ليس تراكم معلومات علمية فحسب، بل وتراكم مفاهيم تتطور دون انقطاع، وتطور مداخل الى فهم الأمور، وهو يطوّردائما في المهمات التي يتصدى لها. فالمهمات التي يتصدى لها العلم اليوم هي مهمات أوسع أشمل أكثر تعقيدا علما أنه خرج من أحضان الميتالوجيا في زمن ما، ثم خرج من وصاية الدين ثم خرج من ضيافة الحكمة، ومن قبضة الفلسفة وسوف يتحرر من سلطة الدول والشركات.

متى بدأ العلم؟

لنطرح سؤال بسيط حتى تتضح لنا الصورة التي تشكل فيها العلم وأخد مكانة في وسط التاريخ ليعلن شأنه مع مرور الزمن الجواب، إنه بدأ حينما —عمد الناس إلى حل عديد من معضلات الحياة. صحيح ان هذه المحاولات الأولى لم تكن إلا وسائل لتحقيق أغراض وقتية، ولكنها كانت كافية لبدء العلم، وعلى توالى الأيام خضعت هذه الوسائل لعمليات الموازنة، والتعميم، والتبرير، والتبسيط، والترابط، والتكامل وهكذا أخذت مادة العلم تنشأ ببطء.

المحطات الرئيسية في تاريخ العلم:

[1] جورج سارتون، تاريخ العلم في العصر الذهبي لليونان، تر، لفيف من العلماء (إبراهيم بيومي مذكور، وآخرون المركز القومي للترجمة ل 2010 ص 36.

ظهر العلم في عدة مناطق من العالم وتطور في بداية على نطاق محلي منفصل ثم جرى تصديره من حضارة إلى أخرى وجرى تطويره بشكل دائم حتى أنه كان لكل حضارة حية دور معين في تطوير العلم أو نقله أو حفظه أو تشجيعه. لذلك يمكن اعتباره ثمرة تراكم وتفاعل أفكار وإمكانيات الشعوب المختلفة.

جاءت مكونات الحضارة الإنسانية لتراكم التطورات المجتمعية في كلّ الأمكنة والأزمنة، وليس في مكان واحد أو في زمن معيّن، وهذا يعني أن الحضارة تتطور وتتراكم إنجازاتها بفعل عبقرية الإنسان ونشاطاته الثقافية والعلمية والتكنولوجية والاقتصادية، في الواقع بدأت معارف الإنسان وخبراته تتشكل قبل عشرات الآلاف من السنين، وذلك في سعيه لتأمين حياته وتوفير مقوّمات عيشه المادية من مأكل وملبس ومأوى[1].وبسبب إخفاقه في تكيّيف كل شيء وإخضاعه لإرادته، فإن الإنسان وجد نفسه مضطرا للتكيف مع عناصر بيئته الطبيعية، ما جعل الاقتصاد وأنماط الإنتاج تغدو أهم العوامل المؤثرة في تكوين الحضارات وتطويرها عبر الزمن. وهذا يجعل الحضارة ذات اهتمام خاص بنواحي الحياة المادية، ويجعل الانجازات الحضارية عالمية الأبعاد وملكا للإنسانية جمعاء.

وكانت تسير إلى جانب كل التفسيرات الدينية الميثولوجياتجارب الحياة اليومية التي كانت لها ملاحظاتها التي تثبت بالتجربة البدائية بعض التفسيرات المقدمة، لقد كانت الحقبة الأولى للعلم عبارة عن ازدهار سببية أولية وعن وجود بعض المفاهيم المجردة نسبيا والتوجه نحو لوحة موحدة تدخل فيها العلاقات السببية الجزئية. لقد عرف العلم حضانته الأولى في رحلة الإجابة عن أسئلة مثل لماذا وماذا بعد، فحملت الإجابة عليها بذور السببية والمنطقية، لقد ظهرت أفكار النسبية في الشرق القديم، وكذلك الأفكار المجردة وجرى تعميمها على الكون ككل، أي على فكرة تفسير العالم.

لم تكن علاقة العلم بتاريخه مماثلة لعلاقة الكيانات الحضارية الأخرى بتاريخها، فقد تعتبره بمنزلة سجلها المدون الذي يحمل معالم تشكل هويتها، فلا تنفصل عن تاريخها إلا إذا كان للشخص ان

[1] محمد عبد العزيز ربيع ،التننمية المجتمعية المستدامة دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان الأردن ط ع 2015 ص 55.

ينفصل عن بطاقة هويته. ولعل المنطلق الفلسفي يطرح علاقة الفلسفة قبل أي شيء آخر بتاريخها، ولما كان تاريخ الفلسفة هو ذاته الفلسفة، فمن هذا يبرز كيف تنفرج الهوة بين العلم وتاريخه.

ولكن بقدر ما نجد العلم في القرن العشرين قد أصبح الفاعلية العظمى التي تشكل العقل والواقع المعاصرين، يوما بعد يوم والى غير نهاية، نجد تاريخ العلم هو تاريخ العقل الإنساني والتفاعل بينه وبين الخبرات التجريبية أو معطيات الحواس، هو تاريخ المناهج وأساليب الاستدلال وطرق حل المشكلات التي تتميز بأنها واقعية عملية ونظرية على السواء .إنه تاريخ تنامي البنية المعرفية وحدودها ومسلماتها وآفاقها ، تاريخ تطور موقف الانسان بإمكاناته العقلية من الطبيعة والعالم الذي يحي فيه ، تاريخ تقدم المدينة والأشكال الحضارية والأساليب الفنية التي يصطنعها الانسان للتعامل مع بيئته [1] أفكار تعميمية وفيها علاقات سببية.

– في حضارات الشرق القديم، كان التميز بين التصورات العلمية في تفسير الظواهر التي كانت تعطيها الديانات البدائية بطريقتها الخاصة، كما يضيف الكاتب والمفكر الدكتور عبد الرحمن مرحبا في كتابه من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية مضيفا ذلك التآلف بين الفلسفة والعلم وهكذا فالعلم يغذي الفلسفة بنتائج اختباراته، والفلسفة تمد العلم بالنظرة الكلية الشاملة والمعنى المرشد والتعليل الأصيل. ولا شك ان تساند العلم والفلسفة قد أدى الى تقدم العلم ونضج المذاهب الفلسفية واطراد النمو في الفكر والحضارة [2]

إن وقوع العلوم تحت تأثير*الميثولوجيا التي كانت مهيمنة في الحضارات الشرقية القديمة لا ينفي كليا عن هذه العلوم صفة العلمية ، فالميثولوجيا كانت ممرا إجباريا للنشطات الذهنية الأخرى عند الإنسان فهي إحدى الدرجات في سلم الارتقاء الذهني للإنسان ، ولكي نكون منصفين يجب أن نتعرف بأن

---

[1] يمنى ظريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،2000ص 9.

[2] محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص 53.

الميثولوجيا هي قالب حضاري[1] رافق بداية تاريخ المجتمعات البشرية وكانت منطلقا أساسيا لظهور النشطات اللاحقة ، صحيح أنها تسمى معرفة القلق لأنها ناتجة عن القلق عند الإنسان في زمن ضعفه لكنها كانت تستعمل الخيال لتعليل قوى الطبيعة قبل أن يصل الأمر إلى تفسيرها فيما بعد .

العلم من الإغريق الى عصر النهضة مرور بالمسلمين:

اشتهرت الفلسفة في بلاد الإغريق، وكان يطلق على روادها اسم الفلاسفة، أي محبي الحكمة. وان فلاسفة اليونان القدماء كانوايدرسون إضافة إلى الأفكار الفلسفية بعض الفروع العلمية مثل الرياضيات البيولوجيات، علم الفلك، والجغرافيا، وهمهم كان الحصول على قدر أكبر من المعارف.

ربما يعود الفضل إلى الجو الديمقراطي الذي ساد بلاد اليونان في ذلك الحين، حيث أصبح المواطنون وربما لأول مرة في التاريخ متساوين أمام القانون ومتساوون في تأدية مهامهم ووظائفهم الاجتماعية هذه العملية سمحت بتطوير شعور المواطنة وبتطوير العقلية النقدية والجدلية عند الجميع. قد كان لهذه الحقبة أهمية كبرى في تاريخ العلم لان الإنسان قد تعلم فيها ان يفكر ويفهم الطبيعة وان يفهم نفسه أيضا. أما المرحلة الثانية أو المرحلة الاسكندرانية ، وتمتد من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى تشتت المجتمع الإغريقي، فقد عرفت تطورا للهندسة إقليدس،الستاتيكا أرخميدس ، علم الفلك اريستراختو، بطليموس الميكانيكا وقد شهدت هذه المرحلة أيضا تطورا لفلسفة الطبيعة ولفن البناء وتكنولوجيا البحار والأدوات الحربية وما يهمنا نحن الباحثين في العلاقات التي تربط بين الأشياء الفكرة الهامة التي

* احتلت **الميثولوجيا** مكانة هامة لدى الفلاسفة وعلماء النفس ومؤرخي الحضارات. وقد اشتغل عدد كبير من الباحثين في تفسير الأسطورة والتفكير الأسطوري بوصفهما من التمثلات المعرفية البدائية للإنسان إن الأساطير تعبّر بطريقة رمزية عن حقائق خاصة بفكر الإنسان وحياته ورأت التفسيرات النفسانية في الأساطير إسقاطات وتجسيدا للرغبات والصراعات الداخلية في الإنسان. وهكذا نجد ان الأسطورة "ليست سوى علم بدائي، أو تاريخي أولي، أو تجسيد لأخيلة لا واعية.

حاول " **مالينوفسكي** " إبراز طبيعة ووظيفة الأسطورة، في المجتمعات البدائية. فهي تعبّر عن المعتقدات، تعلي من شأنها وتفننها، كذلك تصون المبادئ الأخلاقية وتفرضها وتؤمن فاعلية الاحتفالات الطقوسية، وتمنح الإنسان قواعد عملية للممارسة. فالأسطورة تعتبر، إذن، عنصرا أساسيا في الحضارة الإنسانية. إنها صياغة حقيقية للديانة البدائية وللحكمة العملية أو أنها فلسفة الإنسان البدائي في النظر إلى الوجود.لقد تجلت وظيفة الأساطير في الكشف عن النماذج والأصول وإضفاء معنى وقيمة على العالم والوجود البشري. وهذه النماذج يتم إيصالها إلى الناس بواسطة الأساطير، التي يعود إليها أمر إيقاظ الوعي على عالم إلهي مقدّس. هذه النماذج الحقيقية تعمل على إرشاد الإنسان وإضفاء معنى على الوجود البشري [1]

تم تداولها هو الربط بين الإنسان والعالم المحيط به لذلك حاولوا فهم العالم من خلال فهمهم للإنسان نفسه .

ان عصر العلم الاغريقي هو نشوء وتطور الفلسفة ، فالفلسفة ظهرت على انقاض الميثولوجيا كمرحلة أرقى على المستوى الذهني والعقلي .لذلك يعتبر البعض في اليونان القديمة ان فلسفة الطبيعة هي المرادف الشرعي للعلم ،العلم الإغريقي[1]

يقول ستارت رودني في كتابه: Rodney start

.For the glory of good , science with –Hunt ; and the end of Salaverry

عن الإغريق القدماء، وهو يلخص آراء مؤرخين كثيرين للعلم، في النهاية، فإن كل ما حققوه لم يكن تجريبيا عمليا بل مناوئا للتجريب العملي وكان عبارة عن فلسفات تأملية ومجموعات من الحقائق المناوئة للنظرية، وحِرفًا وتقانات معزولة إنهم لم يحققوا ابدا اختراقا للعلم الحقيقي، ومن خلال وساطة العلماء العرب اكتسب الغرب أرقامه الحديثة، وأعاد اكتشاف كتابات علماء الإغريق القدامى، وتقدم في علم الفلك، واكتسب علما جديدا من بلاد فارس ومن الهند والصين على وجه الخصوص

شهدت مرحلة الانحطاط سقوط الإمبراطورية الرومانية وقد سيطرت الأفكار الدينية في حياة البشر في المجتمعات الأوربية ربما لحماية عقولهم من الفراغ والتصحر، المركز الحضاري الذي استمر في أوروبا هو الدولة البيزنطية التي حافظت على بعض الإرث الاغريقي

اتسعت الحضارة الإسلامية للعلم ومناهجه التجريبية، وقطع فيها شوطا كبيرا، ولكنه يكن محوا أو مركزا، بل دائرة من الدوائر التي ترسمت حول المركز الحضاري، أي النص الديني في القرآن الكريم، والثورة الثقافية التي أحدثها[2]، وقد امتدت لفترة طويلة من القرن السابع، إلى أوائل القرن العشرين. وقد تقلبت أوضاع العلم كثيرا في هذه الفترة الغنية بالأحداث السياسية والعسكرية. ولقد لعب العرب إلى

[1] نزار دندش، ما هو العلم رحلة في التفكير العلمي، دار الفارابي ، بيروت ،لبنان الطبعة الأولى 2009 ص 85-86.

[2] يمنى ظريف الخولي، المصدر السابق،ص 67

حد كبير دور الحافظ للتراث المعرفي للشعوب والحضارات التي سبقت حضاراتهم. فترجموا، وكتبوا، ووضعوا، كل المؤلفات باللغة العربية التي كان يعرفها علماء ذلك العصر، وقد تُرجم بعضها إلى اللغة اللاتينية فيما بعد، لقد شكك العلماء العرب في الدقة الرياضية للنماذج الفلكية المنقولة عن بطليموس وعن أرسطو قبله وكان تركيزهم منصبا على احترام القواعد الرياضية التي بني عليها علم الفلك وركزوا على التناسق الضروري في كل علم وكان اعتقادهم أنه لا يجوز تبني مسلمات علمية تتناقض مع نتائج العلم وهكذا نستنتج أن العرب لم يحفظوا المؤلفات اليونانية مترجمة وحسب ، بل كان لهم دور في ممارسة النشاطات العلمية المختلفة ، وقد تعاطوا مع مفهوم العلم وتصنيف العلوم وتعاطوا مع علوم غيرهم بأسلوب نقدي وناقشوا علوم الآخرين وأفكارهم وأهم ما يعنينا في هذه الفترة هو أنهم ساهموا في تطوير مفهوم العلم ،وإن يكن هذا التطوير ملحوظا في بعض الفروع أكثر من الفروع الأخرى .[1]

بقي ان نذكر في هذه الفقرة ان اللذين ساهما في تطوير العلوم في ظل الدولة الإسلامية كانوا من شعوب مختلفة لكنهم كانوا يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية او يترجموا هذه المؤلفات الى العربية إذا ما كتبوها بلغتهم الأصلية. لقد كانت اللغة العربية في تلك الفترة لغة العلم العالمية.

لا شك أن اروبا لم تكن مركزا حضاريا ولم تكن العلوم فيها مزدهرة، هذا ما يتفق عليه الجميع. وقد تباينت الرؤى حول بين من يرى بان مرحلة القرون الوسطى هو عصر الانحطاط في الجانب التحصيل العلمي في هذه الفترة كانت الأيديولوجيات الدينية تسد الطريق على الأفكار العلمية التي تبحث في بداية العالم وسنن تطوره. يرى البعض الآخر إن المسيحية والإسلام قد أعطيا كمية من المعارف المنطقية وأمنّا دفعا للنهوض العلمي، كما كان القرآن والإنجيل دور في حل المسائل السياسية، الحقوقية، الاقتصادية والأخلاقية في ذلك العصر، فقد وحدا ثقافة البشر، كل في مناطق انتشاره. مع كل هذه الأهمية التي يليها الدين للعلم إلا أ ن التاريخ، سجل وقوف السلطات الدينية في وجه أعمال كل من غاليليو آخرون. ونذكر هنا أن العلم الذي استمر في ذلك الوقت بطيئا قد فقد بعض

[1] نزار دنيش، المصدر سابق ص 106

مقوماته مثل الأهداف النظرية للبحث عن الحقيقة عندما تم تسخيره للبحث عن أغراض تهدف إلى خدمة السلطات، كما فقد بعضا من عقلا نيته بعد اصطدامه بالإيديولوجيات [1]مع ذلك بقيت ترتفع أصوات تدعو إلى تكامل النظرية والتجربة مثل روجرز بيكون ولان الحضارة الإسلامية قد أمنت استمرارية عبور القطار الحضاري بالحفاظ على الإرث الإغريقي وتطويره ونقله إلى الغرب حيث تم نقل مؤلفات أرسطو التي كان لها صدى كبير فقد استطاعت أروبا أن تبقى في دائرة العلم ، وأن تحقق ثورة تكنولوجية ومن بعدها ثورات علمية في عصر النهضة وما تبعه . كانت مرحلة العصور الوسطى في أوروبا طويلة الإشعاع وإذا كان المؤرخون يختلفون في تحديد نقطة نهايتها، فإن الرأي المرجح من القرن الثالث الميلادي حتى القرن الرابع عشر. وطوال الألف ومائتي سنة التي مرت بها هذه المرحلة لم يحرز "العلم" تقدما حاسما في أي مجال، ولم يظهر تغيير جديد في مفهوم العلم، بل لقد احتفظت هذه العصور بأسوأ عناصر المفهوم اليوناني للعلموعملت على تمجيده وتحويله هذا الإشعاع الى ما يشبه العقيدة التي لا تناقش." وقد ساد الاعتقاد بان العلم بلغ قمته العليا عند أرسطو، وبان ما قاله هو الكلمة الأخيرة في أي ميدان من ميادين العلم. وحدث تحالف بين معتقدات الكنيسة المسيحية وتعاليم أرسطو الفلسفية، بالرغم من ان هذه التعاليم الأخيرة قد ظهرت في إطار وثني، فكان من نتيجة هذا التحالف أن اكتسبت أراء أرسطو ما يشبه القداسة الدينية، وأصبح الاعتراض عليها نوعا من التجديف والضلال، ولم يكن العلم في صميمه إلا ترديد لهذه الآراء، أما النقد والتجديد فكان يعرّض صاحبه لأشد الاخطار. ..أما من حيث مضمون الفكر العلمي في العصور الوسطى الاوربية، فيلاحظ عليه بوجه عام انه لم يكن معنيا بتلك العلوم التي ترتكز اهتماماتها على فهم العالم من أجل تغييره والسيطرة عليه .[2] ولقد كان هذا الامر أمرا طبيعيا في عصرٍ كان ينظر فيه الى الحياة الدنيا على أنها مرحلة عارضة.

كانت النظرة الحديثة الى العالم نتاج تلاقٍ غير اعتيادي لجملة من الأحداث، وأفكارٍ وشخصيات، كانت، على تنوعها المتضارب، تجسد رؤية شديدة الالتزام عن الكون وعن الكائن مكان الكائن

[1] نزار دنيش، المصدر نفسه ص 108،109.

[2] فؤاد زكريا، التفكير العلمي، عالم المعرفة المجلس العلمي الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1978 ص 117.

الإنساني فيه رؤية جديدة جذريا من حيث الطابع، وزاجرة بالمفارقات من حيث العواقب. تلك العوامل ذاتها كانت تعكس، بل وتحدث، تغيرا بالغ العمق في الشخصية الغربية، لفهم الانبثاق التاريخي للعقل الحديث، سنبادر الآن الى معاينة زحمة الأحقاب الثقافية المتداخلة تشابكا والمعروفة بالنهضة والإصلاح الديني والثورة العلمية.

أسهم قيام الإصلاح الديني باستعادة لاهوت إنجيلي معظمه في مواجهة لاهوت مدرسي في تطهير العقل الحديث من الأفكار الهلينية، حيث كانت الطبيعة مخترقة بعقلانية إلهية وأسباب نهائية. وهكذا فإن البروتستنتية وفرت ثورة ذات سياق لاهوتي نجحت في تعزيز الحركة التي أطلقها أوكام بعيدا عن نظرة المدرسية الكلاسيكية، داعمة بذلك تطور علم جديد عن الطبيعة [1] لم يترك هذا الأخير أي جسر بين عقل الانسان ووحي السماء، بين ما يعرفه الانسان وما يؤمن به، إلا أن تأكيده الذي لا يعرف معنى المساومة لجملة أشياء هذا العالم الفردية الملموسة، ثقته بقدرة عقل الإنسان ومنطقه على تثبيت كيانات ضرورية وتمييز الأدلة ودرجات الاحتمال، وموقفه القائم على الشك من طرائق التفكير التقليدية والمكرسة مؤسسيا، جميعا كانت عوامل تشجيع مباشر للمشروع العلمي. حقا بات العلم، بفضل مثل هذا المنطلق الثنائي، ممتعا بحرية التطور، وفقا لمساره الخاص بقدرٍ أقل من الخوف من أي تناقض عقدي محتمل، أقل الى حين البدء بمساءلة الكوزمولوجيا. ومن ذلك فإن التمجيد الديني لما هو علماني. كان سيتعين عليه أن يكسب طابعا مستقلا ذاتيا، بعيدا عن الدين، وعلى مدى اجتماعي أوسع أسهمت الدعوة البروتستنتية الى أخذ هذا العالم بقدرٍ أكبر من الجدية والى إعادة النظر في المجتمع وتبني التغيير في التغلب على العداء الديني التقليدي لكل من هذا العالم والتغيير على حدٍ سواء لدفع عجلة التقدم الحديثة والليبرالية في العديد من المجالات من السياسة الى العلوم.

ثمة نتائج اجتماعية مهمة للإصلاح الديني باتت واضحة أيضا في علاقته المعقدة بالتطور الاقتصادي لجملة أمم اروبا الشمالية فتشديد المذهب البروتستانتي على الانضباط الأخلاقي والكرامة المقدسة لعمل الانسان في العالم تزاوجا بنوع من الخصوصية في الإيمان الكلفاني بالقدر المكتوب سلفا، بما

[1] ريتشارد ترناس، آلام الغرب ، تر فاضل بكريئة او بوظبي للثقافة والتراث الطبعة العربية الأولى 2010 ص288.

يمكّن المسيحي الكادح والقلق، المحروم من ملاذ التسويغ الطقسي لدى الكاثوليكي، من الاهتداء الى دلائل تشير الى أنه من بين النخبة إذا ما استطاع بنجاح وبلا هوادة أن يلزم نفسه بالعمل الانضباطي وبرسالته الدنيوية. [1] كثيرا ما عُدت الإنتاجية المادية إحدى ثمار هذا المسعى الذي يقدم دون تردد، بالتضافر مع المطالبة البروليتارية الطهرية بالعزوف الزاهد عن المتعة الأنانية والتبذير الطائش، على خدمة رأس المال.

وفيما كان السعي إلى النجاح يُعد، تقليديا، تهديدا مباشرا للحياة الدينية ،فإن الطرفين ،، السعي الى النجاح التجاري من ناحية والحياة الدينية من الناحية المقابلة ، ما لبثا أن باتا يعدان ويجري التسليم بأنهما متبادلا النفع .أحيانا وعلى نحو انتقائي أقدمت العقيدة نفسها على التحول أو التشدد تبعاً للمزاج الاجتماعي والاقتصادي السائد .ففي غضون بضعة أجيال ،كانت أخلاق العمل البروتستنتية ،جنبا إلى جنب مع الانبثاق المتواصل لنزعة فردية مقتحمة وحركية ،قد اضطلعت بدور رئيس في تشجيع نمو طبقة وسطى مزدهرة اقتصاديا مرتبطة بصعود النظام الرأسمالي.[2]هذه الأخيرة الطبقة الوسطى –، هي الدائبة على التطور سلفا في دول المدن الإيطالية النهضوية، حظيت بالمزيد من الدفع من عددٍ كبير من العوامل الأخرى تراكم الثروة المتدفقة من العالم الجديد، التوغل في أسواق جديدة، الكتل السكانية المتنامية، وسلسلة من التطورات الجديدة على صعيد التنظيمات والتكنولوجيات الصناعية، ومع الزمن، كان جزء كبير من التوجهات الروحية الأصلية للانضباط البروتستانتي قد أصبح متركزا على هواجس أكثر علمانية، كما على المكافآت المادية المحققة نتيجة هذا الانضباط. باتت الحماسة الدينية، إذا في خدمة الحيوية الاقتصادية التي صارت مندفعة ذاتيا.

بينما في عصر النهضة فقد تضافرت عوامل متعددة أدت إلى الانتقال من أسلوب التفكك السائد في العصور الوسطى الى أسلوب التفكير العلمي الحديث .وكان بعض هذه العوامل داخليا ،يتعلق ببناء المجتمع الأوربي ذاته ،وبعضه الآخر خارجيا الذي مارسته الحضارة الإسلامية على العقل الأوروبي وقد

[1] ريتشارد ترناس، آلام الغرب، المصدر السابق ص.294.

[2] ريتشارد ترناس، المصدر نفسه ص 295.

لا يسعنا للتطرق إلى كافة الجوانب التي أنار بها المسلمون الحضارة الأوروبية ،بل أن ما يهمنا هو التغيير الحديث الذي طرأ على مفهوم العلم الذي أسهم فيه الفلاسفة مرة أخرى مما قدموه من إسهامات ، حيث حاولوا تقديم رؤية واضحة تمام الوضوح لمتطلبات العلم . إذ أصبح الفيلسوف ينظر إلى نفسه، لا على أنه هو ذاته الذي يأخذ على عاتقه مهمة توسيع نطاق المعرفة البشرية في كافة المجالات ودفعها إلى الأمام، بل هو الذي يضع الأساس الفكري للعمل الذي يقوم به أشخاص آخرون مستقلون عنه، أي أنه ليس هو "خالق المعرفة بلمنظرها فحسب[1] ولعل فرنسيس بيكون Francis Bacon[2]أعظم دعاة هذه الفكرة الجديدة التي يستقل فيها العلم عن الفلسفة استقلالا تاما. فهو يسخر من ادعاءات فلاسفة العصر القديمة والوسطى الذين كانوا يتصورون حل مشكلات العالم الكبرى بالتأمل النظري وحده. بالرغم من الإضافة من معانٍ هامة إلى مفهوم العلم التي كان لها أبلغ الأثر في التطور التالي لمعرفة العلمية، لم يركز اهتمامه إلا على جانبٍ واحدٍ من جوانب العلم وهو

---

[1] فؤاد زكريا لتفكير العلمي مرجع سابق ص 162

[2]*فرنسيس بيكون: في عقود القرن السابع عشر نفسها التي شهدت في إيطاليا قيام غاليليو باجتراح الممارسة العلمية الجديدة، بادر فرنسيس بيكون في إنجلترا الى إعلان ميلاد حقبة جديدة كانت ستشهد قيام العلوم الطبيعية بإضفاء نوع من الخلاص المادي على الانسان ليصاحب تقدمه الروحي نحو الألفية المسيحية (السعيدة) .برأي بيكون تطلب اكتشاف العالم الجديد من قبل المستكشفين الكوكبين اكتشافا موازيا للعالم عقلي جديد يتم فيه التغلب على جملة أنماط التفكير القديمة ، الأهواء التقليدية ، التشوهات الذاتية ، الاضطرابات اللفظية ،والعمى الفكري العام خلال اعتماد منهج جديد على صعيد اكتساب المعرفة ،كان لابد لهذا المنهج أن يكون تجريبيا في الأساس عبر رصد المتأني و الدقيق للطبيعة والاجتراح البارع للعديد والمتنوع من التجارب ، التي يتم إجراءها في سياق بحوث تعاونية منظمة بات العقل البشري قادرا على الإنجاز التدريجي لعملية استنباط تلك القوانين والتعميمات التيمن شأنها أن تكسب الانسان فهم الطبيعة الضروري للتحكم بها .وكان من شأن مثل هذا العلم أن يجلب للإنسان مكاسب لا تقدر بثمن ، وأن يمكنه من إعادة فرض سيادته على الطبيعة ، تلك السيادة التي كان قد أضاعها مع سقوط آدم ، في أن سقراط قد ساوى المعرفة بالفضيلة ،فإن بيكون ساوى المعرفة بالسلطة والنفوذ ، بالقوة .ففائدتها العملية هي المعيار الحقيقي لشرعيتها .مع بيكون تولى العلم دورا جديدا –نفعيا طوباويا ،بوصفه النظير =المادي والبشري أصر بيكون على التقدم في العلوم يتطلب إعادة صياغة جذرية لجملة أسس هذه العلوم .ليس الأساس الحقيقي للمعرفة إلا العالم الطبيعي والمعلومات المستمدة منه عبر الحواس البشرية .باتت الانعطاف الحديثة في تيار الفلسفة واضحة المعالم مع بيكون وهكذا فإن من الممكن أن يتم أخيرا ،ذلك الزواج بين عقل الانسان والكون الطبيعي ،ذلك الزواج الذي تنبأ بيكون أخيرا بأن من شأن ثماره أن تكون سلسلة طويلة من الاختراعات العظيمة المؤهلة لتحرير البشرية من ألوان بؤسها ،فخلاص العرفان ، بل خلاص عظمة الانسان نفسه كامن في مستقبل العلوم. لم يكن بيكون فيلسوفا نظاميا كما لم يكن عالما صارما بين ذاك وذاك نجحت قوة بلاغته وصيغته الرؤيوية في اقناع أجيال المستقبل بضرورة انجاز برنامجه الثوري برنامج الاجتياح العلمي للطبيعة خدمة لرخاء الانسان.

الجانب التجريبي المبني على المشاهدة للظواهر وتسجيلها واستخلاص أسبابها عن طريق الملاحظة الدقيقة والتجربة.

ومن الوجهة التاريخية الخالصة، يمكن القول إن أول جمعية علمية هي التي أنشأت في فلورنسا بإيطاليا عام 1657 باسم Academiade,Cimentoوتعني أكاديمية التجربة العلمية. ولكن البداية الحقيقية للجمعيات العلمية بكل مقوماتها الحديثة كانت هي الجمعية الملكية في لندن

(Royal, Society) .1662

ومنذ ذلك الحين تعاقبت الجمعيات بسرعة، فأنشأت الأكاديمية الفرنسية في باريس عام 1666، ثم أكاديمية سان بطرسبرج الروسية عام 1729 واكاديمية برلين عام 1744.

بفضل هذه الجمعيات تحقق هدفين هدف علمي جماعي تعاوني وأسس لمرحلة تدعم أعمال العلماء من طرف اشراف الدولة على هذه المشاريع العلمية. ومن المؤكد أن العلم أفاد كثيرا من هذا المبدأ، لا سيما وأن نفقات البحث العلمي كانت في تزايد مستمر. كما ان الدول اكتسبت فوائد هامة من رعايتها للعلماء من خلال إجراء البحوث بما يخدم مطالبها الاقتصادية والعسكرية. سنرى فيما بعد أن هذا المبدأ ذاته قد أصبح في عصرنا الحاضر سلاحا خطيرا ذا حدين.

– **المرحلة المعاصرة للعلم**:كان العلم الأوروبي عند مطلع العصر الحديث علما ميكانيكيا في المحل الأول، فالميكانيكا نفسها كانت أهم العلوم وأدقها، وبفضلها تحققت مجموعة كبيرة من كشوف القرنين السابع عشر والثامن عشر. والاهم من ذلك أن نموذج المعرفة ذاته كان هو النموذج الآلي: أعني أنك تستطيع أن تفهم الظواهر على أفضل نحو إذا استطعت أن تنظمها في نسق تكون فيه كل منها مؤدية الى الأخرى بطريقة آلية[1] في القرن العشرين حدثت ثورة كمية وكيفية هائلة في المجال العلمي، بمعنى أن نطاق العلم قد اتسع الى حدٍ هائل، كما ان إنجازاته قد اكتست صفات جديدة وأصبحت أهميتها تفوق بكثير كل ما كان الحلم يحققه في أي عصر سابق. بل هذا التغير جعل العلم

[1] فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المصدر السابق ص 154.

هو الحقيقة الأساسية في عالم اليوم، وهو المحور الذي تدور حوله كل المظاهر الأخرى لحياة البشر. فقد نجحت هذه الآلات في احداث تحول هائل في ميدان الإنتاج المادي، إذ ان كفاءتها كانت أعلى بكثير من كل أنواع الآلات السابقة، فضلا عن انها توفر نسبة كبيرة من الأيدي العاملة في عصر الآلية الذاتية Automation[1].ومن هنا فإن ظهور العقول الالكترونية يعد مرحلة جديدة في حياة الانسان العقلية، وخطوة جبارة في طريق التقدم العلمي، فضلا عن أنه فتح آفاقا هائلة امام المعرفة البشرية في مختلف ميادينها إنه عصر الانفجار المعرفي.

- **العلم والتكنولوجيا:**

في رحلة التفكير العلمي التي نتبعها بإيجاز عبر عصور التاريخ البشري، لن نستطيع أن ننتقل الى العصر الحاضر إلا إذا قدمنا للقارئ فحوى العلاقة بين العلم والتكنولوجيا لأنها السمة المميزة للعلم في مرحلته الراهنة.

إن لكلمة تكنولوجيا، عند الكثير من الناس، رنينا حديثا يجعلهم يظنون أن العالم لم يعرف التكنولوجيا إلا في عصر قريب ، وأن التكنولوجيا هي المخترعات الحديثة الراقية التي غيرت معالم الحياة البشرية في العصر الحديث ، أول معنى يتظاهر للمرء في محاولته لفهم التكنولوجيا هو التطبيقات العملية .فالحلم معرفة نظرية ، والتكنولوجيا تطبيق لها في مجال العمل البشري [2] وبصفة عامة نحوز على تعريف يكاد يفي بالغرض في تعريفنا بالتكنولوجياالأدوات والوسائل التي تستخدم لأغراض عملية تطبيقية ، والتي يستعين بها الإنسان في عمله لإكمال قواه وقدرته ، وتلبية الحاجات التي تظهر في إطار ظروفه الاجتماعية ومرحلته التاريخية الخاصة ، وللعلم أن التكنولوجيا لم تكن مرتكزة على العلم طوال الجزء الكبير من تاريخها .

[1] المصدر نفسه ص 131.

[2] المصدر نفسه، ص 131-132.

إن العصر الحديث يستند الى استبصار واحد، توقعه **بيو ريدان' وألبرت–أوف اكسوني، وليوناردو كبرنيك** واستكشفه بين العامين 1609 و1687 كل من **كبلر، ونيوتن**، وهو أن الأرض والسماوات محكومة بقلة من القوانين الشامل، والفيزيائية، والميكانيكية، والرياضية[1].

وقدأعطى إكشاف نيوتن ثقة هائلة الى جميع من جاء بعده من العلماء، والفلاسفة والمهندسين، وصار ميكانيكيا، وكان العلم يستطيع أن يبحث كل شيء، ويتنبأ به ويديره ويحسنه.

النزعة العلمية المفرطة مدرسة فرانكفورت:

مجموعة المثقفين الأكثر أهمية، رغم أن تأثيرها الذي ظل لفترة طويلة محدودا بسبب النفي، ولم ينتشر إلا بعد اختفاءها، كانت وبلا شك هي مجموعة معهد البحث الاجتماعي الذي تأسس سنة 1923 حتى عودته الى ألمانيا بعد الحرب. وقد كتب مارتن جاي Martin,Jay وآخرون تاريخ هذا المعهد وفكر باحثيه الأساسيين.

تنطلق مدرسة فرانكفورت من الانفصال الذي يوجد بين البراكسيس Praxisوالفكر، بين العمل السياسي والفلسفة.إنهم يعتبرون العالم الذي يعيشون فيه عالم سقوط العقل الموضوعي أي سقوط الرؤية العقلانية للعالم. يمكن القول بأنهم يتباكون على الرأسمالية القديمة التي كانت تحمل الحركة العقلانية الكبرى. في حين أن عالم الأزمة الاقتصادية، عالم الصناعة والتيلورية وفي نفس الوقت عالم النازية والستالينية، ليس في نظرهم إلا عالم قوة النقود والذي يسعى، بلا مبدأ سامي للعقلانية، الى المصالح المادية التي تدمر حياة العقل.

أما اليوم فقد صار دور العقل هو إيجاد وسائل في خدمة الغايات التي يتبناها كل فرد في لحظة معينة وفي هذه النقطة يتوجه Horkheimer بتوجيه اتهام الى ويبر باحتفائه بانتصار العقلانية الوظيفية على العقلانية الجوهرية وهو ما يعني انحطاط العقلانية الموضوعية أمام العقلانية الأداتية،.[2]كما أشار

---

[1] ريتشارد كوك، وكريس، سميت، انتحار الغرب، تر فاضل جكتر ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث "كلمة" الامارات ط، 1، 2010ص 124،125

[2] زهير الكرمي، العلم ومشكلات الانسان المعاصر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت سنة 1978 ص 155

ماركس الى أن الانسان أصبح غريبا في المجتمع الصناعي، وأن العامل انحط قدره نتيجة استعمال الآلة حتى تحولت الى عدوه فبالرغم من حياد الآلة إلا أنها تحول العامل الى مجرد سلعة تباع وتشترى في سوق العمالة وتجعل عمله ميكانيكيا رتيبا عديم الأهمية والمعنى.

جينيالوجيا العلم: كلمة علمscience مشتقة من الأصل اللاتيني sciencia بمعنى المعرفة knowledge: وهي بمعناها الأشمل أية معرفة منهجية أو ممارسة تؤدي نتائج أو تنبؤات لأشياء من الممكن التنبؤ بها في هذا المعنى. وقد تشير كلمة علم إلى التقنية أو الممارسة الرفيعة ذات الخبرة العالية، أما تعريف العلم بمعناه المعاصر الأكثر تحديدا، فإن فكلمة science تشير إلى منظومة من المعرفة المكتسبة بواسطة المنهج العلمي، والى كم المعرفة المنظمة و الممنهجة والمكتسبة عن هذا الطريق.[1] العلم لغة هو معرفة الأمر معرفة جيدة أو هو معرفة إحدى التقنيات، أو المقدرة على إتقان فن من الفنون.اصطلاحا: العلم هو مجموعة المعارف الوضعية في اختصاص معين، منسقة حسب مبادئ واضحة ومؤكدة بطريقة عقلية، في مقابل الشائعة بين عامة الناس، والماورائيات والفلسفة، والتقنية، والفن، والدين[2]

ولا يمكن بطبيعة الحال أن نعرض شاملا لتعريفات العلم، فهذا أمر متعذر لان كل من تناول بالدراسة أي شأن من شؤون العلم قد قدم قبلها تعريفه الخاص للعلم، فضلا عن أن ذلك المسح الشامل جهد قليل.

والصعوبة التي يلاقيها تعريف العلم أيضا تأتي لأسباب كثيرة تتصل في مجملها بشروط صحة التعريف من الناحية المنطقية، فالمواضيع التي وجهت للعلوم المختلفة ليست ذات طبيعة واحدة، ولا هي ذات خصائص موحّدة، بحيث يمكن أن نصوغ تعريفا جامعا مانعا، فبعض مواضيع العلم محسوسة، حال الفيزياء والكيمياء، وقابلة للقياس، بحيث يمكن إجراء التجربة عليها. وبعض آخر مثل الرياضيات معني بالكم المجرد من المقيس، ولكن غير المحسوس، ولهذا فإن الموضوع على التجربة والملاحظة،

[1] ألكسي روزن بورج ,فلسفة العلم ترجمة و تقديم أحمدا سماحي وفتح الله الشيخ المركز القومي للترجمةط1 القاهرة 2014 ص 08

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2 1984، ص 379

وبعض آخر من العلوم معياري، كعلم الأخلاق الذي يبحث فيما يجب أن يكون، وليس في الكائن[1].

العلم بين خطة البحث وآلية التطبيق:

إن العلم بوصفه أنبل زهرة للعقل الإنساني، وأعظم نبع واعد بالمآثر المادية، له صورتان، الأولى صورة مثالية يبدو فيها العلم معنيا بكشف الحقيقة ومهمته أن يبني صورة عقلية للعالم تلاءم وقائع الخبرة.

هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل هو إدراك الشيء على ما هو به، وكان يطلق على ما يقابل الأدب والفلسفة وعلى مجرد إدراك الحقائق ولكن يراد به الآن خاصة معرفة منظمة تدور حول موضع معيّن وتقوم على منهج مقرر وتؤدّي إلى نتائج وقوانين متطابقة.

ليس من السهل تعريف فلسفة العلم ويرجع هذا في جانب منه كما يقول المؤلف إلى ان الفلسفة ذاتها يصعب تعريفها، ولعلنا نضيف، ولأن العلم أيضا وفي كثيرٍ من الحالات يصعب تعريفه ، خاصة عندما نكون إزاء نوعيات من العلوم لم يتحقق لها من الدقة والانضباط ما تحقق للعلوم الطبيعية، وعندما نكون إزاء أنماط من المعرفة تحاول ان تتزين بزي العلم وهي أبعد ما تكون عنه، بل إنها في حقيقة الامر الى الخرافات أقرب، ومن أمثلتها تلك العلوم التي يطلق عليها المؤلف وصف العلوم الزائفة ،مثل علم قراءة الكف أو التنجيم أو الطب البديل .

من الناحية التاريخية يلاحظ أنه لم يكن هناك تمييز ما بين" الفلسفة والعلم"، حيث ظلت الفلسفة على مدى ما يزيد على اثنين وعشرون قرنا من الزمان تقريبا تمتد من القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادي، ظلت طوال تلك الحقبة تنهض وحدها بالمهمة التي نهض العلم والفلسفة منها. [2]

[1] محمود يعقوب، الوجيز في الفلسفة، الجزائر، 1984-1985، ص 260، 270،

[2] الصادق بخوش، تمظهرت الهيمنة في الفكر الغربي من عصر الأسطورة الى عصر العولمة أطروحة الدكتوراه سنة الجامعية 2013-2014 جامعة وهران

تلازمت ثورة العلوم الإنسانية إذا مع ثورة العلوم كي تجعل انطلاق المشروع الصناعي الكبير في الغرب ممكنا، وكي توفر له الأسس والمقومات والمنهجيات والأدوات. ثورة الانوار التي تابعتها العلوم الإنسانية أنجزت تحرير الانسان الفرد من عصر الاقطاع والاستبداد السياسي وتحكم الاستبداد اللاهوتي [1]

والعلم محاولة عن طريق الملاحظة وإعمال العقل القائم على هذه الملاحظة لاكتشاف الحقائق الخاصة بالعالم ثم اكتشاف القوانين التي تربط الحقائق بعضها ببعض، وهو يعني العلم في الحالات التي تصادف حسن الحظ بجعل من الممكن التنبؤ بأحداث المستقبل والتكتيك العلمي يرتبط بهذا الوجه النظري للعلم، يستخدم هذا الأخير المعرفة العلمية لتوفير الراحة ووسائل الترف التي كان يستحيل تحقيقها فيما مضى أو التي كانت على أقل تقدير تتكلف نفقات باهظة في العصور السابقة على عصر العلم.

كيف انتصر العلم؟: كان بيكون يحلم بيوم يغير فيه الانسان معنى العلم فلا يطلق هذه الكلمة العظيمة إلا على ذلك الضرب من الكلام الذي يثبته صاحبه على صفحات كتابه، حتى يثبت الى حياة الناس عملا ينفع، وله في مقارنة " العلم" بمعناه اللفظي الجديد، تشبيهات رائعة، فهو بمعناه القديم كالغائية تكون للمتعة لا للثمر والانجاب، فهو بمعناه القديم كالمرأة العاقر، تناقش وتناقش، ولكنها لا تلد.

ويضرب فرنسيس بيكون مثل النحل بهؤلاء العلماء يمتصون من الطبيعة رحيقها، ثم يصيرونه بمعداتهم عسلا حلو المذاق

العلم قوة – وهذه العبارة قالها بيكون–بمعنى أنه أداة لتغيير البيئة المحيطة بنا على النحو الذي يحقق أغراضنا، [2]

[1] مصطفى حجازي، الانسان المهدور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء –المغرب ط2، 2006، ص 184.

[2] زكي نجيب محفوظ، نافذة على الفلسفة كتاب العربي سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي الكويت أبريل 1990ص 15-16

يشرح انتصار العلم أكثر من أي عاملٍ من عوامل النجاح الأخرى، التقدم الحالي الضخم للغرب على الحضارات الأخرى في التقانة، والتجديد، ومستويات المعيشة، والقوة العسكرية، ولقد كان الإنجاز العلمي منذ العام 1990 أكثر تأثيرا الى مدى واسع من الناحيتين الفكرية والعلمية منه في أي وقت آخر، متوجاً ستة قرون من الاكتشافات المذهلة عن الطبيعة وعن الكون، وكانت الإنجازات والاكتشافات، ومازالت مستمرة، غربية على نحو كاسح.

ما العلم؟ بناءا على هذا التعريف، يكون الغرب أكثر الحضارات العلمية تطورا، ولكنها مستقرة بشكلٍ مهم على حضارات علمية قائدة سابقا وإلا فهو أول حضارة علمية، وهو الحضارة العلمية الوحيدة [1]

يرى عالم الأناسة الأنثروبولوجيجريد دايموند في كتابه: المعنون:

Diamond: Collapse: How societies choose to Fail or survive ,Jared

يساء تفسير العلم في الغالب بوصفه، مجموعة المعرفة المكتسبة من خلال إجراء تجارب مكررة تحت السيطرة في المختبر، وفي الواقع إن العلم شيء أوسع بكثير: إنه الحصول على المعرفة التي يعتمد عليها عن العالم. وكما هو معروف جيدا، بأن العلماء الإغريق أجزوا تقدما ضخما في الرياضيات، وفي الفلسفة، ولكن فكرة اكتساب المعرفة من خلال الملاحظة والتجريب لم تغرس جذورها بشكل ثابت أبد، فسقراط وأفلاطون سخرا من الملاحظة الفلكية إذ سماها سقراط "هدرا للوقت "[2]يقول البروفيسور رودني ستارك عن الاغريق، القدماء، وهو يلخص آراء مؤرخين كثيرين للعلم " في النهاية، فإن كل ما حققوه لم يكن تجريبيا عمليا، بل مناوئا للتجريب العملي، وكان عبارة عن فلسفات تأملية، ومجموعات من الحقائق المناوئة للنظرية، وحرفا وتِقانات معزولة- إنهم لم يحققوا أبدا اختراقا الى العلم الحقيقي[3] إن العالم الحديث يستند الى استبصار واحد، توقعه "بيو ريدان" والبرت أوف سيكسوني،

[1] ريتشارد كوك، وكريس سميت، انتحار الغرب تر، محمد محمود التوبة، الطبعة الأولى 2009 ص 118.

[2] ريتشارد كوك، وكريس سميت، المصدر نفسه ص 119.

[3] ريتشارد كوك، وكريس سميت، المصدر نفسه ص 120.

وليوناردو، وكبرنيك هذا الاستبصار تحقق مع كبلير و نيوتن ما بين سنة 1609–1689 الأرض والسماوات محكومة بقلة من القوانين الشاملة والفيزيائية والميكانيكية والرياضية واعتبار الأرض كوكب مثله مثل الكواكب يدور حول الشمس وليس العكس [1].

إن لفظ علم في الاستخدام يشير الى معنيين. معنى خاص يقتصر على العلوم الطبيعية والرياضية، وهذا ما يتبادر لأذهان الكثيرين في هذا العصر، حيث احتلت هذه العلوم مكانة كبيرة في الحياة الفكرية وفي حضارة هذا العصر، وخصصت الجامعات كليات خاصة تهتم بهذه العلوم سميت كليات العلوم، فترسخ في الأذهان أن هذه هي العلوم فحسب. والمعنى الآخر هو المعنى العام الذي يشير الى جميع العلوم: الطبيعية والرياضية والإنسانية، وتحت هذا المعنى تدخل جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية كعلوم التاريخ واللغة والشريعة، والإدارة والسياسة والاقتصاد بجانب العلوم الطبيعية والرياضية [2] يستخدم لفظ العلم العام الذي يشير الى جميع العلوم المتداولة والمعترف بها لا يدخل هنا علم التنجيم والسحر فهي ليست علوما معترف بها في دوائر أهل العلم .أما تعريف العلم ،فهناك من عرّفه بالاستناد الى تحديد موضوعه ،وهناك من عرّفه إجرائيا بذكر أنواعه أو أمثلته .على أن فلاسفة العلم لا حظوا عددا من الخصائص التي تميّز المعرفة العلمية عن المعرفة غير العلمية ،وحاولوا حصر هذه الصفات وشرحها ،مفضلين هذه الطريقة على وضع تعريف للعلم قد لا يكون معبرا عن حقيقة العلم وماهيته من كل الجوانب[3]

"لقد استطاع الإنسان بما منحه الله من نعمة العقل، أن يجمع عبر تاريخه الطويل رصيدا هائلا من المعارف والعلوم. فبعضها معارف تقتصر على مجرد ملاحظة الظواهر ملاحظة بسيطة غير مقصودة، فيما تراه العين وما تسمعه الأذان وما تلمسه اليد ومن أمثلة هذه المعارف ما يلاحظه الشخص العادي من تعاقب الليل والنهار ومن بزوغ الشمس وغروبها ...دون أن تتجه أنظار هذا الشخص

[1] ريتشارد كوك، وكريس سميت المصدر نفسه ص 124،125.

[2] عزمي طه السيد أحمد، الفلسفة مدخل جديد، دار المناهج للنشر 2003،عمان الأردن الطبعة الأولى ص 298.

[3] عزمي طه السيد أحمد، المرجع نفسه ص 299.

العادي إلى معرفة إدراك العلاقات القائمة بين الظواهر وأسبابها. هذه المرحلة هي ما تسمى بالمرحلة الحسية."

وبعض هذه المعارف ينطلق بعيدا عما تراه العين وما تسمعه الأذن وما تلمسه اليد، إذ يحاول في هذه المرحلة التالية من التفكير التأمل في الأسباب البعيدة – فيما وراء الطبيعة – عن الموت والحياة، وعن خالق الوجود وصفاته واثبات وجوده وهذا النوع من المعرفة الذي يتعذر حسمه بالتجربة هو ما يعرف بالمعرفة الفلسفية التأملية.

وأخيرا فهناك المعرفة العلمية التي جاءت كما يقول أوغست كونت في مرحلة متأخرة من تطور العقل البشري ونضجه حيث استطاع الإنسان أن يتجاوز المرحلتين السابقتين وأن يفسر الظواهر تفسيرا علميا،، يربط به تلك الظواهر ربطا موضوعيا ...هذا النوع من المعرفة إذن هو" المعرفة العلمية التجريبية " التي تقوم على أساس الملاحظة المنظمة المقصودة للظواهر وعلى أساس وضع الفروض الملائمة والتحقق منها بالتجربة وتجميع البيانات وتحليلها، ولا تحاول المعرفة العلمية أن تقف عنج المفردات الجزئية التي يتعرض الإنسان لبحثها بل يحاول الباحث أن يصل الى القوانين والنظريات العامة التي تربط المفردات بعضها ببعض ،وتمكنه من التعميم والتنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة [1]

ليس معنى هذا العرض ، أن هذه المراحل الثلاث للمعرفة تتناقض مع بعضها، بل هي في الواقع التاريخي، تتلازم وتتكامل فيما بينها. ومن الواجب الانتقال – كما أمكن ذلك –من المرحلة الحسية والمرحلة الفلسفية الى المرحلة العلمية وهنا ينبغي أن نشير إلى الخطأ بل الخطر، الذي يمكن أن يقع فيه الإنسان، وذلك حين مواجهته لموقف يتطلب المعرفة العلميةوهو قادر عليها فيكتفي في هذا الموقف، بالمعرفة الحسية البسيطة أو المعرفة الفلسفية البعيدة، التي يتواكل فيها الإنسان، ويرد أسباب المواقف مثلا إلى القضاء والقدر. ومن الأسئلة التي تطرح في مبحث فلسفة العلم السؤال عن الأسس التي

[1] سعد محمد الهجرس، أساسيات المنهج العلمي، مجلة مكتبة الجامعة، الكويت، المجلد الثاني، العدد الثاني، سنة 1973.ص 15،18.

يقوم عليها العلم، ذلك أنه لا بد لكل علم من أسس ومبادئ يستند قيامه عليها، والملفت للنظر أن العالم في الغالب لا يكترث كثيرا للبحث عن هذه الأسس والمبادئ ولا يناقشها، ذلك أنه ينخرط في الممارسة العلمية ولا يتعرض لهذه الأمور لأنها تقع خارج حدود العلم. أما الذي يبحث عن هذه الأسس ويوضحها فهو الفيلسوف [1]

العلم والفلسفة:

على الرغم من وجود المنجز العلمي طيلة ثلاثة قرون أو أكثر من تطورات صناعية ومكتشفات علمية، فإن العلم، كمعرفة ظل تابعا الى الفلسفة، وهذه الأخيرة من خلالها يتم تبرير العالم وتفسيره ضمن معايير تفتقد الى الدقة والصرامة العلميتين، فديكارت على سبيل المثال (كما هو معروف اعتمد كثيرا على منجزات كوبرن كوس وجاليليو فضلا عن ركيزته الأساسية في تفسير العالم والحقيقة متمثلة في الرياضيات) أوجد منهج الشك ، ليس من أجل الوصول الى معرفة مفتوحة وغير مغلقة أو مجهولة وغير معلومة ، بل كان يسعى الى اليقين أو البحث عن مشروع قابل لضمانة كما يقول ميشال فوكو ، وبالتالي يصبح العالم في نظر ديكارت مغتربا عن التجربة ، وبخاصة إذا كانت الأخيرة حمالة للوهم والتصورات الذهنية المفارقة للواقع الأنطولوجي ، وبخاصة إذا كان العالم الموضوعي معروفا بشكل مباشر وبالجملة كما يقول Gaston,Bashlarغاستون باشلار ، الامر الذي يؤسس لبداهة مطلقة ومألوف مستمر في التواصل والتأصيل [2]

المعرفة أوسع وأشمل من العلم، ذلك لأن المعرفة تتضمن معارف علمية وأخرى غير علمية، ونستطيع أن نميز بينهما على أساس قواعد المنهج وأساليب التفكير التي تتبع في تحصيل المعارف. فإذا اتبع الباحث قواعد البحث وخطواته فإنه حتما سيصل الى المعرفة العلمية.

---

[1] سعد محمد الهجرس، أساسيات المنهج العلمي. المرجع السابق ص 323

[2] غا ستون با شلا ر، الفكر العلمي الجديد تر، عادل العوا مراجعة عبد الله عبد الدائم الطبعة الثانية بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط 2 بيروت لبنان 1983 ص 142.

ويمكن أن نشير الى بعض التعاريف عن العلم ...فقاموس-WebsterNew :Twetieth–Century Dictionary,OfEnglish

Language1960الجديد يعطي تعريفين للعلم هما :

– العلم هو المعرفة المنسقة Systematized-Knowedge التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تم بغرض تحديد طبيعة أو أسس وأصول ما تتم دراسته.

– العلم هو فرع من فروع المعرفة أو الدراسة، خصوصا ذلك الفرع المتعلق بتنسيق وترسيخ الحقائق والمبادئ والمناهج بواسطة التجارب والفروض.

أما كارل بيرسو،:فقد قرر أن ميدان العلم غير محدد، فمادته لا نهاية لها، كل مجموعة من الظواهر الطبيعية، كل طور من أطوار الحياة الاجتماعية، كل مرحلة من مراحل التطور القديم أو الحديث كل ذلك يعتبر مادة العلم وأخيرا حسب قاموس أكسفورد المختصر

: SHORTER.OXFORDENGLISHDICTIONARYP 1806

فالعلم، هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة، والتي تحكمها قوانين عامة وتحتوي على طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة.

لماذا يكون العلم غربيا على نحو متفوق؟: والتعريف الواسع للعلم حسب: دايموند هو اكتساب معرفة يعتمد عليها عن العالم، يمكن أن يسلط الضوء على العمل الرائد الذي قامت به الحضارات الاغريقية والإسلامية، والصينية.

يعرف رودني ستارك العلم بوصفه طريقة تُسْتغل في الجهود المنظّمة لصياغة تفسيرات للطبيعة وهي خاضعة دائما للتعديلات والتصحيحات من خلال الملاحظات المنهجية يتكون العلم من مكونين،

(النظرية والبحث) وهذا التعريف يُقدَره على أن يستنتج أن العلم ظهر مرة واحدة فقط في التاريخ بالضبط في أوروبا العصر الوسيط[1]

ويضع المؤرخ إدوارد-غرنت: في كتابه EdwardGrant. The foundationofmodernScience:in theMiddle Ages

تاريخ ظهور العلم في وقت متأخر أكثر قليلا، ولكنه يوافق على انه كان اختراعا أوروبيا " إنه لا نزاع في أن العلم الحديث ظهر في القرن السابع عشر في أوربة الغربية، وليس في أي مكان آخر[2].

خلاصة

ليس العلم ظاهرة منعزلة، تنمو بقدرتها الذاتية وتسير بقوة دفعها الخاصة وتخضع لمنطقها الداخلي البحث، بل أن تفاعل العلم مع المجتمع حقيقة لا ينكرها أحد ، فحتى أشد مؤرخي العلم ميلا الى النفسير " الفردي" لتطور العلم، لا يستطيعون أن ينكروا وجود تأثير متبادل بين العلم وبين أوضاع المجتمع الذي يظهر فيه ، أما الاقتصاد فإن الثورة العلمية التي قدمت إضافة الى الفكر الديني بنقله الى حقل النظرية ، والى الفكر الاقتصادي ، ومن الخطأ بمكان التنكر لوجود مكون اجتماعي في العلم . تفرض الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية نفسها على مسار البحث العلمي من نواح عدة، وقد تؤدي الثورات التكنولوجية الة انحناءات في الفضاء الاجتمماعي والاقتصادي ...، فتتغير محاور الجذب وتحصل تبدلات في خطوط القوة واتجاهاتها ، مما يبرز الحاجة ، في سبيل التكيف ، الى الانتقال من التوازن القائم الى توازن جديد.

المعلومات بدل العلم:

[1] غا ستون باشلا ر، المصدر السابق ص 126.

[2] Edward Grant. The Fondations of modern Science in the middle ages

يعتبر الاستهلاك برهانا رئيسيا لعلماء الاجتماع ما بعد حداثة زيخمونت بومان،Bauman,Zugmut مؤلف prolix وهو يصدر كتابا كل عام منذ 1978 يرتكز في كتابه حميمية ما بعد الحداثة الذي يستقيه من التاريخ السياسي المعاصر .إذ كانت أنظمة بلدان الشرق بشكل أساسي حديثة في قناعتها العاطفية في أن أي مجتمع لكي يكون سلميا لا يمكن ألا أن يكون مرسوما بعناية، ومدار بعقلانية و أن يكون صناعيا بشكل كامل [1] إن اختفاء هذه البلدان يؤكد واقعه أن العالم الغربي قد دخل عصرا جديدا وبالتالي لم يعد للتاريخ معنى وعلى العكس من فيبر أن العالم في زمن إعادة ابتهاجه .

لقد نجحت الرأسمالية في تعبئة مبدأ اللذة لصالحهما خالقة عالما غير واقعي هو عالم الاستهلاك. مع ذلك فإن العالم المخلوق ليس خيالا محضافي مجتمع ما بعد الحداثة ينتقل سلوك المستهلك نحو الوضعية التي كان يحتلها العمل في صورته الأخيرة في المرحلة الحديثة للمجتمع الرأسمالي ويُعتبر أيضا سلوك المستهلك هو المحرك للتحولات الاجتماعية –الاقتصادية وهو وضع خاص بالمجتمع ما بعد الحداثي. [2]

وفي الوقت الذي يخصص فيه دانيال بل Daniel-Bell في المجتمع ما بعد صناعي مكانا رئيسا للعلم والتكنولوجيا نجد سمارت ،Smart،يحل محلها المعلومات والاتصال. إن انتاج المعلومات وسيرها والتحكم فيها يصبح مصدر كل تجديد وكل تغير في عملية الإنتاج التي يتسم بها المجتمع ما بعد الحداثي.

صدَّرت أمريكا نظامها المزدهر، وديناميكية تاريخها الخاص، كنموذج للآخرين. لقد بشرت بعقيدة كيفية جعل " الغير فقيرا، يحصل على المساعدة، ويستثمر في اللاعبين الجدد الذين يتبعون القواعد، وفي بعض الأحيان، يعاقبون البعض لانحرافهم عن النص. [3]ولا يحتاج المرء للتجول في تلك الأماكن

---

[1] محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي ما بعد الحداثة دار توبقال االنشر الدار البيضاء 2003ص 15.

[2] محمد سبيلا وآخرون المصدرنفسه ص 16.

[3] روجر روزن بلات، ثقافة الاستهلاك (الاستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة، تر، ليلى عبد الرزاق، المركز القومي للترجمة، القاهرة ط، 1، 2011، ص40..

البعيدة، ليرى أن الأزمة العالمية للاستهلاك هي حقا، أولا وفي المقام الأول، أمريكية. إن نموذجنا هو الذي يعمل به الآخرون، وليس من المرجح أن يتغير بصفة أساسية حتى نبين لهم كيف يفعلون ذلك.والفكرة الرائعة لإمكانية وجود " عالم واحد للتجارة يربط بين المنتجين والمستهلكين، والعمال والمستثمرين، وعبر مسافات شاسعة، هو الاعتراف أنه لن يكون هناك مكان للاختباء. وسنعمل معا على شروط، البقاء، أو ربما لن نفعل ذلك على الاطلاق[1].

العقل الأداتي والحاجة الى الهيمنة:

لقد كانت ممارسة النقد في شتى المجالات المعرفية هو الفعل السائد في القرن العشرين، كدعوة صارمة للإقرار بعجز الخطاب الأنوار، والاعتراف بطغيان العقل. لقد تحطم بريق الانوار وظهرت ضرورة إعادة النظر في مفاهيمه وتقاليده المعرفية والنتائج التي آلت اليها، ومن هذا المنطلق كان يقين النظرية النقدية بضرورة إثارة الأسئلة حول بنية العقل المعاصر، والصورة التي وصلت اليها الإنسانية الحضارة نتيجة التماهي الذي حدث بين العقل والمطلق، فانتهى الى دمار الانسانية وانتشار الحروب وبخس قيمة الفرد الإنساني، وإلغاء ممارسته الوجودية، وإمكانية التعبير عن ذاته وأحلامه .

إن رواد مدرسة فرنكفورت في المرحلة الأولى من تأسيس المدرسة النقدية توجهوا الى نقد المجتمع الصناعي الكبير ونظامه التكنوقراطي وكان هذا النقد جزءا من النضال ضد النظام الرأسمالي، حيث توجهوا الى نقد الاقتصاد السياسي وتحليل التناقضات في المجتمع الرأسمالي واعتقدوا ان تفجير هذه التناقضات سوف يقود الى بناء الاشتراكية، اما المرحلة الثانية وهي مرحلة المنفى وما بعدها فقد وجهوا اهتماماتهم الى نقد النظم السياسية والثقافية وتحولوا عن فكرة الصراع الطبقي التي فقدت معناها كأداة تحليلية،وذلك بسبب تزييف وعي الطبقي العامة وتطورها الى أداة بيروقراطية .[2]

ان النظرية النقدية للمجتمع حسب مؤسسيها مرتبطة أساسا بالمادية ولا يعني انها لا تشيد نفسها كمذهب فلسفي متعارض مع المذاهب الفلسفية الأخرى وهناك عنصران رئيسيان يرتبطان بالنظرية

[1] روجر روزن بلات، ثقافة الاستهلاك الاستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة، المرجع نفسه ص 41.

[2] إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الساقي بيروت لبنانالطبعة الأولى 2012 ص 140.

الاجتماعية الصحية ،الاهتمام بالسعادة الإنسانية والاعتقاد بان السعادة لا يمكن الحصول عليها الا من خلال تبديل الأوضاع المادية للوجود ،والمجرى الفعلي للتبديل المقاييس الرئيسية التي يجب الاخذ بها للوصول الى تنظيم عقلاني للمجتمع انما يشخصها تحليل الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الموقف التاريخي المحدد ،وعندما حدث ادراك للعقل على انه التنظيم العقلاني للبشرية ،فإن الفلسفة تركت بدون موضوع وذلك لان الفلسفة الى المدى الذي عليه حتى الآن باعتبارها شيئا اكثر من مجرد انتقال او تنظيم داخل القسم المعطى للعمل قد استمدت حياتها من واقع العقل الذي لم يوجد بعد [1]

ان العقل الأداتي عند هؤلاء هو منطق في التفكير وأسلوب في رؤية العالم ،أي ان العالم الاجتماعي اصبح كالطبيعة غير قابل للتغير مستقلا عن افعالنا بمعنى اخضاع العالم الاجتماعي لجملة من القوانين شأنها شأن الطبيعة ليتحول بدوره الى اسطورة ، هو أداتي – أو مجرد أداة- بمعنى أنه لا يهتم بالأهداف ولا ينشغل بما يتوصل بما إذا كانت الغايات التي يسعى إيها، بوعي أو بدون وعي، أو النتائج التي يتوصل إليها، غايات ونتائج معقولة ومقبولة حسب العيار العام للمعقولية والقبول الذي يشترك فيه جميع الناس وهذا العقل الأداتي – أو الذاتي هو الذي ساد في هذا القرن العشرين، هو الذي قاد أوروبا وامريكا الى ما حققتاه من تقدم تكنولوجي، وأيضا الى ما مارستاه من هيمنة واستعمار وسيطرة، مع الاعلاء من شأن الفرد والفردية.[2]ولكن في المجتمعات الرأسمالية يذهب هوركهايمر Horkheimer بدوره لتصنيف العقل الاداتي في كتابه افول العقل هو العقل المهيمن في المجتمعات مدعيا طابعا عقلانيا للعقلانية،فهذه الحضارة منتجة ناجحة ،قادرة على زيادة الرفاه وتعميمه وعلى إضفاء صفة الحاجة على ما هو زائد عن الحاجة وعلى تحويل الهدم الى بناء [3] فالمجتمعات المتقدمة صناعيا وتكنولوجيا تأسست على المشروع التنويري الذي قام على تحرير الانسان من التعصب والخوف والسلطة المطلقة وتحرير العالم لصالح المعرفة العلمية [4]لكن هذا المجتمع لا يعتمد

[1] هيربرت مارك يوز، فلسفات النفي (دراسات في النظرية النفسية) ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة ط 1، 2012 ص 144.

[2] محمداعبد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط، 1، بيروت،ط، 1 1997 ص 59.

[3] هاربت مارك يوز، الانسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي منشورات دار الآداب بيروت ط، ،3، 1988، ص 45.

[4] كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوريكهايمر الى اكسل هونت، ، المطبعة العربية للعلوم، بيروتط1 2010، ص ص66

على الطبيعة بالمعنى الضيق وعلى ابتكار وسائل جديدة للإنتاج واختراع الآلات وبلوغ مستوى معين فحسب ،انه يقوم على سيطرة بعض الناس على أناس آخرين وعلى مجمل الوسائل التي تؤدي الى هذه السيطرة وعلى الإجراءات التي تستعمل للمحافظة على هذه لسيطرة ،وهي ما ندعوه السياسة .[1] وهذا ما يجعلنا نقول، بأن السيطرة أصبحت تعتمد العقلانية وتحديدا العقلانية الاداتية والجدير بالذكر هو ان نقدهم ليس موهمًا لتنوير العقل انما موجها للمغالاة في استعمالها، هذه المغالاة وصلت الى حد المبالغة في أواسط المجتمع الصناعي وبالتالي انجر عن هذا الاعتقاد الزائد، طرق جديدة للعبودية والاستغلال، استعباد ذو قاعدة فكرية وذكية، ركيزتها العلم ووظائفه التكنولوجية.

يشير ماركيوز الى ظاهرة تشيء الانسان الأوربي الرأسمالي بقوله (عن طريق التكنولوجيا على وجه التحديد يصبح الانسان والطبيعة موضوعين للتنظيم قابلين لان يحل أحدهما الآخر [2]

ولا عجب أن كثيرا من أعمال مدرسة فرانكفورت قد ركزت على الثقافة " فما دام اتباع هذه المدرسة لم يعودوا يرون أن المجتمع تمزقه تناقضاته الاقتصادية والبنيوية، فقد أصبحت المسألة الرئيسية هي دمج الأفراد بالمجتمع دمجا ناجحا، وغدت الثقافة التي تعني السبل التي تتبعها المجتمعات والافراد لوضع تصورٍ عن العالم، هي العامل الوحيد لتحقيق هذا الاندماج. ولعل أوضح مناقشة لهذه الفكرة هي تلك التي نجدها عند ما ركوز في مؤلفه: الانسان ذو البعد الواحد " ، فقد ذهب بعيدا عن التمسك الحرفي بالماركسية وأعاد طرح الهمّ المعرفي من خلال المعاناة الحضارية والثقافية، على ضوء تحولات النصف الثاني من هذا القرن، وظهور أعلى مراحل المد التقني، فيما اصطلح على تسميته بالعصر ما بعد صناعي،[3]Post-industriel-âge ،وهذا نسبة الى التغير الهائل الذي أحدثته الثورة الالكترونية والمعلوماتية، وقياسا الي التقنية التقليدية السابقة. وقام بفضح وسائل السيطرة والهيمنة الجديدة داخل المجتمعات الصناعية المتقدمة، يستوي في ذلك كلا النظامين الرأسمالي والاشتراكي،

---

[1] أيسر عبد الرحمن، فلسفة الجمال عند مدرسة فرانكفورت، رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم الفلسفة الجامعة العراق المستنصرة ص 23

[2] هيربرت ماركيوز الانسان المصدر السابق ص 193.

[3] توم بوتو مور، مدرسة فرانكفورت، تر، سعد هجرس دارأويا للطباعة والنشر والتوزيع والنمية الثقافية، 2004ط،2 ليبيا ص 22.

كاشفا عن العقلانية التي تجسدها هذه المجتمعات، باعتبارها وهما يخفي لا عقلانية مستشريه، تستخدم القمع وسيلة لتقنين حرية الانسان والجماعة والفرد.

وتشارك صياغة ماركيوز Marcus، للنظرية النقدية في العديد من هذه الأوجه ذات الصلة بالنقد الإيديولوجي ، والمستمدة لا من الملاحظة الامبيريقية بل من التأمل الفلسفي من خلال كتابه –One Dimensional man ، وهو بالتأكيد أشهر أعماله، يدور داخل نطاق القالب التأملي لأعمال مدرسة فرانكفورت، حيث لم تؤد طبيعته كنقد فلسفي للرأسمالية المتطورة، تلك الطبيعة التي ربما سبب شعبيته الكبيرة، الى أية محاولات ذات مغزى في التوسع أو البرهنة الامبيريقية على الفرضية التي اشتمل عليها. [1] من غير أن هناك أيضا تحليل أدو رنو "لما يدعوه بصناعة الثقافة[2]في كتابه جدل التنوير .

يتحدث مارك يوز عن الطريقة التي تنتج بها صناعة الثقافة " حاجات زائفة " وتشبع تلك الحاجات. وفكرة الحاجات الزائفة فكرة صعبة، لأنها تعني الشك في صحة تقدير الاحتياجات الشخصية للمرْء والادعاء بأننا أفضل من الشخص ذاته في تقدير احتياجاتنا. وأنت تحب أغاني البيتلز ولكن يجب عليك أن تسمع الى موسيقى شونبيرغ. وهذه النظرة في أفضل أحوالها يمكن أن تقود الى خلق ثقافة نخبوية أو حتى الى الاستعلاء[3]لكن إمكانية أن يمر الانسان بتجربة الحاجات الزائفة هي فكرة متأصلة في النظرية النقدية.فالحاجة " الحقيقة " هي الحاجة التي تنبع من القوى المبدعة والعقلانية، التي تجعل من كائنات بشرية وتعبر عنها، إنها الحاجة لتي سوف تمكنني إذا ما لبيت من التحكم في حياتي أكثر من صلاتي مع غيري، وهي تلك الحاجة التي تعمق علاقتي بالآخرين وتثريها.ويمكن النظر الى الحاجات الزائفة إفسادا للحاجات الحقيقية [4]

---

[1] توم بوتو مور، مدرسة فرانكفورت المصدر نفسه المرجع ص 34-35.

[2] *وتعني الثقافة المصنعة، أي الثقافة المصطنعة التي ينتجها النظام إنتاجا، وهي ثقافة زائفة تقف في مقابل الثقافة الشعبية الحقيقية الناتجة من تفاعل البشر ببعضهم البعض في إطار المجتمع

[3] إيان كريبت النظرية الاجتماعية من با رسونز الى ها برماس مصدر سابق ص 286

[4] إيان كريبت ، المصدر نفسه ص 287 .

والانتقادات التي وجهت لما آلت إليه الحياة الاجتماعية من خلال طغيان رأسمال،اتساع رقعة الشركات العالمية،والتباين المادي بين الفئات الاجتماعية، تحول الانسان من كائن ذو طبيعة حيوية سامية تتجاوز متفوقة قيمة السلعة الى شيء يباع ويشترى في الاسواق.

إن حالة الاغتراب التي وضحها كارل ماركس، باعتبار العامل غريب عن منتوجه كقيمة مضافة، البعد الواحد الذي اختزل حياة الانسان في شباك نمط انتاج واحد ألا وهو الاستهلاك، المكننة التي بموجبها تم استبدال العامل بالآلة وما تمخض عنه من أوضاع اجتماعية وآفات، كالبطالة والتهميش. انكماش مستوى الإنتاج الصناعي والزراعي، وبروز أساليب ربح أقل تكلفة تختزل الحياة الاقتصادية والمنفعة الى نمط اقتصادي يشتمل على قدرة فائقة للمعرفة وسبل جديدة بما يتوافق المرحلة الانتقالية التي شهدها العالم بعد نهاية الحرب العالمية وما خلفته من أوضاع اقتصادية مست جوانب اجتماعية دفعت الى البحث عن أسواق تخدم طبيعة المرحلة التي اتسمت بالحرية والبحث عن بدائل للعيش التحليل الاجتماعي لهذه المرحلة ومنذ ماركس سجل التاريخ ميلاد مرحلة جديدة " المجتمع الصناعي: مع ذلك سوف تشهد فترة الستينات تغيير جذري وقد انعكس هذا التغيير المفاجئ في حدوث طفرة نوعية وعميقة فيما يخص طبيعة ، وشكل الإنتاج وما يصاحبه من تأثير على العملية الإنتاجية برمتها. والذي مسى جوانب كبيرة من حياة المجتمع الغربي في سلوكياته اليومية وثقافته المحلية. برز في خصم هذا التغيير في نمط الحياة الأوروبية مفكرين اجتماعيين: الأمريكي بال، والفرنسي توران.

يرى ماركيوز أن أحادية البعد هي مرض العصر، أو هي المظهر الرئيسي لضحالة الانسان وغفلته، وللانحراف والتشويه الذي طرأ على حياته. فالإنسان "ذو بعد الواحد " في المجتمع الرأسمالي المتقدم، وفي التطبيقات الاشتراكية الكبرى في العالم المعاصر. ان البعد الواحد، باختصار، هو سمة الحضارة الحديثة في اشد صورها تقدما واكتمالا.

على ان ماركيوز لا يقف عند حد تشخيص امراض الحضارة الحديثة، وانما يعرض تصوره الايجابي لحضارة أخرى تحقق للإنسان ابعاده المتعددة، وتكتمل فيها مقومات الحياة الحقة.[1]

ان ماركيوز Marcus لا يستهدف دعوة الانسان الحديث الى التنازل عن تقدمه الاقتصادي والتكنولوجي. يهدف هذا المشروع الى ان يتجاوز الإنتاج والتكنولوجيا مع الاحتفاظ بهما، بحيث تكون العلاقة بين القديم والجديد علاقة جدلية بالمعنى الهيجيلي فالجديد يلغي القديم ولكن يحتفظ به لأنه يشتمل عليه بوصفه جانبا من جوانبه[2] .

كانت وسيلة ماركيوز Marcus لرسم معالم المجتمع الجديد هي ان يعيد تفسير أفكار فرويد على نحو يتيح تعويض ما يفتقر اليه الفكر الماركسي، هذا الذي يربط بين تقدم الإنسانية وبين العمل، وان الانسان –في أحسن الظروف – لا يستطيع ان يحيا حياة أفضل الا بقدر ما يبذلهمن جهد. ولقد كانت نتيجة ذلك ان تركز الاهتمام على القيم الأخلاقية التي تسمح بتحقيق توزيع عادل لثروة المجتمعوخلال ذلك كله نسيت قيمة السعادة التي ترتبط أساسا بحياة الانسان البيولوجية، وأغفلت مشاعر الانسان وحاجاته الحيوية[3] .

إ ن عنصر الغريزة وتحقيق الرغبات الحيوية كان مفتقدا تماما، الحلقة المفقودة في مسار الحركة الإنتاجية العاملة التي بواسطتها أصبح الانسان قادرا على ان يشيد عالما مزدهرا يتخلص فيه من العمل القاهر. لكن ما حدث في تاريخنا المعاصر هو ان الإنتاج الوفير لم يستغل للقضاء على القمع، بل لزيادة نهم المنتجين الى الربح والى المزيد من الإنتاج ويترتب على ذلك فائض من العمل المغترب غير الضروري، كما يترتب عليه كبت زائد للغرائز Sur–répression. والواقع ان هذا القهر يزداد كلما ازدادت بشائر التحرر ظهورا، ولكنهفي الوقت ذاته يكشف بوضوح عن التناقض الصارخ الذي يمزق حضارتنا الحديثة.فبالرغم من جميع الإمكانات المتاحة لإتاحة قيام مجتمع لا يلجأ الى الكبت والقهر لكن الواقع

---

[1] فؤاد زكريا "هيربرت ماركيوز"، دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع ميدان الجمهورية القاهرة 1978 ص 63

[2] فؤاد زكريا المرجع نفسه ص 65

[3] فؤاد زكريا المرجع نفسه نفسه ص 66، 67

الفعلي الذي نلمسه فيها عكس ما كنا نتمناه.ولعل العامل الحاسم الذي يساعد على احداث هذا التغيير، هو ان القمع قد أصبح يمارس في عصرنا الحاضر إراديا من صنع الانسان نفسه.[1] فعلى حين أن الضرورة الطبيعية، التي تتمثل في ندرة الموارد وعدم كفايتها لتلبية الحاجات، كان فيما مضى تُحتم القمع وتجعله أمرا لا مفر منه لتنظيم المجتمع، فإن الوفرة التي حققها المجتمع الحديث جعلته غير مدفوع الى ممارسة القمع بحكم الضرورة الطبيعية، بل أن أصل القمع الحالي انساني بحت.

خلاصة القول إن العوامل الاجتماعية والسياسية لا العوامل الطبيعية هي التي تؤدي الى القمع السائد.

يعتبر العقل الاداتي أسلوب التفكير المهيمن في العالم الحديث، وهو الأسلوب الذي بات يحكم العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية سوآءا بسواء. من الواضح أن" لوكاتش" كان يصل الى الاستنتاج ذاته الى حدٍ كبير، حينما كان يصف أثر التشيؤ في الفكر. أما مدرسة فرانكفورت فترى جذور العقل الأداتي ترجع الى ما هو أبعد بكثير من المراحل الأولى لتطور الرأسمالية. مثلما تتبع ماكس فيبر أصول الروح الرأسمالية وعاد بها من خلال المعتقدات المسيحية الى المعتقدات اليهودية أيضا. وقد تبلور هذا العقل الاداتي بشكلٍ جلي في عصر التنوير، وهو عصر تحققت فيه ثورة الفكر أوجدت العلوم الطبيعية. ووقعت خلال هذه الفترة عملية تحويل الطبيعة الى أداة Instrumentalisation,of,nature. ففي حين كان الناس قبل هذا التاريخ يرون الطبيعة على أنها خلق الله، منحت للبشر لرعايتها والمحافظة عليها، أصبحوا الآن ينظرون الى الطبيعة بوصفها أداة، مادة خام، يجب أن تصنع وتستغل تعظيما لله. [2]

وقد تطورت هذه النظرة عبر القرون اللاحقة الى يومنا هذا لتشمل المجتمع والنظام الاجتماعي أولا حيث تغيرت النظرة من تلك التي في العالم الاجتماعي مصدرا للحياة والامن الى تلك التي ترى العالم مجالا لاستغلال الفرد وتقدمه. ولتشمل ثانيا الأفراد م من بني البشر، الذين لم يعد ينظر إليهم

[1] فؤاد زكريا، المرجع نفسه ص 72، 73

[2] فؤاد زكريا، المرجع نفسه ص 319

باعتبارهم كائنات لها كرامة وحقوق واجبات، ولكن باعتبارهم مخلوقات تمتلك بعض الصفات والمهارات التي يمكن استغلالها لأغراض خارج أنفسهم.

إن منطق الإيديولوجية الغربية للحداثة يلغي تماما فكرة الذات، وفكرة الله المرتبطة بها وبنفس الطريق استبدلت تشريح الجثث أو دراسة نقاط التلاحم العصبي في المخ بالتأملات حول النفس لتنتهي بالإقرار أنه لا المجتمع، ولا التاريخ، ولا الحياة الفردية تخضع لإرادة كائن أسمى يجب الإذعان له يمكن التأثير عليه بواسطة السحر. الفرد لا يخضع الا لقوانين طبيعية [1]هذه النزعة الطبيعية وهذا اللجوء الى العقل الاداتي يتكملان بشدة لدرجة أن اتحادهما قد اجتاز العصر الحديث حتى فرويد الذي جعل من الأنا، حسب تصوير شارل تايلور CharlesTaylor، ملاذا يبحث عن طريقه بين ضغوط الذات، والانا الأعلى، والتنظيم الاجتماعي.

إن القضية الكبرى هي التحرر من كل فكر ثنائي وفرض رؤية طبيعية للإنسان، وهو ما لا يجب فهمه بصورة مادية فقط لأن فكرة الطبيعة في فترة التنوير كان لها معنى أوسع من معناها اليوم، كما يشرح ذلك ألان كسيرر،AlainCassier، لا تدل الطبيعة فقط على مجال الوجود الفيزيائي ولا على الواقع المادي الذي ينبغي تمييزه عن العقلي أو الروحي ، فالمصطلح لا يتعلق بوجود الأشياء ولكن بأصل وتأسيس الحقائق التي تنتمي الى الطبيعة ، دون أي إجحاف بمضمونها ، كل الحقائق التي تقبل تأسيسا محايثا ولا تقتضى أي وحي مفارق ، والتي تكون في حد يقينية وبديهية .هذه هي الحقائق . [2]

ويبدو أن العقل الاداتي، في هذا الغرض، ظاهرة وطدت نفسها عبر تاريخها لتهيمن على مجال تلوى الآخر، فالأفعال الهادفة نحو السيطرة والنجاح، حسب هوركهايمر،وأدورنو في كتابهما جدل التنوير العقل الاداتي هو العقل الذي يهدف الى معرفة الطبيعة بغية السيطرة عليها، وتطوره ليهيمن على الانسان[3] وهما يريان أن التنوير بهذه المهمة وبأداتيه العقل المنتجة بسببه قد انحرفت مسيرة العقل

[1] ألا ن تورين نقد الحداثة، تر أنور مغيث المجلس الأعلى للثقافة 1997ص 32.

[2] المرجع نفسه ص 35.

1هوركهايم ر وأدورنو، جدل التنوير شذرات فلسفية، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1،2020 ص 25.

التنويري من طارد للأسطورة الى جاذب لها ومعتمد عليها، ما يعني أن عقل التنوير قد اكتشف نفسه في الأسطورة وذلك للسمة الشمولية والكونية التي يتصف بها العقل الأداتي[1] ، وبذلك فالتنوير يفني ذاته بذاته ، أي إن مشروع التحرر الإنساني الذي يقوده التنوير ، ينتفي بقيد العقل الأسطوري الأنوار الجديد المتجلي في العقل الأداتي.فقد تحول الى فكرٍ تقدميٍ وتحرري والى أسطورة تخفي السيطرة والهيمنة، وذلك عندما تحول العقل الى أداة للسيطرة على الطبيعة والانسان والعقل بصفته هذه هو العقل الأداتي أو التقني والذي يقوم على أساس التكميم والقياس والموجه نحو النفعية العملية البحثة [2] انهم يعتبرون العالم الذي يعيشون فيه عالم سقوط العالم العقل الموضوعي .وانطلاقا من الانفصال الذي يوجد بين العقل السياسي والفلسفة تأكيدا إضافيا لسقوط الرؤية العقلانية للعالم .يمكن القول يحاولون الرجوع الى المبادئ الرأسمالية الكلاسيكية الذي كانت المشروع الحقيقي لعصر الانوار بعد أن أجهض هذا المشروع وخرج عن الوعود الذي رسمتها العقلانية الكبرى في حين أن عالم "الأزمة الاقتصادية" وعالم الصناعة والتيلورية ما هو إلا استعراضا لقوة النقود والذي يسعى بلا مبدأ سامي لتحقيق المصالح المادية التي تدمر حياة العقل الفردية .[3]

يقوم العقل الأداتي منذ لوك والنفعيين بإحلال الأيديولوجيات المسخرة لخدمة الربح محل الأفكار ويستبدل انتصار الخصوصيات وعلى رأسها القوميات بكونية عصر التنوير ولهذا الأمر اختفت الصلة بين الفرد والمجتمع والتي كان يكفلها العقل وهذه القطيعة بدأت منذ زمن سقراط.

مأزق العقل الأداتي: لقد قضت العقلانية الأداتية على جانب الابتكار والابداع في الانسان كما عمت فيه نزعة جب الثروة ولهذا العقل أي عقل الثروة المالي. وهو بهذه الصورة سيسلك منافذ شتى من قمع وكبت واستبداد وقتل للحريات. في سبيل الوصول الى ما حدد له في تلك البرامج التوجيهية

[1] هوركهايمر و أدورنو المصدر نفسه، ص 27.

كمال بو منير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونت، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف، لبنان والجزائر، ط 1، 2010، ص 13. [2]

[3] آلانتوران، نقد الحداثة المرجع السابق ص 207.

التي تقتضي كون الإنتاجية ومردودها هي الغاية في ذاتها حتى [1]وأن كانت على حساب إنسانية الفرد، أو الأخلاق والقيم وبهذا وقعت العقلانية الأداتية في براثين اللاعقلانية، فضلا عن تراجع قيمة الانسان الحر وميلاد الانسان ذي البعد الواحد .

في هذا المجال نحن لا نوجه أصابع الاتهام الى العقل التنويري، بل الى المبالغة في التعقيل التي قادت الى مآزق فكرية ووجودية عبثت بجوهر الانسان وماهيته فالعقل الأداتي– في مجال العلم والتكنولوجيا والعقل الموضوعي –في مجال العقلانية –قاد الانسان الأوروبي الى إشكاليات فكرية ووجودية لا تقل خطورة عن تلك التي رسختها الكنيسة حيث أضحى الانسان مفرغا من جانبه الروحي[2]

يولد العلم الاجتماعي كعلم سياسي، أولا في غضون الصراعات بين الكنيسة والأباطرة اللذين دافع أوكام.Occam، ومارسيل دو بادو Marsile,Depadou عن مصالحهم، كما يولد وبصفة خاصة برغبة ميكيافلي في أن يتم الحكم على التصرفات والمؤسسات السياسية دون اللجوء الى حكم أخلاقي أي ديني. ويولد أيضا من الفكرة المشتركة بين **هوبز، وروسو**،والمختلفة عن تحليل **لوك**، وهي أن النظام الاجتماعي قد أنشئ بناءا على قرار من الافراد الذين يخضعون لسلطة الدولة أو **للإرادة العامة** التي تعبر عن نفسها في العقد الاجتماعي.[3] وقد حاولت الفلسفة الألمانية منذ الجيل الأول من تلاميذ هيجل، ان توجد الوسيط الذي يتم عبره التواصل بين العقل والعالم، بعد أن عملت بعناية على تفتيت الجهاز المفاهيمي الميتافيزيقي التقليدي، هذا الجهاز الذي تم تفتيته، وفَقَدً تقريبا كل أهميته الإجرائية منذ بدايات الثورة العلمية الحديثة.

لقد كانت محاولة ها برماس الفلسفية دعوة جديدة لبناء نظرية تواصلية ثنائية التوجه، وتوجه عام لربط العلاقة بين نظريته الفلسفية والمواضيع المعرفية المتقاطعة معها وبخاصة مع السيسيولوجيا الثقافية، إن المجهود النظري العام لهبرماس، وكما تبين لنا، يتمثل في الكشف عن العقل المرتبط والملازم للممارسة

[1] محمد رمضان بسطا ويسي، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروتط 1 1998 ص 15.

[2] عمر مهيبل ، من النسق الى الذات ،منشورات الاختلاف ، دار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر ، بيروت ط 1 2007 ص 115.

[3] ألان تورين المصدر السابق ص 37.

التواصلية اليومية، وفي إعادة بناء مفهوم غير اختزالي للعقل اعتمادا على قاعدة صلاحية الخطاب. ذلك لأن العقلانية الغربية تعطي أولوية خاصة للعقل الغائي ولممارسات التي تستهدف تحقيق مصالح معينة. ولأجل ذلك تدمج أكثر من وساطة وعلى رأسها المال والسلطة لضمان التوازن الاجتماعي الذي يسمح بمبادرات تدخل في سياق النشاط الأداتي أو الاستراتيجي [1]

لا بد أن نشير الى فكرة أساسية ربما تكون هي مربط الفرس حول ما يحيط بتاريخ تطور العقل، لقد رصد تاريخ الحضارة الغربية بوصفه تاريخ العقلنة، أي تجريد الطبيعة من سحرها الأسطوري، والإصرار الدائم على السيطرة عليها والتحكم فيها بحيث تتحدد حالة العالم من ناحية العلاقة الودية أو العدائية بين الانسان والطبيعة.

وتكتشف فلسفة التاريخ الغربي عن استمرار سيطرة " العقل الاداتي " وتسلطه على الطبيعة كما تكشف عن امتداد هذا التسلط وتلك السيطرة على الطبيعة الداخلية للإنسان بحيث تحكمت في دوافعه ورغباته وزيفتها [2]إن العقلنة Rationalisation المتزايدة للعلاقات الاجتماعية في العصر الحديث قد أدّت الى تناقص استقلال الفرد، بحيث افضت في النهاية الى فضائع النزعة الشمولية totalitalitarisme ، وجعلت الرأسمالية تحوّل مُثل التنوير الى الواقع المخيف الذي تجسد في الحروب والتدمير ومعسكرات الاعتقال .

هناك نمطين من للعقل: الأول تنويري تحرري يقوم على أفكار الثورة الفرنسية وقيمها في العدالة والحرية والإخاء. أما الثاني فهو العقل الاداتي،Raison,instrumentale،الذي يستغل لتحقيق اهداف السيطرة والتسلط الشمولي. وانطلاقا من آلية النقد التي تبناها أعلام مدرسة فرانكفورت، يأتي عمل ها برماس محاولة لبحث إشكالية الحداثة ونقد العقل الاداتي الذي كرس مظاهر التقنية والتقدم الصناعي، حيث يرى الفيلسوف أن العقل الاداتي بتكريسه لمظاهر التقنية والتقدم الصناعي، يكون قد قضى على إنسانية الانسان،

[1] محمد أفاية ،الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة افريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط 2، 1998 ص 208،209.

[2] فيصل عباس، الفرو يدية ونقد الحضارة المعاصرة، دار المنهل اللبناني، ط1،بيروت 2005 ص 689.

لقداضرت التقنية الانسان اكثر مما نفعته ولا أدل على ذلك مظاهر الاغتراب في المجتمعات الرأسمالية والصناعية القائمة على الشمولية والعقلانية التقنية التب تتباهى بسيطرتها ، بل بتملكها الطبيعة ، الا أن نتيجتها المباشرة كانت تشيء الانسان وتقيده والحد من تطلعاته في الحياة الحرة المبدعة[1]فالتقنية وفق ما ذهب اليها ها برماس أخلت بالفعل التواصلي السليم المبني على التشارك والحوار بين الذوات ،واحلت محله التواصل التقني الذي شوه إنسانية الانسان،ففي زمن كثرة وسائل الاتصال وتوفرها ساءت العلاقات وتدهورت ما أدى الى الانعزال ، والنرجسية

القراءة الفلسفية لمفهومي العمل والتفاعل:

يميز هابرماس في أعماله المبكرة بين ثلاثة أشكال للنظرية تقوم بدورها على ثلاث ، مصالح معرفية. وما يعنيه بالمصالح المعرفية هو أننا دائما نطور المعرفة لغرض معين، وتحقيق ذلك هو أساس مصلحتنا في تلك المعرفة، على أن المصالح التي يتناولها ها برماس بالنقاش هي مصالح مشتركة بيننا جميعا. [2] وعلى الرغم من أن هبرماس يرى في العمل، والعقل الاداتي بعدين مهمين للحياة الإنسانية. فإنه يذهب الى أن العمل المنظم اجتماعيا ليس كافيا وحده لتحديد وضع البشر، بلا–لغة والتواصل هما العاملان الحاسمان في الواقع. ويرى هابرماس أن المستوى الاقتصادي للشكل الاجتماعي ليس هو المستوى المهيمن في المجتمعات. إن المجتمع البشري ينتظم حول أفكار معينة، قيم معايير تتطور هذه الأفكار عبر التاريخ لتصبح قابلة للتطبيق، يستخدم ها برماس آراء فرويد بطريقة لافتة للنظر **ففرويد** يبين أن المؤسسات الاجتماعية لا توجد لتسهيل عملية الإنتاج الاقتصادي والمحافظة عليها فحسب، بل من أجل كبت الشهوات التي تجعل الحياة الاجتماعية مستحيلة أيضا. ومن أبرز خصائص النظرية النقدية أنها ثورية وتنتقد مناهج التفكير العلمي، وأوضاع المجتمع الصناعي وذلك بتغييره ومعتمدين في ذلك تغير بنية التفكير والمواقف واللغة التي يستخدمها الناس في تلك البيئة الاجتماعية[3]فالتطور

---

[1] حياة ذيبون ،حديث النهايات العقل التواصلي بديلا عن العقل الاداتي، مجلة مقاليد العدد 7، 2014 ص 36

[2] ايان كريب، المرجع السابق ص 306.،307.

[3] فيصل عباس ، المرجع السابق ص 670-671.

الاجتماعي داخل المجتمع الصناعي يتم بالقمع المستمر للرغبات والحاجات الانسانية. ويسري هذا القمع أو الكبت على تطور شخصية الفرد.

وفي سياق تحليله للنظام الرأسمالي انتقد ها برماس الوضعية والنزعة العلمية متهما إياها بأنها تعمل على إعطاء المشروعية للسيطرة التقنية ، والمصالح القائمة، ذلك أن الانسان أصبح يعيش تحت رحمة التقنية في ظل المجتمعات الرأسمالية والدولة التكنوقراطية تسعى الى جعل التقنية والعلم، وسيلة للسيطرة على الطبيعة والانسان ولم يتوقف الامر عند هذه النقطة بل تحولت هذه السيطرة الى سلطة سياسية متنامية تأخذ في ذاتها مجالات الثقافة كلها الشرعية الكبرى[1]

على عكس الحماس الذي رافق أعمال الرعيل الأول لمدرسة فرانكفورت، اعتبر هابرماس Habermasالرأسمالية مرحلة أساسية من مراحل التطور يمكن أن تنحرف فتؤدي الى الكارثة. لكنها تبقى ذات شأن نسق اجتماعي وليس شرا دائما، دون أن ينسى التركيز على ظاهرة التقنية والعقل الأداتي السائدة في هذا النظام. ولان تطور النسق الاقتصادي والبنية الطبقية التي كان يستند عليها ذلك الرأي أديا الى تقويض المجال العام والتي سيطر عليه النظام السياسي المتمثل في الدولة.[2]

لقد وصل تدخل الدولة وما استتبعه من نمو العقل الأداتي الى حدٍ خطير حتى أضحت "اليوتوبيا السلبية " ممكنة وقد وصلت عقلنة القرارات التي تخص الشأن العام الى حد تفويض الكمبيوتر بالقيام بهذا الدور بدلا من التنظيمات الاجتماعية. يرى ها برماس أن علم الاقتصاد والاجتماع الماركسي التقليدي بتركيزهما على الصراع الطبقي لم يعودوا قادرين على فهم أوضاعنا الجديدة. نعم إن الخلافات حول الأجور وتحسين شروط العمل مازالت قائمة، إلا ان الصراعات الحقيقية والمهمة أصبحت تثور في مكان آخر من النسيج الاجتماعي. وما ازدياد تدخل الدولة الا استجابة لهذه الازمات ومحاولة السيطرة عليها فلم تعد المعرفة عنده ترتبط بطرق انتاج المعرفة بقدر ما ترتبط بالطريقة

[1] شراد فوزية، فلسفة اللغة عند يرغن ها برماس، أطروحة دكتورا في الفلسفة، لنيل شهادة الدكتورة علوم في الفلسفة، اشراف أ –د غبوة فريدة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم فلسفة جامعة قسنطينة الجزائرغير منشورة 2009-2010 ص 52.

[2] إيان كريبت، النظرية الاجتماعية المصدر السابق ص 315.

والكيفية التي تعمل بها الذوات القادرة على الكلام وعلى الفعل على تطبيق هذه المعارف فلم تعد للمعرفة عند ها برماس ترتبط بطرق إنتاج هذه المعرفة بقدر ما ترتبط بالطريقة التي تعمل بها الذوات القادرة على الكلام وعلى الفعل على تطبيق هذه المعارف.[1]

صحيح أن العمل وقوى الإنتاج لهما – في رأيه دور حاسم لكنه يضيف اليهما بعد التفاعل من خلال الوسيط اللغوي، ويهتم ماركس بتجاهلهما في كتاباته المتأخرة وخاصة رأس المال

اذن يستبدل ها برماس،Habermas ،الزوج ،قول الإنتاج، وعلاقات الإنتاج، بزوج آخر تجريدا هو العمل والتفاعل[2] وفي كتابه ، إعادة بناء المادية التاريخية ، صفى ها برماس حساباته مع الماركسية التقليدية، وإن ظلت تحليلاته ذات طابع ماركسي ذات من ناحية المنهج والنقد الجدلي المادي، بمعنى أن نقده لم يهدف الى هدم المقولات الماركسية وعندما قصد تطويرها باكتشاف الطاقات الكامنة فيه، فالماركسية كما يؤكد " بول بوران أستون لا تدخل في فلسفة ها برماس وفلاسفة فرانكفورت كعقيدة خارجية فحسب، بل كمرجعية نظرية أساسية وأداة إرشاد نقدي [3]

غير أن هذا النقد سوف يأخذ أبعادا أخرى مع هابرماس Habermas حيث سيعمل في سياق إعادة بناءه النظري، على ادماج مسألة الاستلاب عند لوكاتش، ونظرية العقلنة عند فيبر آخرين، في نظريته للحداثة والتواصل. ذلك أنه يعتبر أن العقل الحديث مازال لم يستنفذ كل امكانياته ومن ثمة يتعين تصور مختلف للعقلنة إذا أردنا عدم السقوط في الأسطورة للذين اعترضوا على عالم التقنية[4].

يرى هابرماس Habermas أن تصورا تأمليا، متعقلا للعالم يؤدي، مبدئيا، الى تعدد في التأويلات الممكنة لهذا العالم وعليه يجب أن يحل محل السلطة المسنودة من طرف التصورات التقليدية نظرية

---

[1] محمد نور الدين أفاية المرجع السابق ص 142

[2] أودينه سليم فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يرغن ها برماس مذكرة ماجستير جامعة متنوري السنة الجامعية 2008، 2009 ص ،39،38.

[3] بول لوران أستون، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان ط1، 1990، ص77

[4] محمد افاية، المرجع السابق 230،229.

الفعل التواصلي وهكذا تتوفر آلية لنقاش والنقد المشاركة في الرأي كفيل لإبرام اتفاق ديمقراطي يحرر الطاقات ويفضي الى الاستقلال في الرأي.

يمكن القول أنه بالرغم من استفادته من الانفتاحات الفلسفية للنظرية النقدية، فإن نظرية التفاعلية التواصلية تشكل اسهاما نقديا مثيرا ومتميزا وعلى عكس الفلاسفة الأوائل للنظرية النقدية جاءت قراءات ها برماس متحفظة للعقلانية الاداتية فهو لم يرفضها تماما بل اعتبر أن ذلك الاختراق العام لعمليات العقلنة في الحياة اليومية لم يعّد منظورا اليه بوصفه تشيؤا واستلابا. لان عقلنة العالم المعيش، عند "ها برماس" تشكل ظاهرة إيجابية للحداثة مادامت تساهم فعليا، في تحرر النوع الإنساني لا سيما أن أنماط التفاعل داخل العالم المعيش لا تستند الى سلطة مقدسة بقدر ما تخضع لمنطق الفاعلية التواصلية [1]إذن يؤكد ها برماس أن الحداثة ليست كلها شرا لا بد من نقدها ، بل كان لها الفضل في تحرير الانسان ودافع عن مشروع الحداثة باعتباره مشروع لم يكتمل بعد ولم يستنفذ

إن هابرماسHabermasيشدد على مسألة مهمة وأساسية عند نقطة ترحيبه بالعقلانية التقنية العملية لا ينسحب على جميع المجالات. فالعمليات التقنية يجب أن تنحصر في إعادة الإنتاج المادي للعالم المعيش، أي في الحاجات الطبيعية والمادية للإنسان، في حين أن ما يسميه هابرماس: Habermasبإعادة الإنتاج الرمزي والثقافي للعالم المعيش فهي تتعلق بمجال التفاهم اللغوي. وتحررت بذلك الفلسفة التواصلية النقدية من قيود الميتافيزيقا والتوجهات الماورائية، ووظفت أخلاقيات تداولية مختلفة عن الاخلاقيات الدينية والروحية الموروثة. وبذلك تروم هذه الأخلاقية الجديدة الى المحاججة والاقناع وتقديم البراهين والبيّنات. فوحدها **عقلانية تواصلية**.Rationalitécommunicationnelle هي البديل لمنطق العقل الأداتي والنسقي الخانق. حيث وضع المشروع التواصلي نصب عينيه تحقيق التفاهم المتبادل والتفاعل الحواري بين الذوات المتواصلة، الذي بدون شك يعيد ربط النسيج الاجتماعي المتردم وإعادة الطعم والذوق لحياة أفضل [2]

[1] محمدأفاية المرجع نفسه ص 254،253

[2] محمد بكاي أرخبيلات ما بعد الحداثة مكتبة مؤمن الطبعة الأولى لبنان 2017 ص 235

هايدجر تحقيق الوجود العلم لا يفكر:

إن الزمن الحديث عند هيدغر سواء باعتباره "عهدا نوويا " أو تجسيدا لحضارة استهلاكية، يتميز بكون الإنسانية وصلت الى مرحلة تريد أن تمتلك كلية الكائن بفضل التحكم التام في كل الطاقات الطبيعية، بما فيها الطاقات التدميرية. ولذلك فإن اختزال الواقع الى مخزون "جاهز للاستعمال باستمرار يحدد العلاقة الموجودة بين الانسان والعالم [1]هايدجر لا يتوقف عن التأكيد على أن التقنية كتجلي سام للحداثة لا يمكن للإنسان أن يتحكم فيها، اللهم الا إذا حصل انعطافا أو شذوذا إنسانيا في نظر هايدجر وإنما هو ظاهرة تتجدر في صلب كل تاريخ بوصفه نسيانا للكينونة وانسجاما. لا شك أن فلاسفة النظرية النقدية تأثروا ببعض أفكار هايدجر، وخصوصا ما ركوز ولكن إدخالهم للعلوم الانسانية والاجتماعية في فلسفتهم جعلهم أكثر قدرة على الاقتراب من واقع المجتمع الصناعي الحديث. فما سماه هوركهايمرHorkheimer،و أدورنو Adorno ب جدل الأنوار يعبر عن موقف نقدي واع لهيمنة العقلنة الآداتية وللاستلاب الإنساني في عالم منظم لا محل فيه للإنسان إلا بوصفه قيمة تبادلية، إن هذا النقد اللاذع للحداثة وللمجتمع الصناعي يلتقي على المستوى العام مع الموقف الهيد غري وسيأخذ أبعادا أخرى مع فلاسفة آخرين[2].

إن العقلانية التقنية هي عقلانية السيطرة ذاتها. لأنه «بقدر ما تنمو المعرفة التقنية، بقدر ما يرى الانسان أن آفاق تفكيره تتقلص وينقص نشاطه واستقلاله الذاتي بوصه فردا، وقدرته على مقاومة تقنيات التلاعب الجماهيرية الكاسحة وقدرته على التخيل والحكم المستقل. إن اتقان الوسائل التقنية لنشر الانوار تتساوق مع عملية نزع الصفة الإنسانية عن الانسان [3]

إن التكنولوجيا المعاصرة تضفي صيغة عقلانية على ما يعانيه الانسان من نقص في الحرية، وتقيم البرهان على انه يستحيل " تقنيا " أن يكون الانسان سيد نفسه أن يختار أسلوب حياته. وبالفعل.

---

[1] محمد أفاية الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج ها برماس افريقيا الشرق الطبعة الثانية 1998 ص 228

[2] محمد أفاية المرجع السابق ص 282-229

[3] محمد أفاية المرجع نفسه ص 31

ان نقص الحرية لا يطرح نفسه اليوم على انه واقعة لا عقلانية أو واقعة ذات صيغة سياسية، وإنما يعبر بالأحرى عن واقع انسان بات خاضعا لجهاز تقني يزيد من رغد الحياة ورفاهيتها كما يزيد من إنتاجية العمل. ان العقلانية التكنولوجية لا تضع شرعية السيطرة موضع اتهام، وإنما هي تحميها بالأحرى، والأفق الأداتي النزعة للعقل يطل على مجتمع كلي استبدادي موسوم بالسمة العقلانية [1]

يمكن إطلاق اسم فلسفة التقنيات مكانا تستخدم فيه الآلات للحصول على القوة. وما الآلة الا وسيلة، أما الغاية فهي غزو الطبيعة وترويض القوى الطبيعية بواسطة استعباد أول: ذلك أن الآلة عبارة عن عبد يستغل في صنع عبيد آخرين. فالسيطرة على شعب من آلات تسرق العالم هي أيضا سيطرة، والسيطرة تفرض القبول بمخططات الاستعباد[2]

ان ديناميكية التقدم التقني قد تلبست على الدوام محتوى سياسيا، وقد أصبح لوغوس التقنية لوغوس العبودية المستديمة. وقد كان في الإمكان ان تكون قوة التكنولوجيا قوة محررة عن طريق تحويل الأشياء الى أدوات، ولكنها أصبحت عقبة في وجه التحرر عن طريق تحويل البشر الى أدوات [3]

بالطبع ليس هدفي هنا التشكيك في قيمة العلم المعاصر يقول المفكر ماركيوز بالنسبة الى كل العلوم التي سبقته، وليس قصدي أيضا المطالبة ببعث الفلسفات اللاهوتية وبعودة العلوم الطبيعية الى مرحلتها الكيفية البائدة. فأنا أعارض بحزم أي أفكار رجعية من هذا القبيل. ولكن ما أبغي هو أن أقول إن المنهج العلمي له حدوده وأحكامه المسبقة الخاصة، وأنه هو الآخر ذاتي على الصعيد التاريخي. ذلك أننا مرغمون على الاعتراف بأن الحقيقة والموضوعية متوطنان، أيا كانت السبل التي نختارها لتعريفها، بالعوامل الإنسانية التي تنظّر وتمارس وبقدرتها على عقل العالم وتغيره، إذن عن طريق التكنولوجيا يصبح الانسان والطبيعة موضوعين للتنظيم وقابلين لأن يحل أحدهما محل الآخر. وبعبارة أخرى، أصبحت التكنولوجيا الناقل الأكبر للتشيؤ، ذلك التشيؤ الذي بلغ أكبر أشكاله وأنجعها، وهكذا

---

[1] هاربرت ماركيوز الانسان ذو البعد الواحد، المرجع السابق ص 91

[2] هربرت ماركيوز الانسان ذو البعد الواحد مرجع سابق ص 191

[3] هربرت ماركيوز المرجع نفسه ص ،191، 192 ، 193

نفهم بأن الوضع الاجتماعي للفرد وعلاقاته مع سائر الأفراد بات يتحدد على ما يبدو بصفات وقوانين موضوعية لا تختلف عن سائر المواضيع الطبيعية التي تخضع للتجربة وإرغامها على النطق بما يريده العلم وفق قوانينه ومعادلاته التي لا تقبل التناقض.

التقنية والايديولوجيا الأداتية : الإيديولوجيا بدأت تاريخيا كتسويغ للسياسة، بشكل من أشكال المقدس والتراث الديني والحقوق الالاهية ،وتطورت نظريا مع ماركس لتبين أنها قد اتخذت منحنى طبقيا اجتماعيا لتسويغ السلطة السياسية ،ومع فيبر ومناقشته لموضوع الشرعنة التي تضفيها الإيديولوجيات ، وصنف الشرعية البيروقراطية والقانونية ، الى ان تجلى الامر بوضوح أكبر مع مدرسة فرانكفورت ولا سيما مع ماركيوز ،وتجلى بأوضح صوره مع ها برماس ورأيه في المجتمعات الصناعية المعاصرة، قد استبدلت تسويغات المشروعية السياسية التقليدية ، بتسويغات علمية وتقنية ،أي أيديولوجيا العلم والتقنية [1] ، وعن أيديولوجيا التقنية ، فغن اسهام مارك يوز يعد الاوضح في مدرسة فرانكفورت ، بجيلها الأول ، السابق لهابر ماس ، فتشخيصه للعقلانية التكنولوجية ونقده للعقل الأداتي القائم على التقنية يكشف ملامح تلك الأيديولوجية .أن هذه الأخيرة نتاج التطرف الوضعي الذي أعطى الفرادة في تملك الحقيقة للعلم، وانشائها بذلك العقلنة التكنولوجية، فالوضعية "كانت وراء عملية تبرير العقلانية التكنولوجية وبالتالي قامت بعملية تبرير السيطرة التي أصبحت تمارس على الانسان[2] وحسب ها برماس الأيديولوجيا في المجتمعات المتطورة المعاصرة، لم تعد تؤسس على اقتصاد السوق ومبدأ التبادل العادل، الذي كان علامة مميزة لليبرالية في القرن التاسع عشر ،والتغير أو التحول عن الرأسمالية المبكرة ، الى وضع حيث تتدخل الدولة لتنظيم العملية الاقتصادية ،وزيادة الرخاء العام بممارسة أيديولوجيا التبادل المتساوي ،وتدعو الى شكل من شرعية ومصداقية القوة السياسية ،وهذا وجد في نوع من الوعي التقني، الذي ينشر النتائج العلمية ، ويبرر ممارسة القوة كما لو كانت مشكلة

[1] محمد سبيلا: الأيديولوجيا. نحو نظرية تكاملية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ،1992، ص 62

[2] كمال بومنير : جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، لبنان والجزائر والامارات ، ط1، 2010، ص 85

لقرارات تكنيكية ، هذا النوع من الأيديولوجيا منبثق ومتجذر في التكنولوجيا والعلم [1]فقد ساد الاعتقاد فترة ليست باليسيرة من الزمن " بأن التقنية خلاص الإنسانية من جبروت الطبيعة وآفاتها، واستحكمت هذه النظرة ، عندما استطاع الانسان أن يخطو درجات لا بأس بها ، أهلته للسيطرة على كثير من الظواهر الطبيعية ، الامر الذي سمح له بتوسيع حريته ،وتحسين قدرته ... ولكن التقنية ما لبثت أن أصبحت طوفانا ، يجرف كل ما يلقاه ، عندما نزعت من الانسان آدميته وأغرقته في أوحال الاغتراب .بذلك فالتقنية تشكل وجهين ،إحداهما أداة للإنسانية وسلوك لها ،والثانية هي وسيلة للسيطرة على الانسان وتحويله الى أداة لها .يصف " بول يكور" الأيديولوجيا التقنية: بأنها تختزل الفعل الى عمل ،والعمل الى فعل أداتي ،والأداتي الى تقنية تبتلع عملنا ،ويصبح العلم الذي يبحث في الكائن البشري ميدانا للعلوم الطبيعية لا أكثر [2]والتقنية لم تؤثر فقط على الوجود(الإنساني) ...بل وصلت الى ذروة انقاش فيما يمس الجانب البيولوجي والتحكم بصفات الانسان [3]

ويتجه هايدجر بموقفه الصارم تجاه هيمنة التكنولوجيا على الوجود الإنساني فمواقفه صادرة عن قلق وجودي وفلسفي بحث، لا سيما في اعماله الفلسفية التي كتبها في الثلاثينات من القرن الماضي وفي سلسلة محاضرات ألقاها بعد عام 1949 ففي لقاء صحفي يضع هايدجر النقاط على الحروف أعرب عن قلقه البالغ حول آفة التكنولوجيا وعواقبها الوخيمة، قد حمل هايدجر التكنولوجيا مسؤولية الدمار والخراب الذي لحق بالعالم بالرغم من وجود مقاومة لهذا الرأي الذي يعتبر أن التكنولوجيا ليس مسؤولة عكس ما يدعيه هايدجر وهذه الأخيرة هي علامة أساسية للمجتمع الحديث الذي فقد صلته بسؤال معنى الوجود، فالتكنولوجيا على حد رأي هايدجر تربص الأنطولوجيا فهي ليست فقط عبارة عن آلات مختلفة في الحياة اليومية ، بل هي اكثر من ذلك ، بل هي عبارة عن السلوك الذي يتخذه ويسلكه الانسان في هذا الاطار التكنولوجي . ان معضلة التكنولوجيا لدى هيدغر تنحصر في

جورج لا رين: الأيديولوجيا والهوية الثقافية ..الحداثة وحضور العالم الثالث ،ترجمة فريال حسن خليفة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 2002، ص 117 ص [1]210

بول ريكور: محاضرات في الأيديولوجيا اليوتوبيا، ، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1 2002، ص [2]312

إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدجر، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، لبنان والجزائر والامارات، ،2006، ط 1ص [3]118

السؤال عن معنى الوجود بوصفه سؤالا رئيسيا يعتمد عليها الانسان في الوجودوهو بذلك يبحث فيما يلي: أولا البحث عن جوهرها وليس التركيز على معناها المتداول في المكائن الآلات والإنتاج لذلك يمكن فهم ماهية التكنولوجيا من خلال ان ماهيتها ليس بالشيء الذي نصنعه، بل هي نمط من أنماط الوجود أو انكشاف الوجود.

ثانيا: التكنولوجيا تطغى على الوجود كقوة قاهرة، لكننا لا نعني تأثيرها مثلما نعي تأثير التاريخ والآلهة.

ثالثا: جوهر التكنولوجية يشير الى التكنولوجيا الصناعية الحديثة وليس القديمة.

رابعا: ببساطة التكنولوجيا ليس التطبيق العملي للعلوم الطبيعية. لان العلوم الطبيعية تفهم بطريقة علمية وضمن منظومة حسابية تقوم على قواعد العلوم الوضعية والبحثة.

ا التكنولوجيا عند هايدجر تدل على نفي، négation ، الانطولوجيا .انها فقدان وضياع الوجود في ظل هيمنة التكنولوجيا في حين ان سؤال الوجود هو ضرورة لاكتشاف سر الكون والوجود [1] . فالتقدم والتطور الحاصل في التكنولوجيا جعل كل شيء في الحياة أوتوماتيكيا، وفي الوقت ذاته توجيه السلوك والتفكير معا بالنتيجة خرج الانسان عن مسار الحقيقة، وتكون بذلك التكنولوجيا الأساس الرئيس لوجود الانسان نفسه بدلا عن السؤال عن مصيره.

ربما الحديث عن أدوات الثورة العلمية المعاصرة وآثارها يعد مرحلة جديدة في تاريخ الفكر الفلسفي والعلمي. ان هذا المجال يطلق عليه فلسفة ما بعد انساني أو فلسفة التكنولوجيا. وهناك مسلمة مهمة وهي حقيقة لا يمكن انكارها وهي ان تطور العلم الذي أحدث التكنولوجيا ليس بخالٍ من الجوانب الإيجابية والسلبية في آن واحد، وهو أيضا يشكل مرحلة ومحطة تاريخية متقدمة لا يمكن الرجوع عنها بتاتا. فالتكنولوجيا تخلق نوعا من السيولة في الحركة والسيولة في الحركة والمكان والزمن وتجعل من الانسان متنقلا عبر فضاءه الافتراضي. ولذلك فإن هايدجر يرى أن تاريخ الميتافيزيقا الغربية قد توقف

[1] المرجع نفسه ص 170

وانتهى ‘وبأنه يتعين القيام بعملية قلب فعلية للفكر حتى يأخذ الكائن معناه الواقعي. وهكذا يكتسب فكر هايدجر دلالته الحقيقية حين نفهمه من منطلق اعتباره يشكل نهاية لنوع محدد من الفلسفة، وانفتاحها لنوع آخر يتخذ من الاختلاف همه المركزي.

سلبيات الاقتصادي الكلاسيكي:

وأخذ نظام سميت المتفائل برخاء عالمي بكسب مزيدا من المصداقية، لكن رغم التقدم العلمي الذي كان يحققه الاقتصاد الصناعي كانت النظرية الاقتصادية محتجزة في طريق مسدود.

بينما طور ريكاردو، وميل مع بيقية رواد المدرسة الكلاسيكية أساسا تكاليفيا، لنظرية القيمة في تقدير أسعار السلع والبضائع والعمل، لكنهم بعملهم هذا تجاهلوا دور طلب المستهلك كما أن عدم فهم نظرية الثمن والتحليل الحدي أدى بالاقتصاد الكلاسيكي الى الوقوع في انقسام وهمي بين الإنتاج للربح والإنتاج للمنفعة وبهذا التصور المعيب يمكن للرأسماليين أن يحققوا مكاسب دون أن يشبعوا بالضرورة حاجات المستهلك، حيث أن قيمة التبادل، منفصلة عن قيمة الاستعمال[1]

بالرغم من الطابع العلمي الذي ميز التنظير الكلاسيكي للاقتصاد وتطور المجتمع حيث يعتقد الكلاسيك أن أمور الكون والمجتمع والطبيعة تتحكم في تسييرها قوانين خالدة ومطلقة وفي حال تجاهل هذا الامر تتولد قوة مضادة ذاتية تصحح الأخطاء ، يقول سميت بعد أن أقصيت كل الأنظمة القائمة على التفضيل أو التقييد، فإن النظام الواضح البسيط، نظام الحرية الطبيعية هو الذي يتقرر من تلقاء نفسهويضيف قائلا ينبغي أن يترك كل فرد مادام لم يخالف قوانين العدالة في أتم الحرية للسعي وراء مصلحته ورأس مال أي انسان آخر وأية طبقة أخرى من الناس "[2]

على الرغم من تحقيق نموذج النمو الاقتصادي التقليدي، إذن، تقدما ماديا محسوسا، وبخاصة في الدول المتقدمة، فإن التكلفة الاجتماعية والإنسانية الهائلة التي رافقت هذا الإنجاز المادي ما عاد

[1] مارك سكوينس الثلاثة تر مجدي عبد الهادي المركز القومي للترجمة العدد 2943 ط1 القاهرة ،2018 ص 152

[2] إبراهيم مشورب الاقتصاد السياسي المرجع السابق ص 60-61

بالإمكان قبولها. فالنظام الذي أفرزوه هذا النموذج جاء احتكاريا واستغلاليا مدمرا للوجود المادي للطبيعة والبشر على حدٍ سواء. الامر الذي فرض بالضرورة توجهات نظرية جديدة، وبخاصة في أواخر عقد الثمانينات. فحرية التعاقد سمح لهذا النظام من استخدام يد عاملة مست شرائح مختلفة من الأطفال والنساء والشيوخ [1]

لم تكن رؤية سميت المتفائلة لها قدر من الحظ لتدوم أطول تحت شعار "دعه يعمل دعه يمر " ظهر للعيان كل من مالتوس1766-1834، و ريكاردو1772-1823، جون ستوارت ميل 18061883. على التقليد الكلاسيكي الداعم لفضيلة الادخار وحرية التجارة والحكومة المحدودة وقاعدة الذهب وقانون Say ساي للأسواق، رفض ريكاردو سياسة الجنيه الإسترليني المدعوم ب قيمة الذهب، الغاء قوانين الحماية الجمركية، كما رفض قوانين الرعاية الاجتماعية للفقراء المتواضع.[2]

قدم سميت نموذجا متفائلا بفضل انسجام المصالح والرخاء العالمي، واستخدام أمثلة حول توزيع العمل أو تقسيم العمل لم يكن لديه مفهوما حقيقيا لكيفية تحديد الأسعار وتكاليف العوامل الإنتاجية في السوق لتحقيق رغبات المستهلك وهو الخلل الذي قوض نموذجه المتناسق. كان آدم سميت قد ارتكب خطأ استراتيجيا بتمييزه، بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية ، بما أعطى السند للاشتراكيين والماركسيين ليتذمروا لوجود فارق بين الإنتاج للربح والإنتاج للاستعمال وأدانوا الرأسماليين لتركيزهم اهتماماتهم على الحصول على الربح أكثر من تقديم خدمات مفيدة، كما لوكان التبادل المربح منفصلا عن منفعة المستهلك [3]

لقد كان التوزيع غير المتكافئ للدخل والسلطة وعدم قدرة النظرية الكلاسيكية على تمثل الازمة أو الانكماش، من العيوب التي تحتاج الى دفاع وازداد هذا الدفاع إلحاحا لأن هذين العيبين كانا مقدمتين لأكبر هجومين تعرض لهما النظام الكلاسيكي – التوزيع غير متكافئ للدخل (والذي يتضمن الفكرة

[1] إبراهيم مشورب الاقتصاد السياسي المصدر السابق ص 62

[2] مارك سكوين المصدر السابق ص 76

[3] مارك سكوين المصدر نفسه ص 155

القائلة ان الرأسمالي يتمتع بفائض يرجع في حقيقته الى العمال بالإضافة الى التمثيل السياسي الانفرادي من خلال السلطة التي يتمتع بها الرأسمالي في الدولة. والتمسك بقانون بابتست ساي Baptiste, Say، النموذج الكلاسيكي لاقتصاد الكلي الخاص بقانون الأسواق القائل بأن كل عرض يخلق طلبه الخاص والذي كان مصدرا لكثير من إساءة للفهم خصوصا من قبل كينز Keynes الذي شوه المعنى الحقيقي لقانون **Say**. ويتسق قانون Say مع إحصاءات دورة الاعمال، فعندما يبدأ الانكماش يكون الإنتاج أيضا هو الأسبق في الانخفاض قبل الاستهلاك، فالنمو الاقتصادي يبدأ بزيادة في الإنتاجية وظهور منتجات جديدة وأسواق جديدة وبالتالي فإنفاق الاعمال هو دائما مؤشر أفضل من الانفاق الاستهلاكي. ولهذا يخلص ساي الى أنه " يجب أن يكون هدف الحكومة الجديدة تحفيز الإنتاج، أما الحكومة السيئة فهدفها تشجيع الاستهلاك [1]

والنتيجة الطبيعية لنفس لقانون هي أن الادخار مفيد للنمو الاقتصادي، ولهذا رفض الطرح القائل بأن التوفير والادخار قد يقودان لانخفاض الانفاق والناتج، فالادخار هو شكل آخر من الانفاق، بل وربما كان شكلا من الانفاق بفضل الاستهلاك، لان الادخار يستخدم في انتاج السلع الرأسمالية والطرائق الإنتاجية الجديدة. إلا أن عجزه على معالجة مشكلة الكساد الكبير ما أدى الى ما يسمى الثورة الكنزية. على غرار الثورة الماركسية.[2]

يتحدى نموذج الرخاء الجديد ، عاشلمالتوس،بين الفترة الممتدة ما بين 1766–1834 حيث أدى التحول الى المجتمع الرأسمالي الصناعي والتزايد المستمر في استخدام التكنولوجيا والاعتماد الكثيف على الآلة الى حدوث اضطرابات اجتماعية: زيادة السكان وما انجر عنها من آفات. [3]

نظرية السكان:لقد جاء التحدي الأول من الشاب مالتوس الذي نشر مقالة في السكان، ادعى فيه أن موارد الأرض لن تكفي مع الوقت متطلبات السكان المتزايدة أبدا. وأكد مع صديقه ريكاردو، أن

---

[1] مارك سكوين المصدر نفسه ص 75

[2] جون كنيت تاريخ الفكر الاقتصادي المصدر السابق ص 130

[3] إبراهيم مشورب الاقتصاد السياسي المرجع السابق ص 66

الضغوط على الموارد المحدودة ستجعل معيشة الغالبية العظمى من البشر قرب حدِ الكفاف بصورة دائمة وهكذا غير كل من ريكاردو ومالتوس، مسار الاقتصاد الكلاسيكي المفعم بمقولة الشهيرة دعه يعمل دعه يمر. وتتلخص أطروحة مالتوس الالفية في **أن قدرة البشر على التكاثر تتجاوز بما لا يقاس قدرة الأرض على انتاج الكفاف للإنسان، ولذلك محكوم على غالبية البشر بحياة القوي يأكل الضعيف**[1]، وهذا ما يجعل مقولة توماس هوبز الانسان ذئب لأخيه الانسان تتأكد بمجرد توفر الظروف التي تؤدي الى نقص في المواد الاستهلاكية حسب ادعاء مالتوس. وفي كتابه قوانين الطبيعة حدد متتالية هندسية واعتبر أن زيادة السكان تزداد هندسيا بينما يميل الإنتاج الغذائي الى زيادة عددية. وهكذا فوسائل المعيشة الإنسانية محدودة بندرة الأرض والميل الثابت لتناقص استخدام الموارد الذي يشير لقانون تناقض الغلة وستكون النتيجة أزمة حقيقية حيث لا تكفي موارد الأرض لإشباع مطالب السكان المتزايدين.[2] يقول مالتوس في هذا الصدد، قدرة السكان هي أعظم بدرجة لا متناهية من قدرة الأرض على انتاج وسائل العيش،والفقر الدائم لا صلة له بالمؤسسات الإنتاجية، وليس لهم الحق في مطلب الغذاء والعمل[3].

سيكون التركيز على الظروف المادية في هذا التاريخ صدمة بالنسبة الى البعض، لأنه أضيق بكثير وعرضية أكثر للتغيرات الاجتماعية الكبيرة التي حدثت على مدى ألف عام. وثراؤنا المادي لا يعكس سوى جزء بسيط بالتأكيد مما يشكل قوام المجتمعات الصناعية الحديثة. [4]وعلى النقيض من ذلك، يوجد الكثير من الأدلة على أن الثروة –والثروة وحدها–هي العامل الحاسم الذي يحدد أنماط الحياة سوآءا داخل المجتمعات أم فيما بينها. فنمو المداخيل يغيّر الاستهلاك وأنماط الحياة بطرف يمكن التنبؤ بها بدرجة عالية.

---

[1] مارك سكوين المصدر السابق ص 78،77،76

[2] مارك سكوين المصدر نفسه ص 80

[3] كيللي وم. كوفالزون – المادية التاريخية، تر أحمد داوود، دار الجماهير، دمشق 1970، ص 11

[4] غريغوري كلارك الاقتصاد العالمي تر أمين الأيوبي الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2009 ص 14

بالتأكيد كان يوجد مضمون واحد للنموذج "المال توسي" ساعد على إعطاء علم الاقتصاد الكلاسيكي قلبه الذي يبدو قاسيا وهو إعادة توزيع الدخل على الفقراء (الذين كانوا في إنكلترا في إنكلترا حينها من العمال الزراعيين غير المهرة بشكل أساسي) لن تنتج على المدى الطويل سوى المزيد من الفقراء المستخدمين ربما بأجور أدنى من الأجور المتدنية أصلا.[1] وكما أشار ريكاردو في العام 1817، الميل الواضح والمباشر لقوانين الفقراء يتعارض بشكل مباشر مع هذه المبادئ الواضحة، لن تنتج عنها بعكس ما قصد التشريع عن حسن نية، تحسين أوضاع الفقراء، بل سينتج عنه تدهور أوضاع كل من الفقراء والأغنياء [2]ستؤدي قوانين الفقراء الى تدني الأجور لأنها تساعد الأشخاص الذين لديهم أولاد على الخصوص، مما يؤدي بالتالي الى التقليل من تكاليف الخصوبة والى ارتفاع معدل المواليد. لم تشر الحجج التي ساقها مالتوس ورفقيه الخبير الكلاسيكي الى عجز الحكومة عن تحسين الظروف الإنسانية كثيرا من خلال الطرق التقليدية وحسب، بل وأشارت ضمنا الى العديد من السياسات الحكومية التي انتقدها الخبراء في الاقتصاد الكلاسيكي – فرض الضرائب، الاحتكارات، العوائق التجارية مثل قوانين كورن، الهدر في الانفاق الحكومي –لن يكون لها بالمثل أي تأثير في رفاهية الانسان على المدى الطويل ولتبرئة الحكومة : سيكون عدد السكان صغيرا بما فيه الكفاية لكي يحصل كل شخص على أجر كبير بحيث إنه بعد أن يدفع ما يتوجب عليه من ضرائب يظل لديه أموال كافية تساوي مكتسباته القديمة قبل أن تفرض الضرائب [3] وبالتالي فالحياة المترفة وإضاعة المال، والاسراف من قبل الملك لن تلحق أي تكاليف بالمواطن العادي على المدى الطويل.

نقد:Malts

[1] غريري غوري، كلارك المصدر نفسه ص 52

[2] غري غوري كلارك المصدر نفسه 52،53

[3] نفس المرجع ص 54

لقد ثبت خطأ مالتوس بشأن انتاج الغذاء بشكل مذهل، بتطور التقنيات الزراعية واستخدام الأسمدة والتوسع الهائل في الري، كذا بالارتفاع الدراماتيكي في مساحات الاراضي المزروعة وحجم انتاج الغذاءوفي الواقع تقع مسؤولية معظم المجاعات على السياسات الخاطئة وليس الطبيعة.،وقد اعتبر الكلاسيكيون أن الحرية الاقتصادية هي الدعامة الأساسية للرأسمالية، حرية التعاقد، حرية التملك، حرية التجارة، حرية النشاط الاقتصادي وفق قانون العرض والطلب، يقول الدكتور رمزي زكي الى مستوى القانون الطبيعي الذي ظنوا إنه يتماشى مع طبيعة النفس البشرية الباحثة دوما عن مصالحها"[1].

اكشاف قانون جديد يثمن مبدأ المنفعة: ان عملية التحول نحو الليبيرالية أو كما درج عليه القول الليبيرالية الجديدة، أفرزت الكثير من التدمير الخلاّق، ليس فقط في الأطر المؤسساتية والسلطات السابقة لها، حتى أنها شكلت طعنا بالأشكال التقليدية لسيادة الدولة، بل وأيضا في تقسيم العمل والعلاقات الاجتماعية وفي تقديمات الرفاه وحتى التكنولوجيا وأسلوب الحياة والتفكير والأنشطة الإنجابية والانتماء للأرض.[2]وعلى مستوى الاخلاق تعزز وتثمن من قدرة الأسواق التي تحل محل الاخلاق الرمزية فهي تؤكد على العلاقات العقدية المكتوبة بنص قانوني وبالتالي تسعى لنقل أفعال الانسان الى مجال السوق الذي يقتضي خلق تكنولوجيا المعلومات والقدرة على تراكم وتخزين ونقل واستخدام قواعد المعلومات الهائلة.

لقد لا حظنا كيف برزت سنوات معينة في تاريخ علم الاقتصاد، وما يرافقها من أحداث مجموعة في نفس الوقت، كما هو الحال بالنسبة لسنة 1776 م سنة اعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية وصدور كتاب ثورة الأمم، وكما هو الحال بالنسبة لسنة صدور البيان الشيوعي **لماركس وانجلز** وصدور كتاب المبادئ المدرسي لجون ستيوارت ميل.

[1] رمزي زكي، الليبيرالية المتوحشة ملاحظات حول التوجهات الجديدة للرأسمالية المعاصرة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 1993، ، ص 14

[2] ديفيد هارف، الوجيز في تاريخ النيولبيرالية تر وليد شحادة منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة دمشق 2013 سابق ص 8

سنة 1871 وصل ثلاثة اقتصاديين مستقلين عن بعضهم البعض لمبدأ المنفعة الذاتية ال حديةMarginalSubjectiveUtility مبشرين بثورة حدية نيو كلاسيكية. *[1] وكعلم دخل الاقتصاد في حالة ركود في إنجلترا وأعلن جون ستيوارت ميل بغروره المدرسي الشهير لحسن الحظ لم يبقى في قوانين القيمة شيء يقوم كاتب آخر بإيضاحه في الحاضر والمستقبل، وفي فرنسا أصبح الاقتصاد الكلاسيكي موضة قديمة. وإذا كانت الرأسمالية قد بقيت وازدهرت، فإنها كانت بحاجة لنظرية معرفة جديدة، طفرة في النظرية الاقتصادية، فكان الاقتصاد بحاجة لأي زخم جديد يرضي جميع أطراف العملية الإنتاجية.[2]

ففكرة أن الأسعار والتكاليف تتحدد بطلب المستهلك النهائي ومنافعه الحدية النهاية كانت الحلقة المفقودة ضمن تطور الاقتصاد الحديث، وقد حل اكتشافها القيمة مفارقة القيمة The,paradoxe,of,value..التي أحبطت الاقتصاديين الكلاسيك منذ آدم سميت حتى جون ستيوارت ميل ضمن تطور الاقتصاد الحديث[3]، كما كانت تقض مضجع الاقتصاد الماركسي. بعد أن حلت الثورة الحدية مفارقة القيمة، ومن أضعفت الاشتراكيين، حيث أوضح الحديّن في سياق حلهم لمعضلة الماس والماء، أن الفراق بين الماء والمس إنما يرجع الى الوفرة النسبية للماء والندرة النسبية للماس (بالنسبة للطلب على كل منهما). إن القيمة التبادلية لناتج ما تهبط بقدر ازدياد العرض إذا ما بقي الطلب على ما هو عليه، بعبارة أخرى: كلما زادت وفرة ناتج ما بالنسبة للطلب هبطت قيمته التبادلية أو ثمنه والعكس بالعكس صحيح: كلما قل العرض بالنسبة للطلب ارتفعت القيمة التبادلية

* الثورة الحدية نشر كل من مانجر وجيفونز نظريتهما الجديدة عام 1871م، وإن كان جيفونز قد ألقى محاضرو عن أفكاره الرئيسية عام م1862، وقد نشر مانجر كتابه بعنوان مبادئ الاقتصاد السياسي، وبعد بضع سنوات بين عامي 1874 و1877م أصدر فالراس كتابه المكّون من جزئين بعنوان مبادئ الاقتصاد البحث، ومعا طور هؤلاء الاقتصاديين ما سيعرف لا حقا بمدرسة الاقتصاد النيوكلاسيكي ، والتي تجمع بين روح نموذج آدم سميت للمنافسة الحرة مع النطرية الحدية للمنفعة الذاتية ، **ومع الجيل التالي ستحتاج الثورة الحدية الاكاديمية، والى حد كبير ستحل محل الاطار الريكاردي بعقيدة جديدة** (وهي إن لم تنتشر بنفس سرعة الثورة الكنزية أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، فإن الثورة الحدية لسبعينيات القرن التاسع عشر غزت الاكاديمية الاقتصادية وأصبحت على قدم المساواة وبنفس القوة عبر الجيل اللاحق المصدر: مارك سكوين الثلاثة الكبار تر مجدي عبد الهادي ص 154[1]

ماك سكوين مرجع سابق ص 152-153[2]

مارك سكوين مرجع سابق ص 153[3]

لناتج أو ثمن الناتج المعروض، بعبارة أخرى كلما زادت ندرة المنتجات المعروضة بالنسبة للطلب ارتفعت أثمانها. فالقيمة التبادلية لناتج ما تتوقف على وفرته أو ندرته ولكن بالنسبة للطلب[1] فالحاجات عند ستورش هي الأشياء التي نشعر بالحاجة اليها، والقيم هي الأشياء التي ننسب لها قيمة. وليس لأغلب الأشياء قيمة إلا لأنها تشجع احتياجات يوّلدها التقدير، وتقدير حاجاتنا قد يتغير، ومن ثم فإن منفعة الأشياء –التي لا تعبر إلا عن علاقة هذه الأشياء بحاجاتنا –قد تتغير أيضا والحاجات الطبيعية ذاتها تتغير باستمرار والحق ماذا يمكن أن يكون أكثر تنوعا من المراد التي تشكل الطعام الرئيسي لمختلف الشعوب. [2]

- مبدأ تقسيم العمل:

لفهم التناقضات المذهلة والتغيرات السريعة التي تجري في البلدان النامية، يعود المفكرون المعاصرون للنظر الى التنمية في التغيرات الأولى التي مرت بها مجتمعاتهم خلال عصر التصنيع من خلال مقاربة بين ثلاثة مفكرين اجتماع ماركس، فيبر، ودوركا يم.

كان واضحا للعيان أن المجتمع الغربي الحديث هو مجتمع مختلف جذريا عن كل سابقيه من الأمم أما بالنسبة الى فريق ماركس، **وانجلز** كان هذا الاختلاف نذيرا بقدوم فترة تاريخية يقوم فيها نوع جديد من البنية الاجتماعية ينهي الصراع الطبقي، ويقوض أركان الرأسمالية[3] بينما كان المجتمع الحديث شيئا فريدا بالنسبة لكل من فيبر ودوركا يم على أنه رغم ولادته من التاريخ الأوروبي فقد تطلب طريقة مختلفة جذريا للتفكير والعمل والتنظيم كمجتمع.

من مواصفات هذا المجتمع، الانتقال الحاد من الطرق "التقليدية " في الحياة الى الطرق " الحديثة " ووثقوا الانهيار في الروابط والمؤسسات التي حكمت تلك المجتمعات التقليدية «. لاحظ هؤلاء، المنظرون عملية زيادة **تقسيم العمل** ووثوقها، يعني أنهم شعروا بأعضاء مختلفين في المجتمع يزدادون

---

[1] كارل ماركس بؤس الفلسفة تر محمد مستجير دار الفارابي – بيروت لبنان ط4 2010 ص 63

[2] ستروش دروس في الاقتصاد السياسي أو عرض للمبادئ التي تحدد ثروة الأمم باريس 1823، ص 88-99

[3] تيمونز روبيرت، من الحداثة الى العولمة أيمي هايت، تر سمر المجلس الأعلى للثقافة والفنون الكويتالشيشكلي الجزء الأول 2004 ص 13،12

تخصصا في وظائف معينة. انتقل المجتمع الى الحداثة من منظور متزايد التعقيد وقد ارتكز تفاعله على متطلبات معيشته من تبادل للنقود أو السلع أو الخدمات. ولكن بالرغم من قوة هذا النظام الاقتصادي الرأسمالي التي فاقت التقديرات (قدرته على توليد الثروة، الا أنه خلق فقرا رهيبا ولا مساواة اجتماعية، وأزمات سياسية وكان العمل من أجل فهم جذور هذه التناقضات.[1]

لقد رأى اجلز وماركس في النظام الرأسمالي للعمل المأجور وتبادل المنافع، بنية مهيمنة ومحيطة تولد علاقات اقتصادية قائمة على الاستغلال وقوة تجرد العلاقات من جوهرها الإنساني وسيطرتها سيطرة شاملة وهذا سوف يؤدي حتما الى زوالها مع مرور الوقت، الا أن تنبؤات هؤلاء كانت سرابا لنطرح السؤال ما السر في قوة الرأسمالية كنظام اقتصادي قائم بالرغم من تناقضاته ؟؟ الجواب لدي فيبر، صحيح أن هذا الأخير لم يقدم برنامج سياسي لكنه كان أكثر اهتماما بتوضيح القوى الأساسية التي تسمح للمجتمع حوله بالتطور.

كان المجتمع الأوروبي لعدة قرون محكوما بمصادر السلطة التقليدية –الكنيسة –السلطة الملكية أو النخبة الاقطاعية، وبعد أن تحول المجتمع الى الحضرية والتصنيع تآكلت قوة تلك المؤسسات بسرعة وانبعث اندفاع علمي تقريبا وراء جمع النقود باعتباره القوة المهيمنة على تلك الحقبة التاريخية. هذا التناول الجديد للعمل والمال جلب معه تغييرات عميقة تتعلق بالمواقف والسلوك، هي روح الرأسمالية. كيف تم ذلك ؟؟

فإيمانه أن المصلحة العامة قد تتضرر، إلا إذا تواجدت بعض الثوابت في الحركة الاقتصادية تحد من أطماع المنفعة الشخصية كنظام المنافسة الذي يسهل حرية تحرك الأموال ويزيد من سرعة انتقالها خدمة للقوى الإنتاجية ومساهمة في زيادة المنفعة العامة [2]

عاش سميت في بلد يعج بالحركة الاقتصادية والتبادل التجاري، وليس منطقة زراعية تعتمد بشكل كامل على العمل في الأرض، كما كان الحال في فرنسا مثلا، لذلك اعتقد أن العمل وليس الطبيعة ،

[1] تيمونز روبيرت المصدر نفسه ص 15،16

[2] كامل وزنة قراءات في اقتصاد السوق معهد الدراسات الاستراتيجية المرجع السابق ص 13-14

مصدر للقيمة مهاجما كل العوائق التي وضعتها الحكومات لسد التوسع الصناعي كما آمن أن العيش في العالم الحديث المتطور، حيث تكثر البضائع والخدمات، يتطلب التبادل الدائم وفتح الأسواق وإزالة كل العراقيل أمام مرور السلع [1] أما الاعتماد على الثروة الطبيعية كالذهب وغيره فلم يقدم الدعم الكافي لبناء الاقتصاد لأن رخاء الامة يعتمد على نسبة العمل المنتج الى الآخر غير المنتج ." العمل المنتج الذي يولد سلعا اقتصادية مادية ذات قيم استبداليه هو الأساس في تنمية أي مجتمع.

[1] كامل وزنة المرجع نفسه ص 15

الفصل الثاني:المشكلات الاقتصادية في ضوء التطور العلمي المعاصر

المبحث الأول: مدرسة النقد الاجتماعي رؤية عامة مشكلة الاستهلاك

المبحث الثاني:النقد الإبستمولوجي لقضايا علم الاقتصاد

المبحث الثالث:بدائل التنمية والاقتصاد الذكي

الفصل الثاني: المشكلات الاقتصادية في ضوء التطور العلمي

المبحث الأول:مدرسة النقد الاجتماعي رؤية عامة مشكلة الاستهلاك

تمهيد: تأسست هذه المدرسة بين الحربين العالميتين ، وأخذت على عاتقها تقديم نقد لمختلف التناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي إجتاحت العالم في القرن العشرين، لتقديم تحليل وبحث فلسفي واجتماعي للمشكلات الكبرى آخذتا على عاتقها المجتمعات المعاصرة التي تضررت من ظاهرة تشيء الإنسان،Réification، واكتساح التقنية كل مجالات الحياة دون استثناء وعملت الشركات الكبرى في هذا الاتجاه لما يجلب لها من فوائد بحيث تتماهى التقنية والنظام الاستغلالي لأنها وجدت وفقا لمشروع استعماري يقصي الآخر وبالتالي يخضعه لشروطه.

إن النزعة العدوانية المتصاعدة والتي ذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر، نزع اللثام عن قدرة الديمقراطية لتحقيق السلام والعدالة، وبالتالي أضحت الإنسانية في مفترق الطرق التي لا تؤدي إلى مكان آمن.[1]يقول لوكاتش "إن كل انسان يعيش في الرأسمالية فإن التشيؤ هو الواقعية المباشرة الضرورية، ولا يمكن التغلب عليها إلا في الاندفاع المتواصل والمتجدد بدون انقطاع لتفجير، عمليا، البنية للوجود، بصلة محسوسة بالتناقضات الظاهرة حسيا في تطور بوعي لمعنى التناقضات الملازم لتطور كلي ولا يمكن لهذا التفجير أن خارج التطور الواعي والذاتي لوعي البروليتارية وتصبح ممارستها تحويلا للواقع [2] وخلال تلك الجلسات الأسبوعية الماركسية فقد كان المعهد يمثل متراسا فكريا يوجه الأفكار والحركات التي سعت الى إزالة التوجه الفكري اليساري وعلى عكس ما ادعى ماركس أن النظرية شيء يتم الغاءه على ضوء التقدم التاريخي ، وتصبح شيئا متخلفا عن العصر وهذا ما رفضه الرواد الأوائل للمدرسة وكان ل لوكاتش رأيا آخر لأنه يوجد وعي صحيح لدى النخبة استغلته للتأمل والتدبر ما أفضى الى الكشف عن التشيؤ كونه أصبح ظاهرة ونحن بحاجة الى نظرية نقدية شاملة للوهم

[1]رشيد الحاج صالح الانسان في عصر الحداثة دار الثقافة والاعلام العدد 46 مايو مجلة الرافد2013ص15

[2] لوكاتش جورج، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة حنا الشاعر، ، دار الاندلس، ب، ت ص 173

والايديولوجيا [1] قدّم كل من هوركهايمر Horkheimer،أدورنو Adorno،رؤيتهم التعديلية اعتمادا على انجاز لوكاتش فيما قدمه لتحطيم العقل والتاريخ والوعي الطبقي وأجبر التشيؤ لعملية التحرر وبالتالي سينمو برنامج أدورنو – وهوركهايمر النقدي ليتسع مقولات التنوير، كجزء مما أدى الى التسليع والاستلاب والتشيؤ اعتبارات لماركس لتحرير القوى الإنتاجية من قبل الرأسمالية كمقدمة موضوعية لقهرها، فالقوى التقنية العلمية للإنتاج بدت لهما متزاوجة مع علاقات الانتاج وفاقدة كليا لقدرتها على ابراز النظام، ألزمت وكالات إنتاج الجمهور والحضارة التي أوجدها الانسان بسلوكيات مبرمجة كما لو كانت هذه السلوكيات وحدها الطبيعة المناسبة لا يتحدد الانسان إلا بوصفه شيئا أو عنصرا إحصائيا ينجح أو يفشل [2]

إذن نحن أمام واقع يفرض نفسه على الوجود الإنساني ككل فلننظر في ملابسات هذه الأزمة الراهنة وكيف أصبحت الإنسانيةفي مرمى النظرة الضيقة والمختزلة للمؤسسات الاقتصادية العالمية والتي فرضت نمطا معينا يختزل الحياة والوجود الإنساني في اتجاه واحد بما يخدم مصلحة وأهداف التنمية الاقتصادية العالمية خاصة مصلحة الوكلاء الاقتصاديين والمؤسسات العالمية التي بسطت منطقها على كامل القطاعات السياسية والاقتصادية . وما يهمنا نحن كباحثين هي المسألة الاقتصادية في بعدها التنموي و كيف تعامل رجال الاقتصاد مع طغيان العلم في فهم الظاهرة الاقتصادية سواء على مستوى الإنتاج، وسائل الإنتاج، ونمط الإنتاج، وتأثيرات هذه الديناميكية التي سرعت من وتيرة الإنتاج وخلق تنافسية محتدمة غيرت شكل الحياة الاجتماعية كلية ، ما سمح بظهور تمايزات واختلافات فيما يخص نمط الحياة الاجتماعية .

المجتمع الاستهلاكي ومرحلة الصدمة الكبرى:إن مدرسة النقد الاجتماعي هي رؤية شاملة تتضمن في إحدى مهامها بحث الاستهلاك كنمط انتاجي جديد يلقي بظلاله على فترة استعمارية

[1] بوبنر، رودي جر، الفلسفة الألمانية الحديثة، ترجمة ، دار الشؤون الثقافية، بيروت 1986، ص 241

[2] هوركهايمر – ماكس،و ادورنو ثيودور، جدل التنوير ، شذرات فلسفية ، تر، جورج كنتورة ، دار الكتاب الجديد، بيروت ص 60

واستغلالية بالدرجة الأولى، فإن ما قد يبدو أنه يزيد من الحرية الشخصية، ليس سوى عكس ذلك في الحقيقة، الطبقة الوسطى والعمال حيث أن الشمولية ليست فقط عملية ربط سياسي إرهابي للمجتمع وإنما هي أيضا عملية ربط تقني اقتصادي يعمل من خلال التلاعب المتقن باحتياجات الناس باسم مصلحة عامة زائفة [1]وعن طريق هذه الأساليب الماكرة، يستطيع المجتمع الاستهلاكي أن يبني نظام سيطرة كاملة .والنتيجة، هي أن حالة من اللاحرية المريحة، الديمقراطية المعقولة، تسود في الحضارة المتقدمة صناعيا، تصبح رمزا للتقدم التكنولوجي كانت تلك في الواقع هي الطبيعة المتناقضة للمجتمع الحديث : "فهي تجعل الاستبداد يبدو وكأنه حرية، والفقر وكأنه وفرة إلا أنها في الوقت نفسه سلطوية".

تأكدت مع لحظة الانوار تثبيت قيمة الحرية، حتى غدت تقليدا يتطلبه كل نظام معرفي أو اجتماعي وتعبيرا يحمل دلالة وعي الذات لذاتها ولواقعها، وهي فضاء ضروري لإحداث كل تغيير أو تقدم في شتى مسالك المعرفة الحوارية أو الجدلية.والحرية دافع قوي وضمانة لكل مراجعة تسعى الى التقييم والتقويم، مع تعدد تجلياتها المعرفية والاجتماعية والسياسية وهي الحاضنة لمختلف المواقف المناهضة للنماذج التقليدية المستسلمة ولكل نزعة محافظة اكتفت بما أنجزت ولأنها تجربة ذاتية بالأساس فقد احتاجت الى جملة من المبادئ والمعايير التي تعمل على تنظيمها لتنتقل من ضيق الذات الى علاقات التذاوت. وكان لرواد مدرسة فرانكفورت من خلال نظرتهم النقدية الاهتمام بهذه القيمة على المستوى النظري والتطبيقي أي البراكسيسpraxis الذي يطبع جميع جوانب الحياة في المجتمع الغربي.[2]

واعتبارها إفرازا طبيعيا أنتجه الاحتكام للفعل العقلاني، وقد قادت الحرية الى الإقرار باستقلالية الفرد في توجهه الخلقي وتطلعاته السياسية فأعطته حق تقرير مصيره. إذن لنتساأل ما مدى صحة هذه

[1] فيصل عباس الفرو يديه، ونقد الحضارة المعاصرة دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر ط،1،2005بيروت ص 682

[2] جمال براهمة الحرية بين الحقيقة والزيف منظور أريك فروم وهيربرت ما ركوز قسم الفلسفة جامعة قسنطينة ص 194

التصورات في فلسفة مدرسة فرانكفورت وكيف تم استخلاص ما وصل اليه الانسان من مكاسب في ظل التطور الحاصل الذي شهدته البشرية مؤخرا.

لا يمكن فهم فلسفة أد ورنو دون الإشارة الى المفاهيم العامة التي تحكم مدرسة فرانكفورت، فحين عاد أدورنو Adorno الى ألمانيا عام 1950، وتابع العمل العلمي للمدرسة وعقد ندوات دراسية عن هيجل. وقد انضم في ذلك الوقت ها برماس الى مساعدة ادو رنو بالإضافة الى جان بياجيه–وكانت العقود الأولى من تاريخ مدرسة فرانكفورت تحت قيادة Horkheimer1895-1973 الذي أبرز الطابع الماركسي الفرويدي في اعمال المدرسة بالإضافة للتوجه النقدي الراديكالي لكن هذا الطرح لم يلزم كل الأعضاء في البحوث والدراسات.[1]وقد حاول أد ورنو في كتابه جدل التنوير Dialectic, of,Einlightentement بالاشتراك معهوركهايمر Horkheimer ان يحدد سمات وخصائص العقل الحديث والمعاصروهذا الكتاب يعبر عن صور العقل المختلفة داخل الحضارة الغربية يهاجم ادو رنو أحد أشكال العقل المعاصر السائدة في اروبا ويبرر الصراع الداخلي ين الثقافات الأوربية عن طريق مهاجمة التعارض بين الغرب المستنير وألمانيا التي تبدو لدى البعض غير مستنيرة نتيجة لوصول النازية الى الحكم مما حذا بجورج لوكاتشLukach تصوير التطور الثقافي الألماني باعتباره تطورا مستمرا نحو الأسوأ لأنه يتم تدمير العقل بصورة تدريجية أثناء الحكم النازي .

إن كتاب جدل التنوير مكن" Adorno من إدراج جدليات التطور الثقافي الغربي، على نحو أتاح له رؤية كانط وهيجل بوصفهم مطورين لهذا التاريخ الثقافي على عكس ما كان سائدا في تلك الفترة.

ولابد ان نشير أن كلمة الجدل Dialecteفي كتابهما جدل التنوير لا تستخدم بالمعنى الهيجلي، لكن أدورنو،Adorno، و هوركهايمر،Horkheimer، يريدان لفت الانتباه الى الجوانب المتباينة للطابع

[1] د رمضان بسطو يسي علم الجمال لدى مدرسة فرنكفورت أد ورنو نموذجا مطبوعات نصوص 90 القاهرة 1993 ص 41

العقلي والتنويري والنقدي في الفكر الفلسفي في عصرنا الراهن. فقد تم الربط بين **العقلانية والتقدم**[1]، مما أدى لاتخاذ العقل موجها له في كل خطواته أملا في تحقيق التقدم في العلوم الطبيعية واكتشاف التكنولوجيا. أصبح العقل أداة للتحكم في الطبيعة والبشر وقد ربط أدورنو Adornoبشكل تحليلي بين مختلف أشكال التحكم والسيطرة في العصر الحديث مثل سيطرة الإنسان على ذاته والتحكم في البشر عن طريق أجهزة الاتصال والسيطرة على الطبيعة. كل هذه العمليات مترابطة لان قدرات وإمكانيات التحكم بالطبيعة مصحوبة في رأيه بالإضعاف من شدة اهتمام الانسان بحياته الداخلية والوجدانية والروحية [2]. ومع ذلك يبقى في النهاية الدافع الأساسي الذي تنطلق منه كل التصرفات وهو دافع الحفاظ على الذات. فإن الذات تفهم هنا بالمعنى البيولوجي البحث ولا تفهم في الإطار المتعدد الابعاد للإنسان.

أصبحت عمليات التقدم الإنساني مرتبطة باستخدام مزيدا من القدرة على التحكم والتسلط باستخدام العقل الأداتي. وما يقابله من إرغامٍ للطبيعة، حتى لو أدى الى مزيد من تعقد المشكلات وتعميقها[3] وبذلك يصبح العقل التنويري أسطوريا، و بدا لأد ورنو أن عملية تكوُن الفرد المستقل هي عملية تاريخية تقويمية لا يمكن التخلي عنها أو نفيها لكن ظهور الفرد الحديث يعني صعود الاحتكار وبلوغ المجتمع الاستهلاكي للذروة والتدمير الذاتي للثقافة مما أدى الى فرض الوصاية من جديد على

* العقلانية والتقدم: بقدر ما مثلت الذاتية الركن الأول للحداثة، مثلت العقلانية ركنها الذاتي ، فالذات الإنسانية قد اكتفت بقدرتها العقلية المستقلة عن العوامل الخارجية الميتافزيقية (بشان المعرفة الذاتية والاجتماعية والطبيعية) وذلك من معاني العقلانية بل جوهرها ، وهكذا أسست العقلنة على الذاتية الإنسانية ،وذلك ان "الذات تنظمها قوانين عقلانية ومعقولة ، بحيث عن بروز الانسان كذات يتجلى في قدرته على مقاومته ضغوط العادة والخضوع فقط لحكم العقل ، إن تعريف العقل بوصفه فعالية او ممارسة ، تعريف وظيفي ،وهو يرتبط بالممارسة العقلية ، ذلك لان العقل ما هو إلا فاعلية التمييز والتجريد والتأمل والادراك وغيرها من الفعاليات كان فيبر" اول من شدد على الربط بين الحداثة والعقلانية وهي العلاقة التي يرى فيها فيبر انها شرط ضروري ما كان للحداثة الاوربية أن تعرف طريقها نحو التجسيد الجزئي وتمظهرها التقني السياسي – البيروقراطي لولا هذا الارتباط المتين وهذه العقلانية والحداثة هي الفكرة التي ستجعل منها ها برماس خلفيته الفكرية التي تمكنه من الدفاع عن الحداثة تمكنه من الدفاع عن الحداثة كمشروع غير مكتملعلي عبود المحداوي الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل، منشورات الاختلاف الجزائر ،ط،1 2014، ص 108،107[1]

رمضان بسطو يسي المرجع السابق 43 [2]

المرجع نفسه ص 44[3]

الذات المستقلة .إن العصور الحديثة أدت الى سيادة العقل الأداتي بما يعنيه ذلك من انتاج جماعي واعدام جماعي وقد قاد هذا الفهم المتشائم لعملية التقدم كلا من أدورنو Adornoوهوركهايمر Horkheimerوبنيامين الى التخلي عن مصطلح التقدم الذي يثير مشكلات عديدة في المجتمع الشيوعي، معقبا عن هذه الإزاحة من خلال سرده للوقائع التاريخية بداية من التجربة الستالينية والمجتمع الألماني الذي شهد سقوط الديمقراطية عام 1933، فتبينت الجوانب المظلمة في الرأسمالية والبيروقراطية المعاصرةلا سيما في مرحلة النازية التي حاولت أن تستبدل الصراع الطبقي بالصراع العرقي، الذي يتطلب أن يكون الانسان آليا، فيصدق ما يطرح، دون محاولة لنقد كل أشكال السيطرة. [1] ويوجه أدورنو Adornoسهام النقد لعصر الانوار إذ كرست العبودية القديمة للإنسان الأول الذي كان تابعا للطبيعة فأصبح اليوم تابعا للمجتمع المعاصر ولكل أشكال الرأسمالية التي حاولت السيطرة على البشر والمنظومات بكل ما أوتيت من قوة فكرية ومادية، وذلك على المستوى الاقتصادي والسياسي والتكنولوجي والذي تمثل في الوقت الحاضر أساسا في حركة التصنيع والى امتلاك وسائل تكنولوجية حديثة في مجال الاعلام والاتصال وهذا ما إعتقدته السيسيولوجية الوظيفية ولهذا السبب فهي تستطيع أن تدافع عن النظرية التي يمكن بواسطتها إعادة إنتاج قيم النظام الاجتماعي وتثبيت الوضع الراهن [2] . فنتائج التنوير في الزمن المعاصر أدت الى اختفاء دور العقل من نقد الواقع وسلب طابع المعقولية حتى وإن ادعت انها تسعى الى تحرير الانسان من عبودية الخوف والاساطير، فأدخلت العقل كصيغة منهجية للتعامل مع الطبيعة والتاريخ، و في ظل المجتمع الراهن استسلمت لأساطير من نوع جديد مثل التكنولوجيا، والسلطة، والتسليح، وإنتاج الأدوات وصيغة الكم التي لا تترك أي مساحة للإنسان للانعكاس الذاتي لكي ينتقد المجتمع وينتقد نفسه. ولعل

---

[1] المرجع السابق ص 44،45

[2] ماتيلار أو متيلار ، نظريات الاتصال ، تر أوديب حضور، ، المكتبة الإعلامية دمشق ص 77

انتشار الثقافة الجماهيرية بديلا عن الثقافة الراقية أو الرفيعة التي ترقى بأذواق الجماهير لوضع تفسيرات خاصة بانتشار صور المحتوى التي تنضره وسائل الاعلام لصالح الطبقات المسيطرة [1]

أصبحت المجتمعات المتقدمة في عصرنا الحاضر، تنظر الى التوسع في الاستهلاك كما لو كان غاية في ذاته، وتعده قيمة أساسية من قيم الحياة، ينبغي أن تؤخذ على ماهية عليه دون مناقشة. بل الانسان أصبح ينظر الى أي نظام اجتماعي على أنه جهاز ضخم وظيفته الأولى والأساسية هي توفير مطالبه الاستهلاكية.[2]

ولقد أصبح هذا الأسلوب من التفكير متغلغلا فينا الى حدٍ أننا لم نعد قادرين على مناقشته بل أصبحنا نعده جزءا من طبيعة الأشياء ونظامها من أنظمة الكون ولكن حقيقة الأمر أن هذا النمط من التفكير ينتمي الى قيم المجتمع الصناعي الغربي. وعلى عكس هذا النمط نجد اليونانيين القدماء اختلافا تاما فيما يخص طريقتهم في التفكير الفلسفي والأخلاقي، فنجد كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقيين يتجه الى تعويد الانسان السيطرة على رغباته والتحكم فيها، وهذا ما سعى اليه المنظرين النقديون من خلال انعزالهم وابتعادهم عن وسائل الترفيه الشعبية والعامة باعتبارها غير إنسانية وعديمة القيمة، كما اقتنعوا بأن الفن وظيفته الواضحة في جعل الحقيقة الواقعية تافهة، حيث أنه يمثل سببا جذريا لتوافق وتسكين شرور المجتمع الحديث، ويقع ذلك على عاتق الثقافة الإعلامية [3].

في هذا المجال يبدو أنه من الصعب إدراك القطيعة بين النظام والفاعليين. إن أفكارنا عن الاستهلاك قد سادها لفترة طويلة من الزمن نوعين من التفسير طبقا للأول، يكون للاستهلاك شكل السلم الذي يبدأ من الملكيات الضرورية جدا والغذاء الى أولئك الذين يتمتعون بقدر كبير من حرية الاختيار في الترويج مرورا بالملابس والسكن.

---

[1] عبد الحميد محمد نظريات الاعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب القاهرة 2004،، ص 147

[2] فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1978 ص 182

[3] فليب جونز النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية ،تر محمد ياسر خوخة ،مصر العربية لنشر والتوزيع القاهرة ،2010 ،ص 19

بينما طبقا للتفسير الثاني يعتبر الاستهلاك لغة تعبر عن المستوى الاجتماعي لأن كل ما يظن شخص منا أنه ذوقه الخاص يحدده الموقع الذي يشغله في المجتمع وميله الى الارتفاع أو الهبوط داخل هذا الموقع بشكل يبدو فيه الاستهلاك محددا تماما بالوضع الاجتماعي[1]. هذا التصور مثله مثل التفسير الذي كان يختزل الأمة أو المؤسسة الإنتاجية الى مجرد شكل من أشكال الحداثة يرتبط تماما بتعريف لهذه الحداثة متكيف مع مجتمع يقوم على الإنتاج. هذا التفسير حاول الاحتفاظ برباط وثيق ومباشر بين الحداثة والعقلانية ولم تكن لفكرة الاستهلاك القدر من الاهتمام والنظرة الدونية لهذا الشكل من السلوك الاجتماعي بهدف الحفاظ على **مجتمع الإنتاج** المتمحور حول العمل والتنظيم العقلاني للإنتاج والاندماج القومي. وهذا ما تبرره الطريقة التي نعيشها هي نتاج الطريقة التي نفكر بها بينما الماركسيون الانسانيون فإن التغيير الاجتماعي في المجتمع الرأسمالي يحدث خلال التغيرات في الهدف البشري [2]وهوما يفسر النجاح الذي لاقته رسالة فيبر عن العلاقة بين **البروتستانتية،والرأسمالية**. إن كان يبعث على الطمأنينة في الصورة **الفيبرية** للرأسمالية هو زهدها وما كان مرفوضا بالنسبة للاستهلاك كان مقبولا للعلم ولعبادة العقل الموضوعي وبقي هذا الحفاظ على المقومات مرتبط بالفكرة المسيحية عن الزهد والحياة البسيطة والحذر تجاه اللذة يجب التحكم في غرائزنا لكي نصبح عمالا جيدين ومواطنين ملتزمين.و في ظروف كهذه وفي فترة معينة حوالي القرن التاسع عشر تقريبا التصنيع لم يُغير بشكل عميق أنماط الاستهلاك وفيما بعد نجد أن الثلاثين سنة المجيدة بعد الحرب العالمية الثانية قد سميت كذلك بفضل معدل التوفير والاستثمار المرتفع جدا أن الحاجة التي يلبيها الإنتاج أثناء هذه الفترة تتعلق أساسا بالمعدات المنزلية وبالتالي تدخل ضمن إطار المجتمع الصناعي .[3] ووفقا لهربرت ماركوز،Marcuse,Harbert فإنه في المراحل الأولى من الرأسمالية فإن درجة عالية من الكبث والقمع ضرورية بهدف التأكيد على أن يركز الافراد على العمل والإنتاج وفي المراحل

---

[1] آلان توران، نقد الحداثة، تر: أنور مغيث المجلس الأعلى للثقافة 1997 ص 195

[2] فليب جونز النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية المصدر السابق ص 121

[3] المصدر نفسه ص 196

الناضجة لها بالرغم من ذلك يوجد حاجة أقل لمثل هذا التركيز الخاص . ومن ثمة فإن استرجاع هذا القمع أو الكبت ذو أهمية واضحة لمتطلبات النظام برسم علاقة بين اشباع الرغبات والتي يصح ارضاءها من خلال ربط السلع والبضائع مع هذا الالحاح وذلك باستخدام الجنس هو طريقة في حد ذاتها لها أهمية ودور حيوي في تحقيق الوجود ومن تحويله الى أداة للسيطرة والهيمنة [1]

فقط ابتداء من عام 1968 وهو عام لا ينسى لأنه ملئ بالرموز —بدأت بلاد أوروبا الغربية في اللحاق بالولايات المتحدة في مجتمع الاستهلاك الذي كانت قد دخلت فيه بعد الانهيار الكبير للحرب.

هذا التحول حديث جدا وشديد العمق حتى أننا لم نتمثله بعد. مازالت كلمة **الاستهلاك** محملة بمعاني سلبية في حين أن كلمة **الإنتاج** مازالت تحتفظ بدلالات إيجابية، فلقد كان الاستهلاك في الماضي هو وسيلة لغاية ما، وهي تحقيق سعادة الانسان، أما اليوم فقد أصبح الاستهلاك غاية في حد ذاته [2] والنظريات العقلانية للاستهلاك سوآءا كانت مؤيدة أو ناقدة، تبذل جهدا مضاعفا لتجعل من هذا الاستهلاك إما علامة على مستوى المعيشة أو نمط سائد لتحكم النظام في الفاعلين

لكن ما جدوى هذا القتال في حرب خاسرة سلفا؟

من المستحيل اختزال الاستهلاك الى المصلحة أو الوضع الاجتماعي، فقد غزاه الاغراء والانطواء القبلي والنرجسية، مظاهر شتى لا يقبل أي منها أن يختزل الى صورة المجتمع الهرمي للإنتاج. وبدلا من التراتبية في نوعية الاستهلاك يأتي "ميلاد المستهلك الغائي prosommateur حسب تعبير توفلرToffler أي المستهلك الذي يمثل غاية للمؤسسة الإنتاجية وهوما يحدد وضع التلميذ أو الطالب بالنسبة للمدرسة أو الجامعة ،والمريض بالنسبة للمستشفى والجمهور بالنسبة للتلفزيون . إن الدخول الى المجتمع الاستهلاكي يعني، أكثر من أي تغير اجتماعي آخر الخروج من المجتمع الحديث، باعتبار أن أفضل تعريف لهذا المجتمع هو أن السلوكيات تتحدد بموقع الفاعليين في عملية الإنتاج، سوآءا في

[1] فليب جونز النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية المصدر السابق ص 121

[2] بن بوهة أحمد، قيم التحرر عند مدرسة فرانكفورت مجلة دراسات في فلسفة السلم مخبر التراث والفكر المعاصر جامعة وهران 2013

مقدمتها أو مؤخرتها، في أعلاها أم في أسفلها. يتفكك هذا الدرع الاجتماعي والاقتصادي للسلوك ويتحدد الفاعل بالنسبة لذاته برسائل يبثها جمهور عريض أو بانتماء لمجموعات ضيقة [1]

هذا الضياع حسب تعبير جون بودريارد Jean,BOUDRILLARD،مجتمع خيال.Simulacre الذي تحاول تفسيرات أخرى إنكاره أو إخفاءه، الفاعل لم يعد عقلا أو تراثا كما كان يعتقد فيبر، إنه بحث عن الذات وإغراء.

"عالم الاستهلاك هذا غريب عن عالم المؤسسة الإنتاجية وعن عالم الامة، إنه يلتقي بسهولة باللبيدو رغم ابتعاده عنه على خلاف ما يعتقده من يتحدثون عن خلاعية érotisationالاستهلاك. إيروس، أمة، مؤسسة إنتاجية، استهلاك، تلك هي الشذرات المنفرطة للحداثة التي كانت عقلنة وتماهي بين الانسان وأدواره الاجتماعية.اليوم يختلف منطق الإنتاج عن منطق الاستهلاك، فهما لا يتقبلان في الإيديولوجيا الرسمية على الأقل الا في هذه النماذج الكاريكاتورية للمجتمعات الحديثة وهي المجتمعات الشيوعية."

إن انفراط الحداثة الى أربع قطع موزعة على الأربع جهات الأصلية للحياة الاجتماعية هو في ذات الوقت حركة رباعية نحو التحرر.

فمن جانب تأكيد الإيروس بواسطة نتشه وفرويد ضد القانون الاجتماعي والصيغة الأخلاقية، ومن جانب ثاني بزوغ الآلهة القوميين في مواجهة كونية السوق والنقود، ومن جانب ثالث تركيز المؤسسات الإنتاجية والإمبراطوريات الصناعية والمصرفية، وهم سادة المجتمع الصناعي والذين يؤكدون رغبتهم في الفتح والسلطة متجاوزين الوصايا الباردة للكتب المدرسية في الإدارة ، وأخيرا ظهور الرغبات التي تفلت من التحكم الاجتماعي لأنها لم تعد مرتبطة بوضع اجتماعي .وقد ولد هذا المشهد الاجتماعي من تفكك النموذج الذي يطابق بين الحداثة وانتصار العقل [2] وحسب مركز الدراسات الاشهارية في فرنسا " مركز التواصل والتقدم CCA الذي يبحث في الإنتاجية اتها، في المستوى الإبداعي والتوزيعي

---

[1] المرجع نفسه ص 197

[2] المرجع نفسه ص 198،199

وفي كل الآليات التي تستطيع إقناع الزبون هذه الوصلة تهدف الى استشعار المستهلك وحثه على الشراء ولا يتأتى ذلك الى من خلال مسح سطحي لتفاصيل حياة الفرد أو الزبون " نفسيته، وضعه الاجتماعي ، جنسه، وانتمائه المهني "فلا وجود لمستهلك كلي إلا من حيث الغاية الاقتصادية القائمة على مبدأ البيع. أما على مستوى الفعل الشرائي ذاته فهناك أنواع متعددة من المستهلكين. إن الرمزي والاستعاري وما يصنف ضمن المخيالي والاسطوري كلها عناصر تتسرب الى هذا الشراء وتقود الى انتقاء هذا المنتج دون ذلك [1] ، هذا الاستهلاك يتم ضمن محددات اجتماعية مخصوصة هي الممر الضروري نحو الشراء، والحال أن هذا الشراء لا يمكن أن يتحقق خارج هذا الوضع إلا من باب إلزامية الحاجة المباشرة أو من باب الاستلاب.

إن أمر الشراء أعتقد مما نتصور وأكثر مما توحي به حالات الاستهلاك النفعي للمنتجات، فلا يكفي في التلقي المباشر وفي تصور الحاجات أيضا تقديم صيغة معبرة أو مدرجة لكي يتسلل المنتج الممثل الى عوالم ثقافية جديدة مغايرة لما يقتضيه أسلوب الحياة الجديد، فقد يكون للغة سلطان على كل شيء بما فيها قدرتها على خلق كائنات وأشياء لا وجود له لكنها تستطيع تذويب الفارق بين المضامين التي تبنى ضمن غيرها وبين ما تقوله ذاكرتنا الثقافية ذلك أن وجود الأشياء والكائنات في اللغة أقوى من وجودها في الواقع. [2] وقد يكون التمثيل اللساني **الاشهار** هو الوجه الوحيد الذي تحتفظ به الذاكرة وتستند إليه في أحكامها.

دليل آخر على أننا نستهلك من المنتجات تصورنا لكل شيء تصورنا للمؤنث والمذكر والتحت و والفوقوالنار والماء. ونستهلك تصورنا للزمن والفضاء والعلاقات بين الجيران. وتصورنا للإيمان والتعصب والنميمة والاحكام المسبقة أيضا. فلكل ثقافة *عوالم حسية[3] تستوعب مضامين لساننا وتجسدها في المعيش اليومي.

---

[1] برنار كاتولا الاشهار والمجتمع تر، سعيد بن كيراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سوريةط،1 2012 ص 7-8

[2] برنار كاتولا الاشهار والمجتمع المرجع نفسه ص 10

* الحسية " تشخص المفاهيم وتؤنسها، فهي التي جعلت كل الآلات مؤنثة لا تخلو من تمنع وغنج في العقل والوعد والرغبة. تستوي في ذلك الآلات، آلات الغسيل وآلات الحرث والحفر والسيارات. إنها تحيل جميعها، في الوجود والاشتغال والاستعمال، على عوالم الانوثة وعلى كل المسكوكات المرتبطة

وللاستهلاك تاريخ منظور. فعندما اختفت المانيفاكتوراة اختفى الفرد أيضا، ومعهما اختفت أشكال تنظيمية لاقتناء المنتجات وتداولها واستعمالها. وقد كانت هذه الاشكال وثيقة الصلة بالحميمية واللقاء المباشر بين التاجر والزبون، وبين هذا وبين منتجات محدودة في الكم والكيف والممكنات الدلالية أيضا. حينها انحاز " المستهلك: أو أجبر على ذلك، الى اقتصاد المنتجات العيارية المتشابهة في الشكل الوظيفة والاحالات النفعية. وكانت الحاجة الى" النصيحة "، الى من يساعد على الشراء ويدفع إليه ويرغّب في اقتناء هذا المنتج دون ذلك. [1]

وليس لموضوعية المنتج ونفعيته إلا النزر القليل من القيمة في ذلكّ فالتوجيه ، والإرشاد عمليات تتم كلها بالإيحاء، من خارج دائرة الاستهلاك أو ضدا عليها، بمزايا تخفيها حقائق المنتج أو لا تود الكشف عنها الا ضمن ما يمكن أن تأتي به الاستعمالات باعتبارها مضافا يمكن تحقيق صورة مثلى أو وضع مميز أو خطوة عند الآخر.

وفق هذه المحددات الجديدة في الإنتاج والتوزيع والتنافس انتشرت، من خلال الأداة الاشهارية، صورة الزبون في تفاصيل العوالم التي تبنتها الوضعيات الموصوفة في الوصلات حقيقية ومجازا.

لقد أسقط المستهلك، من خلل المضافات الرمزية للمنتج، " أناه" الأخرى، أو اكشفها ضمن لذة الشراء" أو لذة تختفي في انفعالات يسربها نظيرلا عقلاني الى الشيء والى كل استعمالاتها الممكنة.

بها. فنحن نركب السيارة كما نركب النساء والفرس، ونهفو الى تقمص صورة فارس يقطع المسافات ويجرر، بالسرعة وحدها، كل الطاقات العنيفة، الدفينة منها والظاهرة. وهي العوالم ذاتها التي تدفع المرأة الى شراء النعومة والصفاء والطراوة والبياض، تماما كما تحافظ " على خطوط الحساسية"" وخارطة الحنان" في جسدها الموهوب للمذكر وحده. وهو ما يعني أم مضمون الوصلة ليس مرتبطا بحاجات فعلية، فهي تستمد في غالب الأحيان طاقتها التأثيرية من قدرتها على صياغة هذه الحاجات ضمن **الرمزي** "**والاستعماري** " وضمن كل ما يمكن أن يعد به المنتج خارج وظائفه الاستعمالية المباشرة، بما فيها سحر المتخيل وفتنته. تلك لحظة مركزية في تصور الحاجات وطرق اشباعها. فالحاجة ليست كما " ينفذ بالإشباع، بل رغبة تتجدد بتجدد فضاءات الاستهلاك وتنوعها . برنار كاتولا الاشهار والمجتمع والاستهلاك ص 113

[1] برنار كاتولا الاشهار والمجتمع والاستهلاك المرجع السابق ص 121

فنحن لا نستهلك منتجات حافية و عارية من كل غطاء ثقافي. إننا نشتري، من خلال هذا المنتج أو ذاك أساليب عيش هي المدخل الضروري نحو الخروج من عوالم الذات الضيقة للانخراط في المجموع الاجتماعي ضمن معايير مخصوصة، أي الذوبان فيما يطلق عليه "الشخصية الأساس".

إننا ننتفي المنتج ونستعمله، لكننا نختفي بصورة رمزية عنه، أو بصورة عن أناه الهاربة في المظاهر والصور والاحكام الاجتماعية، أو المندفعة نحو عولم ***هيدونية**[1] كل شيء فيها بدون حساب " المتعة والصحة والسعادة والرقي، وأيضا البياض والنظافة والنعومة والطراوة والمتانة والسرعة[2]، إننا نوازي، من خلال الشراء وداخله، بين المالك والمملوك في الفضائل والخصائص والمزايا: ما يعد به المنتج وما تجسده **الاسهامات** في حالات **التملك** أو **الكينونة**. إن الشعور بالقوة والهيمنة والتفوق هو ما يبرر اقتناء سيارة، لا مجرد الرغبة في التنقل من مكان الى آخر. يتعلق الامر في جميع حالات الشراء بدوافع خفية تتحقق من خلال المنتجات وفيها [3]رغم كل التبريرات البعدية التي تتخذ شكل حجج عقلية تستعيد الذات من خلالها المزايا النفعية للمنتج أو توهم نفسها بذلك.

الاشهار لا يبيع منتجات فحسب، وهو ليس واجهة لتواصل محايد، وأيضا ليس مجرد واسطة بين البائع وزبونه. إنه ظاهرة اجتماعية في المقام الأول. وبصفته تلك، فإنه يقوم بوظائف ثقافية تتنوع وتتمدد في القيمة والاشتغال. فهو يكرس الموجود من حيث أنه يلتقط السائد القيمي ويجعله وعاء لمنتج هو الضمانة على استمراه وهيمنته.

كانت هذه الازمة العالمية التي نعرفها جميعا، تعني عند المهتمين، الاشهاريين ورجال الصناعة، أن للنمو حدودا لا يمكن الذهاب الى أبعد منها. ولم يعد من الممكن الاعتماد على الخصائص الموضوعية

* الهيدونية من الكلمة الاغريقية hedon والتي تعني اللذة ويتعلق الامر بنزعة فلسفية تقول إن الغاية من الوجود الإنساني هو الحصول على أكبر قدر من اللذة بأقل جهد ممكن

[2] برنار كاتولا المجتمع والاستهلاك المصدر نفسه ص 14

[3] المصدر والصفحة نفسها

للمنتج والخدمات من أجل إقناع المستهلك. فقد أعيد النظر في كل العناصر استنادا الى ما تقوله الازمة. [1]

براديغم ما بعد الصناعة:

يقصد بالبراد يغم في الفكر السياسي والاجتماعي بشكل عام النموذج الذي يشكل البناء التحتي لفكر ما، والذي يحدد بنيته، والذي يطرح أسئلة محددة، والذي ينظم "المعطيات" أو المعطى وفق بنى ومحيطات متعددة.

البراد يغم في الفكر السياسي والاجتماعي، هو نطاق أو محيط في داخله نفكر بالمشاكل المتعلقة بالمجتمع والدولة، وكل بريد يغم يرتكز على استفتاء أو الحصول على شكل ما للتنظيم أو الفوضى الاجتماعية وهذا يعني ما يحدد بدقة واحترام الازدهار، السلام والسعادة للمجتمع أو بالعكس، والذي يحدث اضطرابات وبلبلة وعدم استقرار وسقوط وانهيار. هذا المفهوم للتنظيم سيحدد كل شيء على سلم أو مقياس للقيم بما يتعلق بالسياسة والاقتصاد والاجتماع، ومن خلاله نحدد معيار أو معايير ما نفعل، والاعمال التي سنقوم بها، والبرامج التي سنعدها.[2]

في الفكر السياسي الغربي الحديث نميز بين ثلاث عائلات من النظريات: اليمين، اليسار، والديمقراطية الليبيرالية. ونستطيع الاعتبار أن كل واحدة من بينها" تقاد" بشكل عميق من خلال "براد يغم" أساسي، أو رؤية للنظام الاجتماعي وبشكل عام أكثر تبسيط، الفكر اليميني يظهر كأنه يقاد من خلال النظام الفطري أو الطبيعي، اما اليسار من خلال نظام مصطنع، والتقليد الديمقراطي والليبيرالي من خلال نظام عفوي، تعددي، ثقافي متداخل متعدد التنظيم.[3]لقد كان التركيز في السابق يتوجه نحو عملية الإنتاج وعلاقة صاحب العمل بالعامل، أما في مرحلة ما بعد الحداثة فإن التركيز ينصب حول عملية الاستهلاك والعلاقة بين المنتج والمستهلك، حيث تحولت هذه العملية من المحلية الى العالمية.

---

[1] المصدر السابق ص 21-22

[2] اسمهان طلحي: فلسفة الفكر الليبيرالي، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، ، ط 1 ،الجزائر 2016 ص 156

[3] اسمهان طلحي: فلسفة الفكر الليبيرالي المصدر نفسه ص 157

تقوم عملية الاستهلاك في هذه المرحلة بتغيير الحياة الاجتماعية، وكذلك تقوم بتحويل العديد من المواد التي لم تكن أصلا موجهة للتجارة والاقتصاد لتصبح سلعة تؤدي الى دخل مادي، أو ما يسمى بعملية التسليع،Co modification.

أصبح قطاع الخدمات قطاعا تجاريا بعد أن تحول المجتمع من الصناعة إلى الخدمات. وهكذا يمتد التسليع من الملكية المادية الى الملكية غير المادية والى تلك الممتلكات والفعاليات التي اعتقد سابقا أنها غير قابلة للتغريب، وليس الاتجار بالرياضة سوى مثال واحد على هذه العملية، وترخيص منتوجات الطبيعة كذلك يعبر عن عملية التسليع الشاملة والتي انتقل بموجبها مفهوم "التسليع " من التقليد الماركسي الى استعمال عام، ولربما انصب جل الاهتمام المركزي على ميدان الثقافة وما سماه أدورنو Adorno وهوركهايمرHorkheimer بصناعات الثقافة وانتشار أسواق الجملة، في الاعلام والمذياع والتلفاز والصحافة[1] قد عزز حس التشاؤم من جهة بأن الإنتاج المصنّع للأشكال الثقافية يُفضي الى أعمال مبتذلة، نمطية ، غير ذات قيمة جمالية. وحسب هؤلاء الرواد من وجهة نظرهم التفسير للفشل الواضح لتغير الثوري الاجتماعي الذي توقعه كارل ماركس ولك لتأثير البنية الفوقية على وسائل الاعلام وتوجيهها في الطريق الخطأ [2]حيث أن العامل الأساسي في تكوين المجتمع الاستهلاكي هو التطور التكنولوجي ودور تقنية الصورة والصوت، حيث يقوم هذا المجتمع على اختراع الحاجات قبل اختراع المنتجات عبر الإعلان الذي يوجد عند الإفراد قناعة بحاجتهم لأشياء معينة هم ليسوا بحاجة إليها فعليا، وهكذا تخلق الحاجة إلى السلعة ثم تأتي تلك السلعة لإبقاء وتيرة الاستهلاك في تصاعد مستمر وهو ما يبقي وتيرة التبعية المادية والثقافية في تصاعد مستمر هي الأخرى ، وهذا بدوره يبقي على تفوق الدول المنتجة لمختلف السلع والأفكار والرموز من جهة ، ويقضي على الخصوصية المحلية

[1] بنيت، غروسبورغ وميغان مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر سعيد الغانمي، ، المنظمة العربية للترجمة بيروت 2010 ص 394-395

[2] كنزوي محمد فوزي ، براديغم مدرسة فرانكفورت على المحك: منظور اتصالي مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 9،2014.ص 116

لكل الشعوب التي تطمح الى الانفتاح على العالم الخارجي بهدف تحقيق حد أدنى من التطور من جهة أخرى.

من منطق القيمة الثنائي الى رباعية المنطق:

حاول المفكر العلامة المصري العوا أن يبحث في مفهوم القيمة القيمة فهي كل ماله شأو في التصور وفي الفعل لدى أفراد وجماعات[1]. وكلمة شأو، باللغة العربية تعني القيمة الجدارة، الكمال الوزن والسعر و الطاقة. والقيمة، مشتقة من القوام أي من العدل وحسن الطول، وحسن القامة، وهي تعني في اللغة القدر، وقوم السلعة أي قدّرها، وفي القرآن الكريم فيها كتب قيمة، أي مستقيمة، تبين الحق من الباطل على استقراء وبرهان. والقيمة عند فردريك نتشهFrediric,Nitch نعني جينيا لوجيه القيمة، أي تقيم القيمة، وإعادة تقييم القيمة، بحثا عن بعدها الدلالي، ولا العياري فحسب، والقيمة في الفكر الحديث طراز من التفكير الفلسفي يراد تسميته بصيغة علم مستحدث تدل عليه كلمة إكسيولوجياaxiologie أما العوا فيذهب الى اعتبار القيمة هو نشاط ذهني يتصور أمرا ذا شأن ويسميه قيمة، وهذا التصور الفكري متصل أشد الاتصال بالفعل [2] كذلك لا ينفك الباحثون عن مسعاهم للإحاطة بمشكلة القيمة في علاقتها بالحاجات الأساسية للإنسان، سوآءا اتصلت بمجال الحياة الاقتصادية، أو العاطفية، أو العقلية، أو الأخلاقية، أو الروحية، أو السياسية أو التربوية أو الفنية وقد شبه شال لا لو chal. Lao دور القيمة في الفكر الحديث بفكرة الطاقة أو فكرة "القوة " [3]ويذهب ريمون رويه .Rimo,Ruyer الى أن القيمة هي التي تفسر القوى المرئية و اللامرئية[4]

---

[1] العوا عادل، العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس، دمشق 1996، ص 42

[2] العو، ا العمدةفي فلسفة القيمة المصدر نفسه ص 44

[3] شارل لا لو، الفن والأخلاق، ترجمة عادل العوا، دمشق 1970، ص 120

[4] العوا، العمدة في فلسفة القيمة المصدر السابق ، ص 50

إن مفهوم القيمة يلزم مفهوم الشخص الإنساني، وفق قاعدة كأنطيه شهيرة إعمل دائما على نحو تعتبر به الشخص الإنساني في نفسك وفي الآخرين غاية لا واسطة.اعتبر أن للكائن العقال كرامة، وهذه الكرامة تميزه عن سائر الكائنات التي ليس لها في ذاتها غاية، كالآلة والحيوان وغيرها من الوسائل ،أما الكائنات العاقلة فغايتها في ذاتها كما تشكل السعادة في تناسبها الطردي الدقيق مع خلقية الكائنات العاقلة التي بها تجعل هذه الكائنات نفسها جديرة بالسعادة ، تشكل إذن وحدها الخير الاسمى[1] . وفي مجال الدين يتميز كنط برفضه الادعاء بأن الدين أساس الأخلاق وقوله على العكس أن الأخلاق أساس الدين، بل أن الدين ، هو نفسه أخلاقية ، Moralitât ، الذي ناهضته فيما بعد البرغماتية وكان له أثر كبير على تطور القيم وتوظيفها ماديا ، كما تبنى هيجل هذا التصور للقيمة الأخلاقية فقد نبنى التصور الهيجيلي على فكرة الوعي الشقي " الذي تقوم عليه الأخلاق المسيحية اللاهوتية ،وهو منظور يقوم على الاستلاب والاغتراب الإنساني بينما عند ماركس أكد على القيمة الاقتصادية ، التي تقوم على العامل الاقتصادي كمقوم لكل قيمة أخلاقية ،وجمالية وحقوقية .

ماركس وفائض القيمة: عني ماركس بتحليل القيمة الاقتصادية (فائض القيمة) كأداة لسيطرة رب العمل، وذلك أن صاحب العمل لا يدفع للعامل قيمة عمله الحقيقية ،وهي تقدر بجهده وعمره ، وإنما يدفع إليه ما يسد رمقه ، إن لم نقل أقل من كفافه ، ويستخلص ماركس من تحليل القيمة الاقتصادية وعلاقات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك اغتراب الطبقة العاملة في التاريخ ، أو انخلاعها ، ولا سيما في الحقبة الرأسمالية ، وقد دعا كتابه ط رأس المال ط الى الثورة من أجل الاشتراكية الشيوعية التي تقوم على التكافل الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث [2]

[1]: إيمانويل كنط نقد العقل الخالص ونقد العل العملي ترجمة موسى وهبة مركز الانماء القومي لبنان ص.309

[2] كارل ماركس رأس المال ، تر راشد الزاوي دار النشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة1967 ص 134

إن مفهوم القيمة بدا على أنه يعرب عن مثل أعلى إنساني، مختلفا بذلك عن مفكري العصر القديم، وإذ رأوا أن الفلسفة هي التي تحدد مكانته في إطار النظام الطبيعي، الأمر الذي نشأ اعتقاد هؤلاء بأن على المرء أن يحيا بحسب الطبيعة.

يكافئ **بوديار** بين لسانيات **سوسير** في البناء اللغوي والإحالة الدلالية، ونظرية القيمة لدى ماركس، فيقول : لقد حدد سوسير مستويين داخل اللغة : مستوى تحيل به اللغة على الشيء، ومستوى اختلافي بنيوي، وهو المحدد لقيمة العناصر داخل اللغة، اعتقد أن هنالك تماثلا مطلقا بين لسانيات سوسير ونظرية ماركس في الإنتاج: (فقيمة الاستعمال تحدد قيمة السلعة داخل الاستهلاك، وقيمة التبادل تحيل على قابلية البضائع للتميز والاختلاف عن بعضها البعض) ، وتحدد القيمتان مجمل الاقتصاد السياسي[1] ويبدأ بودريار نظريته في نقد الاقتصاد السياسي، عبر مراجعة لما قدمه ماركس في منطق القيمة، وحصره بثنائية القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية، ليكشف عن أبعاد أخرى من القيمة تحمل بعدا رمزيا، ثم تحول علاماتي للغة القيمة اليوم. وتبريره في ذلك هو حتى لو قبل المرء التقسيم بين المواضيع التي لها قيمة استخدام (مواضيع المنفعة والحاجات) والمواضيع ذات القيمة التبادلية، فأن السؤال الذي يثار هو: أين نرسم بالضبط الخط الفاصل بين هذين الشكلين؟ في كتبه التي تعالج هذه القضية – نظام الأشياء 1968، مجتمع الاستهلاك 1970Consumer,society، نحو اقتصاد سياسي للعلامة 1972 For a political , economy,Of,thesign يوسع **بودريار** "أولا مجال التحليل بإضافة الموضوع الرمزي والموضوع العلاماتيsign Object الى فئة الموضوع .

يناقش **بودريار** هذا المنعطف بتقريره ووضعه لأربعة أنواع من المنطق الحاكم لأصول التعامل وهي- **منطق** الإجراءات العملية والذي يعتمد فكرة قيمة الاستعمال. –**منطق**التعادل، والذي يقابل قيمة

[1] جان بودريار، الفكر الجذري، أطروحة موت الواقع ص 30

التبادل. –**منطق** تساوي الحدين، وهو يقابل التبادل الرمزي. –منطق **الاختلاف** والذي يعتمد القيمة العلاماتية.[1]

فالأول هو منطق المنفعة، بينما الثاني هو منطق السوق، والثالث منطق الهدية، والرابع يتحول الى منطق الحالة. وهذه المنطقيات هي مراوحة بين الأداة والسلعة والرمز والعلامة.

والقيمة الاستعمالية –حسب ماركس – تقاس طبقا لمنفعتها، وهي مستقلة ومادية لا تتعلق بقيمة العمل المنتج لها أو كيفيته، بل بما يمكن النفع منها، أما القيمة التبادلية فهي نسبية وتتغير باستمرار الزمان والمكان وهي تبدو اعتباطية وذاتية، لذلك نجد فصلا واضحا بين القيمتين[2]. والقيمتين بينهما نوع من التناقض بالرغم من تعلقهما بموضوع واحد هو البضاعة. وبدلا من التعامل السائد بمنطق القيمة التبادلية يجد ماركس أنه من الضروري تتبع القيمة الاستعمالية الكامنة خلف تلك القيم التبادلية لها [3]وهنا يعلن "**موت منطق الإنتاج** "، إذ تضع الهيئة البنيوية للقيمة ببساطة وبشكل تزامني نهاية لأنظمة الإنتاج والاقتصاد السياسي والتمثيل السياسي والعلاقات السياسية. وبوجود الشيفرة ينهار كل هذا النوع من التصنيع.

ويذهب **بودريار** الى أبعد من ذلك ليبحث في تحولات جديدة في نظام الرأسمال والاستهلاك الجديد، فقد تطورت الرأسمالية لتضيف أبعادا أخرى للقيمة ويأخذ مثلا على ذلك مفهوم الهبة أو الهدية نظرية موس Mauss ونظرية باتاي حول الانفاق ، وبالنسبة لهاذين المفكرين لا يمكن للاقتصاد أن يختزل الى قاعدة منفعية مزعومة بحيث يكون التوازن هو حالتها الطبيعية .وعلى العكس من ذلك ، فإن مؤسسات مثل الكولا *Kula، كلمة مأخوذة من لهجات **الميلانزيين**، ومعناها الأصلي: المداورة .يمتاز هذا النظام بدقته ،وتحقيقه أغراضا اقتصادية مهمة ،وهو يقوم على مبدأ توزيع العمل وتبادل

جون ليشته، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، من البنيوية الى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة بيروت ط 1، 2008، ص 467-468. [1]

كارل ماركس، رأس المال، الكتاب الأول، تطور الإنتاج الرأسمالي، دار اليقظة العربية، دمشق، 1958، ص54-55[2]

كارل ماركس المصدر نفسه، ص 72[3]

الثروات بين العشائر والشعوب ،وذلك أنه يتضمن إهداءا متبادلا في مواسم معينة وفي مناسبات خاصة لبعض حاصلات الصيد والصناعة من قبائل تكثر لديها هذه الحاصلات الى أخرى محرومة منها. [1] ومهرجان الشتاء **Potlatch*** بوتلاش تظهر أن الضياع (الهدر) بدافع الحصول على الهيبة والمقام المحترم هو الأساس الأصلي **اللا نفعي للاستهلاك**. فهي من جهة الواهب عبارة عن حالة من الخسارة والضياع، لأنها بدون حساب أو مقابل أو معادلة للإعادة والتعويض، أما من جهة المتلقي فلا يمكن أن تقاس قيمة الأشياء نسبة لغيرها من الموضوعات لأنها تقع ضمن القيمة المادية والاستعمالية –الأداتية، بل ضمن حيز الفرادة الشخصية، لأنها تحمل معنى التبادل الرمزي، وهنا ما يتصوره بودريار، يعد تقديم الهدايا واستقبالها جزء مما نعتقد من روح الحقيقة، وهنا يتبين منطق الرمز، ويتبقى أن نفهم منطق العلامة لديه، وهو الذي يحكم عالمنا المعاصر ويحوله الى زيف وخنوع وذوبان، فما هو جوهري في الموضوع القيمي اليوم هو قدرته على الدلالة، أو على حالة /وضع، فالأشياء لا تستهلك، في مجتمعنا المصطنع (المستهلك ببساطة) وإنما يتم إنتاجها أصلا لمتطلبات الدلالة على حالة معينة، وأكثر من كونها تلبية حاجة [2]

أي حالة أو وضع يعيشه الانسان بحريته أو رغما عنه تستلزم إنتاجا معينا من السلع وذلك يجعل منطقها يخرج عن إرادته وحاجاته ويتحول الى ما يتعلق بشفرة النظام المهيمن ووسائل الدعاية والاعلان التي تفرض تلك النوعية من الاستهلاك، لذلك تعد مساهمة بودريار في تقديم رؤية للاستهلاك بوصفه علاقة ونظام علاماتي، مساهمة ملحوظة، وتغيير في مسار فهم الوضع ما بعد

* كلمة مأخوذة من لهجات الميلانيزيين، ومعناها الأصلي: المداورة. يمتاز هذا النظام بدقته، وتحقيقه أغراضا إقتصادية مهمة، وهو يقوم على مبدأ توزيع العمل وتبادل الثروات بين العشائر والشعوب، وذلك أنه يتضمن إهداءا متبادلا في مواسم معينة وفي مناسبات خاصة لبعض حاصلات الصيد والصناعة من قبائل تكثر لديها هذه الحاصلات الى أخرى محرومة منها

**كلمة مأخوذ ةمن لغات الهنودا لحمر. معناها الأصلي في لغتهم الاستهلاك والتغذية. ونظام البوتلاس كان متبعا عند كثير من عشائر الهنود الحمر في الشمال الغربي لأمريكا الشمالية ،ويتميز عما عدا همن اشكالا لهدايا الملزمة بمايقتضي تطبيقهمن المبالغة في التبذير والاسراف وتبديد الثروات.

[1] جون ليشتة، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية الى ما بع الحدائة، تر، فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة ط،1 بيروت لبنان 2008 ص 467

[2] جون ليشتته المصدر نفسه ص 468

حداثي، على أنه يحمل ثقافة صورية وانتقالية وعبثية وزائلة، لذلك حولت دراسة بودريار الاهتمام والحصر الاقتصادي من المنتج الى مجتمعات الاستهلاك وأماكن التسوق.[1] توتاليتارية النظام القائم إيديولوجيا وسياسيا واقتصاديا تقوم بمهمة تدميرية على هيئة قياس وتشفير وتنظيم لكل علاقات التبادل بين البشر حتى الجنسانية والتسالي أصبحت موضوعا للتقنين والتنظيم حد الافراط. وهكذا يتبين انتقال الاقتصاديات الرأسمالية من بضاعة الشكل الى علامة الشكل في الصدد وبالتحديد يوم 22 نوفمبر 1972، في مقال صحفي لرتشارد نيكسون جريدة النيويورك تايمز يقول في مقال له ، على الرغم أننا نميل دائما الى الاعتقاد بأن أحرار الرجال وجدوا في زمن ما أو في مناخ ما فإن إخضاع وقهر أغلبية البشر مثل القاعدة على مر العصور. ولقد تم ذلك الإخضاع أو القهر بوسائل مختلفة حسب طابع كل مجتمع وحاله، أو مستوى فنون القمع والمواد المتاحة لهؤلاء الذين يسيطرون على الحكم. وكان الهدف الرئيسي بوجه عام هو الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من الناتج الاجتماعي للأقلية المتميزة، وع ترك ما يكفي لضمان استمرار قوة عمل الأغلبية الأقل حظا. ولآلاف السنين ظلت **الندرة** وما يصاحبها من إكراه بدني هي المنظم المعتمد في الأعم للسلوك الإنساني. وفي القرون القليلة الماضية وفي تزامنٍ مع ظهور الصناعة الحديثة تطور نظام أكثر تعقيد للسيطرة والاخضاع. [2]

فلقد أتاح ظهور **مجتمع السوق** وضعا اجتماعيا أكثر تحررا إلا أن هذا الوضع أدى بالشعب العامل إلى أن يعتمد بصورة مطلقة على دخلٍ هو عبارة عن أجر لعملٍ ليس الحصول عليه مكفولا بصفة دائمة، رغم أن هذا الشكل من التصنيع لم يتغلغل بعد الى كل أرجاء العالم فقد أدى بالفعل الى تغيير طابع تلك الأماكن التي وصل فيها الى أعلى درجات تطوره. في الولايات المتحدة الامريكية على وجه الخصوص وأيضا في أوروبا الغربية واليابان بصورة متزايدة، تتحرك الدولة الصناعية إن لم يكن في مصارٍ جديد تماما فهي تتجه على الأقل وجهة تختلف اختلافا ملموسا عن اتجاهها خلال المرحلة الأولى

آلان وارد، الاستهلاك، ضمن كتاب توني بينيتي وآخرون (تحرير) مفاتيح إصلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي المنظمة العربية لترجمة، بيروت ط 1، 2010، ص[1]77

هيربرت أ. شيللر المتلاعبون بالعقول ترجمة عبد السلام رضوان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، مارس 1999 ص [2]175،176

لنموها ونضجها[1]. لقد بلغت الإنتاجية معدلات عالية، وأصبح الناتج الاجتماعي الذي جرى توسيعه والذي يعكس الفوضى التي نشأت من جراء إنجازه غير قابل للاستيعاب أكثر فأكثر رغم ذلك لا يزال يوزع بصورة غير متكافئة. وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح الاقتصاد الأمريكي أول اقتصاد تستخدم فيه النسبة الأكبر من القوة العاملة في الخدمات وليس في الإنتاج وقد فاق عددهم في الوقت الحاضر عدد عمال الصناعة، والزراعة وغيرهم من عمال المجال الإنتاجي. والاتجاه في حالة تسارع وتبدو النتائج المترتبة على ذلك في التقويم الأول، سيكولوجية وثقافية أكثر منها اقتصادية.

نشير الى شيء مهم، حسب الدراسة المستفيضة لإدوار هكار إن العادات الاجتماعية وحوافز العمل السائدتين في الفترة السابقة على العصر الصناعي لا يمكن لهما أن تعودا من جديد. ومع ذلك فإن كل ما استطعنا أن تنجح فيه حتى الآن هو أننا **دمرناالفلسفة، والعادات والحوافز التي جعلت عجلات الصناعة تدور طوال قرن من الزمان دون أن تحل محلها أي شيء آخر**. إنا المهمة المطروحة الآن هي إنشاء فلسفة جديدة تشجع وتحث على ظهور عادات اجتماعية جديدة في العمل.[2] وبالعودة الى كتاب بودريارد باللغة الفرنسية مجتمع الاستهلاك يبن فيه أن السعادة ليست شأنا داخليا وخاص بما يجوش فينا من ميولات ورغبات طبيعية بل من خلال قوة ايديولوجية ذات طابع سوسيولوجي. مع العلم أن السعادة المصطنعة والتي لا تمت بصلة بالواقع الحقيقي للضروريات الحياة الاساسية حسب المنطق الذي افرزته متطلبات الغربية بعض ظهوور الصناعة في اوروبا و التي غيرت من نمط الحياة المتفش الى طلب اللذة والاستمتاع بالحياة باستهلاك أكبر قدر من السلع. حسب **تكوفيل** مشيرا الى المسلك الذي سلكته الشعوب الديمقراطية في سعيها الأبدي نحو السعادة بما تطرحه الصناعة الثقافية من الترويح لثقافة المستهلك، والرجل المتحضر، بحثا عن المساوات بين الناس في السعادة من خلال توفير قدر كبير من الخدمات والترويج لحقوق الانسان والمواطن. [3]

---

[1] هيربرت. شيللر المتلاعبون بالعقول المصدرنفسه ص 175

[2] هيربرت. شيللر المتلاعبون بالعقول المصدر نفسه ص ص 176، 177

[3] Jhon Baudrillard la societe de consommation ses mythes se structures editions Denoel 1970 France p 60

الصناعة الثقافية:

إن الرؤية الجديدة للفكر والواقع الاجتماعي تدعو الى الابتعاد عن الوقوف موقف الفلاسفة فلاسفة التاريخ وأصحاب المذاهب التقدمية. الذين تحدثوا عن حتمية انتصار العقل وتحرر الانسان من الاستلاب وبلوغ التاريخ كماله ونهايته على طريقة هيجل، وماركس، فما يحصل الآن يثبت عكس ما جاءت به تنبؤات كل من العقلانية والاشتراكية[1]. فالعصر الجديد الذي دخلته هو عصر يسيطر فيه المجال البصري، حيث يطغى الشاهد على الغائب والمرئي على المقروء والصور على الأفكار والاشارات على الدلالات، والفرق الذي أفرزه هذا التطور بين الفكر السياسي الحداثي وما بعد الحداثي هو كوْن الأول يلخص الواقع في مجرد أفكار أو تصورات، أما الثاني فيصطنع واقعا جديدا عبر الصور والأرقام ويقدم معاني وقيم مفتوحة تترك للفرد حرية وضعها في المجال الذي يتماشى مع قدرته على اكتشاف إيحاءات الصور ومدى تأثره بالومضات الاستعراضية [2]

هذا الواقع منح لوسائل الاعلام بأن تكون الوسيلة الناجعة لاستمالت الجمهور من خلال ما توفره وسائل الاعلام من خدمات ويقصد بصناعة الثقافية مجموعة الأنشطة والتقنيات التي تعيد إنتاج الأعمال الثقافية بطريقة مكثفة على أساس الواقعية، حيث أصبح نتاج الثقافة يتبع نفس طرق الإنتاج المادي وهدف ذلك هو جعل المستهلكين ينسجمون مع نمط واحد من الحياة بحيث تختفي الفروق الفاصلة بين الطبقات الاجتماعية من خلال المهمة الموكلة للبنوك بما يعرف بقروض الاستهلاك.

وتتمحور التكنولوجية الحديثة على أساس تحول صناعة الثقافة الى طابع اقتصادي، تساهم في دعم الدخل القومي الوطني وتنميته، ومن بين مميزات الصناعة الثقافية أنها أصبحت تصدر أشكال سلع ومنتجات ساعدت على التطور الاقتصادي، وقد تكلم في هذا الباب أصحاب مدرسة فرانكفورت مبكرا على ما يسمى الصناعة الثقافية ، وكيفية تحويل المعرفة الى تجارة رائجة تساهم في الاقتصاد الوطني كما كتب في هذا المجال **ولبورشرام** في ستينيات القرن الماضي دراسة" الاعلام والاتصال في تحريك دواليب التنمية الاقتصادية للدول . ويضيف كل من **أرمانماتلار** و **جونمارييبام** أنه قد تم الاعتراف بأن وسائل **الاعلام** هي **صناعة** ، واكتسب هذا التعريف مشروعية واضحة .

[1] علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، المركز الثقافي العربي، ط2، 2004 ص 96-97

[2] على حرب حديث النهايات المرجع السابق ص 100

وأصبح إنتاج هوركهايمرHorkheimer، أدورنوAdorno مقرران حقيقة [1] وعبر حلقات التاريخ تحققت رؤية كل من هذين العالمين المنتمين الى المدرسة النقدية وبصحة طرحهما في مسألة الصناعات الثقافية التي يترجمها الواقع من خلال لوبيات الاعلام والاتصال والمساحة. التي تحتلها هذه الامبراطوريات بما يتعلق بالإعلام والثقافة وميادين البرامج الاشهارية وعمليات التسويق والتوزيع وبث محتويات الترفيه والنشاطات الثقافية وبخلاف الحتمية الاقتصادية لماركس التي أعطت الاعتبار للآثار الفكرية والثقافية الجماهيرية ، وكيفية بروز المجتمعات الاستهلاكية . إذ نجد أن رائدي المدرسة قاما بتحليل مختبر الصناعات الثقافية وانعكاسها على الإنتاج الاجتماعي الرأسمالي واستقراره في تحقيق التحولات السياسية و تحررها مركزين على الابعاد التكنولوجية الثقافية وآثارها الاجتماعية مما يحتم ظهور آليات حديثة تعمل على الضغط والهيمنة لتنميط السلوك والقيم الاجتماعية[2] .

يرى تيودور أندرو، ثقافة الجماهير لا تغذي المجتمع إلا بما يجعل أفراده على شكل نموذج مسبق الإعداد يمكن توقع تصرفاته وتوجهاته على المستويين القريب والبعيد. ويمضي هذا التحليل قدما إذ يقترح **أدورنو** أن نسق النظام الرأسمالي مازال يولد بعدم الأمان الاقتصادي. وكان يكتب خلال الخمسينيات والستينيات. يضيف ادورنو نستطيع القول أيضا أن أي نسق اجتماعي يستبعد القدرات الإنسانية الأساسية يخلق شعورا بعدم الأمان والشعور بأننا نملك قوة لا يمكننا استخدامها هو شعور مدمر. لذا فقدت هُيِئت الثقافة العامة لإنتاج شعور بديل هو في حقيقته شعور زائف بالأمان والاستقرار، وهو شعور فعال رغم زيفه[3] ويتم خلق ذلك الشعور الزائف بطريقتين، بتوحيد المواصفات القياسية لمنتجات ثقافية، حيث تحاول وسائل الثقافة الشعبية جميعها – من التمثيليات التلفزيونية العاطفية الى أغاني الشباب المتداولة الى النشاطات الرياضيةالخاصة.

---

[1] إبراهيم بعزيز ، تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية دار الكتاب الحديث بيروت 2012، ص 106

[2] محمد بن هلال الاعلام الجديد ورهان تطوير الممارسة السياسية، تحليل لأهم النظريات والاتجاهات العالمية والعربية،مجلة المستقبل العربي، 34، العدد 396 سنة 2012، ص 7-8

[3] إيان كريب النظرية الاجتماعية من با رسونز الى ها برماس تر، محمد حسين غلوم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978 ص 288

وفي هذا الباب، تعتمد دول ما بعد الحداثة على عامل مهم في نشر ثقافتها الجماهيرية وهو أن كل وسائل البث والتسويق التي تستعملها تساعدها على اختراق الحدود والاضطلاع على الثقافات المحلية، ومنه أخذ ما يمكن أن يساعد على نشر الثقافة الجماهيرية من الثقافات المحلية .

وذلك لخلق القبول المسبق في المجتمعات المعنية بالفتح الثقافي في موجته القادمة بكل ما تحمله من تناقضات معاكسة لهذه المجتمعات في الأصل.

إن هذا الإنتاج المكثف للثقافة الجماهيرية لم يكن ليتسع بهذا الشكل لولا ترسيخ الثقافة الاستهلاكية في المجتمعات الرأسمالية التي تعد المثال الذي يجب الاقتداء به في هذا المجال المحكوم باللذة وليس المنفعة، حيث أصبح العالم الأول للتسويق هو القدرة على الاقناع من خلال وسائل الإعلامية المتعددة الوسائط والتي تغطي كل شرائح المجتمع أهمها السمعي البصري، إذ حظي مفهوم الاستهلاك بدراسات عديدة من طرف المفكرين ما بعد حداثيين وغيرهم مثل: فريديريك جمسون ودنيال بال.

نهاية الإيديولوجيا /نهاية الدولة:

السياسة في أصل معناها اليوناني هي تدبير المدينة والمقصود المدينة الدولة، والتدبير هنا يكون بمساهمة المواطنين في المناقشة واتخاذ القرار ومن بين شؤون الدولة منها شؤون الامة، حماية الوطن ووحدته، وشعبه والدفاع عن مياهه واقليمه بينما الشؤون العامة للأمة تتمثل في الدفاع عن خيراتها الاقتصادية واستقلالها السياسي وتراثها الثقافي.[1] إذا كانت السياسة تدبيرا لشؤون الدولة فإن شؤون الدولة تبتلعها العولمة التي هي بمعنى تنازل الدولة الوطنية، أو حملها على التنازل ، عن حقوق لها لفائدة " العالم " أعني المتحكمين فيه ، يجعل عدم قبول لفظة الخوصصة غير مبرر ولا مفهوم مثلما أن العولمة هي وضع الشيء على مستوى العالم فالخوصصة هي وضع الشيء على المستوى الخاص وتعزز هذه العلاقة علاقة أكثر أهمية ، فالخصخصة خطوة نحو العولمة أو هي شرط من شروطها وهذا الربط منذ البداية

[1] محمد عابد الجابري قضايا في الفكر المعاصر مركز الوحدة العربية بيروت ط 1 1997 ص 150

ضروري لفهم هذين المصطلحين الجديدين في أبعادهما المتشابكة، الاقتصادية منها وغير الاقتصادية .[1]

أما على مستوى الثقافي تمت عملية اغتصاب ثقافي ، ومحاولات لطمس الهويات الثقافية المتنوعة المغروسة في عمق التاريخ بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والثقافة في ميدان الاتصال [2] فالعالم حسب نظر المفكر المغربي محمد سبيلا في كتابه زمن العولمة هي عبارة عن وحدة عضوية متكاملة وفضاء تجاري لإنتاج السلع المختلفة المادية منها والرمزية أو الروحية وبالتالي يمكن القول أن العولمة هي عملية سوقنه للعالم وسلعنة لكل شيء فهي طوفان اقتصادي وإعلامي وثقافي عارم ..طوفان يكتسح كافة المجتمعات والاقتصادات ويجرف معه كل الثقافات فتتفتت هويتها ،ويذيب صلابتها ويجعلها كيانات في مهب الريح [3] النمو الاقتصادي كما التقدم العلمي المطرد لا يفضي الى الحرية السياسية والسعادة الفردية ، كما لوكان عنصر من العناصر المجتمعية يشق طريقا خاصا به .

كان انطفاء الفضاء السياسي وتذرير المجتمعات وتيه العقل تستمد مصادرها على سبيل الامثال عندنا من اكتساح السلطة للمجتمع ومطاردة العقلانية وإذاعة الخرافات . الظواهر نفسها، في المجتمع الغربي تتوّلد وبشكل متباين ومختلف تماما من انغلاق الحياة السياسية وسطوة الثقافة الجماهيرية وأساطير الذات اللا مقيدة وأيديولوجيا الاستهلاك. مما نقل الفعل الاجتماعي من حيز الأمل زمن الفراغ وتدفع الحداثة التقنية المجتمع الى تحلله بسبب سيطرة السوق وتنافس المؤسسات الاقتصادية والسياسية وانتهاء دور السياسة والبرلمان وتلاشي مفهوم الثورة وانطواء الإفراد على ذاتهم في بحث نرجسي عن هوية قلقة . تندثر التاريخنية مع اندثار غائية التاريخ التي تجمد في موت لا بهاء فيه. أما

[1] محمد عابد الجابري المرجع نفسه ص 135-136

[2] بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة، رؤية نقدية، ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،الدوحة ط1، 2002

[3] محمد سبيلا، زمن العولمة فبما وراء دوائر الوهم، ، دار توبقال لنشر، الدارالبيضاءط 1، 2006، ص 82

الثقافة فلم يبق لها متسع إلا السوق، بعد أن انفصلت عن التاريخ أو بعد أن خلفها التاريخ للسوق الليبرالية والاستهلاك الجماهيري [1]

إن الوظيفة الأساسية للجهاز الإعلامي في مجمله بداية من قنوات النزعة التجارية بوسائل الاعلام واستطلاعات الرأي التي يجري أغلبها رجال التسويق وحتى نظام التعليم الرسمي والبنى الشبه التعليمية في خلق حال من القبول الشعبي بأهداف وقيم الاقتصاد السلعي بالتركيز على أن ينشغل المشاهد وجلب انتباهه بعناية شديدة حتى يتمكن من بلوغ النقطة التي تنتهي عندها رسالة البيع. فجورج ليختهيم ينكر على سبيل المثال أن الطبقة العاملة قد تم افسادها من خلال الرغبة في تملك السلع الاستهلاكية ومع ذلك فهو يصل الى نتيجة مؤداها أن المساواة وصنع القرار على المستوى الاجتماعي لا يشغلان حيزا ملموسا من اهتمام الأغلبية التي تشغلها أكثر المسائل الاقتصادية البسيطة أو على وجه الدقة العمل المضمون ليوم كامل والارتفاع المتدرج لمستواها المعيشي.

ويلاحظ ريموند وليامز، في دراسة له حول أوضاع بريطانيا مع بداية السبعينيات نفس السمة في الأغلبية الشعبية ويحاول أن يفسرها على النحو التالي، هناك نوع من الفقر المترسخ والإهمال وخلق أشكال جديدة ومنهجية من السيطرة والتوجيه، في اتجاه غايات اجتماعية محكومة بأفق ضيق ومحدد في الوقت الذي تقف فيه الدولة والقانون على أهبة الاستعداد الكامل لمواجهة الأقليات المحتجة ذلك هو النظام الذي يجب الاقتداء به، ومما رسة أدوار هامشية وهذا يؤدي الى سهولة في توجيه المجتمع والسيطرة عليه نحو تعريفات زائفة تعاد مرارا وتكرارا بحيث تبدو وكما ولو أنها الشرط الوحيد للمعقولية التناقضات الثقافية للرأسمالية [2] .

إننا نكتشف مرة أخرى على رسم حدود الواقع و هي مفتاح السيطرة الاجتماعية يقول جيري روبين والسيناتور فولبرايت ، إن القدرة على رسم حدود الواقع هي القدرة على السيطرة ، في حين

---

[1] محمد سبيلا، وعبد السلام بنعبد العالي ما بعد الحداثة دار توبقال للنشر الدار البيضاء (المغرب) الطبعة 1 2007 ص 40-41

[2] هيربرت. أ. شيللر، المتلاعبون بالعقول المصدر السابق ص 179

يرى الثاني أن عملية نقل المعلومات هي السلطة ، واستئثار فئات معينة بحق الوصول إليها ، أو التعامل معها يمثل نوعا من السلطة خطرا عنيدا تمثلها أجهزة الاعلام وخدماتها المعاونة ، أي العلاقات العامة ، والاعلان ، واستطلاع الرأي ،والبنى شبه التعليمية المختلفة .

إن ما يشاهده الناس وما يقرأه أو يستمعون اليه، وما يرتدونه وما يأكلونه، والأماكن التي يذهبون إليها، وما يتصورون أنهم يفعلونه، كل ذلك أصبح وظائف يمارسها جهاز إعلامي يقرر الأذواق والقيم التي تتفق مع معاييره الخاصة التي تفرضها وتعززها مقتضيات السوق.

وباختصار إن وسائل الاعلام، خاصة الإذاعة والتلفزيون تمثل مشروعات تجارية عالية الربحية. ومن بين كل أجهزة الاعلام باختلاف درجات ربحيتها يعد **التلفزيون** آلة هائلة لجمع المال وتوفير الربحية العالية ورعاية الكونجرس لملاك الوسائل الإعلامية وضعا شديد التميز في اقتصاد البلاد على أن الأكثر أهمية في هذا الصدد هو ذلك الدعم الذي لا غنى عنه الذي توفره أجهزة الاعلام للنظام التجاري المالي بوجه عام بتعزيزها أهداف السوق في كل موقع . [1]

يرى ماركس جانبان للسلعة فيما يخص القيمة قيمتها الاستعمالية، من جهة، وقيمتها التبادلية)من جهة أخرى. القيمةوالاستعمالية التي لا تتحقق إلا في عملية الاستهلاك " ترجع إلى الحاجات التي يمكن لصفات السلعة كموضوع طبيعي أن تستخدم لتلبيتها ويمكن أن يكون الشيء قيمة استعماليهسواء كان سلعة ام لم يكن، وبينما يجب أن يكون للمنتوج قيمة استعماليه لكي يصبح سلعة فإن العكس لا يصح أي ليس من الضروري أن يكون المنتوج سلعة إذا كان ذا قيمة استعماليه.

وترجع القيمة التبادلية إلى القيمة التي تكون للمنتوج حين يعرض للتبادل بمنتوجاتأخرى. على القيمة والاستعمالية تفترض القيمة التبادلية علاقة اقتصادية محددة، ولا تنفصل عن السوق الذي يتم فيه تبادل السلع، وليس لها معنى إلا بالرجوع إلى السلع

[1] هيربرت. شيللر المتلاعبون بالعقول نفس المصدر ص 186

والآن، كل شيء سواء كان سلعة أم لا ، لا يمكن أن تكون له قيم استعماليه إلا إذا بذلت في إنتاجه قوة عمل بشرية، وهذه الفكرة هي الفرضية الجوهرية في نظرية قيمة العمل التي أخذها ماركس عن آدم سميت وريكاردو ويلزم عن هذا أن كلا من القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية يجب أن ترتبط مباشرة بكمية العمل المبذول في إنتاج السلعة.

اكتشاف علمي:إن التعارض بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية، تسمى قدرة كل المنتجات – سوآءا كانت طبيعية أم صناعية –على أن تكفل معيشة الانسان القيمة الاستعمالية، وقدرتها على أن نتبادل فيما بينها القيمة التبادلية ...فكيف تصبح القيمة الاستعمالية قيمة تبادلية؟ ...

لم يلحظ الاقتصاديون باهتمام كاف مولد فكرة القيمة التبادلية، ومن ثم فإن من الضروري لنا أن نتوقف عنده.

لما كان عدد كبير للغاية من الأشياء التي أحتاجها لا يوجد في الطبيعة إلا بكميات ضئيلة، أولا يوجد على الاطلاق، فإنني اضطر الى المعاونة في انتاج ما افتقر اليه، ولما لم أكن أستطيع أن أضع يدي في عدد كبير من الأشياء فسأقترح على غيري من الناس، مساعدي في مختلف الوظائف، أن يتنازلوا لي عن جزء من منتجاتهم مقابل منتجاتي[1] يأخذ Proudhon**بروتون**، على عاتقه أن يفسر لنا في المقام الأول الطبيعة المزدوجة للقيمة، التمايز في القيمة الحركة التي تجعل من القيمة الاستعمالية قيمة تبادلية. ومن الضروري لنا أن نتوقف مع Proudhon**بروتون** عند عملية التحول هذه. وهكذا تجري هذه العملية.

إن عددا كبيرا من المنتجات لا يوجد في الطبيعة، إنه من منتجات الصناعة ولما كانت احتياجات الانسان تتجاوز إنتاج الطبيعة التلقائي فإنه يضطر الى اللجوء الى الإنتاج الصناعي فما هي هذه الصناعة في نظر **Proudhonبروتون؟** ما منشأها؟ وهكذا فالحاجة –كما يفترضها

[1] Proudhon : Système des contradictions ; ou philosophie de la misère ; t1 ; chapitre 2Ed sociale,paris 1977

Proudhonبروتـونتفـترض بـذاتها تقسـيم العمـل، وحـين تفـترض تقسـيم العمـل تحصـل علـى التبادلوبالتالي القيمة التبادلية. ولقد كان المرء يفترض القيمة التبادلية أصلا في البداية الأولى.

فلكي أخرج من الظروف الذي ينتج فيه كل امرئ بشكل منفصل وأصل الى التبادل "فإنني أتوجه الى مساعديّ في مختلف الوظائف ...هكذا يقول **بروتـونProudhon**. ولنوجز ما قولناه، إن لدي احتياجات تقوم على تقسيم العمل وعلى التبادل، وحين يفترض Proudhon، مسبقا هذه الاحتياجات فإنه يكون قد افترض التبادل، والقيمةالتبادلية، أي ذات الشيء الذي أعتزم أن يلحظ مولده باهتمام أكبر من سائر الاقتصاديين [1]

وهكذا لنفسر القيمة التبادلية لا بد أن يكون لدينا تبادل ولكي نفسر التبادل لا بد أن يكون لدينا تقسيم عمل ولكي نفسر تقسيم العمل لا بد أن يكون لدينا احتياجات تجعل تقسيم العمل ضروريا، ولكي نفسر هذه الاحتياجات لا بد أن نفترضها . الامر الذي لا يعني إنكارها على عكس المسلمة في مقدمة،**Proudhonبروتون**.

وللتعريج الى مفهوم **التبادل** الذي أنتج مع مرور الزمن اكتشاف علمي جعل شكل المقايضة ينتهي وتحل محله صيغ جديدة أكثر نفعية أعطت لدور المنتوج معالم واسعة ومداخيل كبيرة ليتسع نطاق التعامل الاقتصادي حتى يشمل ويخلق وسائل وكيانات لم تكن موجودة أو قائمة عندما كان التبادل بسيطا. وهكذا نكتشف أن للتبادل تاريخا خاصا وقد مر بمراحل مختلفة. فلقد كان هناك وقت كما في العصور الوسطى لم يكن يُتبادل فيه سوى ما هو زائد سوى ما يفيض من الإنتاج عن الاستهلاك ثم جاء وقت لم ينتقل فيه الى التجارة ما هو زائد فحسب بل كل المنتجات و كل الوجود الصناعي. فأصبح النتاج بأسره معتمدا على التبادل .

[1] كارل ماركس بؤس الفلسفة ردا على فلسفة البؤس لبروتون تر محمد مستجير مصطفى دار الفارابي التنوير بيروت لبنان ط، 4،2010 ص 59،58

فكيف نستطيع أن نفسر هذه المرحلة الثانية للتبادل بمعنى القيمة السوقية مرفوعة الى قوتها الثانية؟ يمكن لبروتون Proudhon أن يجد إجابة جاهز، افترض أن انسانا قد اقترح على غيره من الناس، على مساعديه في مختلف الوظائف رفع القيمة السوقية الى قوتها الثانية.

وأخيرا جاء وقت أصبح فيه كل ما كان يعتبره الناس أمرا لا يباع ولا يشترى موضوعا للتبادل، للتجارة، وأصبح من الممكن نقل ملكيته. هذا هو الوقت الذي انتقلت فيه كل الأشياء التي كانت حتى ذلك الحين تنتقل ولا يجري تبادلها، تعطى ولا تباع، تكتسب ولا تشترى – الفضيلة والحب والقصيدة والمعرفة والضمير ،...وباختصار انتقل كل شيء الى التجارة ، إنه زمن الفساد العام والرشوة الكلية ، أو إذا تحدثنا بعبارات الاقتصاد السياسي ، الزمن الذي يجلب فيه كل شيء أدبي أو جسدي – بعد أن أصبح قيمة سوقية – الى السوق ليقدر بقيمته الصحيحة [1]

لقد أبرز الاقتصاديون جيدا الطابع المزدوج للقيمة، لكن ما لم يبرزوه بالوضوح نفسه هو طبيعتها المتناقضة، وتلك هي النقطة التي تبدأ منها نقدنا. وإنه لأمر يسير أن نلفت الأنظار الى هذا التباين المذهل بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية، التي اعتاد الاقتصاديون ألا يروا فيه إلا شيئا بالغ البساطة: ويجب أن نوضح أن هذه البساطة المزعومة تخفي سرا عميقا من واجبنا أن ننفذ اليه...وبعبارات فنية فإن القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية تتناسبان تناسبا عكسيا .

وكنقد لبرودون من طرف كل من سيسمو ندي، ولودريان يتمحور هذا النقد وحتى نبرئ ساحة الاقتصاديين من اتهامات Proudhon بروتون سنترك الحديث لإثنين من الاقتصاديين المعروفين سيسمو ندي إن ما انتهت إليه التجارة بكل شيء هو التعارض بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية [2] وهذا حسب ماأفضت اليه التطورات التي حصلت في التبادلات الاقتصادية مع التقلبات التي يشهدها السوق

[1] كارل ماركس بؤس الفلسفة، المصدر نفسه ص 62،61

[2] Sismondi : études .tome 2, page 162, Edition de Bruxelles

بشكل عام فإن الثروة القومية القيمةالاستعمالية تنقص بقدر ما تزيد ثروات الافراد بزيادة القيمة السوقية، وبقدر ما تنقص هذه الثروات بهبوط هذه القيمة فإن الثروة الأولى تزيد عموما[1]ومن خلال الخلط بين فكرتي القيمة السوقية والثروات القيمةالاستعمالية زعم البعض أن من الممكن زيادة الثروات عن طريق تقليل كمية الأشياء الضرورية أو المفيدة أو المناسبة للحياة [2]

ها قد رأينا قبل بروتونProudhonقد لفتوا الأنظار الى السر للتعارض والتناقض، فلنرى الآن كيف يفسر إن القيمة التبادلية لناتج ما تهبط بقدر ازدياد العرض إذا ما بقي الطلب على ما هو عليه، وبعبارة أخرى، كلما زادت وفرة ناتج ما بالنسبة للطلب هبطت قيمته التبادلية أو ثمنه،والعكس صحيح،كلما قل العرض بالنسبة للطلب ارتفعت القيمة التبادلية أو ثمن الناتج المعروض، وبعبارة أخرى كلما زادت ندرة المنتجات المعروضة بالنسبة للطلب ارتفعت أثمانها. فالقيمة التبادلية لناتج ما تتوقف على وفرته أو ندرته، ولكم دائما بالنسبة للطلب.[3] مثال خذ ناتجا هو أكثر من نادر، هو فريد في نوعه إن شئت، إن هذا الناتج الفريد سيكون أكثر من وافر، سيكون زائدا، إذا لم يكن عليه الطلب، أي إذا كان هناك طلب زائد عليه.

تلك حقائق نكاد نسميها مسلّمات إلا أننا كنا في حاجة الى أن نرددها هنا كي نجعل أسرار Proudhonبروتون قابلة للفهم.

" بحيث إنه إذا تتبعنا المبدأ حتى نهايته الأخيرة فإن علينا أن نصل الى أكثر الاستخلاصات منطقية في العالم، وهو أن الأشياء التي لا غنى عن استخدامها والتي تتوفر بكمية محدودة لا بد أن يُحصل عليها دون مقابل، وتلك التي تبلغ نفقتها الصفر وندرتها بالغة لابد أن تكون ذات ثمن لا يقدر".

---

[1] Lauderdale : recherche sur la nature et l'origine de la richesse publique : traduit par largentie de lavaisse paris, 1808.

[2] Ricardo : principe d'économie politique traduit par canstanio, annotes par J- BABTISTE-SAY PARIS. 1835 T 2 ; chapitre sur la valeur et les richesses.

[3] كارل ماركس بؤس الفلسفة المصدر السابق ص 65

وبعد أن عادل Proudhon بين القيمة التبادلية والندرة، وبين القيمة الاستعمالية والوفرة، فإنه يشعر بالدهشة البالغة حين لا يجد القيمة الاستعمالية في الندرة والقيمة التبادلية، ولا القيمة التبادلية في الوفرة والقيمة الاستعمالية. إذ يرى أن الممارسة لا تسمح بهاذين الطرفين ... وبعد أن يصور Proudhon الوفرة على أنها القيمة الاستعمالية، والندرة على أنها القيمة التبادلية وليس أيسر من إثبات أن الوفرة والندرة تتناسبان عكسيا –فإنه يطابق بين القيمة الاستعمالية والعرض، وبين القيمة التبادلية والطلب[1] ولكي يجعل نقيض الدعوى أكثر وضوحا فإنه يُحل تعبيرا جديدا **valeur,d'opinion** القيمة التقديرية محل القيمة التبادلية تصبح لدينا المعادلة التالية من ناحية المنفعة القيمة الاستعمالية، العرض والتقدير القيمة التبادلية الطلب فالثمن الناشئ عن هذه المعركة بين العرض والطلب بين المنفعة والتقدير لن يكون تعبيرا عن العدالة الأبدية .من الثابت أن الرادة الحرة للإنسان عي التي تولد التعارض بين القيمة الاستعمالية والتبادلية فكيف يمكن حل هذا التعارض طالما بقيت الإرادة الحرة[2] .

نستخلص في النهاية أن العرض والطلب يضعان الإنتاج والاستهلاك أحدهما في مواجهة الآخر، وإنما الإنتاج والاستهلاك القائمان على المبادلات الفردية. إن الناتج المعروض ليس نافعا في حد ذاته، فالمستهلك هو الذي يحدد منفعته وحتى عند الاعتراف بصفته كشيء نافع لا يمثل المنفعة وحدها. ففي مجرى الإنتاج تمت مبادلته بكل تكاليف الإنتاج مثل المواد الأولية وأجور العمال...وكلها قيم سوقية أما الطلب فلن يكون فعالا إلا بشرط أن تكون تحت تصرفه وسائل التبادل، وهذه الوسائل هي ذاتها منتجات، قيم سوقية.[3]

[1] كارل ماركس بؤس الفلسفة المصدر السابق ص 68،67

[2] كارل ماركس بؤس الفلسفة المصدر السابق نفسه ص 69

[3] كارل ماركس بؤس الفلسفة المصدر السابق ص 71

من الواضح، كما يقول ماركس أن القيمة التبادلية لا يمكن أن تنجم من القيمة الاستعمالية[1] لقد وضح آدم سميت بشكل غامض الفكرة التركيبية للقيمة... لكن فكرة القيمة هذه كانت عند آدم سميت حدسية تماما والمجتمع لا يغير عاداته استنادا الى الايمان بالحدس: فقراراته إنما تصدر استنادا الى الوقائع وكان لابد أن تعبر النقيضة عن نفسها بشكل ملموس وواضح وبدرجة أكبر، وكان جان بتيسته Say هو الناطق الرئيسي باسمها هذا هو تاريخ اكتشاف القيمة التركيبية عند آدم سميت حدس غامض، وعند جان بتيسته ساي نقيضه، وعند برودون الحقيقة المشكلة والحقيقة المشكَّلة ويبقى مذهب ريكاردو بمبدئه القائل القيمة النسبية للسلع لا تتمشى إلا مع كمية العمل اللازم لإنتاجها[2] فليست المنفعة هي مقياس القيمة التبادلية وأن تكن أساسية [3]، والاشياء حلما يعترف لها بمنفعة في ذاتها تستمد قيمتها التبادلية من مصدرين : من ندرتها ومن كمية العمل اللازمة للحصول عليها .وهناك أشياء تتحدد قيمتها بندرتها وحدها ، فلا يمكن لأي عمل أن يزيد كميتها ، ومن هنا فإن قيمتها لا يمكن الهبوط بها بزيادة وفرتها مثل التماثيل أو اللوحات النادرة ...وقيمتها لا تعتمد إلا على قدرة من يرغبون في حيازتهم وأذواقهم ونزواته وهكذا عندما نتحدث عن السلع وعن قيمتها التبادلية ،وعن المبادئ التي تحكم أثمانها النسبية فإننا لا نعني دائما إلا مثل هذه السلع التي يمكن زيادة كميتها بجهد الصناعة البشرية ،التي تشجع المنافسة إنتاجها ولا يعوقه أي عائق ويستشهد ريكاردو بآدم سميت انه المحدد الرئيسي للقيمة في كتابه ثروة الأمم.[4].

تسمح ظروف التصنيع الحديث والإنتاج الصناعي للعامل بأن ينتج، في يوم العمل المتوسط، أكثر جدا مما يلزم لتغطية نفقة وكلفة بقائه حيا. أعني أن جزءا فقط من يوم العمل يجب إنفاقه لإنتاج ما يساوي قيمة العامل الخاصة. إذا كان طول يوم العمل،مثلاعشر ساعات، وإذا كان العامل ينتج ما

---

[1] أنطوني جينز، لرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة ماركس ودوركا يم وماكس فيبر ترجمة يوسف شسش ا 1971 ص 53

[2] كارل ماركس بؤس الفلسفة المصدرالسابق ص 77

[3] David Ricardo principes de l'économie politique ;etc traduit de l'anglais par j s constancio ; paris , 1839 ;t 1 p 3

[4] كارل ماركس بؤس الفلسفة مصدر سابق ص 79-80

قيمته مساوية لقيمته الخاصة في نصف ذلك الوقت، فعندئذ تكون الساعات الخمس الباقية إنتاجا فائضا، يمكن أن يمتلكه الرأسمالي[1]

يسمي ماركس هذه النسبة بين العمل الضروري والعمل الفائض نسبة القيمة المضافة أو نسبة الاستغلالونسبة القيمة الفائضة كما في كل مفاهيم ماركس، تملك مرجعا اجتماعيا لا مرجعا بيولوجيا.

القيمة الفائضة هو مصدر الربح إذا أردنا الربح ، فهو التعبير السطحي المنظور عن القيمة الفائضة وهو شكل مقلوب من هذه القيمة، شكلٌ يلاحظ فيه أصل القيمة الفائضة وسر وجودها ثم يزولان. يواصل ماركس في تحليله لحقيقة القيمة المضافة عند حساب نسبة الربح يجب الرجوع الى كل من الرأس المال الثابت ورأس المال المتغير، إن نسبة المال الثابت الى رأس المال المتغير تكوّن التركيب العضوي لرأس المال، فإنها تجيء أقل من نسبة القيمة الفائضة وتحسب نسبة الربح بهذه المعادلة

الربح =القيمة الفائضة Xرأس المال المتغير [2]

الإنتاج المادي كأساس لوجود مجتمع

مفهوم الإنتاج وعلاقات الإنتاج:المجتمع على عكس القطيع الحيواني لا يوجد فقط بالتوافق مع البيئة الطبيعية واستخدام الوسائل المادية التي يخلقها ، لكنه أيضا يطوع الوسائل الطبيعية لتلبية حاجياته عن طريق تغيير خصائص الأجسام المادية التي خلفتها الطبيعة وتحويلها إلى أدوات مادية تحقق مطلب الإنسان في البقاء، وتحويل المواد الطبيعية إلى وسائل يحقق بها الناس الوفرة المادية يتم عن طريق العمل في الطبيعة بأدوات مصممة لهذا خصيصا هي أدوات العمل أو وسائله ، هذا التأثير الهادف على

[1] كارل ماركس المصدر نفسه ص 56

[2] كارل ماركس المصدرنفسه ص 56،57

الطبيعة وتحويل خصائصها لصالح المجتمع هو الإنتاج[1] ، وأهم عناصر الإنتاج هي أولا النشاط الهادف ثانيا مواد العمل ثالثا وسائل العمل.

هذه العناصر الثلاثة للإنتاج تلعب دورا هاما في إنتاج الوفرة المادية ومستوى تطورها يحدد طابع النظام الاقتصادي للمجتمع ودرجة سيطرة الإنسان على الطبيعة. على حدقول كارل ماركسMarx إنها ليست الأدوات التي صنعت ولكن كيف صنعت وبأي أدوات أخرى. هو ما يمكننا أن نميز بين الحقول الاقتصادية المختلفة ....

قوى الإنتاج في المجتمع:

أ /جوهر قوى الإنتاج هي عبارة عن: وسائل العمل والناس الذين يضعونها في التطبيق وينتجون الوفرة المادية بفضل خبرة الإنتاج المحددة ومهارات العمل تمثل قوى الإنتاج في المجتمع.

وإنتاج الوفرة المادية يتم عن طريق الناس، فالكائنات الإنسانية هي التي تؤثر في الطبيعة وتحول المواد إلى وسائل لإنتاج ضرورات الحياة، وبالتالي إن الناس الذين يسهمون في الإنتاج يجب إدراجهم ضمن قوى الإنتاج، فضلا عن ذلك فالناس هم قوة الإنتاج الأساسية في المجتمع، فهم مصدر الإبداع والجانب الحي من النشاط الإنتاجي.

ويؤثر الناس في الطبيعة لا بأيديهم العارية بصورة غير مباشرة، ولكن عن طريق وسائل العمل، وتعتمد الدرجة التي تتغير بها الطبيعة وكمية الوفرة المادية التي يتم إنتاجها اعتمادا أساسيا على وسائل وأدوات العمل المستخدمة، إذن فوسائل العمل أيضا تمثل جانبا من قوى الإنتاج فيجب أن نؤكد أنها قوى إنتاج لا بذاتها ولكن فقط عن طريق اتحادها العضوي مع الإنسان.إذن فقوى الإنتاج في المجتمع تعتمد ليس فقط على الناس اللذين يشاركون في إنتاج الوفرة المادية ووسائل العمل التي يستخدمونها ولكن أيضا على الخبرة في استخدامها ومهارة العامليين. وللتنظيم التكنيكي أو التقني للعمل،أيوضع

[1] غازي الصهواني، مدخل إلى الفلسفة الماركسية والمادية التاريخية، مجموعة من المؤبفين دار التقدم موسكو 1975 ص 73

الناس أثناء عملية الإنتاج وتقسيم الوظائف بينهم عوامل مؤثرة في قوى المجتمع الإنتاجية وكلما تقدم تنظيم العمل واستخدامه استخداما عقلانيا والانتفاع بوسائل العمل وقوة العمل كلما تعاظمت قوى الإنتاج في المجتمع [1]

إن الثورة الصناعية التي بدأت مع القرن التاسع عشر سرعان ما أثرت في تطور الصناعات الأخرى وبدأ العلم يلعب دورا متزايدا في الإنتاج. وفي مرحلة **العولمة** الراهنة تطور العلم بصورة غير مسبوقة خلال العقود الثلاثة الماضية وأصبح بالفعل قوة إنتاجية هائلة الى جانب وسائل الإنتاج ورأس المال. تتجسد هذه القوة من خلال الاكتشافات العلمية المعاصرة في علوم الذرة والفيزياء والهندسة الوراثية والاستنساخ والفضاء ...

علاقات الإنتاج: تعبر القوى الإنتاجية عن تلك العلاقة التي تربط الناس بالطبيعة ومستوى استجابة هذه الأخيرة لمصالح وطموحات الناس المرجوة، من خلال هذه العلاقة يدخل الناس في علاقات أيضا مع بعضهم، وهكذا فعملية الإنتاج هي الشرط الأساسي لوظيفة الإنتاج وتطوره، وتحول الطبيعة لخدمة مصالح المجتمع لا يبدأ إلا من داخل هذه العلاقات بفضل الروابط الاجتماعية القائمة التي تعبر عن الشكل الاجتماعي الذي في ظله يمارس الانسان تأثيره على الطبيعة ويحولها ويطوعها أو يلائمها.

وبالتالي فإن العلاقات التي تتشكل بين الناس في عملية انتاج وتوزيع واستهلاك البضائع المادية هي علاقات الإنتاج،كما أن علاقات الإنتاج التي تتشكل في عملية تبادل أنشطة معينة بين أعضاء المجتمع هي كذلك علاقات إنتاج، وهي على وجه الخصوص العلاقات بالنقود أو بالسلع في مقابل النقود.يرى أن الناس ليسوا أحرارا في اختيار قواهم الإنتاجية التي هي أساس تاريخهم كله. لأن كل قوة إنتاجية هي قوة مكتسبة نتيجة نشاط سابق. القوى الإنتاجية هي بالتالي نتيجة طاقة إنسانية

[1] غازي الصوراني المصدر نفسه ص 75

مطبقة... [1] وينتج عن هذا بالضرورة أن التاريخ الاجتماعي للناس هو تاريخ تطورهم الفردي حتى نصل في النهاية الى رد المجتمع الى الطبيعة والى إزاحة العقبات التي خلفها الوعي.

تعتبر فكرة الذات بالنسبة لماركس أيضا هي خصمه الفكري الأساسي . وبين الحاجات والارباح يرى ماركس أن كل ما يأخذ صورة المجتمع أو الشخصية ، نموذج المجتمع أو النموذج الإنساني هي ذاتية فردية أو جماعية كلها ما هي إلا حيلة للبرجوازية [2] .الحياة الاجتماعية ماهي إلا الصراع القائم بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية بين قوى الإنتاج والعلاقات الاجتماعية للإنتاج . فالاستغلال هو ما يدفعه الرأسماليين أجرا للعمل المنتج ما يعادل السعر الأدنى الضروري لإعادة إنتاج قوة العملوالضروري لبقاء العامل على قيد الحياة وهو ما يجعلنا أسرى منطق اقتصادي محكم لا يمكن للفاعل العمالي الجماعي أي الحركة العمالية أن تتدخل فيه .[3] وفي غمار القرن الذي سادته التاريخية يضع نتشه الصيرورة محل الوجود والفعل محل الجوهر ويمكن له ان يقول بالبراكسيس مع ماركس. إن قلب القيم الذي يعلنه يُستبدلُ بالتكيف مع النظام العقلي للعالم بمعنى تمجيد الإرادة والعاطفة.

إن نمو قوى الإنتاج المؤسَّسْ مع التقدم العلمي –التقني ينسف التناسبات الاجتماعية كافة، على أن الإطارالمؤسَّسْ يأخذ من هذا النمو فرض شرعيته والفكرة بأن علاقات الإنتاج يمكن أن تقاس حسب كمون قوى الإنتاج المطلقة من عقالها، تعترض من خلال أن علاقات الإنتاج القائمة تقدم نفسها بوصفها شكل التنظيم الضروري تقنيا لمجتمعٍ مُعَقْلَن. تبدي هنا العقلانية بمفهوم ماكسفيبر وجهها المزدوج: فهي لم تعد فقط معياراً نقديا بالنسبة الى قوى الإنتاج التي يمكن أن تتكشف أمامها القمعية الفائضة موضوعيا لعلاقات الإنتاج اللاحقة تاريخيا، وإنما في الوقت ذاته المعيار التسويغي الذي يمكن أن تسوغ على أساسه علاقات الإنتاج هذه بوصفها إطارا مؤسساتيا مطابقا لوظيفته[4].

---

[1] شبوتلين، النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة، دار الفرابي، بيروت 1981، ص 174

[2] آلان توران نقد الحداثة المصدر الأسبق ص 147

[3] المصدر نفسه ص 148

[4] يرغن ها برماس، العلم والتقنية، كأيديولوجيا، ترجمة حسن صقر منشورات الجمل، ، ألمانيا ط 1 2003 ص 46

نعم في العلاقة مع قابلية الاستخدام التسويغية تزال فاعلية "العقلانية " بوصفها معيار النقد، وتخفض الى وسيلة مصححة ضمن النسق وما يمكن قوله أيضا إنما هو على كل حال أن المجتمع مبرمج خطأً.

إن قوى الإنتاج يبدوإنها تدخل في وضعية جديدة مع علاقات الإنتاج على مستوى انطلاقتها العملية التقنية، إذ لم تعد تعمل من أجل كشف سياسي بوصفه أساس نقد شرعيات صالحة، وإنما تصبح ذاتها أساس الشرعية التقنية تساويالشرعية. وهذا ما يدركه **ما ركيوز**، على أنه الجديد على مستوى التاريخ العالمي[1] واليوم تتأبد السيطرة ويتسع مداها، ليس فقط بواسطة التقنية، وإنما كتقنية، وهذه تقدم للسلطة السياسية المتنامية، التي تأخذ في ذاتها مجالات الثقافة كلها، الشرعيةالكبرى.

في هذا العالم تقدم التقنية أيضا العقلنة الكبيرة لاحريةالانسان، وتبرهن الاستحالة التقنية في أن يكون الانسان مستقلا، بشكل حياته ذاتيا.

ذلك لان هذه اللاحرية لا تتبدى على أنها لاعقلانية، ولاحتى سياسية، وإنما على أنها خضوع للآلة التقنية التي توسع من مدى أسباب الراحة أمام الحياة، كما ترفع من إنتاجية العمل [2]

تحمي العقلانية التكنولوجية بهذه الطريقة قبل كل شيء قانونية السيطرة، في الوقت الذي تلغيها فيه، والافقالأداتي:يُحَوِلُ ذاته الى مجتمع شمولي بطريقة عقلانية. هذا التصور الذي مؤداه أن عقلانية العلم في العصر الحديث بمثابة تشكيل تاريخي، يدين هربرت ماركيوز Herbert,Marcus بالفضل فيه الى مبحث Husserl، هوسرل حول أزمة العلم الأوروبي والى مقولة هايدغر عن تدمير الميتافيزيقا الغربية. لقد أطلق أرنست بلوخ وجهة نظره في العقلانية المادية التي مؤداها أن *العقلانية المشوهة رأسماليا تسلب العلم وكذلك التقنية الحديثة طهرانية قوة انتاج خالصة.غير أن ما ركوز " يحول المضمون السياسي للعقل التقني الى نقطة انطلاق تحليلية لنظرية المجتمع في الرأسمالية المتأخرة.[3]

[1] يرغن هابرماس المصدر نفسه ص 47،46

[2] يرغن هابرماس المصدر نفسه ص 47

[3] يرغن هابرماس المصدر نفسه ص 48

التصور البديل لماركيوز حول النظرة الى الطبيعة تختلف عن النظرةالديكارتية النسقية الضيقة، نظرة مسالمة تحذوها علاقة تتجاوز السيطرة والاستغلال وتهدف الى أكثر من اتفاق بين طرفين يبتغيان المصلحة: لدى ماركيوز موقف بديل من الطبيعة، وإن كان لا يمكن أن يستقي منه فكرة تقنية جديدة، وبدلا من أن نعالج الطبيعة كموضوع تحكم تقني ممكن، نستطيع أن نعلجها بوصفها نقيض تفاعل ممكن. وبدلا من الطبيعة المنهوبة نستطيع أن نبحث عنها أخويا ،على مستوى تشارك غير كامل بين الذوات نستطيع أن ننسب الى الحيوانات والنباتات وحتى الصخور ذاتها ذاتية ما ونتواصل مع الطبيعة بدلا من أن نعالجها فقط تحت قطع التواصل[1]ومن ثم قوة جذب ذات خصوصية ،لكي نقول بالحد الأدنى ، احتفظت ، بتلك الفكرة بأن ذاتية ما لاتزال مرتهنة الى الطبيعة لا يمكن أن تتحرر قبل أن يكون تواصل الناس فيما بينهم حرا من السيطرة، بذلك يمكن أن يتعرف النوع البشري على الطبيعة بوصفها ذاتا أخرى ليس كما أرادت المثالية، تعرفها كآخر، وإنما نعرفها على أنها آخر هذه الذات.

يبدو أن كثيرا من الشكوك ساورت ما ركوز ذاته حول ما إذا كان من المعقول أن ننسب عقلانية العلم والتقنية الى ترسيمه في مواقع كثيرة من الانسان ذو البعد الواحد يعني التثوير فقط تغيير الإطار المؤسساتي الذي تبقى فيه قوى الإنتاج كما هي دون أن تمس.ومن ثم تبقى بنية التقدم العلمي التقني محافظا عليها ولا تتغير سوى القيم الموجهةعلى أنها قيم جديدة تترجم الى مهمات قابلة للحل تقنيا. وما هو جديد يمكن أن يكون وجهة هذا التقدم. غير إن معيار العقلانية ذاته بقي دونما تغير كعالم من الوسائل يمكن للتقنية أن تزيد من ضعف الانسان كما من قوته[2]. على المستوى الحالي يكون الانسان ربما أكثر غيابا عن الوعي من أي وقت مضى إزاء آلته الخاصة.

[1] يرغن هابرماس المصدر السابق ص 51

[2] يرغن هابرماس المصدر نفسه ص 52،53

تتحدد الرأسمالية من خلال أسلوب الإنتاج الذي لا يطرح هذه المشكلة فقط. وإنما يحلها وهي تقدم شرعية السيطرة التي لا يمكن أن تستجدى من سماء التراث الثقافي. إنما تنتزع من قاعدة العمل الاجتماعي ومؤسسة السوق التي يتبادل فيها أصحاب ملكيات خاصة بضائعهم بما في ذلك السوق الذي يبادل فيه الناس الذين لا ملكية لهم. قوة عملهم كبضاعة وحيدة، تعد بمعادلة تكافؤ علاقات التبادل.[1]

يأخذ العلم الحديث على عاتقه في هذا المجال وظيفة ذات خصوصية بالاختلاف مع العلوم الفلسفية من النمط القديم. تنطلق العلوم التجريبية الحديثة منذ أيام غاليلي من نسق مرجعية منهجي يعكس وجهة النظر التراسندنتالية للتحكم التقني الممكن. ولهذا السبب تؤكد العلوم الحديثة معرفة –**تكون**– بمثابة معرفة قابلة للتطبيق تقنيا طبقا لصورتها وليس طبقا للهدف الذاتي. وهذا ما كان بمثابة الجديد في أسلوب الإنتاج الرأسمالي بوصفه مجالا سابقا على الدولة ويشكل أساسا لها، عندئذ لا يلتقي كل من الدولة والمجتمع في علاقة. مثلما حددتها النظرية الماركسية في البنية التحتية والبنية الفوقية[2]. من ثم لا يمكن أن تتحقق نظرية نقدية للمجتمع بالشكل الحصري لنقد الاقتصاد السياسي.

كان نقد الاقتصاد السياسي حسب ماركس نظرية المجتمع البرجوازي فقط بوصفه نقد الإيديولوجيا لكن عندما تنهار أيديولوجية التبادل المشروع لا يمكن أن ينتقد نسق السيطرة مباشرة بالنسبة الى علاقات الإنتاج.

المبحث الثاني:النقد الإبستمولوجي لقضايا علم الاقتصاد

لقد شرع ما ركيوز*، في صياغة تحليله الماركسي ونظرياته النقدية بعد سيطرة النزعة التسلطية في العالم الغربي. وكان الدور الحقيقي الذي قام به ما ركوز هو تشريحه للواقع اللا إنساني والا عقلاني السائد في المجتمعات والأنظمة الشمولية، وتعريته لمجتمع الوفرة والرفاهية، الذي يدعي الحرية والعقلانية

[1] يرغن هابرماس المصدر السابق ص 62،-63

[2] يرغن هابرماس نفسه ص 68،67

والديموقراطية من أقنعته الزائفة، المعادية للحرية الإنسانية [1]. وفي هذا النطاق يجب ابراز فكرة الحرية من نافذة أخرى قد تفيدنا لتقريب الرؤى، فقد يكون الخوف من التخطيط والتكنولوجيا الاجتماعية محسوسا بشكل أكبر من قبل أولئك الذين يجزمون بأن هذه القوى لا يمكن مقاومتها ، وأنهم في حالة عدم الانخراط الشديد للناس فيها سيكسبون فرصا للاختيار الحر بين مسارات محتملة للأفعال من دون أن يقتصر الامر على تنفيذ خيارات محددة ومتوقعة سلفا وبين هذا و ذاك تكون الحالة الأخيرة هي المعبر عنها. ولكن ماذا لوكان الاختيار للمرء حرا بصرف النظر عن مدى صعوبة تحقيقه، فأين تكمن الخرافة هل بين الخضوع لواقع الحتمية تلك الخرافة المتولدة عن اعتقاد زائف والمتولدة عن خطأ بشأن طبيعة العلوم أو لواقع يكون فيها الاختيار متاحا وليس نمطيا . و العلم سوف يخضع للمساومة لا محالا إذا لم يقر بصدق مبدأ الحتمية[2].حاول **ماركيوز** أيضا من خلال نقده هذا أن يتبنى فلسفة جديدة للحضارةو يهدم تلك الأصنام والأفكار الشمولية والطاغية التي فرضتها سياسات المركزية الأوروبية وادعاءاتها أنها وصلت الى الكمال. والعمل على توسيعها لتشمل المجتمعات المجاورة التي تعيش داخل فلكها. وإن هناك من الشواهد ما يكفي للقول بأن حقوق الفرد المطلقة ليست سوى أسطورة وبأنه لا يمكن الفصل بين الفرد والمجتمع فبدايات الحضارة على حدِ قول كل من ماكس وبير وكوفيتش وكما لاحظ آخرون تمتد جذورها في التعاون والاتصال[3]. ومع ذلك فإن أساس الحرية كما فُهِم في الغرب يتمثل في وجود اختيار شخصي جوهري.وقد تم التشديد على الاختيار الشخصي الى أبعد مدى بوصفه شيئا مرغوبا فيه للغاية وقابلاً للتحقيق.

---

[1] فيصل عباس الفر ويديه ونقد الحضارة المعاصرة دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى 2005م ص 551

*هيربرت ماركيز 1979- 1898فيلسوف اجتماعي وسياسي،اشترك مع زملاءها لماركسيينا لجددم نأعضاء " مدرسةفرانكفورت " في تأسيس «النظريةالنقدية " وقام في الستينيات من القرن العشرين بدور المنظّر الملهم لليسا ر الجديد LaNouvelle, gauche وثورةالشباب والطلبة في أمريكا وأوروبا الغربية،

[2] هنري هاردي الحرية خمس مقالات عن الحرية تر ، يزن الحاج المركز القومي للترجمةا لقاهرة ط 2 2015 ص 25

[3] Pete Drucker ; The Age of Discontinuity ; (New York)M Harper and Row, 1968) p.276

وهكذا نستطيع أن نقف عند نقطة مهمة يمكن اعتبارها انعطافا إن صح القول في تاريخ الأمم الأوروبية يقوم أساسه على إيجاد المركب الموضوعي الذي تتلاقى عنده الماركسية، والتحليل النفسي ليتولد من لقائهما حرية الانسان وتكون بذلك نموذجا يقتدى به كنموذج موضوعي للعصر الصناعي التكنولوجي المجسد هو بدوره المشروع الثقافي الغربي[1].

تعتبر الحرية موضوع محوريا في كل تفكير فلسفي، وأساسا لقيم كثيرة أبرزها المسؤولية وعلى ارتباط متين بالكرامة الإنسانية كما أنها دعامة رئيسية أيضا في المجتمعات الليبيرالية خاصة. فكثيرا ما تتباهى الأنظمة السياسية لنيل الشرعية التمثيلية بمكب احترام الحريات الفردية والجماعية وتعتبرها من الحقوق الاجتماعية والفكرية إلا أن تأمل **إريك فروم و هيربرت ما ركوز** يخالف ما يشاع عنها. من خلال كتابه ايروس الحضارة 1900. [2] "اعتمد ما ركيوز على التحليل النفسي والفلسفة وعلم الجمال من أجل تحرير تلك القيود التي كانت تراقب الغرائز والنشاط الجنسي لدى الفرد لأنه ببساطة يشكل عائقا وأداة كبح لتبرير سياسة القمع الممنهجة لإطالة فلسفة القمع والسيطرة. كما أنه انتقد آليات السيطرة التي انتهجتها الحضارة الصناعية والتي ألغت دور الانسان في الرفض والتعبير والمناهضة فجعلت منه إنسانا ذا بعدٍ واحدunidimensionnel مستعبدا بصورة تدعو الى التشاؤم. لقد بين ما ركوز صنف جديد من القمع الا وهو القمع الزائد الذي طغى على كل أشكال الحضارية الذي ارتبط بمبدأ المردود التي تتصف به المجتمعات المعاصرة القائمة على الإنتاجية والتنافس."

لقد اشترط التنوير منذ قيام ثورته الأولى أن يسمو خطاب التقدم بعنصري (**العلم والسعادة** معا). تأتي السعادة تعبيرا عن تحرر شامل للإنسانمن ضغط الحاجة ،لذلك كانت القطيعة مع النظام اللاهوتي تشكل المدخل الأساسي الذي لابد من تحقيقه من اجل بناء نظام اجتماعي سياسي مطابق تماما للمبادئ العقلانية . [3] والاساس في تمركز الذات الأوربية عند الغرب إنما يرجع الى انحراف التنوير أو

[1] فيصل عباس الفرو يديه المرجع السابق ص 552

[2] جمال براهمة مقال الحرية بين الحقيقة وازيف قسم الفلسفة جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري .

[3] د فيصل عباس مرجع سابق ص 141، .142

انشطاره بين نزعة تقنية خالصة ولدت نظام الرأسمالية الذي لم يلبث أن استخدمها لأهدافه الطبقية والتسلطية وبين الهدف السامي الذي كان يحرك الطموح الغربي الأوروبي. وقد فرق كل من هورك هيمر وأدو رنو بين نمطين للعقل . فالأول تنويري تحرري يقوم على أفكار الحرية والسعادة .اما الثاني فهو العقل الاداتيInstrumentale الذي يستغل لتحقيق أهداف السيطرة والتسلط الشمولي في استعباد الفرد . ومن الواضح ان هذا العقل الاداتي المتمثل في التفكير العقلي والتقني السائد في الصناعة والإدارة الحديثة .فالنقد المعاصر يكشف اللعبة التي انخرط فيها المشروع الثقافي الغربي عندما راح يفصل بين الجانب القيمي من التقدم والجانب التقني.يرى**ماركيوز** في **هيجل** المجسِد الأكبر لإيديولوجية السيطرة في الحضارة الغربية عن طريق سيادة العقل. ذلك ان العقل يتكوّن وينمو من خلال نمو الوعي في ذاته عند الانسان المنتصر على الطبيعة وعلى العالم التاريخي، وهو ما يؤلف في الواقع مادة تحققه الخاص ...فتلك هي العدوانية المحولة نحو ذوات أخرى، بل كان اشباع الأنا يفترض علاقته السلبية مع أنا آخر.[1]

إن نمو الحضارة نحو التقدم في اختراع أدوات الإنتاج وتنويعها، وزيادة سلطة الانسان على الطبيعة كان يعاكس دائما وعود هذه الحضارة، حتى وصل الامر بالحضارة التكنولوجية المعاصرة الى محاولة القضاء على تلك الوعود بتزييفها نهائيا وإغراءها بالملذات الاستهلاكية، وانتزاع الايمان بإمكانية تحيق السعادة المرجوة، وعدالة اجتماعية حرة [2]. إن جنون التدمير الذي مارسه الغرب والدول الأوروبية خلال الحرب العالمية الأولى والثانية، بدّد التفوق العقلاني للغرب وهكذا قد شكلت أحداث القرن العشرين الصورة الصادمة لازمة فكرية عميقة. إن قدرة العلم والتكنولوجيا على تحسين الحياة الإنسانية تتعلق بشكل وثيق بالتقدم الأخلاقي الموازي عند الانسان. وبدون هذا التقدم الأخير تتجه قوة التكنولوجيا بكل بساطة نحو أهداف مدانة. والإنسانية تصبح أسوء مما كانت عليه سابقا فالعلم بدون ضمير

[1]. فيصل عباس المرجع السابق ص 143 .

[2]. صفدي مطاع، القوة القومية لوغوس، ايروس، الفكر العربي المعاصر، مركز الانتماء القومي بيروت 1986، عدد 42، ص 15.

ليس سوى هدم للنفس [1] ." إن النمو الاقتصادي الهائل الذي جعله العالم الحديث ممكنا، له أيضا جانبه الغامض لأنه عرّض البيئة جديا للخطر وزاد من إمكانية وقوع كارثة ايكولوجية على مستوى الكرة الأرضية وهذا ما أنبأ حتما وجعل من ادعاءات التقدم المرتكز على **العلم والتكنولوجيا** إشكاليات بالغة الأهمية."

إن ما يميز المجتمع الصناعي المتقدم الذي يخلق بها تلك الحاجات التي تتطلب التحرر بما فيها حاجة التحرر مما هو محتمل مريح ومفيدوتأييده في الوقت نفسه وتبرره قوة التدمير، والوظيفة الاضطهادية لمجتمع الوفرة، والرقابات الاجتماعية **كلها** تولِّد في ذلك المجتمع حاجة لا تقاوم الى انتاج واستهلاك ما هو زائد عن الحاجة. حاجة الى عمل مبلِّد لم يعد اليوم ضروريا[2]. فالحرية المنظمة من قبل يمكن أن تصبح أداة سيطرة قوية، فالحرية الإنسانية لا تقاس تبعا للاختيار المتاح للفرد وإنما العامل الحاسم الوحيد في تحديدها هو ما يستطيع الفرد من اختياره و معيار الاختيار الحر لا يمكن ابدا أن يكون مطلقا ولكنه ليس نسبيا كذلك كل النسبة. فالاختيار بحرية بين تشكيلة كبيرة من البضائع والخدمات لا يعني أن المرء الذي يختار هو كائن حر ما دامت **الرقابات الاجتماعية** تفرض طوقا على حياته الكادحة القلقة ومادامت نفسه هي مستلبة كذلك.[3]

إننا نواجه في هذا المقام واحدا من أكثر مظاهر المجتمع الصناعي المتقدم الذي يدعي للأسف للأسف طابا عقلانيا هو في الحقيقة بعيد عن العقلانية التي يرجوها أعلبية المستهلكين .

فهذه الحضارة منتجة ناجعة، قادرة على زيادة الرفاه وتعميمه على إضفاء صفة الحاجة على ما هو زائد عن الحاجة وعلى تحويل الهدم الى بناء. وبمقدار ما تُحوِل الحضارة القائمة عالم الشيء الى بعد للجسم والروح الانسانيين،" يصبح مفهوم الاستلاب بالذات إشكاليا. فالناس يتعرفون على أنفسهم

---

[1] فوكو ياما، فرنسيس: نهاية التاريخ والانسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين، مركز الانماء القومي، بيروت 1993، ص 40

[2] هر بارت مارك يوز الانسان ذو البعد الواحد تر جورج طرابيشي منشورات دار الآداب بيروت الطبعة الثالثة 1988ص 43

[3] هربرت ماركيوز المصدر نفسه ص 43،44

في بضائعهم، ويجدون جوهر روحهم في سيارتهم وجهازهم التلفزيوني الدقيق لاستقبال وفي بيتهم الأنيق وأدوات طبخهم الحديثة. إن الآلية التي تربط الفرد بمجتمعه قد تبدلت هي نفسها، والرقابة الاجتماعية تحتل مكانها في قلب الحاجات الجديدة التي ولدتّها".

إن التقدم التقني يجعل العقل خاضعا لواقع الحياة ويزيد من قدرته على تحديد عناصر هذا النوع من الحياة بصورة ديناميكية. وفعالية النظام تمنع الأفراد من أن يدركوا ويعوا عدم احتواءه غير العناصر التي تنقل سلطة المجموع الاضطهادية. الاستلاب يصبح إشكاليا عندما يتوحد الأفراد مع الوجود المفروض عليهم ويجدون فيه تحقيقا وتلبية.[1] وهذا التوحد ليس وهما إنما هو واقع. بيد أن هذا الواقع لا يعدو هو نفسه أن يكون سوى مرحلة أكثر تقدما من الاستلاب. فهو أصبح موضوعيا تماما. وباتت الذات المستلبة مُبْتاَعة من قبل وجودها المستلب. ولم يعد هناك غير بعد واحد ماثل في كل مكان وتحت شتى من الأشكال. والوعي الزائف قد أصبح امام محكمته الذاتية هو الوعي الصحيح. ولكن إذا كان الواقع قد امتص الأيديولوجيا فهذا لا يعني انه لم تعد هناك أيديولوجيا، بل يمكننا القول على العكس "ان الثقافة الصناعية المتقدمةأكثر إيديولوجية من الثقافة التي سبقتها لأن الإيديولوجيا تحتل مكانها اليوم في صيرورة الإنتاج بالذات. و مثل هذا القول يكشف النقاب على نحو مثير للمشاعر. فالجهاز الإنتاجي والسلع والخدمات التي ينتجها تبيع أو تفرض النظام الاجتماعي من حيث أنه مجموع."

إن وسائل النقل والاتصال الجماهيري وتسهيلات السكن والطعام والملبس والإنتاج المتعاظم لصناعة أوقات الفراغ والاعلام تترتب عليه مواقف وعادات مفروضة وردود فعل فكرية وانفعالية معينة تربط المستهلكين بالمنتجين ربطا منسجما بهذا القدر أو ذاك [2] وفي ذلك تنوعت إحداثيات الهيمنة وأصبحت التكنولوجيا هي القوة الحقيقية الحديثة التي عمت أرجاء الكون. وهو النموذج الأحادي لمضامين فكرية إعلامية لتُزيح المحتوى المحلي وإحلال محله ، إذ يتصور محمد عابد الجابري بأن العولمة

[1] هربرت ماركيوز المصدرنفسه ص 47

[2] هربرت ماركيوز المصدر نفسه ص 47،48

نزعة توسعية تهدف الة التوسع والهيمنة واحتواء العالم لتعميم انتاجها المرتبط بالرأسمالية .أما العالمية فهي تختلف في نظره من العولمة وتشكل الارتقاء بالخصوصية الى المستوى الإنساني العالمي وتهيئ الانفتاح على الفضاءات الأخرى للكون [1]. وعبر هذه الملاحظة فإن العولمة تأخذ صورة السيطرة والحجر على ممتلكات الآخرين في صفة هيئة استعمارية إمبريالية غير مرئية أحيانا. تستخدم الأفكار والصناعات الثقافية كحقل للصراع والمنافسة وللهيمنة. وفي المنحى نفسه تشير عواطف عبد الرحمن الى أن العولمة هي احتواء للعالم وفعل ارادي يستهدف اختراق الآخر وسبل خصوصيته الثقافية. بينما تعد العالمية تفتحا على ما هو كوني وعالمي تستهدف إغناء الهوية الثقافية[2] ."مما يتأكد أن العولمة نهايتها احتواء الثقافات الداخلية وخصوصياتها وفي ظلها تمارس فعل التنميط الثقافي لتوحيد اتجاهاتها."

التشيؤ: وصنمية السلعة:

يؤسس ماركس في مرحلته الفلسفية اللاحقة للفترة الليبرالية فترة الأطروحة وكتابات الجريدة الرينانية نظرية في الاستلاب مؤداها الانسان يعاني في مظاهر حياته كافة. ظاهرة كلية غير سليمة هي ظاهرة الاستلاب، تأخذ هذه الظاهرة مظاهر ثلاثة:

استلاب أيديولوجي، يتمثل في خضوع الانسان لعالم الوهم وانفصال ماهيته عنه، واستلاب سياسي يتمثل في انفصال عالم السلطة السياسية عن الانسان، واستلاباقتصادي يتمثل في تبعية العمل لرأس المال، وغربة العامل عن منتوج عمله وخضوعه للقوة الاجتماعية للمنتوج تلك القوة التي تتحول مباشرة من العامل الى المالك [3]والعلاقة بين هذه المظاهر هي علاقة سببية بمعنى أن الاستلاب الاقتصادي هو علة المظاهر الاستلابية الأخرى كافة،او أنها مشتقة منه وهناك ثلاثة عناصر يمكن

---

[1] نور الدين زمام، القوة السياسية والتنمية، دراسة في علم الاجتماع السياسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 146

[2] نور الدين زمام، المرجع نفسه ص 123

[3] محمد سبيلا مدارات الحداثة الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت ط1 2009 ص29

اعتبارها أساسا للعمل المستلب هي : الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، ثانيا : تقسيم العمل الذي هو نتيجة تطوّر " القوى المنتجة " ثالثا : تحول العمل الإنساني الى سلعة تسري عليها القوانين نفسها الى تحكم السلع الأخرى .[1]هذه العوامل الثلاثة (تحول الانسان وقوة عمله الى بضاعة وتقسيم العمل والملكية الخاصة هي الثالوث السببي للحالات السيكولوجية للاستلاب. والحق أن هذا التحول النظري الذي يعطيه**لوئالتوسير**،**Louis–Pierre–Althusser** مصطلحا سلبيا ووحيد الجانب هو: القطيعة الأبستمولوجيا يقدم تصورا جديدا عن المجتمع وعن الانسان والتاريخ، أو هو بداية تكّون المادة التاريخية. وما هذا التحول إلا انتقال الكائن النوعي الى الكائن الاجتماعي، ومن الاستلاب الى التشيؤ، ومن التحقق الذاتي الفردي للإنسان الى خلق الشروط الاجتماعية لفهم الانسان واستشراف آفاق تحرره[2] .

لقد سلم جورج لوكاتش،Geog–Lukacz بصحةمعظم التحليلات الماركسية البنيوية ولو بشكل عام وخاصة ما يتصل ببنية المستوى الاقتصادي. وقد اهتم هذا الاخير بالعلاقة القائمة بين المستويات الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية للبنية الاجتماعية. ولنتناول هذه المسألة فقد بدى من نظرية **صنمية السلعة Commodity–fetishism** التي عرضها ماركس في الفصل الأول من المجلد الأول من رأس المال 1967، وملخصها أن السلع المختلفة يمكن تبادلها ببعضها بواسطة النقود عادة إذ يمكن على سبيل المثال أن كتابين اثنين يعادلان خمس علب مرطبات ونحن نقوم بعمل مثل هذه المعادلة طوال الوقت إن كنا نعيش على دخلٍ محدود[3] لأن شراء سلعة من السلع يعني التخلي عن سلعة أخرى وهي ظاهرة يدعوها الاقتصاديون بتكاليف الفرصة.opportunity–costs.

أما الاقتصاديون التقليديون يفسرون كل معادلة وفقا لمبدأ العرض والطلب، أي مقدار السلعة المتوافرة وعدد الراغبين فيها. وهاتان القوّتان اقصد العرض والطلب حسب وجهة نظر هؤلاء تحددان الأسعار

[1] محمد سبيلا المرجع السابق ص 30،29

[2] محمد سبيلا المرجع نفسه ص 34،33

[3] إيان كريبت المرجع الأسبق ص 272

ومن هنا تمكننا من معادلة السلع المختلفة[1] .أما تحليل ماركس فيختلف عن ذلك ويرى أن السعر يعكس قيمة السلعة ولكن ذلك ليس دقيقا بالضرورة. وهو يفرق بين القيمة الاستعمالية وهي جانب ذاتي بحث. مثلا أنا أكره مشاهدة التلفزيون و أحب القراءة في حين أن صديقي على العكس مني والقيمة التبادلية هي قيمة سلعة معينة بالقياس الى سلعة أخرى ... أما النقطة الأساسية المتعلقة بصنمية السلعة فهي مقدار العمل اللازم بذله لإنتاج مختلف السلع وهو ما يحدد قيمة تبادل سلعة بأخرى. هذا المقدار من العمل إنما هو جزء لا يتجزأ من شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية. فتقسيم العمل في المجتمع أي الطريقة التي يوزع بها المجتمع قواه العاملة على مختلف المهام هو عبارة عن شبكة من العلاقات القائمة بين الناس[2].ونظام السوق في الرأسمالية يحول شبكة العلاقات الاجتماعية تلك الى شبكة من علاقات التبادل بين الأشياء، حيث تعكس القيمة النسبية للسلع المختلفة شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة بين الناس. وكلمة الصنمية..Fétichisme يمكن أن تستخدم في سياقين في اللغة الإنجليزية الأول بمعنى شيء جامد يعبده أفراد المجتمع وغالبا ما يُعتقد أن هذا الشيء به روح مقدسة. أما الثاني فهو بمعنى يثر الشهوة الجنسية رغم أنه لا علاقة له بالحياة الجنسية فهناك من تثيرهم الأحذية مثلا [3]. "تنبع كل دواعي الانحطاط من منطق اقتصاد السوق الذي أصبحت نسخته الأخيرة الديانة المسيطرة ديانة لا تستطيع أن تعلن عن اسمها الحقيقي فوجدانية السوق وعناصره كمكان للتبادل."

المجتمعات التي طبقت مبدأ تقسيم العمل منذ ما قبل التاريخ والتي شهدت المشاغل ومنتجات الصوان المنحوت لم تكن موجهة أبدا للاستخدام الشخصي وإنما لمقايضة احتياجات أخرى في الحياة.مثلما كان سوق القرية التقليدي حيث كان يحمل إليه البيض والدجاج والخضار لبيعها مبادلة مع بضائع

---

[1] ايان كريبت المرجع نفسه ص 272، 273

[2] المرجع والصفحة نفسها .

[3] المرجع نفسه ص 274

أخرى تنتجها الأداة أو المهارة لدفع أجور خدمات البيطار أو الحلاق. [1] "هناك اختلاق أساسي بين أشكال السوق المتعاقبة وهو وجود الوسيط أي **النقد** كقياس وفق قاسم مشتركو منتجات الاعمال المختلفة كما ونوعا، تبنى هذه الآلية على تراتبية اجتماعية وقيم أخلاقية ظاهرة أو مضمرة، وديانات نشأت خارجه ولم تبحث عن مبرراتها. وما تتصف به وحدانية السوق " في الواقع هذه الليبيرالية الشمولية هو احتقار حرية الانسان وابتزازه بالتالي عن بعده الذي يتميز به و هو أنه ليس نتاجا لقوانين الطبيعة، بل بالعكس إنه قادر على تكوين مشاريع ليست امتدادا بسيطا للماضي ولا نتيجة لغرائزه الحيوانية أو مصلحته الفردية." يقول آدم سميت: في كتابه أبحاث في الطبيعة وأسباب غنى الأمم إن الخطوط الكبرى لعالم الاقتصاد الحقيقي قد رسمت "لا" وفق خطة شاملة برزت من عقل منظم ثم نُفِذت من قبل مجتمع ذكي و إنما من خلال تراكم عقود لا حصر لها رسمت حشد من الأفراد أذعنوا لقوة غريزية دون وعي بالهدف الذي سيصلون اليه. وقد أورد روجي غارودي في كتابه الولايات المتحدة طليعة الانحطاط في الصفحة 17و18قول لميلتون أساسه إن التنسيق بين نشاطات ملايين البشر الذي لا يعرف أي منهم إلا مصلحته الشخصية دون توجيه مركزي، إن النظام الاقتصادي هو انبثاق. أي أنه ليس نتيجة مقصودة أو مطلوبة.[2] ليس أمام المرء في مجتمع معقد من اختيار آخر إلا أن يْكيف نفسه لما يبدو له أنها قوى عمياء للصيرورة التاريخية.

"أصبح ممكنا اليوم أن نسترجع مسار النمط الغربي للتنمية، منذ أن وقع الخطأ القاتل في توجه ما سمي بالنهضة، أي نمو حضارة الكم والتفكير الذرائعية والديكتاتورية وديانة الثروة. وهذا أوحى لميشال ألبرت Albert–Michelأن يكتب معنونا مؤلفه الرأسمالية ضد الرأسمالية سنة 1991إن الأمر المطلق أو الفعل الضروري بذاته هو إفراغ المسألة الفلسفية من القصدية " الغائية...."

---

[1] روجي جاروري، الولايات المتحدة طليعة الانحطاطتر مروان حمود دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع دمشق. ط، 1. 1998 ص 17

[2] روجي جارودي المصدر نفسه ص 18

إن كلا الاستخدامين مناسبان في هذا المقام فكما أن **الحياة الجنسية** عند البشر عملية اجتماعية في جوهرها متعلقة بالتفاعل مع شخص آخر، فهكذا **عملية الإنتاج**، ومثلما يتحول اتجاه النشاط الاجتماعي للجنس من البشر الى الأشياء، فإن نشاط الإنتاج أيضا تتحول وجهته في العلاقات التبادلية بين الأشياء. ونحن نتكلم هنا عن "السوق" كما أنه كائن حي يقوم بتحديد ما نقوم به. أي أن قوة تهيمن علينا[1].

ونلحظ هنا ثانية فكرة المستويات التي يتكون منها المجتمع، مستوى كامن من العلاقات الاجتماعية ومستوى ظاهر متعلق بعلاقات السوق، أي علاقات القيمة التبادلية التي تخفي حقيقة العلاقات الاجتماعية وتهيمن عليها. وفي اتجاه آخر خطى**لوكاتش** نحو مفهوم آخر لا يقل أهمية في كشف المخاطر المحدقة بالمجتمع في ظل قوانين السوق والتجارة والمنافسة. فهذا التحرر المزعوم في المجتمع الصناعي، كما يراه ماركيوز سبب انكماشا في الحاجات الغريزية بدلا من أن يكون عاملا على اتساعها وتطورها، و، والواقع أن هذا التحرر المزعوم يخدم القمع العام الراهن أكثر مما يناوئه [2]بذلك يرى "مارك يوز" أن المجتمع المعاصر يفرض قيودا متعددة على مبدأ اللذة. فيتنازل الانسان عن قسط كبير من حريته الجنسية، ويخضع لمتطلبات الواقع الاجتماعي. إن مبدأ اللذة يواجّه من خلال التلبية التي يأذن له بها المجتمع انكماشا، بهذا يعاني الفرد من الحرمان لتقلص مطالبه الغير قابلة للتوافق مع المجتمع القائم ،فاللذة من هذا النوع توَّلِدُ الخضوع.

"وفي نهاية المطاف نجد ماركيوز يبدي اختلاف واضحا فيما بعد مع آراء فرويد التي تدور حول آلية تصوره لحضارة القمع في المجتمع الصناعي المتقدم بغية تطويرها لا إلغائها. فقد جاء هذا الاختلاف بدءا من التطورات التكنولوجية الهائلة التي حدثت في تلك المجتمعات والتي عاصرها فيلسوفنا الثائر

[1] ايان كريبت النظرية الاجتماعية المرجع السابق نفس 274

[2] هيربرت مارك يوز الانسان ذو البعد الواحد مرجع سابق ص 110

ولاحظ نتائجها والتي لم يكتب لفرويد أن عايشها لأن القوة التي عاصرها فرويد كانت تفرض هذا النوع من التفكير حول القمع الحضاري الذي يمارسه الانسان."

إلا أن ماركيوز يرفض التفسير فيما يخص شكل هذا القمع فيما يخص هذا الموضوع لأنه ينطبق على المجتمعات السابقة التي كانت تعاني من ضيق نطاق الإنتاج، حيث يتم فيها تعبئة كل الموارد من أجل العمل[1]. ويحتم على المجتمع بالتالي تجاهل **الإيروس**لكنه يرى أن المجتمعات الحالية ظهر فيها ولأول مرة إمكانية الاستغناء عن القمع وإقامة حضارة لا ترتكز على الكبت. وهذا ما تجلى في المجتمع الصناعي المتقدم الذي أصبح قادرا على تحقيق قدرا هائلا من الوفرة عن طريق التقدم التكنولوجي وانتشار واسع للاستخدامات التكنولوجية مما نتج عن انتقال الى شكل جديد من أشكال الحضارة لا يعود فيه العمل الشاق ضروريا. بل يتفرغ الانسان على غراره لتحقيق طبيعته الحيوية مما يؤدي الى القضاء على نمط الاستغلال الممنهج سابقا وزوال شبح الاغتراب الذي تعرض له الانسان.وبالتالي نجد أن الإنتاجية الوفيرة لهذا المجتمع تكرس لصالح قواه الإنسانية التي تحقق له بدورها ولأول مرة في تاريخه الطويل[2]. "ويرى ماركيوز أن المجتمع الصناعي المعاصرلم يستغل هذه الوفرة الإنتاجية في القضاء على القمع والكبت الذي يعاني منه الانسان ولا في اشباع حاجاته الحقيقية بل لإشباع جشع المنتجين الى الربح والى المزيد من الإنتاج." فأصبح الكبت في العصر الحالي قمعا **إراديا** من صنع الانسان ليس كما وصفه فرويد كبت بحكم الضرورة الطبيعية، بمعنى آخر يرى ماركيوز بالمحصلة أن العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي التي تؤدي الى القمع السائد الآن، وهي تدفع المجتمع الى تطبيق أساليب معينة في توزيع ثروته .وتحتم سيطرة البعض على الآخر ".

إن التشيؤ هو تحوّل الصفات الإنسانية الى أشياء جامدة، واتخاذها لوجود مستقل واكتسابها لصفات غامضة غير إنسانية وهذه الفكرة تشكل نقدا أخلاقيا قويا للنظام الرأسمالي، يجعله نظاما يُحوِل البشر

---

[1] حسام الدين محمود فياض، نقد هيربرت مارك وز لمفهوم الحضارة في المجتمع الصناعي المتقدم مكتبة نحو علم اجتماعي تنويري – سيسيولوجيا بلا حدود 2018 ص 10

[2] فؤاد زكريا: هيربرت مارك يوز دار الفكر المعاصر القاهرة 1978 ص71

الى أشياء يمكن أن تباع وتشترى ويصبح المجتمع شأنه شأن الطبيعة وهكذا أصبح "المجتمع طبيعة ثانية " والتشيؤ يخلق لنا بنى اجتماعية خارجية يصبح بنو البشر دمى لها.[1]

كان تاريخ الانسان ولا يزال تاريخ لقمعه الاجتماعي والعقلي والجنسي، إلا أن العصر الراهن يقدم صورة رهيبة من صور القمع هذه، فالإنسان المعاصر، بالنسبة "لمارك يوز، مستوعب تماما في نظام من العقلانية الإنتاجية والاستهلاكية. ولا تكمن خطورة القمع، في أن الفرد فيه يفقد الوعي بأنه فاقد لحريته الاجتماعية والعقلية بل إنه فاقد للوعي الذي يحرمه من حريته الجنسية. فإمكانات المجتمع الصناعي المعاصر، (الذهنية والمادية) تفوق بكثير إمكانياته بالأمس.[2] والقمع في كذا نوع من المجتمع لدى ما ركوز يرتبط بعاملين:

العامل الأول: ربط الجماهير بالنظم السائدة من خلال خلق انتاجية وفيرة من السلع والحاجات وتعمد هذه العملية الى احتواء عقلي غريزي للطبقات الكادحة التي تشارك الطبقة المتوسطة العاملة في المجتمعات الرأسمالية حاجاتها واهتماماتها وتطلعاتها. هذه الحاجات التي منبعها يضرب أعماق البنية الغريزية للإنسان في ظل المجتمع الصناعي.

العامل الثاني: عامل تكنولوجي، فالسيطرة الاجتماعية هي سيطرة تكنولوجية وهي تفعل ذلك من خلال إخضاع الجماهير للتقسيم الاجتماعي للعمل كذلك من خلال خلق الوفرة المادية وبالتالي تحاول امتصاص كافة التناقضات داخل المجتمع " بحيث أن كل تناقض يبدو لا عقلانيا وكل معارضة تبدوا مستحيلة ومنعدمة. واعتمادا على منظورات سوسيولوجية لكل من ماركس، ويبر، ودوركا يم الراسخة الجذور في أفكار متشعبة عن البنية الأساسية ونزعة النمو في شكل المجتمع الحديث. يقوم تحليل ماركس للرأسمالية برمته على الصلة المفترضة بين توسع تقسيم العمل وإذن النتائج الغامضة المعقدة لأشكال الاغتراب من جهة وبروز البنية المستقطبة من جهة أخرى ويفترض وجود الطبقة

---

[1] ايان كريبة النظرية الاجتماعية المصدر السابق ص 274، 275

[2] فيصل عباس الفرو يدية المرجع السابق ص 573-574

البرجوازية طبقة خاضعة مؤلفة من العمال المحرومين من الملكية . ومن المفرقات العجيبة تاريخيا نجد أن النظام الاقطاعي لم يشهد انفصال تام بين القوى الإنتاجية سواءا الاجتماعي أو الاقتصادي. فالفرد يشارك علاقات المجتمع على عكس الرأسمالية التي تحول الفرد كعضو في مجتمع بالمعنى المجرد فقط الذي يملك حقوقا كمواطن في حقل سياسي منفصل .[1]

تجد فكرة تقسيم العمل عند ماركس من خلال الموضوع الرئيسي في تحليله للاغتراب مصدران مرتبطان الاغتراب في عملية العمل نشاط العامل الإنتاجي، والمصدر الثاني هو اغتراب العامل عن منتوجه أي عن السيطرة على نتيجة عملية العمل وحسب ماركس فإن كلا النوعين من الاغتراب **الاغتراب في عملية العمل، واغتراب العامل عن منتوجه لا يتجزآن من التوسع في عملية تقسيم العمل**.[2]* بينما تعتمد اقتراحات **دوركا يم** لإزالة أو إنقاص هذا الحرمان للعامل من انسانيته، على التمتين الأخلاقي للتخصص في تقسيم العمل، يأمل ماركس ويتوقع أن يتغير تقسيم العمل بصورة جذرية. لقد زالت صفة البشرية عن عملية العمل لأن الفرد العامل يملك فكرة واضحة عن وحدة الهدف التي تربط نشاط عمله بمجموع مسعى المجتمع الإنتاجي. وهذا الوضع يمكن علاجه بتزويد الفرد بوعي أخلاقي، لأهمية دوره الاجتماعية) في تقسيم العمل وعندئذ لا يعود فردا آليا مغتربا، بل جزءا نافعا من كلٍ عضوي ذو نشاط كائن ذكي لأن له اتجاها، ولأنه يعي هذا الاتجاه وفي

---

[1] أنطوني جدّنز الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة تر أديب يوسف شيش صحافة جامعة كمبريدج، سنة 2012 ص 223

[2] * تقسيم العمل : يعتمد بروز المجتمعات الطبقية في التاريخ على نمو التخصص في المهمات التي يصير ممكنا بوجود فايض في الإنتاج .وسوف تؤدي إقامة مجتمع لا طبقي، إذن الى زوال تقسيم العمل كم هو معروف في ظل الرأسمالية .وفي تصور ماركس لا ينفصل كل من اغتراب السوق الاغتراب الثقافي إذن عن تقسيم العمل : تقسيم العمل ليس سوى شكل المغترب من النشاط البشري ....وسوف يؤدي التغلب على تغرب السوق، من خلال إعادة تنظيم المجتمع الثورية ، الى عكس آثار تفتيت التخصص الذي يوّجه نشاطات الفرد ضمن حدود مهمة محدودة، لا يزوده بأية فرضة لتحقيق المدى الكامل من مواهبه ومقدراته في العمل أما دوركا يم فتقوده نظريته عن تقسيم العمل الى اتجاه آخر : مفاده أن النمو في تقسيم العمل هو على أساس النتائج المتكاملة للتخصص لا على أساس تشكيل أنظمة طبقية .ونتيجة لهذا ، يعالج دوركا يم الصراع الطبقي لا كأنه يزوّد أساسا لبناء المجتمع الثورية ، لكن كعرض لعيوب في التنسيق الأخلاقي لمختلف الجماعات المهنية ضمن تقسيم العمل، تقسيم العمل المفروض بالقوة منفصل الى حدٍ كبير عن تقسيم العمل " الفوضوي ويضيف دوركا يم أن سيطرة العلاقات الاقتصادية المتزايدة نتيجة تدمير المؤسسات التقليدية التي كانت العمود الفقري الأخلاقي لأشكال المجتمع السابقة هي سبب الازمة الحديثة الرئيس. على وجه الدقة

هذه الحالة نصل الى ربط تقسيم العمل بحرية الفرد [1] "ويبين ماركيوز أن الاستغلال والقمع الذي يمارسه المجتمع الصناعي قد اتخذ أساليب وصور مغايرة تماما عن الأساليب الأنظمة الاقتصادية السابقة من حيث أنه ليس قمعا مباشرا يمارس على حرية الانسان السياسية والاقتصادية فحسب بل تمت عملية الاختراق لعالمه الخاص والأكثر الحساسية ،حيث تجرأ ت هذه الأنظمة الإنتاجية الى البحث داخل الشعور واللاشعور لفئة كبيرة من المواطنين ومعرفة توجهات هؤلاء ومعرفة حاجياتهم الباطنية التي تحققت والتي لم تتحقق من أجل توفير الحاجيات المكبوتة."

إن عملية إحالة النشاطات الإنسانية الى أشياء واغتراب الانسان امتدت من المجال الاجتماعي الى الحياة الجنسية أيضا ذلك لأن الجنس أصبح هو الآخر وسيطا لوكالات الدعاية والاعلان بدلا من أن يكون تلبية لحاجة غريزية . [2] لقد صاغ ما ركوز مصطلح إزالة التسامي القمعي ,désublimation repressive ليوضح الأسلوب الذي أضحت به الجنسية أداة تعمل في خدمة النظام الاستغلالي وخاصة النظام الرأسمالي القائم . كثيرا ما أشرت يقول ماركيوز أن الحضارة الصناعية المتقدمة تعمل في اطار قدر كبير من الحرية الجنسية .ولكن لا تحقق ذلك إلا بقدر ما تصبح هذه الحرية قيمة بضاعيه...إن مستخدمات المكاتب " الفاتنات والبائعات الفاتنات والمدراء الشبان والرجوليين هم بضائع لها قيمة تجارية كبيرة [3].

" إن القمع الممارس على حرية الجنس لا يظهر بصورة قمعية تامة ولكن يتعامل مع الموضوع وفق القوانين السوق وما يستطيع أن يمنحه هذا القطاع من مردودية كسلعة رائجة وتقوم وسائل الدعاية بدور كبير في تضخيم صور نمطية للجنس وفرضها على أذواق الناس ."

[1] انطوني جندز ،الرأسمالية والنظرية الاجتماعية ،المصدر سابق ص 215

[2] فيصل عباس، المرجع السابق ص 579

[3] ماركيوز، المرجع السابق ص 110

والحق أن عقلانية المجتمع المعاصر وتقدمه وتطوره هي في مبدئها لا عقلانية فإنتاجيته تقضي على التطور الحر للحاجات والملكات الإنسانية.

"إن تعبئة الليبيدو وسياسته هاتين تفسران الى حدٍ كبير خنوع الافراد الارادي وغياب الإرهاب والتحقق المسبق للانسجام بين الحاجات الفردية وبين الرغبات والاهداف والصبوات التي يطلبها المجتمع ويفرضها، وإذا كانت الحضارة الصناعية المتقدمة تمتاز بالسيطرة السياسية والتكنولوجية على العوامل المتعالية في الوجود الإنساني فإن هذه السيطرة تتوكد أيضا في دائرة الغرائز وعليه تضعف عقلانية الرفض والاحتجاج."إن التلبية التي يأذن بها المجتمع ويرغب فيها ويشجع عليها تتمتع بلا أدنى ريب بمجال أوسع بكثير، ولكن مبدأ اللذة يواجه من خلال هذه التلبية انكماشا ويعاني من تقلص لحرمانه من المطالب غير القابلة للتوفيق مع المجتمع القائم. صحيح أن قوة المجتمع هي التي تفرض دوما التسامي والتصعيد، لكن ما يتجلى في الاستلاب انما هو الوعي التعيس لتلك القوة. إن الانا العليا بمراقبتها اللاشعور وبفرضها نفسها على أنها هي الشعور والوعي تراقب أيضا الرقيب، لأن الوعي المقيَّم عندما يكبت الفعل السيء والمحظور يسجل هذا الفعل على مستوى المجتمع لا على مستوى الفرد وحده. أما التلبيات التي يحققها مجتمع غير حر فهي تسبب على العكس من ذلك ضياعا في الوعي وتميل الى أن تخلق ضميرا سعيدا يقبل بمساوئ ذلك المجتمع. [1]ويضيف " نتشه" حينما يبني أفكاره على محور إرادة القوة إن كل كائن لا يتحقق إلا بإرادة القوة والتي يعتبرها فعلية تتحقق بالتمرد على القوالب الثابتة أو المفاهيم المجردة . فالمجتمع المؤسسي مثلا هو الواقع الخادع الذي أراد ان يقنعنا دائما بكونه الواقع الحقيقي ، وهو في النهاية سوى تجريد لذلك. لم يولد فكر الواقع الغربي إذ لطالما بقيت هذه المؤسسات قائمة فليس ثمة تجسيد لإرادة القوة إلا عبر ما يضادها بتعبير آخر فإن ثمة واقعا مكبوتا يُزيفُه واقع آخر مصطنع . ومن هذا المنطلق يشرع لنا **نتشه** القول

[1] ما زكوز المرجع السابق ص 112

بالوجود الحقيقي إنه ذلك الوجود الأصيل عندما تشعر فيه الذات بأنها قائمة بنفسها مسؤولة عن ذاتها وانه لا بد لها من ان تأخذ على ذاتها تبعات وجودها فالوجود الأصيل هو وجود يصنع ذاته"[1]

يتحدث ماكس شيلر،Max,Schiller عن الانسان الحديث الذي يعاني الغربة والانفصال في ظل ظروف لا إنسانية، تلك الظروف التي تفاقمت في ظل الثورة الصناعية، وأصبحت تمثل تهديدا كبيرا للأحوال في أوروبا. ويرى أن الإنسان الحديث هو إنسان ممزق انفصلت لديه المتعة عن العمل والوسيلة عن الغاية والجهد عن العائد. ففي ظل التخصص شديد التعقيد أصبح هذا الإنسان لا يرتبط في أداء عمله إلا بجزء صغير من الكل الذي يعمل من خلاله مما جعله يتحول الى مجرد **شذرة** إنسان لا قيمة له وسط الضجيج والأصوات التي تصدر من الآلة التي يديرها [2].

ويؤسس ماركس*[3] في مرحلته الفلسفية اللاحقة للفترة الليبرالية، فترة الأطروحة وكتابات الجريدة الرينانية) نظرية في الاستلاب مؤداها أن الإنسان يعاني، في مظاهر حياته كافة، ظاهرة كلية غير سليمة لتأخذ هي ظاهرة الاستلاب تأخذ هذه الظاهرة مظاهر ثلاثة:

1استلاب إيديولوجيتمثل في خضوع الإنسان للعالم الوهمي وانفصال ماهيته عنه ،2 واستلاب سياسي يتمثل في انفصال عالم السلطة السياسية عن الإنسان ، 3واستلاب اقتصادي يتمثل في تبعية العمل لرأس المال ، وغربة العامل عن منتوج عمله وخضوعه للقوة الاجتماعية للمنتوج ، تلك القوة التي تتحول مباشرة من العامل الى المالك .والعلاقة بين هذين المظاهر هي علاقة سببية بمعنى أن

---

[1] صفدي مطاع، نقد العقل الغربي، مركز الانماء القومي، بيروت، 1990ض 113

[2] فيصل عباس الاغتراب، الانسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني 2008 ص 38

*كارل ماركس فيلسوف ومفكر اقتصادي ألماني قال ذات يوم " يصنع الرجال بأنفسهم تاريخهم، ولكن في ظروف ليست من صنعهم هم – لم يكن الشيء الجوهري في دراسة التاريخ بالنسبة الى ماركس هو مجرد تذكر إنجازات الأفراد وآثارهم فقط، لكنه فهم للبنية التطورية للأشياء. وقد رأى في النظام الرأسمالي للعمل المأجور وتبادل المنافع، بنية مهيمنة ومحيطة تولد علاقات اقتصادية قائمة على الاستغلال بين الافراد والطبقات والأقاليم، وتحدد هذه العلاقات الاقتصادية بدورها كيف يفكر الناس، وتؤثر في الإيديولوجيات وأنواع السلوك السائدة. كان ماركس وإنجليز على الرغم من مجابهتهما وما تتصف به الرأسمالية من قوة تجرد العلاقات من جوهرها الإنساني وسيطرتها سيطرة شاملة يحدوهما الأمل في أنها، بسبب بنيتها، سوف تقوض نفسها لا محالة، ممهدة بذلك الطريق الى مجتمع جديد والتناقض... بين الإنتاج الاجتماعي، والتملك الراسمالي يظهر على السطح كتناحر بين العمال والبرجوازيين (مينيانيف نشوء الاشتراكية العلمي و ومبادئها دار التقدم موسكوص 27[3]

الاستلاب الاقتصادي هو علة مظاهر الاستلاب الأخرى كافة ، أو أنها مشتقة منه .العمل المستلب إذا هو على الاستلاب السياسي والاستلاب الإيديولوجي وهناك ثلاثة عناصر يمكن اعتبارها أساسا للعمل المستلب هي :

1 الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، 2 وتقسيم العمل الذي هو نتيجة تطورالقوى المنتجة 3 ثم تحّول العمل الإنساني إلى سلعة تسري عليها قوانين نفسها التي تحكم السلع الأخرى. إن هذه العوامل الاجتماعية هي التي توّلد حالات الاستلاب.[1]هذه العوامل الثلاثة الاجتماعية تحوّل الإنسان وقوة عمله الى بضاعة وتقسيم العمل والملكية الخاصة هي الثالوث الذي تسبب في حالة الاستلاب السيكولوجية لدى العامل.إن الإنسان بإعادة إنتاجه للطبيعة بفعل العمل الذي يمارسه عليها يحصل على البعد الشمولي للنوع. لكن العامل في النظام الرأسمالي بعيد عن أن يحصل على شمولية كينونته في الطبيعة وبعيد عن أن ينطبق على النوع ويتّحدد به، لذلك يجد نفسه مُزاحا بعنف عن الطبيعة ومعادا بقسوة إلى خصوصيته كونه كائنا بيولوجيا.[2]

والخلاصة هي أن هناك واقعا اجتماعيا مستلبا أركانه الثلاثة هي بضاعيه العمل وتقسيم العمل والملكية الخاصة، يُوّلِد حالات استلاب سيكولوجية تتمثل في شعور العامل بانفصال عمله عن ماهيته النوعية – من حيث –تحوّله الى أداة استنزاف لمجهوده.[3]

مصطلح الاستلاب أثري وهو ينتمي إلى مرحلة الوعي الفلسفي، ثم هو مفهوم يقوم على أساس تصور فلسفي تجريدي للإنسان أو تصور رومنتيكي للعمل الإنساني. وأخذ يستخدم هذا المصطلح بعد ان تخلى عنه ماركس، وأخذ يستخدم مفاهيم اجتماعية واقتصادية أكثر تحديدا هي فتشيه السلعة، واستغلال قوة العمل، وقانون الإفقار وقانون التراكم، وإنتاج فائض القيمة ...وبكلمة

[1] محمد سبيلا مدارات الحداثة الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت لبنان الطبعة الاولى 2009ص 30

[2] Jean –Yves Calvez. La pensée de Karl Marks .points politiques 38 ة Editions du seuil. paris1978 pp 141-142

[3] محمد سبيلا المرجع نفسه ص 32.

واحدة، فإن الانتقال من الاستلاب الى التشيؤ هو انتقال من التصور الفلسفي إلى تصور سيسيولوجيا واقتصادي ملموس.

ينحت لوكا تش لفظ ال تشيؤ، Réification " التشيؤ للتعبير عن نظرية ماركس الثانية حول الاستلاب أساس نظرية التشيؤ هو ما يدعى فتيشيةFétiche السلعة أو السمة السحرية للسلعة ، ذلك أن الموضوعات في نظام الرأسمالي تتحوّل مباشرة إلى سلع، أي إل موضوعات لا ينظر إليها من حيث قدرتها على إشباع وتلبية الحاجات الأساسية ، بل من حيث قيمتها التجارية وبعبارة أخرى، فإن نمط الإنتاج الرأسمالي يكسب جميع الموضوعات قيمة تبادلية ويباعد بين قيمتها والاستعمالية أي قيمتها المباشرة في إشباع الحاجات أي قيمتها بالنسبة الى موضوعات أخرى مقاسه بقيمة شاملة هي المال.

بابتعاد الإنتاج الرأسمالي عن الأهداف المباشرة أي إشباع الحاجات، وباتخاذه طابعا عاما تجريديا تكتسب جميع الموضوعات قيمة تبادلية معيّنة تحددها قوانين السوق أي قوانين العرض والطلب. [1]وبتحوّل الموضوعات الى سلع، أي الى أشياء، تصبح مستقلة عن الأهداف التي أنتجت من أجلها، بل تتحوّل ضد هذه الأهداف.

وترى الماركسية من منظورالمجتمع المدني إن الحياة في المجتمع المدني الذي يوجد في ظل نظام السوق الذي يسيطر عليه الرأسمالي هي حياة لا وجود لأي دور للفرد داخلها بحسب ماركس ، فالأفراد يسعون لجني أكثر ما يمكنهم من الربح وكل فرد يتصرف كفرد خاص يعامل الأخر كوسيلة ، ويحط من شأن نفسه الى مجرد الدور المنحصر في الوسيلة ، ومن ثم يصبح ألعوبة قوى السوق الغربية [2].

إن علاقة الأفراد ببعضهم البعض في المجتمع المدني الرأسمالي هي علاقة تقوم على أساس المصلحة وتحكمها الأنانية، والمجتمع المدني كما يقول ماركس هومجال للأنانية، إنه عالم الأفراد المتنافرين الذين

[1] محمد سبيلا المرجع السابق ص 35.

[2] قاموس الفكر السياسي: الجزء الثاني ص 205- 206

يعادي بعضهم بعضا، والانسان في المجتمع المدني هو إنسان أناني ينظر اليه باعتباره فردا منعزلا ومنكفئا على ذاته [1]

إن ما يربط الأفراد في هكذا مجتمع هي رابطة المصلحة والحاجة والضرورة الطبيعية، وغذا شئنا أن نبدأ مع ماركس بمناقشة مسألة الحقوق الأساسية فهي تقود بحسب ماركس الى واقع مناقض للجماعية، فحقوق الانسان في الإعلان الفرنسي لحقوق الانسان والمواطن، تدل عند ماركس على الحقوق الخاصة بالإنسان والمواطنالبرجوازي إنسان أناني منفصل عن بقية الناس والمجتمع فالإنسان في المجتمع البرجوازي، منطِو على نفسه وعلى مصالحه الخاصة ورغباته، فرد منفصل عن المجموع[2]. والحقوق التي أشار إليها ماركس كانت،الحرية،والملكية،والمساواة، والأمان ...

الحرية هي حق عمل أي شيء يريده المرء مادام لا يضر بالآخرين ، وحق الملكية هو التمتع بالثروة كما يريد بدون اعتبار للآخرين وباستقلال عن المجتمع وهذا الحق برأي ماركس أي حق الحرية ، لا يخرج عن كونه " حق الانسان في الملكية الخاصة ...تلك الحرية الفردية ، وهذا الاستخدام لها ، يشكلان أساس المجتمع البرجوازي ، إنها تترك لكل إنسان أن يجد في الإنسان الآخر حدود حريته وليس تحقيقها [3] ومن ثم فإن الحصول على الحقوق في مجتمع مدني تسيطر عليه علاقات السوق الناتجة من نظام رأسمالي ، يحول الى أشخاص يفكرون في أنفسهم على أنهم منفصلين عن كل شخص آخر في مجرى القيام بأي شيء يريدونه ما دام لا يضر بالآخرين ،ويكونون غير قادرين على إيجاد أساس لالتزام متبادل لتحقيق مفهوم مشترك عن الصالح العام ، والحقيقة أن البرجوازية كطبقة مسيطرة قامت أصلا على أنقاض النظام الإقطاعي وبالتالي قضت على كل أنواع العلاقات التي كانت تربط الانسان بالإنسانولم تبقي على أية رابطة بين الانسان وأخيه الإنسان سوى رابطة المصلحة البحتة والإلزام القياسي ب الدفع نقداُ ، وحولت الكرامة الشخصية الى قيمة تبادلية ، وبكلمة أحلت

[1] ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990 ص 78

[2] كارل ماركس حول المسألة اليهودية: ترجمة نائلة الصالحي، منشورات دار الجمل، ألمانيا ط 1 2003 ص 40

[3] كارل ماركس المصدر نفسه ص 39

استغلالا مباحا وقحا مباشرا وشرسا محل لاستغلال المغلف بأوهام دينية [1]بل إن هذا النظام ذهب الى أبعد من ذلك فهشم النواة التي يقوم عليها المجتمع " والبرجوازية نزعت حجاب العاطفية عن العلاقات العائلية وقصرتها على علاقات مالية بحتة وتصبح المشكلة الأساسية في هذا المجتمع ، حيث الناس منفصلون عن بعضهم البعض بهذا الشكل هي غياب الأسس الحقيقية ، لتحرر الإنسان ولتحقيق هذا التحرر لا بد من وجود مجموعة أخرى من الحقوق تتعلق بالمشاركة في إقرار السياسات العامة ، وحرية تبادل الآراء والحق بمطالبة المسؤولين بتعديل أفعالهم وهي ما أسماه ماركس " بحقوق المواطن " والحصول على تلك الحقوق هو الذي يمكن الأفراد من إقامة قاعدة للانخراط في **العمل العام** مع بعضهم البعض . [2] وقد ذكر ماركس إن التحرر الإنساني لن يكتمل الا عندما يستوعب هذا الأخير الفرد الواقعي ذلك المواطن المجرد بداخله ، وعندما يكون قد تعرف على قواه ونظمها ..بصفتها قوة اجتماعية ،هنا يشير ماركس الى كون الأفراد يمتلكون القدرة على صياغة مجتمع سياسي يلبي طموحاتهم ويمثل المصلحة العامة ، ويجب أن يتم تنظيمه بطريقة تسمح للأفراد بتشكيل وتنظيم الحياة الاقتصادية للمجتمع ويتم تنمية قدرات الناس والانخراط في انتاج السلعة . "المشكلة في أن الحقوق السياسية برغم من أهميتها وكونها خطوة مهمة وتقدمية إلا أنها لن تحقق التحرر الكامل المنشود ما دامت في ظل نظام رأسمالي، فبعد أن ظهر النظام الرأسمالي في المجتمع عقب انهيار النظام الإقطاعي ظهر شكل آخر للعبودية والاضطهاد، واختزال الصراع في المجتمع بين طبقتين هما البرجوازية والبروليتارية." فالتحول الذي حصل في العملية الإنتاجية والانتقال من الطوائف الحرفية والورش الى منظومة الإنتاج في المصانع الكبيرة ودخول الآلات العملاقة وما صاحبه من تقسيم للعمل هذا التغيير أدى الى ظهور علاقات جديدة بين العامل وصاحب العمل بصورة خاصة وكذلك الى ظهور طبقتين جديدتين وهما:

[1] كارل ماركس وفريديريك أنجلز البيان الشيوعي، ترجمة وتقديم محمود شريح، منشورات الجمل كولونيا – ألمانيا ط 1، 2000، ص 38

[2] كارل ماركس المصدرنفسه ص 43

طبقة الرأسماليين التي تحتكر جميع وسائل الإنتاج والمواد الأولية والأدوات الضرورية لإنتاج وسائل العيش وتلك هي الطبقة اتي درج على تسميتها ماركس ب طبقة البرجوازيين أو البرجوازية وطبقة المعدومين الذين لا يملكون شيئا وليس لديهم سوى عملهم للبرجوازيين لقاء الحصول على ما يسدوا به رمقهم ويبقيهم على قيد الحياة وتلك هي طبقة البروليتاريين أو البروليتاريا.

إن الحقيقة الأساسية التي يصبح عليها العامل العادي في مجتمع مدني خاضع للرأسمالية وأداة في يد الطبقة البرجوازية هي أنه " لا ينتج السلع فحسب بل نراه هو نفسه يتجول الى سلعة، فهو مجرد سلعة لأن قيمته الوحيدة تأتي عن حقيقة كونه لا يملك سوى عمله لبيعه لمن يمكن أن يستغله في تصنيع المنتجات [1] فتقسيم العمل هو أحد أهم الأسباب الأساسية التي أدت الى ظهور التناقض بين الفرد والجماعة وهو الذي يقود الى اغتراب،الانسان في المجتمع المدني الحديث، أما الاغتراب*[2] حسب المنظور ماركيوز 1898،1989 فلا تكاد تكون مقولات الاغتراب الإطار المرجعي لمعظم الأفكار التي يطرحها رواد النظرية النقدية ونواة مركزية لتحليلاتهم للمجتمع الرأسمالي والصناعي الحديث. فالمجتمع الصناعي يكشف عن اغتراب الانسان وتشيئه في ظواهر عديدة لأن الإنسان واقع تحت ضغط الآلات التي تفرض عليه ألوانا من السلوك النمطي تتجلى ظاهرة الاغتراب بجانب ذلك

---

[1] ستيفن ديلو، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني تر ربيع وهبة منتدى مكتبة الإسكندرية 2012 القاهرة ص 445

[2]* مصطلح الاغتراب من الفعل يغترب –من الجذر اللاتيني أينوس ألياسيو بمعنى ينتمي أو يخص شخصا أو مكانا أو شيئا آخر هذا الفعل اللاتيني مستمد في النهاية من لفظ اليوس الذي يعني الآخر سوآءا كاسم أو كصفة ، لوحظ تداول هذا المصطلح في الفكر اليوناني القديم كما يؤكد الكثير من المؤرخين برده الى كتابات أفل وطين والأفلاطونية المحدثة ،وتطور المفهوم في صيغ متنوعة وفي سياقات عديدة ويؤكد ريتشارد شاخت أن هيجل أول من فرض مصطلح الاغتراب الى مرتبة الأهمية الفلسفية أما ماركس فقد استخدم مصطلحات عديدة ومتنوعة ليشير الى خصائص الاغتراب ومختلف ظواهره ومعانيه ولكن المعنى الذي يعنينا هنا أكثر من غيره هو الذي يشير الى نزع إنسانية الإنسان وفقدانه استقلاله وضياعه في موضوع آخر مفارق لذاته وطبيعته الخاصة أي أنه أصبح غريب عن ذاته تماما بعد أن ضيع ذاته بشيء خارجي عنه وأصبحت طاقاته وفعاليته الخاصة كأنها لا تنتمي إليه بل الى قوة غريبة متعالية تمارس عليه سلطة استبدادية فهي حالة شاذة غير طبيعية تستدعي تحرير الإنسان لذاته منه واستعادتها وهذا هو المعنى الذي قصده ماركس أما هيجل فيتغلب على حالة الاغتراب بقيام مجتمع حقيقي تندمج فيه المصالح الخاصة والعامة ويظل المجتمع أو الانسان مغتربا ما لم ينعم بالحرية ، بعد هيجل بدأت النظرة الأحادية الى مصطلح الاغتراب أي التركيز على معنى واحد هو المعنى السلبي ص 125الى 131 من مجلة الكلمة الصادرة عن الكلمة للدراسات والأبحاث السنة 23، خريف2016 durturath2012@hotmail.Com
وكذلك ينظر ينظر: الى كتاب ريتشارد شاخت الاغتراب طرجمة كامل يوسف ص 67-68

في توحيد الحاجات البشرية وتقنين أنماط السلوك .يعتبر مارك يوز أنه من العوامل الرئيسية التي أدت الى الاغتراب في المجتمعات الصناعية المتقدمة هو سواد أسلوب معين من التفكير، يطلق عليه أسم العقل الأداتي[1]أو العقلانية التقنية، والتي هي في نهاية الأمر نوع من اللاعقلانية، فإنتاجية المجتمع لا تؤدي الى تطور الحاجات والملكات الإنسانية، بل تدمرها. كما أن سِلْمُ هذا المجتمع لا يتحقق إلا من خلال التهديد المستمر بشبح الحرب فالإنتاجية تنمو جنبا الى جنب مع الدمار، والبؤس الشديد يترافق مع الغنى الفاحش أما عمليات الفكر والخوف والأمل فقد أصبحت رهن قرارات السلطة القائمة [2].لقد كان لأنكساجوراس الفضل في اعتبار أن العقل هو النوسالذي يحكم العالم. ولكن الانسان لم يتقدم الى حد الاعتراف بالمبدأ القائل ان الفكر ينبغي له أن يحكم الواقع الروحي الا في هذه الفترة وحدها .. ومن ثم فقد كان ذلك فجرا عقليا مجيدا وكان عهد ا شاركت في الاحتفال به كل الكائنات المفكرة فلا شيء يعقل ما لم يكن نتيجة تفكيروقد أخذ الانسان على عاتقه ان ينظم الواقع وفق لمتطلبات تفكيره العقلي الحر بدلا من الاكتفاء بتشكيل أفكاره وفقا لنظام القائم والقيم السائدة.[3] وجاءت إمبراطورية نابليون فعملت على تصفية الاتجاهات المتطرفة ودعمت في الوقت ذاته النتائج الاقتصادية للثورة. ففسر الفلاسفة الفرنسيون في هذه الفترة تحقيق العقل بأنه إطلاق الصناعة من عقالها وبدأ الانتاج الصناعي قادرا على تقديم كل الوسائل اللازمة لإشباع الحاجات البشرية . كان سان سيمون في فرنسا يزجي المديح للصناعة بوصفها القوة الوحيدة القادرة أن تقود البشرية الى الحرية والى تكوين مجتمع عاقل، فالعملية الاقتصادية بدت على أنها أساس العقل [4].

إن الهدف الأساسي للنقد الفلسفي هو ان لا يضيع الإنسان في واقع مزيف، وان يخضع لأفكار ومعتقدات وانماط من السلوك يتوهم أنها أبدية أو مقدسة. أي أن النقد الفلسفي يهدف الى إيقاظ

---

[1] ستيفن ديلو المصدر نفسه نفسه ص 68

[2] جمال تالي الاغتراب من الفكر الفلسفي الى ما بعد الحداثة مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية العدد 16 2013 الصادرة عن كنوز الحكمة

[3] هيربرت مركوز الثورة والعقل ترجمة فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 ص 30

[4] المرجع نفسه ص 29

الوعي الإنساني وبعث القدرة على الرفض رفض القيم والتقاليد والتصورات التي من شانها ان تلغي حرية الإنسان وتقمع حقه في التفكير المستقل. وهذا يعني تأكيد سيادة العقل باعتباره الواقع الأصيل المقابل للواقع اللاإنساني الزائف[1]. وقدرة الفلسفة على النقد تجعلها في عملية صدام دائم مع رموز السلطة سوآءا أكانت هذه السلطة دينية أم سياسية أم سلطة الموروث القديم من العادات والتقاليد وأنماط التفكير، إن الفلسفة هي سلاح النقد وهي مقدمة ضرورية للنقد بالسلاح لتحويل المجتمع تحويلا ثوريا [2] إن تحليل العلاقة الدائمة بين أفكار التغيير أو ايديولوجياته المسيطرة وبين تطورات البنى الاجتماعية المادية يكشف دائما عن تلك الحركة الجدلية داخل المشروع الثقافي الغربي، بحيث يبدو تاريخه الحديث الذي انطلق من عصر التنوير. إنه لا يزال يتابع تنويرا دائما ومتشعبا بحيث يتميز هذا المشروع بقدرته المستمرة على الوعي بأحواله. ومع ذلك فقد حكم هابرماس 1929 على ذلك التغير الدائم بكونه أدّى الى الحداثة Modernité، التي ظلت مشروعا ناقصا.

ذلك ان التقدم العلمي الذي نادى به التنورين الأوائل منذ القرنيين السابع والثامن عشر ارتفق دائما بمعيار إنساني يتمحور حول زيادة حرية الفرد، وتحقيق العدالة والمساواة داخل المجتمع وبين مجتمعات الإنسانية كلها. فالتقدم اقتصر على نمو متزايد لنوع من العقلانية وحيد الجانب مثلته التقنية وتقسيم العمل الاجتماعي بحسب المنظور الرأسمالي. فكان ان انفصل العلم عن المعرفة بمعناها الأخلاقي والإنساني كما حلم بها رواد عصر التنوير[3].

النقد الاجتماعي في فكر مارك يوز:

لقد كان أعظم وأشهر نتاج لوضعية القرن التاسع عشر هو ذلك العلم الجديد الذي رأي فيه أوجست كونت خلاصة المعرفة البشرية السابقة، وهو علم الاجتماع، وكان هناك ارتباط وثيق بين

---

1 ماركيوز، فلسفة النفي، ترجمة مجاهد عبد المنعم، دار الآداب، بيروت 1971، ص 109

2 كير يليس نكو كور شوفا" ماهي الفلسفة؟ دار التقدم، موسكو 1990، ص 54

3 صفدي مطاع، نقد العقل الغربي، ة مركز الانماء، بيروت 1990، ص 71

مفهوم علم الاجتماع، كما تصوره كونت، وبين هدف الفلسفة الوضعية، ... فالمجتمع الإنساني ينبغي أن يدرس بنفس الأساليب الدقيقة المضبوطة التي تدرس بها العلوم الطبيعية، ولكن قليلا من التعمق كفيل بأن يكشف، من وراء هذه الغيرة المتحمسة على المضي قدما بدراسة الانسان، عن سعي خفي الحيلولة دون وقوع أي تغيير ثوري في نظام المجتمع [1]:..إذ أن المطلوب في دراستنا للمجتمع، أن نحذو حذو العالم الطبيعي ، ومن المعروف أن العالم الطبيعي لا يخترع شيئا ولا يغير الظواهر التي يبحثها ، بل يكتفي بتسجيل ما هو موجود منها ، وتحليل الظواهر التي تسلك بها هذه الظواهر. وهكذا ينبغي أن يكون الحال في أية دراسة " علمية أو وضعية*[2] للمجتمع البشري. من هنا فإن الوضعية تعارض كل ميتا فيزياء وكل مذاهب التعالي والمثالية بوصفها أنماطا متخلفة ورجعية من أنماط الفكر. وبمقدار ما يعقل العلم الواقع المعطى ويحوله، وبمقدار ما يصبح المجتمع مجتمعا صناعيا وتكنولوجيا، يصبح هذا الأخير بالنسبة الى المذهب الوضعي الحد الأوسط أو الوسط الجامع الذي يتيح له أن يحقق مفاهيمه ويتحقق منها[3]، ومن هنا كان الانسجام بين النظرية والممارسة، بين الحقيقة والوقائع.

إن عالم الأشياء والسلوك الذي شرع يعبر عن نفسه من خلال مذهب سان–سيمون هو عالم الواقع التكنولوجي. وقد حول هذا الواقع العالم الموضوعي الى عالم أدوات وأن جزءا مما بقي خارج العالم الأداتي – الطبيعة العشواء أضحت اليوم في متناول التقدم العلمي والتقني، وسقوط هذا العالم تحت النزعة العقلانية الضيقة بذلك فُقد التأمل مما قلص التفكير النقدي الفلسفي الأصيل المنفصل عن العلوم نتيجة عدم نجاعتها، والحقيقة أنها إذا كانت قد انفصلت عن الواقع، فهذا لأنها تخشى أن تحالفه العلم بالطبع[4].

---

[1] د فؤاد زكريا هيربرت ما ركوز دار الفكر للنشر والتوزيع ميدان الجمهورية القاهرة ص 31-32

*[2] إن مصطلح الوضعية " Positivisme "مشتق في اللغات اللاتينية من «الإيجابي" positif والعلاقة بينهما معنوية بقدر ماهي لغوية وقد وظفه سان سيمون لأول مرة وهو يشير: التحقق من صحة الفكر العرفاني عن طريق تجربة الوقائع. واتجاه الفكر العرفاني نحو العلوم الفيزيائية بوصفها نموذجا لليقين والصحة والدقة والاعتقاد بأن تقدم المعرفة منوط بذلك الاتجاه.

[3] هيربرت ما ركوز المصدر السابق 1988ص 197

[4] هيربرت ما ركوز المصدر نفسه ص 197-198

كان القهر مازال، حقيقة أساسية من حقائق المجتمع البشري، غير أن أشكال القهر قد اختلفت باختلاف العصور، ويمكن القول أعجب أنواع القهر وأقواها تسلطا هي تلك التي ظهرت في عصرنا الحالي، ففي العصور الماضية كان يمارس القهر والسيطرة طاغية أو حاكم مطلق، يعترف صراحة بان تصرفاته لا تقوم على أساس من العقل أو المنطق بل على أساس من الانفعالات الوقتية العابرة.

أما في المجتمع الصناعي الذي بلغ أقصى درجات تقدمه في البلاد الرأسمالية الكبرى، ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية فإن الطغيان يمارس على أساس من المعقولية التامة، وفي ظل الحساب الدقيق لكل الظروف والاحتمالات، دون أن تتدخل فيه نزوات حاكم مستبد أو أهواء سلطة عنيدة.[1]،ان المجتمع الصناعي الحديث، الذي يقتضي تنظيما إداريا بالغ الدقة والإحكام، يسيطر على الانسان بنفس أساليب الإدارة المحكمة التي تسيطر بها على عملية الإنتاج وتترتب على هذه السيطرة أنواع من الاغتراب العقلي والثقافي، وتشكل دعامة أساسية للسيطرة الاقتصادية[2]. " فالإنسان الحديث يُستعبد باسم العقل —نفس العقل الذي يقوم بتنظيم الإنتاج وتوزيعه في العالم الرأسمالي وإذا كان الاستعباد قائما على العقل، مرتبطا بالازدهار الاقتصادي الذي تتمتع به المجتمعات الصناعية المتقدمة، فقد غدا لأول مرة في تاريخ البشرية استعبادا مقبولا بل استعبادا يحرص عليه، ويدافع عنه ضحاياه أنفسهم. ذلك لان هؤلاء الضحايا هم الذين يستهلكون منتجات المجتمع الصناعي، ومن تم فإنهم هم الذين يحافظون عليه، ويعملون على ضمان استمراه. "وهكذا يرتبط القهر المتزايد بالارتفاع الكبير في مستوى المعيشة في المجتمع الصناعي المتقدم بعد أن كان من قبل يرتبط بالفقر والعجز عن تلبية الحاجات الضرورية، كما يرتبط ذلك القهر بسيادة العقلانية، بل وبالسعي الى الحرية، وكأننا هنا إزاء مظهر من مظاهر دهاء العقل وخداعه ، على نحو تحدث عنه هيجل، فالعقل يخدع ذاته ويقع في شراك نصبها لنفسه حين يجعل من التنظيم العقلاني وسيلة لممارسة الاضطهاد على ضحايا يقبلون

[1]. فؤاد زكريا المرجع السابق ص 43

[2]. فؤاد زكريا المرجع نفسه ص 43-44

اغترابهم عن طيب خاطر، ويعملون بإخلاص على دعم الظروف التي تزيد من اضطهادهم، وحين ينظم حكم الحرية على نحو يقضي فيه تماما على أي احتمال لظهور الحرية [1].

يقوم النظام الرأسمالي على أسس معينة، تكشف بدورها العناصر الأساسية لهذا النظام. غير أنه في مجال التطبيق العملي يكشف هذا النظام أيضا عن مبادئ ومراحل معينة من التطور، ومن أبرز صفات هذا المجتمع الصناعي المتقدم هي قدرته الفائقة على امتصاص قوي السخط والتمرد في داخله وتحويلها الى قوى تعمل على إبقاء الوضع القائم وتجد لنفسها مصلحة في استمرار هذا الوضع. بحيث لم تعد الطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي، أداة أو واسطة للتغيير الاجتماعي من خلال تحول المعارضة العمالية الى مستهلكين[2] ، ولذلك تكون لهم مصلحة في استمرار النظام لأنه يلبي حاجاتهم الأساسية ويخلق فيهم حاجات مصطنعة وبذلك تكتمل حلقات التاريخ دورة كاملة.

إن المنتجات ذاتها ووسائط الاعلام الجبارة والسلع المخصصة للمسكن والملبس والمأكل وأدوات الترفيه البارعة. تحمل معها الحاجات وعادات مفروضة مقدما وتؤدي الى استجابات ذهنية وانفعالية تربط المستهلك بالمنتج وبالمجتمع ككل. تسيطر المنتجات وتبث عقيدة معبئة تبعث وعيا زائفاً لا يدرك أحد زيفه. وبانتشار نفع هذه المنتجات بين طبقات اجتماعية أوسع تصبح عقيدتها أسلوبا في الحياة [3]. أما الطبقة العمالية فإن التغيير الذي يطرأ عليها في المجتمع الرأسمالي المتقدم أخطر بكثير. فمن المفروض أن تقوم الطبقة البروليتارية بمطالب اجتماعية لنوع الاقصاء المضروب عليها من طرف مالكي وسائل الإنتاج وهذا ما لم يحدث نتيجة قدرة هذا النظام على تحقيق نوع من الاستقرار يجنبه الأزمة والتقلبات المفاجئة[4] . وكان ذلك واضحا منذ اللحظة التي دخلت فيها الرأسمالية مرحلة الاحتكار حين حل التنافس المنظم محل التنافس العشوائي الحر وسيطرة منطق الكارتل مع اندماج الخبرة المالية

---

[1] فؤاد زكريا المرجع نفسه ص 46

[2] فؤاد زكريا، هيربرت، مارك يوز: كراسات الفكر المعاصر دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1978 ص 47

[3] فؤاد زكريا المرجع نفسه ص 39

[4] فؤاد زكريا المرجع نفسه ص 51- 52

والخبرة الاقتصادية بين رجال السيادة ورجال الاعمال. وهكذا حل النظام المستقر الذي يسيطر عن طريق الاقتصاد على كافة مرافق الحياة هذا من جهة ومن جهة ثانية تأثير التكنولوجيا الحديثة التي أدخلت على العمليات الإنتاجية كما ونوعا على حساب جهد العامل ومصيره مما أدى بالتقليل من دورهم ومجهودهم الجسدي ما أفضى الى بروز العمل المكتبي بجانب العمل اليدوي بين أصحاب الياقات الزرقاءles cols bleus وأصحاب الياقات البيضاء.les cols blancs .ففي المصنع الذي تدار آلاته بطريقة التسيير الذاتي ال أتممهAutomation،لا يعود ذلك العامل الكادح الذي يشعر بوجوده الجسمي وشقاءه جزءا لا يتجزأ من حياته، ولزاما عن ذلك تفقد حماسه وتنطفئ داخله كل محاولة لرد الاعتبار.[1]من نتائج سيطرة النظام على الحياة الاجتماعية يقسم ماركيوز Marcus هذا الواقع الى مستويين:

1: المستوى الواعي: يمتاز بمعيشة مرتفعة تساعد وهو أن يشتري العمال منتجات المجتمع الرأسمالي باعتبارهم أدوات، وكيف أصبحت عملية الإنتاج، التي ترفع مستوى معيشتهم، هي نفسها العملية التي تعمل على زيادة خضوعهم له.

2: المستوى غير الواعي: يمتاز بمساهمة التكنولوجية الحديثة بإنتاج نوع خاص من الثقافة تعمل بدورها على ترسيخ مبادئ الاقتصاد الليبيرالي المتوحش من خلال نشر قيم الرضوخ والاستسلام من خلال برامج يومية في أوقات الفراغ والترويج الى المعاني التحذيرية وبثها في نفوس العمال مما يترتب علية اضعاف موقفهم بحيث يختفي نهائيا[2].

فمع نجاح الحضارة الصناعية المتقدمة وانجازاتها والمعالجة الفعالة للإنتاجيةالمادية والعقلية حدث تبدل في مكان الأسطورة الذي فرض تضليله الأسطوري على المجتمع متمثلا في التقنية التي اشتمل عليها الانتاج من خلال استعمال الآلة وقد اقتحم هذا التضليل الأسطوري كل وسائل الدعاية المعرضة التي

[1] فؤاد زكري المرجع نفسه ص 53

[2] فؤاد زكريا: المرجع نفسه ص 54

تمارس تأثيرها على نحو روتيني في البيت والمخزن والمكتب[1] يقول هربت شيلر حالما تبدأ عملية السيطرة فإنها تمتد الى جميع الشبكات المؤسسة في المجتمع الذي يخضع لها،. وبما أن العينة الأساسية لمؤسسات التنشئة الاجتماعية وثيقة الترابط والتشابك فإن تدفق تيار في احدى القنوات سرعان ما ينتقل الى غيّرها أو يسعى الى أن يجد فيها دعما. ويضيف قائلا عن دور الشركات الرأسمالية متعددة الجنسية في تلك السيطرة الإعلامية: تنظم هذه الامبراطوريات التجارية العدوانية السوق العالمية بأفضل ما تستطيع وإن كان ذلك يتوقف بطبيعة الحال على القيود القانونية الوطنية ، وعلى مستويات اقتصادية وتعزيزا للحفاض وضمانا للأسواق العالمية وللربح تهيمن قدر الإمكان على المجال الثقافي والإعلامي كشرط دائم ينبع من نظام السوق بمنطق الهدية والمكافئة[2].

لا شك أن ما كتبه شيلر يعد قليلا بما تشهده الأجهزة الإعلامية المسيطر عليها تماما لا من خلال التأثير أو التوجيه فقط ولكن من خلال الامتلاك الكامل وفرض الامر الواقع.

في خضم خدمة أولئك الذين يملكون القوة والحقيقة وهم أولئك الذين يملكون المجتمع تظهر للعيان مجموعة متخصصة يجب تلقينها قيم ومبادئ هؤلاء الأقلية.يوجز تشو مسكي عشرة استراتيجيات للسيطرة: الاستراتيجية الأولى هي:

الالهاء: وهي تهدف الى التشويش ولفت انتباه عامة الناس عن مصالحهم الحقيقية من خلال اذكاء الفوضى وتركها تتسع لطلب النجدة من العامة.

التدرج: لكي يتم قبول اجراء غير مقبول يجب أن يتم بصفة تدريجية.

التأجيل: وهي طريقة يتم الالتجاء اليها من أجل إكساب القرارات المكروهة القبول وحتى يتم تقديمها كدواء.

---

[1] هيربرت ما ركوز المصدر السابق 1988 ص 209

[2] محمد إبراهيم مبروك: نقد الليبيرالية واستعبادها للشعوب، مركز الحضارة العربية ، القاهرة، ط 1، 2014 ص 372، 373

مخاطبة الشعب كمجموعة أطفال صغار، والاستراتيجية السادسة: استثارة العاطفة بدلا من الفكر استثارة العاطفة هي تقنية قديمة تستعمل لتعطيل الحس النقدي، أما السابعة: إبقاء الشعب في حالة جهل وحماقة والعمل دائما، والاستراتيجية الثامنة، تشجيع الشعب على استحسان الرداءة والابتذال، أما التاسعة: تعويض الرفض والثورة بالإحساس بالذنب وجعل الفرد يظهر بمظهر المسؤول عن الخطأ، أما العاشرة وهي الاستراتيجية الأخيرة: وهي معرفة الأشخاص معرفة دقيقة وشاملة وهذا الدور تقوم به المخابرات [1].الحرية والفردية ومبدأ التوافق التلقائي بين المصالح الفردية والمصلحة الاجتماعية. ولهذا فإن الفردية تقترن دائما بالحرية والإيمان بالفردية إيمان بضرورة تحقيق أقصى سعادة للفرد، وإن كان علم الاقتصاد لا يتيح مقياسا موضوعيا للسعادة أو الألم. بينما مبدأ التوافق التلقائيفإنه يفصح على أن التعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة لا يمكن أن يتحقق في ظل النظام الرأسمالي، إذ أنه مادامت الجماعة الإنسانية تتكون من عدد من الأفراد فإن مصلحة الجماعة بطبيعتها هي محصلة المصالح الذاتية للأفراد. كما أن القوانين التي تحكم النظام الرأسمالي، إنما تشتق من النظام الطبيعي الذي يحيل أنانية الحوافز الإنسانية الى الخير العام وبعبارة أخرى فإن سلوك الإنسان تحفز إليه نزعات طبيعية، كالأثرة وحب النفس، كما تحفز إليه نزعات طبيعية أخرى كالرغبة في العمل والشعور بالفضيلة والعطف على الغير.[2]

وهكذا كان هذا النظام الذي يصدر عن الميول الطبيعية للإنسان وإذا كان هذا النظام لا ينتج آثار الطبيعة في بعض المواقف فذلك راجع عن تداخل الأنظمة الوضعية في سيره التلقائي الرتيب

ومن المعلوم ، فإن أنصار المذهب الحر والنظرية الاقتصادية الكلاسيكية يقرون على اعتبار النظام الرأسمالي يفوق أي نظام صنع من طرف الإنسان، ولقد "عبر آدم سميت إن الإنسان تحركه يد خفية إلى تحقيق غرض لم يكن من مقاصده وذهب أبعد من ذلك قائلا "إن الفرد يحقق مصالح الجماعة

[1] محمد إبراهيم مبروك: نقد الليبيرالية واستعبادها للشعوب المرجع نفسه ص 375-378

[2] خبابة عبد الله السياسة السعرية في إطار العولمة الاقتصادية مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية2009 ص 121

بدرجة كبيرة أكبر –لو أنه عكف على رعاية شؤونه الخاصة –مما لو كرس جهوده لخدمة الجماعة، أي أنه لا مكان في أي مجتمع لأدعياء تجارة الصالح العام[1] ومنه يمكن تعريفه على النحو التالي :"نظام اقتصادي واجتماعي يقوم على الملكية الفردية لعناصر الإنتاج وتحقيق المصلحة الخاصة كما أن المجتمع يتكون من مجموعة من الطبقات المتفاوتة من حيث المستوى الاقتصادي.

لقد ازدادت حدة الأزمات الاقتصادية والصراعات الطبقية في فرنسا باقتراب ثورة 1830. وبحلول عام 1826 كان من الواضح ان الامة والقصر الملكي كانا يتحركان في اتجاهين متضادين، فالملك كان يعد العدة لإقامة حكم مطلق، على حين أن الامة كانت تندفع نحو الثورة، إن كتاب سان سيمون .Saint –Simonone يعكس الاضطرابات الاجتماعية التي أحدثها تقدم التصنيع في عهد عودة الملكية. ففي خلال هذه الفترة كانت الآلات تدخل في الصناعة على نطاق يتسع دواما ولا سيما في مصانع النسيج، وبدأت الصناعة في التركز.[2]ومع التجربة الفرنسية التي شهدت نموا صناعيا وتجاريا كما أشاد بها سان سيمونلم يشفع هذا النجاح في الجهة الأخرى فقد بدأت الازمات التي زعزعت استقرار الوضع ما بين الفترة الممتدة 1816–1817 وكذلك في الفترة الممتدة ما بين 1825و1827، حيث تجمع العمال في عصابات لتحطيم الآلات التي سببت لهم، البطالة والعجز.يمكن أن يكون ثمة شك في أن ظهور الصناعة الواسعة النطاق كان له تأثير سيء في وضع العامل، وذلك بإقصاء العمل المنزلي، وأدى ادخال الآلات الى توظيف النساء والأطفال بأجر زهيد، كما أن الهجرة الى المدن أدت الى ندرة المرافق جعل من المدينة معمل تفريخ لمرضى الكساح والسل، وهذا ما أدى بالوضع العام الى الانحلال الأخلاقي.أمثال هذه الحوادث أظهرت بوضوح أن العملية الاقتصادية، أو عناصر معينة فيها، قد غرست مخالبها في مجموع العلاقات الاجتماعية، وأوقعتها في قبضتها. وكان سميت، وريكاردو قد نظرا الى هذه العملية الاقتصادية على أنها علم متخصص، وتبدو فيه الثروة، والفقر،

[1] خبابة عبد الله المرجع نفسه ص 123

[2] هاربت ماركيوز الثورة والعقل المصدر السابق ص 322

والعمل، والقمة، والملكية، وكل ما يتصل بها، على أنها ظروف وعلاقات اقتصادية خالصة تستمد من القوانين الاقتصادية أو تفسر بواسطتها[1].

كما كان سان سيمون قد جعل من القوانين الاقتصادية أساسا لمسار المجتمع بأكمله. لم يعد هذا العلم علما "خالصا "متخصصا بل أصبح قوة عقلية تعمل على كشف متناقضات البناء الاجتماعي الحديث وعلى توجيه المحاولات الرامية الى حل هذه المتناقضات ونتيجة لهذا التغير لم يعد ينظر الى عالم السلع من خلال تشيء. فمثلا عندما رد سيسمو ندي Simondi على ريكاردو بأن الاقتصاد السياسي ليس علما حسابيا بل علما أخلاقيا لم يكن هذا الأخير يقصد بالعودة الى المعايير الأخلاقية على حساب المعايير العلمية ولكن كان يشير سيسمون دي الى المحور الذي تدور حوله النظرية الاقتصادية.في نهاية المطاف انتهى" سيسمو ندي" الى الاتجاه الذي درء عليه هيجل حين جعل للنظرية الاجتماعية تركيبا فلسفيا على تأكيد الطبيعة الفلسفية للنظرية الاجتماعية التي لا يقلل من أهمية أساسها الاقتصادي بل أن هذا التأكيد على العكس من ذلك يؤدي الى توسيع نطاق النظرية الاقتصادية بحيث تتجاوز حدود العلم المتخصص. وهكذا يقول بروتونProthonإن قوانين الاقتصاد هي قوانين التاريخ "[2]. ويعتقد ماركس في هذا الإطار أن كل ما يحدث في جو المجتمع من ظواهر ونظم إنما يرجع الى العوامل الاقتصادية ذلك أن القوى الاقتصادية هي أساس الاحداث والتطورات السياسية والاجتماعية والاخلاقية وما يقال عن التطور الفكري يقال عن جميع التطورات الاجتماعية الأخرى، ذلك أننا لا نفهم طبيعة المجتمع إلا إذا فهمنا حقيقة الدعائم الاقتصادية التي يقوم عليها [3] .

لقد كان الاقتصاد السياسي الجديد مختلفا كل الاختلاف عن العلم الموضوعي الكلاسيكي الذي قال به سميت وريكاردو وكان موضع اختلافه عن هذا العلم الأخير هو أنه أظهر أن الاقتصاد متناقض ولا

[1] هربت ماركيوز المصدر نفسه 323

[2] هربرت ماركيوز المصدر نفسه ص 324

[3] إحسان محمد إحسان النظريات الاجتماعية المتقدمة، دار وائل للنشر الأردن ط،2، 2010 ص 150،151

عقلي في كل جوانب بناءه بحيث تكون الأزمة حالته الطبيعية والثورة هي نهايته المنطقية. وقد ظهر التضاد بين هذين العلمين بوضوح في أعمال سيسموندي، وهو أول نقد داخلي دقيق للرأسمالية. فهذه النظرية النقدية الحقة للمجتمع. سوف نتناول المجتمع في تنظيمه الفعلي بعُمالِه المحرومين من الملكية وأجورهم التي تحددها المنافسة وعملهم الذي يستغني عنه أصحاب العمل بمجرد ألا يعودوا الى الحاجة إليه إذ أن هذا التنظيم الاجتماعي ذاته هو ما نعترض عليه.

أعلن **سيسموندي**أن كل أشكال التنظيم الاجتماعي توجد لإشباع حاجات إنسانية. فالنظام الاقتصادي السائد يفعل ذلك في ظل أزمة مستمرة وفقر متزايد وسط ثراء متراكم. وقد عرض **سيسموندي** الآليات السائدة في المراحل الأولى من الرأسمالية الصناعية، والتي أدت الى هذه النتيجة. فذكر أن ضرورة الأزمات المتكررة هي نتيجة أولا لتأثير رأس المال في العملية الإنتاجية ثانيا الاستغلال المتزايد وانعدام التوازن المستمر بين الإنتاج والاستهلاك هما نتائج لنظام تبادل السلع. ثم انتقل الى رسم الخطوط العامة للعلاقات الخفية من وراء القيمة التبادلية والقيمة الانتفاعية، ومختلف أشكال الحصول على القيمة الفائضة. وأثبت الارتباط بين تركيز رأس المال وفائض الإنتاج والازمة. فبسبب تركز الثروة بين عدد صغير من الملاك تستمر السوق الداخلية في الانكماش وتضطر الصناعة على نحو متزايد الى البيع في الأسواق الخارجية حيث تهددها صدمات أخطر من صدمات السوق الداخلية . فالمنافسة الحرة عاجزة كل العجز عن تنمية كل القوى الإنتاجية الى أقصى مداها والى الحد الذي يضمن أعظم اشباع للحاجات البشرية. وهي تؤدي الى الاستغلال على أوسع نطاق والى هدم متكرر لحصاد الثروة [1]

لقد حظيت العقيدة الأساسية القائلة بالتنافس الحر والعام خطوات هائلة في كل المجتمعات المتمدنة. وأدت الى نمو هائل في القوة الصناعية، ولكنها جلبت أيضا آلاما مخفية على معظم طبقات السكان.

[1] إحسان محمد إحسان المصدر السابق ص 325

لقد علمتنا التجربة ضرورة السلطة الحامية (الحكومة)، وهي الحماية اللازمة لكيلا يضحى بالناس من أجل زيادة ثروة لن يستمد منها أية منفعة.

التمركز على الذات الأوروبية:

تمهيد: يعد مصطلح التمركز حول السلالة الأوروبية Eurocentrisme مفهوما خلافيا وإشكاليا، ولا يوجد اتفاق واضح على تعريفه وعلى المنوال نفسه فإن الوجود المضاد للتمركز حول السلالة الأوروبية Anti-Eurocentrie يتضمن معاني متعددة أيضا .Wallerstein1990. Amin1998.Joseph et al1997 .Maclennan2003-2006 ويصف فالسرتين 1997 خمسة أساليب تناقش بها تعبيرات العلم الاجتماعي عن تمركزه حول السلالة الاوروبية. وهي تأريخيته ، ومحدوديته ،وعالميته وافتراضاته حول الحضارة الغربية واستشراقه ومحاولاته فرض **نظرية للتقدم Wallertein1997**-1994[1] ويعتقد تايلور أنه لا يمكن تقديم فهم أفضل للحداثة في سياق كونها موجهة أحادية ، ولكن بالأحرى كثقافات ، تضطلع بممارسات جديدة تتحول للاختلاف في أساليب مهمة عن بعضها البعض بافتراض أنه من الأفضل الحديث عن أشكال حديثة بديلة أكثر من مجرد حداثة وثمة مشكلة تتعلق برأي تايلور مفادها أن أكثر إدراك شائع للحداثة في سياق رشد أو عملية اجتماعية التي تكون ثقافة حياد. وأدركت الحداثة هنا كمجموعة من تحولات استطاعت الظهور في أي مكان وليست مميزة لأي ثقافة خاصة[2] . ويعتقد أنه ما لم يتم بحث تساؤلات عن الهوية الغربية في هذه العمليات سنفشل الآن في رؤية ثقافات أخرى مختلفة. وكيف يمثل هذا الاختلاف ظروفا حاسمة للأسلوب الذي تتكامل به السمات العالمية للحداثة.

وفي الثقافة العربية نسجل لدى الدكتور أحمد برقاوي في مقالٍ له عن أصول الوعي الأوروبي بالآخر ويأخذ الانسان العربي كنموذج العالم عن هذا الآخر منذ أن تحولت أوروبا الى أمم عالمية. أصبح

[1] جيرمندر ك.بامبرا: إعادة التفكير في الحداثة تر ابتسام سيد علام، حنان محمد حافظ، المركز القومي للترجمة، ط1، 2019 القاهرة ص15

[2] جيرمندر ك.بامبرالمرجع نفسه ص 19

العالم كله ساحة لممارسة أهم سماتها السيطرة والهيمنة والاستغلال والانتشار.[1] "أوروبا هذه التي بدأت في القرن السادس عشر شرعت بتأسيس وعيها بذاتها ووعيها بالآخر على تفوق الانسان الأبيض وتقسيم البشرية وفق مبدأ السيد والعبد. وشيئا فشيئا عبر هذا التفوق عن نفسه بالحرب وبالاستعمار وبالإمبريالية وبالثقافة وبالعلم وبالإيديولوجيا. وتحول الآخر الى مجرد موضوع قابل للتشكيل والدارسة والتصنيف. ومن الطبيعي أن يكون الموضوع موضوعا في مقابل الذات، لكن في علاقة انفصال شبه مطلق. "عندما نحلل فكرة التمركز الغربي فليس ذلك من أجل خلق تمركز مقابل وللدفاع عنه. إن التمركز، وإن كان ظاهرة ثقافية إنسانية، لا تخص الغرب وحده، فإنها مع ذلك ظاهرة تناقض ما يجب أن تكون عليه العلاقات الإنسانية، بل إنها تهيئ أجواء غير صالحة لتواصل واقعي وضروري لابد منه[2] "أما الدفاع عن فكرة الصراع الحضاري فهي أسهل حل للتملص من المسؤوليات وتبرير مظاهر التقاعس والفشل وفتح قنوات التواصل . وهذا ما ساهم في ظهور نظرية المجتمع ما بعد صناعي والتي عمل على تطويرها علماء اجتماع كثيرون نذكر من بينهم الامريكي دانييل بل،Daniel,bel والفرنسي تورين، فبالنسبة لبل العالم دخل اليوم عصرا تاريخيا جديدا أطلق عليه اسم العصر ما بعد صناعي و يتميز هذا العالم بالأهمية التي صارت تحظى بها المعرفة الثقافية في الحياة المعاصرة والتي جعلت منها القوة الدافعة الرئيسية للتطور بدلا من الإنتاج المادي." يصرح دانيال بل أنه لمن نتائج انحدار الأخلاق الدينية وارتفاع الدخل الفردي ارتفاعا كبيرا، أن تبوأت **الثقافة** في نصف القرن الأخير المكانة الأولى في الإشراف على التغيير داخل المجتمع، مما جعل الاقتصاد يركن الى ممارسة دور تابع يتولى من خلاله مهمة اشباع الحاجات الجديدة للثقافة ويستعيد **تورين** الفكرة نفسها ليقول بهذا الصدد لم تعد التقاليد الدينية أو الاجتماعية هي المسيطرة في عالم اليوم، بل أضحى الامر موكولا في ذلك الى وسائل الإعلام والتقنية والأسواق. لقد صرنا نرزخ اليوم تحت وطأة

---

[1] عبد الرحمان اليعقوبي: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون–محمد الجابري –هشام جعيط) مركز نماء للبحوث والدراسات، لبنان ط، 1، 2014 ص 101

[2] عبد الرحمان اليعقوبي، المرجع نفسه ص 104

عالم ضخم من الرموز والمعلومات والخبرات المادية والخدمات[1].فبعد أن شهد العالم فيما مضى تنافسا وصراعا بين الافراد الذين كان يرغب كل واحد منهم في أن يجلب لنفسه اعتراف الغير السيد والعبد، الاقطاعي وألقن، البرجوازي والبروليتاري، أخذ العالم الحديث يشهد اعترافا الجميع بالجميع وبذلك بفضل تحقق فكرة الديمقراطية وظهور مفهوم المواطنذي الحقوق والواجبات ومفهوم المساواة والاعتراف المتبادل.

وفي الوقت الذي اعتقد فيه الجميع أن حكاية نهاية التاريخ قد دفنت مع صاحبها، قام المفكر الأمريكي فوكو ياما، بنشر مقال عنوانه، نهاية التاريخ سنة 1989، أن تحقيق الديمقراطية الليبيرالية قد ختم بالفعل، مسار التاريخ وأكمله، أن المسألة لا تشمل نهاية التاريخ وحدها بل تخص أيضا واقعة موت الانسان[2].

إن التحولات الجديدة للنظام العالمي تتلخص في نقطتينالاولى حجة اقتصادية: تفيد أن الاقتصاد العالمي صار معمما بسبب السيطرة المطلقة لاقتصاد السوق، وأن التعميم أفرز تحقق نظام كوني نموذجي بديل لم يفلح أي بديل، في أن يصمد أمامه مما يدل على كماله ودوامه ثانيا: حجة فلسفية مفادها أن التاريخ البشري مبني على الرغبة في الاعتراف بالذات وأن الديمقراطية الغربية حققت أمل الاعتراف، وأن ما يحدث من تظلمات وسوء توزيع إنما ينتج، في الأصل عن أخطاء بشرية في التنظيم ولا عن خلل في الفكر الليبيرالي.[3]

نقد المركزية الأوروبية عند فلاسفة ما بعد الحداثة: إن فهم ما بعد الكولونيا لية مرتبط بفهم الظاهرة الاستعمارية والنزعة الامبريالية والمركزية الغربية، بل والبحث في تكونها والحفر في بداياتها ومراحل تشكلها ومن ثمة يمكن العمل على تفكيك بُناها وقراءة مفاهيمها ومعرفة آليات اشتغالها وقد

---

[1] محمد الشيخ وياسر الطائي : مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ط،1، لبنان 1996 ص 17

[2] محمد الشيخ وياسر الطائي مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة نفس المرجع ص 61

[3] نفس المرجع ص 62

كانت الدوافع التوسعية والطموحات الاقتصادية غالبا هي الدافع الأول وراء استعمار الشعوب رغم أنها دائما تتوارى خلف دعاوي التمدين والتحضر التي طالما قال بها المستعمر [1]

مع ظهور وتطور المؤسسات السياسية للحداثةوالتي ارتبطت بشكل دائم بالثورة الفرنسية 1889كانت هناك ثورة أخرى يعتقد أنها حولت ننظيم الأنشطة الاقتصادية في العالم هي بطبيعة الحال الثورة الصناعية 1750،1850 على أنه أنتج تحولا راديكاليا في بنية الاقتصاد .

أتاحت المناقشات السابقة لدور التجارة في هذا الطور الثالث من التفسير، لنظرية النمو الاقتصادي، وتطوير نموذج عام لعمليات النمو الاقتصادي. والذي نجده في أعمال أصحاب نظريات التحديث مثل روستو Rostow1960 ، الذي رأى أن الثورة يُعترف بها على أنها أصل "**الانطلاقة** " الاقتصادية والتي كان لها أهمية تاريخية [2] .و بدأ المؤرخون الاقتصاديون وعلماء الاجتماع في التركيز على قضايا المجتمع ما بعد صناعي bell1976, Touraine1971 ، والتناقض الثقافي للرأسمالية Bell1976 وانحلال التصنيع Bluestone, and,Harison ومناقشاتهم التي ظهرت في سياق إعادة تفكير واسعة النطاق للثوابت السابقة والشك في روايات الحداثة المسلم بها سابقا .[3] ويظهر ذلك من خلال التشاؤم الذي سجله كانـدين Cannadineعلى الطبيعة الشفافة للنشاط الاقتصادي والتقلبات قصيرة الأجل المرتبطة بالحروب الداخلية مابعد الحرب. فالثورة الصناعية بدلا من أن تمدنا بسياق تاريخي للمشكلات الاجتماعية المعاصرة أصبحت فجأة المرشد السابق للجهود المحلية الخاصة بالقتصاد المحلي وفقط. هناك الآن طورا خامسا متميزا، ابتداء من التسعينيات فصاعدا واستجابة لانهيار النظم الشيوعية في أوروبا وأنشاء سوق عالمية كان هناك إعادة ظهور للنموذج النظري لنظرية النمو ونوقشت الثورة الصناعية على نحوٍ متزايد في سياق قضايا العولمة والتحرر الجديد. و نتيجة

---

[1] سلايمية يمينة الخطاب ما بعد الكولونيا لي في كتابات ميشال فوكو مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 13-2016 ص 51،52

[2] : جيرمندرك.بامبرا إعادة التفكير في الحداثة نزعة ما بعد الاستعمار والخيال السوسيولوجي ترجمة ابتسام سيد علام، حنان محمد حافظ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ط،1، 2016 ص 196

[3] جيرمندرك.بامبرا المصدر نفسه ص 196،197

لذلك سعى المنظرون الى إعادة وصف تميز الثورة الصناعية على أنها نقطة حاسمة لانطلاق ظهور العالم الحديث العالمي .كانت الثورة نتاج الحداثات المتعددةكإنشاء سوق عالمية في سياق قضايا العولمة والتحرر الجديد . إن المجتمع التجاري هو الباعث الإنساني نحو تحسين أسباب تطوره والتخفيف من حدة الفقر والبؤس وإنتاج حرية حقيقية . ويجب فهم التطور في ضوء حتمية أخلاقية سميت ثورة الأمم.

كتب جودي جاك،Goody،Jack هناك القليل من الاجماع العام بين المؤرخين والعلماء الاجتماعيين بشأن قضايا التحديث والتصنيع والرأسمالية والقضية التي يبدو عليها اتفاق هي المساهمة المركزية لأوروبا في ظهور وتطور هذه العمليات وانتشارها اللاحق خارجيا. إن هذا الرأي الخاص بانتشار المركزية الأوروبية، أي الاعتقاد أن أوروبا تطورت خارجيا، وتحدثت في حين كان بقية العالم يصارع للحاق بها.[1] يرى Games,Balut1993 في كتاب النموذج العالمي للمستعمر، أنه في حين من المعتقد عادة أن التحديث الاقتصادي والاجتماعي لأوروبا جوهري نتيجة للخصائص الداخلية لأوروبا . فإنه ما لم يؤخذ في الاعتبار هو الثأر الشاسع والعلاقات الداخلية لهذه المناطق على التطورات داخل الحدود الجغرافية لأوروبا. هذا التفسير مثلا لا يأخذ في الاعتبار تدفق الثروة من المستعمرات التي ساهمت الى حد كبير في "**الانطلاقة** " المبدئية للثورة الصناعية والمساهمة الاجبارية للعبيد في هذه العملية ولا الطريقة التي قضى بها على التصنيع في مناطق مثل افريقيا وامريكا اللاتينية والهند والتي أفقرت عمدا من أجل ضمان تفوق السوق للسلع البريطانية والأوروبية [2].

المبحث الثالث: بدائل التنمية والإقتصاد الذكي

تمهيد:استخدمت عبارة الاقتصاد السياسي للمرة الأولى في الكتاب الاقتصادي الأول الذي وضعه الكاتب الفرنسي أنطوان دي مونتكرتيان عام 1615 بعنوان رسالة في الاقتصاد السياسي. وأخذ

[1] جيرمندرك.بامبرالمصدرالسابق ص 213

[2] جيرمندرك.بامبرا المصدر السابق ص 213،214

يتطور تدريجيا الى أن أرسيت قواعده العلمية الأولى في مطلع النصف الثاني من القرن الثامن عشر بفضل المدرسين التقليديين المدرسة الفيزيوقراطية أو الطبيعية في فرنسا والمدرسة الإنجليزية في بريطانيا.

ولقد أدى التطور الأول للإنتاج الصناعي في الوقت الذي بدأ التفاعل التدريجي بين العلم والتكنولوجيا منذ عهد التصنيع في تصميم المعدات التكنولوجية وانتاجها. مما أدى الى نمو متسارع للتوسع المادي. ولقد كانت الآلة البخارية هي مصدر القوة الجديدة. وإذا كنا نرى الانسان على وجه العموم حيوانا ميالاً الى المحافظة فإن قدراته التكنولوجية أخذت تفوق حكمته السياسية، مما أدى الى اختلال في التوازن لم نبرأ منه حتى اليوم [1].

لقد كان الاقتصاد ولا يزال يمثل الشغل الشاغل للباحث في علم الاجتماع. منذ أن كتب ابن خلدون عن أهمية النشاط الاقتصادي في تشكيل العمران البشري. وتأمل دوركا يم أثر تقسيم العمل في المجتمع الحديث على خلق أنواع جديدة من التضامن الاجتماعي. وكان ماركس قد بشر بما اختزله بعض أعدائه الى نظرية الاقتصادية واتخذ فيبر موضوعا له الجذور الدينية الأخلاقية المعنوية للنظام الرأسمالي الحديث. وحتى العصر الحاضر في عصر العولمة، ما يزال الاقتصاد هو سيد الساحة الذي أخضع لمشيئته قوى السياسية والثقافية والفن والمعرفة...[2] .

من المؤكد أن الأزمة تمخضت عن اتفاق بين الطبقات القادرة على التعبير عن نفسها على أن النظام لا يمكن ن يسيركما كان فيما سبق، إما بسب العيوب الأساسية للرأسمالية، أو بسبب نهاية نظام إطلاق العنان لحرية التجارة والجموح الفردي بلا تدخل، المعروف باسم نظام " دعه يعمل دعه يمر"

[1] برتراند رسل، حكمة الغرب، تر فؤاد زكريا، سلسلة المعرفة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت سنة 1983 ص 155

[2] جوردان مارشال موسوعة علم الاجتماع تر محمد الجوهري، محمد محي الدين، عدلي السمري، أحمد زايد، محمود ع الرشيد، هناء الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة،المجلد الأول ط، 1 2007

الذي أعلنه ،كينز،Keynes سنة ،1929 لكن المناقشات عن الشكل المستقبلي للاقتصاد خضعت للإصلاح وصارت أكثر تدخلا في حرية الاقتصاد وأكثر عملا بالتخطيط.[1]

ووفي كنف التطور المتسارع للاقتصاد المنتش بتطور الآلات الصناعية وتفوق البنية التحتيةالاقتصاد على حساب البنية الفوقية السياسة زاد الاهتمام بتطوير، وتوسيع المجال فيما يخص الاهتمام بمسائل علم الاقتصاد السياسي في العصور الحديثة، من حيث هو دراسة قائمة بذاتها، يدين بظهوره الى أعمال سميت لقد أوضح كيف يزداد انتاج السلع الصناعية إذا ما تم تجزيء صناعة سلعة معينة الى عدد من المراحل، يقوم بكل منها عامل متخصص ومقد اختار مثالا خاصا هو صناعة الدبابيس وكانت النتائج التي توصل اليها مبنية بغير شك على ملاحظات فعلية لأرقام الإنتاج[2].

مبادئ نظرية التنمية العامة:

يوجه فردريك جيمسونfrediric,Jameson الأنظار بصورة مستمرة الى قضايا التغيير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي تثيرها ما بعد الحداثة، وبالتالي الى طبيعة الرأسمالية المتغيرة وقدرة الماركسية على البقاء وصلاحيتهما الدائمة. ويرى هذا الأخير بمعية عالم الاجتماع المحافظ بيل حول دخول القرن العشرين الى مرحلة ما بعد الصناعة الرأسمالية التي توسعت وترسخت هيمنتها. ويتساءل كيف تنتمي التغيرات التي تطرأ على نمط الإنتاج والعلاقات بين الطبقات في ظل الرأسمالية الى أشكال جديدة من الإنتاج الثقافي ولهذا سوف نتابع ماهي المبادئ الاقتصادية التي تبنتها المنظومة الاقتصادية للمشروع التنموي وماهو منطق تعاملها مع الأزمات واحتياجات السوق بما يكفل لها تحقيق أرباح وخلق الثروة ؟

[1] إريك فروم، أزمة متصدعة الثقافة والمجتمع في القرن العشرين، تر، سهام عبد السلام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت، ط1 2015ص 271

[2] برت راند رسل، حكمة الغرب، المصدر السابق ص 154-155

تتأسس نظرية التنمية العامة على مبادئ مستوحاة من النظرية الاقتصادية التي تقوم على العناصر التالية: دورة ثابتة للتبادل تهدف إلى تحقق التراكم، ويتم ذلك عبر رفع مستوى الإنتاجية وبلوغ نمو مضطرد، تحقيق التراكم يؤدي إلى تقسيم للعمل، يقود إلى تعزيز إنتاج الوفرة،لهذا يعتبر كل من التقدم والتجديد محركان للتنمية الاقتصادية والنمو الاقتصادي. ومن خلال ما سبق، يتضح لنا مدى التطابق بين كل من النظرية الاقتصادية ونظرية التنمية ذات الخاصيات المستوحاة من نظرية التطور الطبيعي. إن التقدم والتطور الرأسمالية، يفترض أن يكون مشروعا اجتماعيا متجدد له هدف مزدوج.

"وعلى أية حال فإن تقسيم العمل قد طبق في الصناعة على نطاق واسع بعد ذلك بوقت قصير وأثبتت فعاليته الكاملة. وبالطبع فإن هناك مشكلات إنسانية ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار بدورها لأن العمل المتخصص إذا ما تجرأ الى حد إفقاد العامل اهتمامه بعمله يؤدي الى معاناة العامل في النهاية. وقد أضحى هذا المبدأ تقسيم العمل تأثيره اللاإنساني في هذا النوع من الآلات واحدة من المشكلات الكبرى في الصناعة الحديثة".

أما في الميدان الفلسفي فإن ظهور التصنيع جلب نوعا من الاهتمام بفكرة المنفعة. وهو اهتمام كان يعرضه الكثير من المفكرين الرومنتكيين بشدة ولكن هذه الفلسفة التي كانت تفتقر الى الجاذبية والتشويق كانت لها في آخر الامر في ميدان الإصلاح الاجتماعي الذي كانت الحاجة الماسة اليه نتائج تفوق بكثير كل ما أدى اليه ذلك السخط . لقد كان التغيير الذي يدعوا اليه النفعيون منظما ومخططا حال دون التأثير عليه وكانت الحاجة ماسة إليه نتائج تفوق بكثير مطالب الثورة. وينبغي أن نلاحظ أن المشكلات الإنسانية الكبرى للمجتمع التكنولوجي لم تتكشف على الفور لأولئك الذين لم يعانوا تلك الآلام التي جرّها ذلك المجتمع على الطبقة العاملة الصناعية [1].

[1] برت راند رسل، حكمة الغرب، تر فؤاد زكريا، نفس المرجع ص ص 155-156

والاقتصاد السياسي هو العلم الذي يعنى بمختلف أوجه النشاط الإنساني المرتبطة بالأموال الاقتصادية والقوانين العلمية التي تفسر الظواهر الاقتصادية المرافقة لهذا النشاط[1].من جهة ثانية يعتبر النشاط الاقتصادي محاولة مستمرة لوضع الأشياء في نصابها بشكل يلبي حاجات البشر.

يحظى الاقتصاد السياسي باهتمام الجميع، سواء في الحقل الخاص أو العام، باعتبار الاقتصاد الهيكل المادي والحيوي للمجتمعات البشرية في كلّ بلدٍ وعصر، نظرا لارتباطه الوثيق بالإنسان ولكونه مظهرا بارزا من مظاهر نشاطه

كلاسيكيا:

أول عملية اقتصادية ظهرت وشكلت مناخ الاعمال والتبادل هو قانون المقايضة مقايضة سلعة بسلعة وذلك لتسهيل عملية التبادل والتي من خائص هذه العملية سرعة التنفيذ، والمرونة وأن يكون من جراء هذه العملية الربح. وقد تطورت هذه العملية مع توسع مجال البيع والشراء ومتطلبات السوق

[1].عزمي رجب مبادئ الاقتصاد السياسي، دار العلم للملايين، بيروت 1964الجزء الأول ص 11

*اعتمد نمو الحرية على تطورين عرضين، وهما: استبدال أول اقتصاد مختلط في العالم بالإقطاع، بين الأعوام 1000و1900 واختراع السياسة الحديثة في أوروبيا بين الأعوام 1600و1900.لقد تراجع الاقطاع الغربي لسببين الأول: هو ظهور الدول المدن المستقلة في إيطاليا وهولندا، وعلى شواطئ بحر البلطيق وبحر الشمال، وهذا المدى من الحكومة الذاتية في هذه الدول المدن ليس مسبوقا، والمدن الدول الاغريقية القديمة فقط هي التي تمتعت بشيء يمكن مقارنتها فيه بها على نحو غامض، ولم يكن لذلك أي اشباه توازيه في الحضارات الآسيوية العظيمة أو الإسلامية، ففي المدن الأوروبية فقط استطاع التجار، والصناع المهرة، والحرفيين أن يهربوا من القيود الاقطاعية الى الحرية[1] وصارت البروتستانتية شارة دالة على الاحتجاج السياسي، تساعد مجموعات مثل الجامعات، والمدن، والمقاطعات، والبرلمانات على توسيع حرياتهاوفي القرن السابع عشر أشاع جون لوك 1704-1632 ومفكرون آخرون فكرة العقد الاجتماعي. ففي المجال الاقتصادي، كانت الحقيقة الرئيسية هي زيادة الاعتماد المتبادل والمصلحة المشتركة بين الطبقة القديمة لملاك الأرض وبين الطبقات الوسطى" الصاعدة: التجار وصغار المزارعين والعمال والحرفيين المهرة. [1] وإن الحضارة الليبيرالية –في كلا مظهريها الانجلو ساكسونيا والديمقراطي الاشتراكي–تستقر فوق التغلب على المشكلات، وعلى السلوك السيء لا على مضاعفة هذه المشكلات والسلوكيات السيئة، وعلى تولي المسؤولية، لا على انكاره

، إذن التجارة أو البيع هو الشكل الأول والقاعدي لظهور رجال الأعمال الذين شكلوا عالم الاقتصاد الذي تنوع وتعددت مجالاته حسب التطور التاريخي لمقاصد البشر والبحث عن الثروة وتبقى التجارة هي والبحث عن الربح ليس بين الأفراد فقط ولكن بين تكتلات دولية وإقليمية بحثا عن أسواق جديدة بما يكفل حركية الأموال وتتخذ التجارة عدة أساليب لبسط نفوذها وقد تصل الأمور الى حد استعمال القوة والنفوذ والارغام وهذا ما تشهده الساحة العالمية لحد اليوم والمتمثل في : الشركات العالمية، والكارتل وأصناف أخرى من أشكال التجارة كالبورصة الشكل الذي تولد عن فلسفة المال البيع والشراء.

تتلخص فكرة التجار ورجال الأعمال حول عدد من المبادئ يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا ثروة الامة بما لديها من المعادن النفيسة، ثانيا: تحقيق ميزان تجاري فائض يتم الحصول على الذهب والفضة من خلال التجارة الدولية، وهذا لا يتحقق إلا إذا باع البلد سلعا للعالم الخارجي بقيمة تزيد على كمية ما يشتريه، أي إذا حقق فائضا في ميزانه التجاري. ثالثا: تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ولعل تأييد تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية للمركنتاليين يعود الى ...التنافس الحاد بين الدول الأوروبية على فتح مناطق جديدة لتجارتها وتوسيع السوق المحلية أمام المنتجين المحليين من أجل ضمان سياسة حمائية بالقضاء على الحواجز الجمركية وإقامة مشاريع تخدم البنية التحتية، ومنح الإعانات للمصدرين، وتشجيع الإنتاج في مختلف السلع الصالحة للتصدير مع تخفيض نفقة الإنتاج وتجهيز جيش قوي قادر على ضم أراضي جديدة والدفاع عن أراضي تم اكتسابها [1]

سادت المدرسة التجارية أوروبا حتى أواسط القرن الثامن عشر. وقد واستمرت سائدة في أوروبا طالما استمر مستوى النمو الاقتصادي في البلاد الأوروبية متقاربا. ولكنها بدأت تخسر مواقعها عندما بدأ التفوق يظهر عند دولة تجاه دولة أخرى. وهكذا بدأ التفوق عند بريطانيا وفرنسا. [2]

[1] جلال أمين، كشف الأقنعة عن نظريات التنمية الاقتصادية، كتاب الهلال القاهرة، 2002، ص 65 ،

[2] إبراهيم مشورب المرجع السابق ص 45

إن الليبيرالية هي نظرية الحرية وممارستها، ولقد ظهرت الحرية نتيجة لتطورات تاريخية في أوروبا وأمريكا فريدة، وبشكل ملحوظ نتيجة تأثير الأفكار الراديكالية، وأفكار المساواة، والكفاح من أجل الحقوق السياسية. تقول الموسوعة الامريكية الاكاديمية: النظام الليبيرالي الجديد الذي ارتسم في فكر عصر التنوير) بدأ يضع الانسان بدل الاله في وسط الأشياء فالفرد له السيادة على هذا الكون، بما يعني ضرورة التحرر من التسلط أيا كان نوعه وهي المنظومة الفكرية الوحيدة، التي لا تطمع في شيء، سوى وصف النشاط البشري الحر[1]

على الرغم من نجاح الحضارة الليبيرالية، وضعف خصومها المنافسين لها، فإن هذه الحضارة أكدت جدارتها بالرغم من التهديد الرهيب الذي ينرقبها بين الحين واللحظة، وأكثر هذه الأخطار جدية هي داخلية .وبالرغم من النجاحات المحققة في زيادة الامن والرفاهية وتوسيع والحرية. لقد مرت الليبرالية بثلاثة مراحل مرحلة كان يغلب عليها طابع الحرية الاقتصادية التي لا يقف أمامها أي أحد وفي عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي[2]. "الليبيرالية في بداية ظهورها هي منظومة كاملة من الحقوق الفردية إلا أن الطبقة البرجوازية الصاعدة آنذاك تمسكت بالجانب الاقتصادي لليبيرالية فقط والذي كان يعطيها المبرر بأن ما تحققه من أرباح وثروات وسيطرة والمخاطرة بأموالها داخل السوق العالمية يمنحها احتكار السلطة وهذا ما أدى الى أبشع صنوف الاستغلال لليد العاملة دون استثناء ."

أما المرحلة الثانية قد تعرض النظام الرأسمالي الى الانتكاسة بسبب أزمة الكساد التي انجبت النظرية العامة لكنز 1936 وهي النظرية التي سيكون لها تأثير كبير على أوضاع الطبقة الوسطى في العالم. فقد أثبت كينز أن الرأسمالية قد فقدت قدرتها التلقائية على التوازن وأصبح بها ميل كامن يعرضّها لأزمات دورية بسبب الاحتمالات القوية لعدم تناسب الطلب الكلي مع قوى العرض الكلي . ولأن الرأسمالية عاجزة عن أن تولد من ذاتها وبطريقة تلقائية سبيل تجنب هذه الازمات فقد دع هذا الوضع

---

[1] عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط، 4، 2008 ص 49

[2] رمزي زكي، الليبيرالية الجديدة تقول وداعا للطبقة الوسطى) مجلة عالم الفكر، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 2، مج25أكتوبر 1996 ص ص 32-69

المتأزم الى تدخل الدولة [1]."أما المرحلة الثالثة فقد انتهت الى زيادة واضحة في معدلات البطالة ومعدلات التضخم وتدهور معدلات النمو وتراجع الإنتاجية وزيادة عجز الموازنة والى غير ذلك من النكسات ."

لقد امتد تقسيم العمل الذي دعا اليه سميت في ميدان إنتاج السلع الى ميادين النشاط العقلي بنفس القدر تقريبا ذلك لأن البحث العلمي خلال القرن التاسع عشر قد أصبح مصنعا إن جاز هذا التعبير.

الفردانية : إن أهمية الفرد في مذهب الفردية تفوق أي جماعة اجتماعية أو كيان اجتماعي تقول المثسلمة الليبيرالية. إن الناس يولدون ويبقون أحرارا متساوين في الحقوق، فالحرية من جهة والمساواة في الحقوق من جهة أخرى تشكلان صفة فطرية مزدوجة ملازمة للإنسان الفردي ومستمدة من ماهيته الخاصة بشكل مستقل عن كل حوادث الزمان والمكان ضمانهما وتمكينهما في الوقت نفسه.[2] في هذه المرحلة يسعى الانسان الى تحقيق مصلحته بمعزل عن غيره. والليبيرالية من خلال منظورها الى الفردية تؤكد على أهميتها في حياة البشر وتحظى بالقيمة الاصيلة بينما لا تكون للمنافع الجماعية من قيمة إلا في حال إسهامها في مصلحة الفرد[3]. وقد ساعد التراكم الرأسمالي الذي تم من خلال التجارة ونهب ثروات الشعوب في العالم الجديد ذلك ، فإلى جانب انتشار الأسواق وظهور طبقة التجار كان للاكتشافات الجغرافية الأثر الكبير في هذا التراكم، ووفقا للروايات التاريخية الشائعة كان مصدر هذا السيل هو الكنز المتراكم **من ذهب الإنكا** [4]. وقد أدى هذا التراكم الى توافر قوة العمل التي ساعدت بدورها على تطور الرأسمالية وعلى ظهور الثورة الصناعية .وإذا كانت التطورات في النصف الثاني من

---

[1] رمزي زكي، الليبيرالية الجديدة تقول وداعا للطبقة الوسطى المرجع نفسه ص 71

[2] شوفاليه جان تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية الى الدولة الأممية ، تر محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط،3، 2002ص 14

[3] حسام الدين علي مجيد، إشكالية التعددية الثقافية في الفكر الساعي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ، ط، 1، 2010ص 175

[4] جون كينيت ، تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر ، تر، أحمد فؤاد بلبلع ، سلسلة المعرفة 261، الكويت 2002، ص 47

القرن الثامن عشر تشير الى توطد مصالح الطبقة البرجوازية الصاعدة والى تعاظم الدور الذي أصبح يلعبه الإنتاج السلعي ،هكذا أضحت الصناعة هي القطاع الاقتصادي السائد وخاصة بعد التطّور في مجال استخدام الماكنات ووسائل النقل والاتصال[1].

هذا الواقع الجديد المليء بالتناقضات والآمال والاحلام كان بحاجة الى فكر جديد يتناسب معه ويستجيب لمتطلبات النمو. ومن هنا كانت المدرسة الفكرية الجديدة التي أطلق عليها تسمية المدرسة الكلاسيكية وكان من روادها سميت، 1723–1790، ريكاردو :1772 –1823، توماس روبرت مالتوسRobert,Malts:1766-1834.وكان انتشار الأسواق وظهور التجار من سمات هذا الفكر الجديد.

مبدأ المنفعة: اشتق مذهب المنفعة من نظرية أخلاقية ترجع ،بوجه خاص الى Hutcheson الذي كان قد عرضها عام 1725. وترى النظرية باختصار، أن الخير هو اللذة والشر هو الألم . وهنا فإن أفضل حالة يمكن بلوغها هي تلك التي يبلغ فيها تفوق اللذة على الألم أقصى مداه [2]. وقد أخذ جيريمي بنتام ،Bentham 1748،1832 بهذا الرأي. فأصبح يعرف باسم مذهب المنفعة Utilitarianism و كان Bentham، معنيا قبل كل شيء بالتشريع حيث استمد أفكاره الأساسية من Helvétius ،Beccaria ،فموضوع الأخلاق يجب أن تراعي عنده قبل كل شيء التأسيس للدراسات والبحث عن الأساليب التشريعية الكفيلة بإدخال أفضل التحسينات على الأوضاع الاجتماعية .

أما المبدأ الثاني: فهو القاعدة النفعية التي تدعو الى البحث عن أكبر قدر من السعادة و ترتبط هذه القاعدة بعلم النفس من حيث ما يسعي الناس الي بلوغه هو في رأي بنتامBentham تحصيل أكبر قدر من السعادة لأنفسهم وكلمة السعادة مساوية في معناها هذا لكلمة اللذة فمهمة القانون هي

[1] إبراهيم مشورب : الاقتصاد السياسي المصدرلبسابق ص 58-59

[2] برت راند راسل حكمة الغرب تر فؤاد زكريا المرجع السابق ص 157-158

التأكد من أن أي شخص في سعيه الى سعادته القصوى لن يمس حق الآخرين في السعي الى نفس الهدف وعلى هذا النحو يتحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس[1].

"لقد كان هذا هو الهدف المشترك لأصحاب مذهب المنفعة جميعا مهما اختلفوا فيما بينهم. و يبدو أن هذا الهدف في صيغته الرديئة مبدأ فاترا لا يثير حماسا غير أن النوايا التي تكمن بعيدة عن ذلك كل البعد لأن مذهب المنفعة من حيث هو حركة تستهدف الإصلاح قد حقق نجاحات أكثر مما حققته الفلسفات المناوئة وقد فعل ذلك دون ضجة كبيرة."

إن مبدأ أعظم قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس كان يقبل التفسير على نحوٍ آخر. فقد أصبح في أيدي رجال الاقتصاد الليبيراليين مبررا لحرية التبادل التجاري ومبدأ دعه يعمل ، إذا كان يفترض أن سعي كل انسان، بجدية وبلا عوائق، الى أعظم قدر من اللذة لنفسه،لابدمن وجود التشريع السليم، لأنيتحقق أكبر قدر من السعادة للمجتمع."

إن التفاؤل الذي أعقب هذا الطرح الفلسفي فيما يخص البحث عن السعادة الذي ترجم من طرف الليبيراليين والذي يخاطب من النفس الإنسانية من اتخاذ جزء الحرية للحياة الفردية أن تنغمس في حياة لا شعورية تطفئ من خلالها تلك اللذة التي طالما بحث عنها الانسان وحلم بها إذا ما حرص على الاستزادة من المعرفة وحسبوا نتائج أفعالهم دون المساس بحرية الآخرين[2].

"ولكن الناس لا يفكرون دائما في الأمور بعناية، وكثيرا ما يتصرفون باندفاع وجهل. لذلك فإن نظريةّ دعه يعمل أصبحت في أيامنا هذه مقيدة بضمانات معينة تحد من طابعها المطلق وهذا ما يفسر توجه بعض رجال الاقتصاد للبحث في المجال الاجتماعي الذي لا يمكن ارجاع الشؤون الاجتماعي الى قواعد علمية محضة وبالتالي فالاقتصاد يتطلب بحث معمق في خصوصيات الفرد وعواطفه وميولاته واحتياجاته ."

---

[1] برت راند راسل حكمة الغرب تر فؤاد زكريا المصدرالسابق ص 159

[2] برت راند راسل، حكمة الغرب المصدر نفسه ص 159-160

"نستنتج نتيجتين مهمتين من الواضح أن لدى الناس جميعا في نواح معينة ميولا بنفس القدر من القوة والسعادة. وعلى ذلك فلا بد أن يتمتعوا بحقوق وفرص متساوية. هذا الرأي في وقته تحديدا وكان من البنود الأساسية في البرنامج الإصلاحي لمجموعة من الراديكاليين.و النتيجة الثانية التي يمكن استخلاصها فهي أكبر قدرٍ من السعادة لا يمكن بلوغه إلا إذا ظلت الأوضاع ثابتة. وهكذا فإن الاعتبارين الذين تكون لهما الأولوية بالنسبة الى غيرها هما المساواة والامن، أما الحرية فقد رآها .Bentham أقل أهمية، ذلك لأن الحرية شأنها شأن حقوق الانسان قد بدت له ميتافيزيقية ورومانتيكية، ولقد كان من الوجهة السياسية يؤيد الاستبداد العادل لا الديمقراطية."

مبدأ ريكاردو1772-1823 وحسب مضمون كتابه مبادئ الاقتصاد السياسي والسياسة الضريبية عرض نظرية سليمة في الربح تجاهلتها الأوساط العلمية ونظرية في القيمة تربطها بالعمل ترى أن القيمة التبادلية لأية سلعة تتوقف على كمية العمل المبذول فيها فحسب.[1] وقد أدى ذلك بتوماس هوبكينزThomasHodgskin الى أن يقول في عام 1825 بأن من حق العامل أن يحصل على أرباح القيم التي ولدّها، وأما تقديم ربح الى رأسمالي أو صاحب الأرض فليس إلا سرقة، ودفاعا عن العمال أدخل روبير اونRobert ,Owen في مصانع النسيج الخاصة به في NewLanark اسسا جديدة من الممكن إدارة عمل اقتصادي بربح مع دفع أجور مجزية للعمال دون أن يشتغلوا ساعات إضافية زائدة عن الحد[2] . **وهكذا ظهرت لأول مرة قاعدة اقتصادية لصالح العمال داخل المصانع** .

لقد أدى التراكم الى توافر قوة العمل التي ساعدت بدورها على تطور الرأسمالية وعلى ظهور الثورة الصناعية التي شهدت ظهور **المانيفاكتورةManifactory**، حيث يتم تجميع العمال ما أدى الي تطور القوى المنتجة ووفرة الإنتاج ما أدى الى توسع في الأسواق ما هيأ الظروف لوضع منجزات العلم والاكتشافات في مجال التطبيق. يمثل هذا النموذج امتدادا لتطور النظرية الكلاسيكية، وقد اتخذ شكله

[1] برت راند راسل: حكمة الغرب المصدرنفسه ص 1665-166

[2] برت راند راسل، حكمة الغرب المصدرنفسه ص 167

النهائي المتكامل في توجّه المدرسة الكلاسيكية الجديدة من بعدها، فأضحى منذ مطلع التسعينيات وحتى أواخر الثمانينات مهيمنا فعليا على الفكر والتحليل الاقتصادي. جوهر التوجه يعتمد *[1]الليبرالية، وحرية السوق منطلقا فلسفيا، وبالتالي يؤكّد ضرورة تحديد دور الدولة على الصعيد الاقتصادي[2]وهذا بالطبع يقف في تناقض مباشر مع فلسفة النموذج الدولةالذي يجعل من دور الدول رائدا في توجيه الفعالية الاقتصادية وأهم الركائز التي يستند اليها التحليل في هذا النموذج تتضمن:

1: أن النمو يشكل شرطا ضروريا وكافيا لتحقيق التقدم الاقتصادي.

2: اعتبار الدخل المؤشر الأساسي لقياس الرفاهية

والنمو الاقتصادي يأتي محصلة لتراكم رأس المال المادي المواد والتجهيزات، والتمويلالمقترن بتوسع القوى العاملة، أما العوامل الأخرى مثل المهارات الإنسانية، والتقنية، والإطار التشريعي والمؤسسي فهي عناصر خارجية عن عملية الإنتاج ووظيفتها جعل رأس المال المادي أكثر إنتاجية دون أن تعتبر هي ذاتها جزءا من رأس المال[3]، الفرق بين ما هو نظري وتطبيقي يعني أن تراكم رأس المال تدفعه قوى مادية دونها لا يمكن أن يكون هناك تغيير ملموس على مستوى الإنتاجية. وقد شملت المضامين المتعلقة بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت على هذا النموذج أساسا بعدين: الأول تشجيع الاستثمار الوطني والخارجي، تأكيد ضرورة التقشف في الانفاق خاصة لدى الفئة الهشة من المجتمع

* الليبرالية، أيديولوجيا مثل الأيديولوجيا المناوئة لها والمتمثلة خاصة في الاشتراكية، فالليبرالية نظرية ومذهب، وبرنامج وممارسة وتطبيق. والليبرالية، موقف كذلك واستعداد من طرف الفكر الإنساني، ومن طرف الانسان بالتالي، للبحث من خلال منظور معين للمشاكل التي تطرحها عملية تهيئة الحياة والمجتمع، كما تعني الليبرالية دلك التصور، الذي يرى أن القيمة المثلى للإنسان، إنما تتمثل في الحرية الفردية، وأن الدولة تشكل أكبر المخاطر ضد مثل تلك الحرية ،إذن فإن الليبرالية تعني الموقف الداعم من طرف الليبراليين للفردانية وللحرية في مختلف المجالات خاصة الاقتصادية والسياسية ومن ضمنها حرية الضمير والقول والاعتقاد الديني وهي في الأخير مذهب سياسي اقتصادي يرى المصلحة العامة (الامة أو الشعب) تتطلب توسيع القانون، قدر الإمكان، للحريات الخاصة، أي حرية الخواص، أو الافراد والحد من تدخل الدولة معادا توفير الامن والاستقرار ،

[1]- Christiane Godin : dictionnaire philosophiquefayar edition du temps2004 .

باسل البستاني جدلية نهج التنمية البشرية المستدامة منابع التكوين وموانع التمكين مركز دراسات الوحدة العربية بيروتط، 1 2009 ص [2]43

باسل البستاني المرجع نفسه ص [3]44

وذلك لتبرير تلك القناعة التي تفيد تعاظم النمو الاقتصادي الذي سيخلق حتما منافع كبيرة لاحقا بفعل آلية الأثر التساقطي، التقشف والتضحية المطلوبة من غالبية السكان مسألة ضرورية لكنها مرحلة مؤقتة يليها حصاد أعظم للمنافع يجب تحقيق النمو أولا ثم يأتي من بعده التمتع بمنافعه.

ولكن كيف نناقش التصور المبني على أساس تقديم النمو على التنمية الشاملة؟ لقد أظهرت الانتقادات الواسعة الموجهة الى هذا النموذج غياب أبعاد حيوية في بنائه وتوجهانه أهمها: إهماله للجانب الاجتماعي بتأكيده أولوية النمو الاقتصادي.وثانيا اعتباره العامل البشري وسيلة وحسب في العملية الإنتاجية، فهذا العامل يشكل سلعة متجانسة وعنصرا إنتاجيا غير محدود العرض.وثالثا تأكد عدم قدرته على إدامة النمو. ورابعا تدميره للبيئة بأسلوبه غير العقلاني في استخدام موارد الطبيعة.وخامسا انحصار العدالة والانصاف في توزيع المنافع [1]. فالأولوية تأتي لتحقيق النمو حتى وإن ترافق ذلك مع عدم وجود العدالة والمساواة في نمط توزيع الدخل.

إن الإنجاز الفلسفي السياسي الذي دافع عن القيم الليبيرالية والفكر الليبيرالي الجديد ، خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين يقدم جهدا نقديا في مجال ضبط حدود علاقة الأخلاقي والسياسي على القواعد التي تشكل البنية الأساس لإنتاج مبادئ العدالة وبناء مجتمع عادل[2]. إن تعريف العدل بالحجم الأقصى للإشباع الكلي للحاجات العقلانية من دون مراعاة لتوزيعه . واعتبار ما هو شرعي وصحيح للفرد ينطبق على المجتمع هو انتقال خيالي وتعسفي لأنه لا يراعي واقع أن نمو وثراء ورقي وحرية فرد أو طبقة اجتماعية يزداد على حساب حرمان وبؤس وعبودية طبقة أخرى . فالأيديولوجية

[1] باسل البستاني نهج التنمية البشرية لمصدر السابق ص 44-45

[2] مصطفي حنفي، من كانت الى جون رولز جدل الأخلاقي والسياسي في نظرية العدالة: ضمن فلسفة الحق، كانت والفلسفة المعاصرة: تنسيق محمد مصباحي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط، 1، 2007 ص 30

النفعية تعرّف الخير بالإشباع الأقصى الممكن. وتعرف العدل بالحجم الصافي للدخل الجماعي وتتجاهله حين تعطي الأولوية للحساب العقلاني وصرامته.[1]

المقاومة الاستراتيجية: كان سميت مؤمنا بالفلسفة الطبيعية ومن أبرز أنصارها لذلك أعتقد بوجود نظام طبيعي وقوانين طبيعية كما يمكن بواسطتها معرفة حدوث هذه الظواهر والتنبؤ بهايمكن بها تفسير الظواهر الاقتصاديةالرأسمالية على الدوام.[2]. "ولقد شهدت هذه النظرة الطبيعية انتقادات من مدارس فكرية متعددة ولكن ذلك لم يمنعها من الاستمرار والازدهار. وكانت الكنيسة أول من انتقدها في بداية القرن التاسع عشر، وفي أواسط القرن عينه كتب ماركس كتاب " الرأسمال " وفيه انتقد الرأسمالية نقدا لاذعا وفي مطلع القرن الحادي عشر مازالت المؤلفات تنتقد النظام الاقتصادي العالمي الراهن النيوولليبرالي لسلطته المتزايدة للأسواق وعلى عكس ذلك بل إننا نشهد في جميع بلدان الرأسمالية المتقدمة كيف أن أرباب العمل وكبار الموظفين وكبار الصحافيين يمتدحون نظام العولمة الرأسمالي والاقتصاد الجديد. بالرغمةمن قساوته ."

وقد جاء هذا المديح في سياق انتشار اللغة الكونية الجديدة التي ترفض نقد صريح لها وللرأسمالية الجديدة، والطبقات المالكة للثروة والاستغلال والسيطرة والتفاوت الاجتماعي، باعتبارها مفاهيم غير قابلة لاستدراك ما نتج من مساوئ وانزلاقات خطيرة عند ممارسة لهذا النوع من الاقتصاد الاحتكاري والعنصري الذي استطاع أن يضفي على ممارساته الشرعية، ومناداته بالحرية والديمقراطية والتحرر. "

من خلال **التناقضات الثقافية**التي روجتها الرأسمالية من خلال قنوات الاعلام من خلال الدعاية المعرضة التي مارستها كحق استراتيجي للدفاع عن قواعدها من أي نقد بناء وذلك ما نسميه بالهيمنة الرمزية، الذي تمثل في الخطاب المنتصر .وما يزيد مفاعيل وقوة وضرر هذا الخطاب أن من يشيعه ليس

[1] بن علي محمد ، العلوم في الفلسفة: الانسان في الفكر العربي والإسلامي والليبيرالي الغربيرسالة دكتورا جامعة وهران السانيا قسم الفلسفة سنة 2012-2013 ص 196

[2]كامل ، وزنة ، آدم سميت ، قراءة في اقتصاد السوق معهد الدراسات الاستراتيجية ، منتديات برامج نت أكرم كوردي2007 ص 36

فقط الطبقة الرابحة الذين يسوقون لهذا الخطاب تحت غطاء " التحديث " إعادة صنع العالم بالقضاء على المكتسبات الاجتماعية والنضالات السياسية هم طبقة من مثقفين من اليسار كانت لهم تجربة فاشلة في تغير الأوضاع الاجتماعية خاصة مع انهيار المشروع الاشتراكي وفشل مشروع دولة الرفاه بعد أن هيمنت الاشتراكية في الغرب الديمقراطية الاجتماعية ويعتمد نجاح دولة الرفاه حسب ماركس في قدرتها على بناء مجتمع قادر على انتاج ثروة أكثر من تلك التي ينتجها المجتمع الراسمالي وعلى توزيع هذه الثروة بصورة أكثر عدالة [1]

العالم بحاجة اليوم الى وقفة هادئة ومتأنية تحاول أن تقدم بحثا نقديا وعلميا حول طبيعة الواقع الموضوعي للرأسمالية المعاصرة التي تجدد نفسها في المراكز المتقدمة، بهدف ضمان سيطرة علاقات الإنتاج على قوى الإنتاج، وإعادة إنتاج هذه العلاقات على الصعيد الكوني.

ويعتبر نظام الإنتاج الرأسمالي في طوره الراهن نظاما مهيمنا، ويشكل قاسما مشتركا بين البشر جميعا، ويمتد في كل مكان، ويخض الجميع.

في نهاية الثمانينات وبعد نجاح الرأسمالية من العبور الى العالمية والسيطرة على جميع نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، لمساحة شاسعة من العالم إلا أنها وصلت لدرجة الاشباع وسقطت في لاهوت الخلاص، حين طرحت نفسها على أنها أيديولوجية خلاص.

وهكذا نخرج بمحصلة للتجاذبات الفكرية فيما يخص شؤون الاقتصاد التي تصارعت منذ أن بدأت حركة التصنيع والتي، والتجارة وتنقل الأموال وتوسع رقعة الإنتاج سمت بتطور المستوى المعيشي للفرد وزيادة الدخل وتوفر الإنتاج وبدأت عجلة النمو في الاتساع."إن البشرية تقف أمام تصورين الأول كان يُمني النفس في المعتقد الاشتراكي الذي رأى الخلاص ليس منبعه الشعب، وإنما الطبقة البروليتارية الذي يعود لها الفضل أو التي تمثل المنتجات الصناعية والمحرك الرئيسي لماهية الرأسمالية العمال الذين

[1] أنتوني جونز الطريق الثالث، تر أحمد زايد، محمد محي الدين الهيئة المصرية للكتابالقاهرة 2010 ص 38

سوف تعود إليهم مكتسباتهم وتتحقق السعادة البشرية والمساواة للجميعأما في الجهة العكسية يرى أرباب العمل أن البروليتارية سوف يخلفها الشركات المتعددة الجنسيات ورجال الاعمال، إذن ما مدى صدق هذين التصورين تصور يري في امتلاك لوسائل الإنتاج الخاصة المخرج لكل معضلة اقتصادية وطرف آخر يصر على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج ".وهذا ما ركز علية ماركس بإعطاء الأولوية الى سوسيولوجية بنائية في قدرة العمل الجماعي في التحكم البنية التحتية الاقتصادية في الفوقية الأيديولوجية عكس ما ذهب اليه ماكس فيبر قد عزا نشوء الرأسمالية الى حركة الإصلاح الديني[1] وظهور الأخلاق من خلال الكتاب المشهور **الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**"*[2] في التحرر من الاتجاه الاقتصادي التقليدي يبدو بمنزلة أحد العوامل التي ينبغي أن تفرز الميل الى التشكيك أيضا بالتراث الديني ، والى التمرد على السلطات التقليدية .غير أن المهم أيضا الإشارة الى حقيقة منسية جدا هي أن الإصلاح الديني لا يعني بالتأكيد إزالة سيطرة الكنيسة بشكلٍ نهائي على شؤون الحياة بل يعني بالأحرى استبدال القديمة منها بشكل جديد من السيطرة ،وهي تعني استبدال سلطة متراخية الى الحد الأقصى ،وغير موجودة عمليا في حينه ، بأخرى تخترق كل ميادين الحياة العامة والخاصة فارضة تنظيما للسلوك شديد الوطأة والقساوة[3]

---

[1] محمد عابد الجابري وآخرون دروس الفلسفة ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط،1971ص 346

* إن ا لقيم البروتستانتية الكالفينية هي التي ساهمت في بروز الرأسمالية العقلانية وقد عكس فيبر البنية الاقتصادية التي كانت ترتكز على العوامل المادية عند ماركس الى ما هو ديني وفقي ، وغذا كان مارس ثار ضد الدين فإن فيبر قد دافع على فلسفة الأديان وخاصة البروتستانتية دعامة العقلانية والبيروقراطية، والرأسمالية والحداثة الغربية ومن تم تدعو البروتستانتية الى ابتغاء الكسب المثمر ، وتنمية الرأسمال ، وفق دوافع سيكولوجية ومبادئ أخلاقية =مثل الحرص ،والشح ،والاستثمار ،وعدم التبذير ،وحب العمل ، ولاسيما أن المذهب البروتستانتي الذي ظهر مع مارتن لوتر يمجد العمل باعتباره غاية الحياة وفريضة من الله "إن من لا يعمل لا يأكل كما قال القديس بولس ، بالإضافة الى خصال أخرى مثل التقشف، والاستثمار والادخار وتلك هي الأسس التي قامت عليها الرأسمالية الحديثة

[3] Max weber : L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme 1904-1905 ; traduit par Jacques chavy, Plon, 1964 / Nouvelle traduction par I Kalinovskaïa, Gallimard année 2003 p 18-19

يرى ماركس أن سيرورات التفكير وإنتاج المعارف لا يمكن أن تكون غير مرتبطة بعلاقات العمل والإنتاج، فالتفكير النقدي الحقيقي بالنسبة الى ماركس، يجب أن يقدم البرهان عن مقدرته على تحليل الواقع الاجتماعي والطريقة التي ينخرط الأفراد بواسطتها فيه، (ونقد الاقتصاد السياسي هو نقد لتناقضات العمل، وفي الوقت عينه للاقتصاد حيث تعقد وتتبلور علاقات اجتماعية وعلاقات بين أشخاص يدعوها ماركس مجردة وفي شكل عام لا يركز هذا التفكير على لا عدالة الرأسمالية ولا إنسانيتها إنما ما يشكل الرابط الاجتماعي. والقيام بنقد الاقتصاد السياسي يعني إذن إبراز شروط النقد الفاعل وتقديم طرق التفكير في طريقة مختلفة [1] . ويجعل ماركس الطبقة السائدةlaclasse,dominanteفي كل عصر هي الأفكار السائدة والطبقة المقصودة هي الطبقة البروليتارية إنها تملك قوة مادية وفكرية يقول ماركس إن الطبقة التي تتصرف في وسائل الإنتاج المادي تملك في الوقت نفسه الاشراف على وسائل الإنتاج الفكري ولعل تاريخ أوروبا الحديث هو تجسيد لهذا الجدل والصراع إنه صراع حول السلطة Autorité، ومحاولة تملك الطبيعة بتفسير ظواهرها، تفسير لاهوتيا مرة ووضعيا مرة أخرى أو فلسفيا وذلك شأن العلم الذي مارس سلطته على الحياة الاقتصادية وذلك للانجازات الباهرة التي خلفتها الثورة العلمية الصناعية والسياسية في أوروبا الغربية وهو ما عبر عنه ناصيف تاريخ العصور الحديثة في الغرب سِجلٌ مفتوح، تظهر فيه بوضوح السيطرة المتزايدة للنظرة العلمية الى الطبيعة والانسان، وللنظرة العلمانية الى الحياة الاجتماعية السياسية. [2] .

لنتساءل ماهي الكيفية التي بها ارتكز المفكرون الاقتصاديون لإيجاد حلول للمشكلات الاقتصادية التي فرضت نفسها على الساحة الدولية عبر التاريخ القريب وما مدى فعاليته في رسم خريطة عمل صحيحة من أجل الخروج بنتائج موضوعية تتوافق مع المخططات الاقتصادية التي شهدها العصر الحديث ومن أجل أن نقف على مدى صلاحية هذه النظم الاقتصادية التي أخذت على عاتقها المسؤولية لترميم المشاكل التنموية في كل مرحلة من مراحل التي مر بها الاقتصاد وبيان مدى توافق

[1] توفيق المديني، وجه الرأسمالية الجديد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، بدون ص 2004

[2] زروخي الشريف، العقلانية والتنوير، دار مكتبة عدنان، بغداد ط، 1، 2013 ص 97

النظرية ، والمنهجية ،والمحصلات كنتائج إيجابية أو سلبية حتى نستطيع رسم صوة بيانية لتطور الاقتصاد من مرحلة الى مرحلة أخرى مع الأخذ بالاعتبار الظروف والمعطيات المحيطة .الى أي حد يمكن الوثوق في هذه النظم الاقتصادية على اختلاف مبادئها ، ومنطقها والاتجاهات التي تبنتها، والنتائج التي حصلت عليه.

البداية كانت مع سميت، تتركز الدوافع الاقتصادية لدى سميت على دور المصلحة الذاتية. ذلك أن السعي اليها بصورة فردية وتنافسية هو مصدر القدر الأكبر من الخير العام [1]ومع ذلك كانت خطوة هائلة اتخذها سميت بوصفها مسألة علمانية بحتة. فالشخص الذي يجمع الثروة لنفسه كان حتى الآن موضع ارتياب وشكوك وسوء ظن[2] فالإنسان برأيهم ينطلق في تصرفاته وقضاياه الاقتصادية بما يحقق منافعه الشخصية. فالمنفعة الشخصية هي التي تميّز الانسان وهي الحافز الذي يدفع الانسان نحو الإنتاج والعمل. أما المبدأ الثاني: فهو مبدأ المنافسة بين المنتجين. فالفرد عندما يسعى الى منفعته الشخصية فهو يدخل في تنافس مع بقية المنتجين.[3] دليلهم في ذلك يؤمن أصحاب النظرية الفيزيوقراطية، أن المجتمعات تتطوّر حسب نظام طبيعي: مجموعة من النظم والقواعد التي بموجبها يتحقق الانسجام بين الانسان ومحيطه. وهذه النظم وضعت من أجل سعادة البشر، وبالتالي مخالفة هذه القاعدة سوف يؤدي لا محالة الى الشقاء. إن سعي الانسان من أجل مصالحه وأعماله سوف يوّصله بالتأكيد الى التطابق مع المصلحة العامة وهم يشكلون مذهبا اقتصاديا يدعوا لاعتماد الزراعة كأساس للثروة.[4] إلا اننا نسجل انقسام داخل هذا المذهب، تختلف نظرة سميت عن كل من ريكاردو و مالتوس،عند نقطة الانقسام بين الفاعلين الاقتصادين الى فئات وفق المصالح المميزة والمتنافسة.

[1] جون كنيت جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي المصدر السابق ص 77

[2] جون كنيت جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي الصدر نفسه ص 78

[3] إبراهيم مشوربّ، الاقتصاد السياسي المرجع السابق ص 49-50

[4] أسمهان طلحي، فلسفة الفكر الليبيرالي، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط، 1. 2016 ص219

فكما هي المداخيل تنتج عن نماذج متعددة أجور، رواتب، بيع فإن النظام الاقتصادي يجب أن يكون مبنيا أو محللا كنتيجة لتوازن ليس بين الافراد بل بين الطبقات الاجتماعية.

وكخلاصة نستطيع أن نسجلها فيما يعتري مبادئ الفيز وقراط، أنهم استندوا الى الملكية الشخصية وهي حصول الشخص على مقابل ما ينتجه متمثلة في الملكية المنقولة وهي حق الشخص في ملكية ثمرة عمله وبالإضافة الى ملكيات أخرى أما فيما يخص الجهاز التنظيمي المتمثل في الدولة فيقتصر دورها في حماية النظام الطبيعي وهذا ما يمنحها قوة في يد شخص واحد متمثل في الملك.[1] إن القول بأن القوانين التي تحرك المجتمع والاقتصاد هي قوانين الطبيعة لا إرادة للإنسان عليها هي مقولة غير علمية لأن الظواهر الطبيعية تتغير مع تغيير الواقع الاجتماعي وبكلمة أخرى فإن الطابع الموضوعي للقوانين الاجتماعية مطعم بوعي الانسان وإرادته وحركته الاجتماعية التاريخية المتطورة عبر الزمان والمكان، بينما الطابع الموضوعي للقوانين الطبيعية ثابت وذو حتمية مطلقة بالنسبة لوعي الانسان وقدراته[2].

في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر تطورت مدرسة الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكية التي كان العالم الإنجليزي سميت أبرز ممثل لها. وقد طرح علماء هذه المدرسة أفكارا صادقة اعلنوا أن العمل هو مصدر الثروة الاجتماعية كلها ،ووضعوا نظرية القيمة التي بموجبها تحدد القيمة بمقدار العمل المقاس بالزمن[3]ولا حظو عن حق أن **تبادل** البضائع هو ، في التحليل الأخير ،تبادل النشاط العملي .ونظر آدم سميت الى الربح الرأسماليين كحصيلة عمل غير مدفوع للعمال المأجورين ، ألا أن آدم سميت ،وابن وطنه ريكاردوو الممثلين الآخرين للمدرسة الكلاسيكية للاقتصاد السياسي البرجوازي لم يكتشفوا عن جوهر العلاقات الرأسمالية وأعمق التناقضات الملازمة للرأسمالية ، ولم يحللوا علاقات الناس التي استقرت في مجتمع يسود فيه الرأسمال حيث قسم سميت المجتمع الرأسمالي

[1] إبراهيم مشوربّ، الاقتصاد السياسي المرجع السابق المرجع ص 52-53

[2] عارف دليلة، بحث في الاقتصاد السياسي للتخلف والتقدم والنظام الاقتصادي العالمي، دار الطليعة، بيروت 1982، ص 26-27

[3] مينايف، نشوء الاشتراكية العلمية ومبادئها دار القلم موسكو ص 23

الى ثلاثة فئات: العمال، والرأسماليين والمزارعين، وأجر العمل والربح والريع هي أشكال دخول كل فئة منها.[1] وفي نحو منتصف القرن التاسع عشر أصبحت البرجوازية في أوروبا الغربية وفي أمريكا الشمالية بعد أن توصلت الى السلطة ترفض التقدم الاجتماعي فإن نمو البروليتارية ودخولها في الميدان السياسي قد بثا في البرجوازية القلق على خلود سيطرتها حيث أشار الفيلسوف الاشتراكي الفرنسي بول لا فارغ، Paul,Lavarge 1842-1911، فقّد التقدم سحره في عينها، ومن هنا حاول الاشتراكيون الطوباويون البارزون في بداية القرن التاسع عشر ، هنري سان سيمون وشارل فورية، والانجليزي روبرت اوين أن يجيبوا على هذه الأسئلة، لقد أكدوا أن الإنسانية تتطور نحو مجتمع جديد سيكون فضيلته الأساسية العمل لا الربح والمنفعة. وبدلا من استغلال الانسان للإنسان سيأتي يوم يتعاون فيه الجميع باسم سيادة الناس على قوى الطبيعة.

تتركز الدوافع الاقتصادية لدى سميت على دور **المصلحة الذاتية**. وذلك أن السعي إليها بصورة فردية هو مصدر الأكبر من الخير العام[2]. ومن أشهر أقواله "إننا لا نتوقع غذاءنا من إحسان الجزار أو صانع الجعة أو الخباز وإنما نخاطب حبهم لذواتهم"؟؟ ويضيف بعد ذلك أن الفرد في هذه الحالة كما في حالات أخرى كثيرة، تقوده "يد خفية "*[3]نحو تحقيق غاية لم تكن جزء من مقصده. في ذلك تصريح واضح ضد كون المصلحة العامة غير ممكنة ولا يمكن بلوغها مهما كانت المحاولات . سعى سميت من خلال نظرياته الى دمج تقسيم العمل وتطوير القوى الإنتاجية مع الحرية الفردية،كما دعا الى تراجع سلطة الدولة في الأمور التي تحدُ من نمو الاقتصاد وتطوره [4].اعتقد سميت بأن نزعة الانسان ورغبته في تحسين أحواله المادية وتأمين منفعته الشخصية كانتا الدافع المحرك لجميع تصرفاته وفسّر العلاقة بين

---

[1] المصدر نفسه ص 24

[2] إيان كريبت تاريخ الفكر الاقتصادي المصدر السابق ص 77

*والاشارة الى اليد الخفية لها في نظر الكثيرين ونين صوفي غامض، فهي قوة روحية تساند السعي الى تحقيق المصلحة الذاتية وتوجيه الناس في السوق نحو أسلم الغايات عاقبة. غير أن الأخذ بهذا الرأي يسيء كثيرا الى سميت، فاليد الخفية –وهي أشهر استعارة في الفكر الاقتصادي –كانت عنده مجرد استعارة لغوية. فقد كان هذا الأخير أحد رجال عصر التنوير، ولذلك لم يكن يلجأ الى دعم روحاني لحجته.

[3] كامل وزنة آدم سميت قراءة في اقتصاد السوق معهد الدراسات الاستراتيجيةالرجع السابق ص10

منفعة الفرد ضمن المجتمع والحالة الاقتصادية التي يعيش فيها، فوجد أن المصلحة الفردية والمنفعة الشخصية قد تترجمان الى منفعة للبنية والمجتمع الذي يعيش فيه[1]. يقول سميت أن " الصناعي يسهر على تحسين إنتاجه ليضمن له أكبر وأفضل قيمة في السوق وهو بعمله لا يفكر إلا بمنفعته وربحه الخاص. لكن في الوقت ذاته يكون قد أدى خدمة للمجتمع وقام بعمل يحقق المنفعة العامة [2].إن مصلحة الصناعي تقدم تصورا عن حالات كثيرة يسعى فيها الانسان الى تحقيق هدف يخدم مصلحته الشخصية ولكنه في الوقت نفسه يساهم في بناء وازدهار الحركة الاقتصادية ونمو المجتمع وتطوره .هنا يأتي التوافق العفوي بين المنفعتين العامة والخاصة والجدير بالذكر أنه إذا لم يكن هناك من مكابح للمصلحة الشخصية فإن المصلحة العامة قد تتضرر الا إذا تواجدت بعض الثوابت في الحركة الاقتصادية تحد من أطماع المنفعة الشخصية كنظام المنافسة الذي يسهل حرية الأموال ويزيد من سرعة انتقالها خدمة للقوى الإنتاجية ومساهمة في زيادة المنفعة العامة [3].

عمل سميت يلقي اشادة عالمية:

ما تخفيه اليد الخفية لتنظيم السوق؟

بالإضافة الى شراء السلع من أي مصدر بما في ذلك السلع الأجنبية وهكذا قد قوض قاعدة كانت تسير بمقتضاها السياسة الأوروبية في القرن الثامن عشر، كما أنه قاوم سميت بقوة مجهودات الدولة لتنظيم ورفع الأجور بشكل مصطنع، فكتب كلما حاول القانون تنظيم أجور العمال، فإنه في الواقع يخفضها بدلا من أن يرفعها[4]. ومثل كل عامل، كان سميث يتمنى أجورا عالية، لكنه يعتقد أنها يجب أن تأتي من خلال العمل الطبيعي لسوق العمل، وليس بمرسوم حكوميو يحدد سميت في كتابه كيفية خلق الثروة والرفاهية من خلال نظام السوق الديمقراطية الحرة، وألقى الضوء على ثلاثة خصائص لهذا

[1] كمال وزنة آدم سميت قراءة في اقتصاد السوق المرجع نفسه ص 14

[2] فؤاد دهمان –محاضرات في المذاهب الاقتصادية الكبرى، دمشق 1959، ص 74

[3] كمال وزنة آدم سميت المرجع السابق ض 15

[4] مارك سكوين المصدر السابق السابق ص 26

النموذج الكلاسيكي أو النظام ذاتي التنظيم: أ: الحرية فالأفراد الحق في إنتاج ومبادلة المنتجات والعمل ورأس المال بالشكل الذي يرونه مناسبا. تأتي المنافسة فمن حق الأفراد التنافس في انتاج واستهلاك السلع والخدمات، ثالثا، الأفراد يجب أن تكون أفعالهم عادلة ونزيهة وفقا لقواعد المجتمع. [1] إذن نلاحظ أن سميت يدمج المبادئ الثلاثة التي يرتكز عليها الاقتصاد الكلاسيكي حيث عندما تتوفر للمستثمر الحرية الكاملة مادام ينصاع لقوانين العدالة ويسعى بطبيعة الحال بطريقته الخاصة وراء مصالحه، ويسمح له من الناحية التسويقية أن يدخل في المنافسة مع أي شخص أو أشخاص آخرون.

جادل سميت بأن العناصر الثلاثة ستقود ل تناغم طبيعي ما بين مصالح العمال وملاك الأراضي والرأسماليين. ولنتذكر مصنع الدبابيس حيث يجب أن تعمل الإدارة والعمال معا لتحقيق أهدافهم كذا المعطف الصوفي الذي يتطلب العمل المشترك ما بين العمال والتجار وشركات النقل على مستوى العالم، وعلى نطاق واسع فإن المصلحة الذاتية الحرة لملايين الافراد سوف تخلق مجتمعا مستقرا ومزدهرا دون الحاجة لتوجيه مركزي من الدولة. يسمى مذهبه في المصلحة الذاتية المستنيرة غالبا باليد الخفية القائمة على فقرة شهيرة مقتبسة من ثروة الأمم[2]. **من خلال سعيه الخاص خلف مصلحته الذاتية البحتة يقاد كل شخص بواسطة يد خفية لخدمة المصلحة العامة**

فاليد الخفية تعمل على الهارمونية التي تقود للنمو في مخرجات السلع التي يرغبها الناس. وتعد اليد الخفية مقترح أصيلا يكتسي أهمية كبيرة في كل علم اقتصاد، ويضاف لسميت أنه حقق إنجازا ساحقا بوضع التحليل المنهجي لسلوك الافراد، في سعيهم لتحقيق مصالحهم الذاتية، تحت ظروف المنافسة، في مركز علم الاقتصاد[3]تتأكد أهمية آدم سميت في الكثير من الجوانب الاقتصادية التي صنعت الفهم العام للعمليات الاجتماعية. وليس فقط فقد أثبتقانون فالراسWalras'slawو، أمثلية باريتو pareto's,optimality وصندوق إدجورث,Edgeworth,s box صحة أطروحة سميت الرئيسية لكنها

[1] مارك سكوين المصدر نفسه ص 34-35

[2] مارك سكوين الثلاثة الكبار في علم الاقتصاد المصدر السابق ص 35

[3] مارك سكوين الثلاثة الكبار المصدرنفسه ص 36

أوضحت أيضا، كيف يحدث في بعض الأحوال أن تؤدي الاحتكارات المرتبطة بالحكومة والاعانات وكل أشكال السلوك اللاتنافسي، لا محالة الى الإهدار وانعدام الكفاءة.وكدليل يضاف الى صحة أطروحة سميت كتب كنيت آروkenneth.Arrow، وفرانك هان Frank ,Hahn كتابا كاملا في تحليل الاقتصاد المركزي المثالي وأشار فيه عن علاقات التوازن الأكثر أساسية ، وتسوية معدلات العوائد .ويعترف هذان الاقتصديان بالتأكيد بأن سميت صاحب المساهمة الفكرية الأهم على الاطلاق في الفكر الاقتصادي والتي صنعت الفهم العام للعمليات الاجتماعية. [1]بينما يذهب سميت الى اعتبار أن حرية التبادل والتعاملات هما جزء مكمل ومقوم للحريات الأساسية التي يحق للناس أن يصدروا تقييما بشأنها ولذى يري **أمارتيا سن** ، أن حرية تبادل الكلمات أو السلع أو الهدايا ليست في حاجة الى تبرير دفاعي إنها جزء من وسيلة وأسلوب حياة الناس في المجتمعات وللتفاعل بينهم[2] .

إن رفض حرية المشاركة في سوق العمل هو إحدى الوسائل لإبقاء الناس خاضعين للسخرية والعبودية. إن علينا اطراد الحرمان بين قطاعات اجتماعية تظل مستبعدة ومستثناة من منافع المجتمع الخاضع لتوجه السوق. وكم هو عسير الظن بأن عملية التنمية الموضوعية يمكن أن تمضي وتتحقق دون الدعم والمساندة الاجتماعيين أو التنظيم العام أو دور إدارة الدولة. إن افتقاد الحرية الاقتصادية من شأنه أن يرعى ويغذي افتقاد الحرية الاجتماعية تماما كما أن افتقاد الحرية السياسية يمكن أن يرسخ ويعزز افتقاد الحرية الاقتصادية.

الثورة الحدية وقراءة في مبدأ المخاطرة:

إن مع ظهور هؤلاء الاقتصاديون النيوكلاسيكيون.Néoclassique، والتي تجمع بين روح آدم سميت للمنافسة الحرة مع النظرية الحدية للمنفعة الذاتية التي ستحل محل إطار بما يسمى ،Ricardo،بعقيدة جديدة. لقد رفض ثلاثي الثورة الحدية وليام جيفونس ستانلي -Williams,Stanley,Jevons 1835

[1] مارك سكوين الثلاثة الكبار المصدر السابق ص37

[2] أحمد جميل حمود، عرض كتاب –التنمية حرية – أمارتيا صن رؤية شاملة مجلة الحوار المتمدن – العدد:22/23 -2008 ص 2

.1882 ،و ليون ولراس ،Leon,Walras1834.1910،نظريات تكلفة الإنتاج الموضوعية في القيمة وركزوا بدلا منها على مبدأ المنفعة الذاتية وطلب المستهلك [1]، لقد أدركوا أن كمية العمل والإنتاج ليست ما يعطي قيمة للسلعة أو المنتج . فليس هناك شيء من قبيل القيمة الجوهرية التي زعمها ريكاردو. فالقيمة تتوقف على التقييمات الذاتية للمستهلكين الافراد وباختصار يجب أن يكون المستهلكون مستعدين لدفع مبلغ معين قبل أن يتحرك المنتجون لتوظيف الموارد الإنتاجية لإنتاج منتج ما . ويجب أن يكون هذا المبلغ كافيا لضمان ربح معقول[2]. وسجل اقتصاد سميت خطأًجسيما عند تميزه بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية بما فتح النقاش أمام الاشتراكيين والماركسيين ليتذمروا لوجود فارق بين الإنتاج للربح والإنتاج للاستعمال، وفضلوا الرأسماليين تركيز اهتمامهم للحصول على الربح أكثر من تقديم خدمات مفيدة كما لو كان التبادل المربح منفصلاً عن منفعة المستهلك.

"في ظل هذا التقدم في الفكر الاقتصادي، وجد جيل جديد من الاقتصاديين أن الإنتاج والتوزيع يمكن أن يتصلا مرة أخرى، فطلب الاستهلاكيين يحدد في نهاية المطاف الأسعار النهائية، والتي تحدد بدورها اتجاه النشاط الإنتاجي، ويحدد الطلب النهائي أسعار عوامل الإنتاج المتعاونة – الأجور والريوع والارباح – وفقا للقيم التي يضيفها كل منهم في عملية الإنتاج."

كان **بوهيم بافريك** 1851-1914 اقتصادي نمساوي قد وجه نقدا لماركس الذي لم يحظى باعتراف الاكاديمية الاقتصادية وخاصة في عمله الكلاسيكي رأس المال والفائدة، حيث بنى بالفريك نظريته على حساب الدراسات السابقة: لمانجر كلارك : Menger،Carl وكانت هذه المساهمة أصيلة في مسائل الادخار والاستثمار ورأس المال والفائدة والنمو الاقتصادي. على حسب ادعاء ماركس: إن العمال يستحقون كامل قيمة المنتجات التي ينتجونها، فملاك الأراضي الذين يتسلمون الريع

[1] مارك سكوين الثلاثة الكبار المصدرالسابق ص 154-155

[2] مارك سكوين الثلاثة الكبار المصدر نفسه ص 155

والرأسماليون الذين يحصلون على الربح، إنما يستغلون العمال ويأخذون منهم ثمار عملهم، وردا عليه قدم **بوهيم بالفريك** نقطتين كنقد: [1]

الأولى هي حجة **الانتظار**، ويستند فيها على نظرية في الفائدة تقوم على فكرة الامتناع عن الاستهلاك، التي طورها **ناسوسنيور** فالرأسماليون يمتنعوا عن الاستهلاك العاجل ويستخدمون مدخراتهم لزيادة وتحسين السلع والخدمات، وتعكس الدخول من الفائدة عامل **الانتظار** هذا في كامل الحياة الاقتصادية، ولذلك فهو له ما يبرره كتعويض للرأسماليين والمستثمرين.[2]فمنتجو السلع الرأسمالية يجب أن ينتظروا حتى يتم صنع سلعهم وبيعها للمستهلكين أي الانتظار حتى تأخذ طريقها للاستهلاك قبل أن يحصلوا على كامل مكسبهم من استثماراتهم، وباختصار يجب على ملاك الأرض والرأسماليين المستثمرين أن ينتظروا قبل أن يتم الدفع لهم، فهل هذا هو الحال بالنسبة للعمال المستأجرين؟؟ لا، فليس عليهم الانتظار، فهم يوافقون على أداء كمية محددة من العمل مقابل أجر أو راتب على أداء كمية محددة من العمل ويتم الدفع لهم أو نصف شهري بغض النظر عما إذا بيعت المنتجات التي أنتجوها أو لا. فالعمال يحصلون على أجورهم بانتظام، وإذا تدهورت الأعمال، فأقصى ما يخسرونه هو قسيمة الأجر بينما يواجه رجل الاعمال خرابا ماليا وديونا ثقيلة وإفلاسا، باختصار، مستوى مخاطرة العمال أقل منه لمنظمي الاعمال، فكيف يكافئ السوق تلك المخاطرة الإضافية.

كيف يمكن الخروج من الازمة الاقتصادية في ظل الصراع بين جشع التجار والحفاظ على سيادة القانون وما يحفظ حقوق العامة كان ذلك جوهر المسألة الاقتصادية التي انقسمت حولها الأفكار والسياسات والتكتلات العالمية التي رسمت الخريطة العالمية لدول وشعوب العالم؟

قراءة في مبدأ الاحتكار:إن الإنتاج البضاِع لا ينشأ إلا إذا توفرت شروط معينة. فالشرط الأهم لظهور الإنتاج البضاعِ ووجوده هو تقسيم العمل وهذا يعني أن انتاج مختلف المنتجات موزع بين هؤلاء

[1] مارك سكوين الثلاثة الكبار المصدر نفسه 156

[2] مارك سكوين الثلاثة الكبار في علم الاقتصاد المصدر السابق 158

أو أولئك من الافراد أو بين هذه أو تلك من مجموعات. الافراد. فالبضاعة هي أولا شيء يلبي حاجة من حاجات الانسان. وهي شيء ينتج للبيع، للمبادلة وليس للاستهلاك الشخصي، الانسان الذي ينتج شيئا لاستهلاكه الشخصي لا يضع إلا المنتوج ولكنه لا يضع البضاعة[1]

وهنا نطرح سؤالا، ما الذي يعيّن قيمة البضاعة ؟؟ هل هو مطلب نفعي أم قدرة السلعة أن تكون مطلب من مطالب السوق وفق معادلة العرض والطلب، او لان، السلعة أو البضاعة تكتسي قيمة نادرة في السوق وهذا يؤدي الى البحث عنها بوسائل متنوعة وفق ما تحتويه هذه السلعة من عناصر مغرية أو لأن السلعة تطلب في نشأتها وخلقها مقدار عمل ابداعي وتصبح قيمة السلعة تتحدد بقيمة العمل المبذول لصناعتها.

منذ مطلع الأزمة والصدمة الكبيرة التي ظهرت مع بداية السبعينيات أصبحت الشكوك تطال المنظومة الاقتصادية التي احتفى بها العالم منتشي بالنجاح التي حققها النمو الاقتصادي.

يعتقد الاقتصادي الروسي كوندراتيف،Kondernev أن التاريخ الرأسمالي يتميز بدورات طويلة المدى تستمر لمدة خمسون عاما وصناعات رائدة ومتميزة. ويكون النشاط في هذه الفترة في حالة صعود الى أن يصل الى الاشباع فيتراجع وفي هذا الإطار يقول فالرشتينValrerishti وهو اقتصادي أمريكي: ان هناك ميلا داخليا لتوسيع الحجم المطلق للإنتاج في اقتصاد العالم ويتوسع العرض العالمي بمعدل منتظم بينما يبقى الطلب ثابتا نسبيا وهكذا تحدث اختناقات التراكم وتفضي الى فترات الركود[2]إن أزمة فيض الانتاج هذه لا تعني أن إنتاج البضائع مطلق، بل هو انتاج نسبي.

إن فيض الإنتاج يظهر بالنسبة الى الطلب المقتدر لا بالنسبة الى حاجات المجتمع الفعلية. إن تزايد الطابع الاجتماعي للعمل يتم في مصلحة الرأسماليين، الذين يسعون دائما الى زيادة أرباحهم. وبما أن وسائل الإنتاج هي ملكية خاصة لرأس المال فإن حصيلة الإنتاج تعود الى مالكي وسائل الإنتاج.

---

[1] إبراهيم مشوربّ الاقتصاد السياسي المرجع السابق ص 115،117

[2] رمزي زكي، ظاهرة التدويل في الاقتصاد العالمي وآثارها على البلدان النامية، المعهد العربي للتخطيط في الكويت، الكويت، 1993، ص 13

لعبت الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي دورا في التخفيف من حدة أزمة النظام الرأسمالي، فقد زادت الإنتاجية وتم دفع قوى الإنتاج الى الامام الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تظهر قول رمزي زكي، نحن إذن إزاء أزمة عميقة وطويلة المدى تمثلت في تمركز رؤوس الأموال بيد طبقة محدودة تمثل 1/ من سكانها حوالي 85/ من المجتمعات وإن هذا النمط الاقتصادي غير متوازن تم تصديره عبر العولمة الامريكية ووفق آلياته المعزولة[1] مع العلم أن العولمة تسعى جاهدة الى الانتشار وفق احداثيات توسعية تجعلها القوة الوحيدة في المنطقة وبوسائل جد متطورة هنا فإن علاجها يتطلب أساليب غير عادية من شأنها أن تعيد لاستئناف الإنتاج المتسارع.[2] وفي ظل التطور العلمي والتكنولوجي الراهن أصبح الاستثمار في المضاربة المالية يحل محل الاستثمار المنتج وأخذت معدلات نمو الانتشار المالي تقدمه معدلات تحول الاستثمار الحقيقي. وأخذ جوهر الازمة يتمثل في ظهور فائض في الادخار عن الاستثمار، ولكن المشكلة تبرز عندما يتباطأ الإنتاج والتراكم إذ أن ذلك سيدفع حتما نحو التضخم inflation،وفي هذه الحالة يزداد الميل نحو المضاربة وانهيار البورصة سنة 1987 نتيجة لسياسات التوسع المالي التي أدت الى انكماش النمو الاقتصادي[3] الذي أدى الى انفجار أزمة العمل في منتصف القرن العشرين، وتغير سوق العمل النوعي مما تسبب بزيادة التكلفة الاجرية للإنتاج، والنفقات العامة المتزايدة نفقات الدولة، السلطات، الضمان الاجتماعي ، تزايد العمل غير منتج بسبب أنه غير مدفوع الاجر في المنظومة الرأسمالية وبالتالي لا يولد قيمة مضافة للتراكم ولا يمكن أن يحقق ارباحا[4].

خلاصة القول: إن الرأسمالية تحمل في ثناياها بذور أزمتها وهذا القول لا يعني أن النظم الاجتماعية السابقة على الرأسمالية لم تتعرض للأزمات. فالأزمة في النظم السابقة كانت تتسم بأن الإنتاج لا

[1] محمد طاقة، حسين عجلان: المأزق الفكري للنظام الرأسمالي والازمة الاقتصادية العالمية، المؤتمر العلمي الدولي، الأردن 2009 ص 9

[2] رمزي زكي، فكر الأزمة دراسة في أزمة علم الاقتصاد الرأسمالي والفكر التنموي الغربي، مكتبة مدبولي، القاهرة 1987، ص 65- 66

[3] محمد طاقة، حسين عجلان المرجع نفسه ص 09-10

[4] محمد طاقة، حسين عجلان، المرجع نفسه ص 12

يصل الى مستوى الاستهلاك والطلبمعنى أن العرض الكلي يقل عن الطلب الكلي. وكان هذا يحدث نتيجة خراب الزراعة والحروب أو الكوارث الطبيعية. زيادة على ما تحمله الرأسمالية من تناقضات طبقية وعنصرية وثقافية[1] ما مكنها من القدرة على التكيف في ظروف استثنائية بالرغم من الركود وانتشار البطالة وازداد الدين الخارجي، بالرغم من ذلك استطاعت الرأسمالية التكيف مع وقائع الحياة بفضل الثورة العلمية التكنيكية وإذا كانت الرأسمالية قد تقلصت جغرافيا يقول فؤاد مرسي خلال القرن الحالي فإنها أثبتت مع ذلك أنها أكثر قدرة على الحياة مما كان يتصور خصومها. لقد تغلبت على أخطر التناقضات في اللحظة المناسبة[2].

نواجه الآن رأسمالية معاصرة تتميز بالاستجابة الحيوية لمقتضيات العصر تجدد قواها كلما وجدت الفرص يسمح لها أن تجدد قواها الإنتاجية وأن تعيد تنظيم علاقاتها الإنتاجية حتى لا تفلت من سيطرتها تلك القدرة على السيطرة لأن تستعيد مستعمراتها القديمة الرئيسية. فلقد تغيرت في الواقع أشكال عمل قوانين الرأسمالية وآليات حركتها، وإذا كان صحيحا أن الرأسمالية قد قامت ولا تزال تقوم على الملكية الخاصة لرأس المال فإن هذه الملكية الخاصة قد تغيرت من مرحلة الى مرحلة.واليوم نلاحظ أن الرأسمالية تقوم باستيعاب الفائض الاقتصادي فيها عن طريق الانفاق العسكري، ورأس المال، وقطاع الخدمات [3] .وهذه استراتيجية جديدة لجلب رؤوس الأموال وثقافة جديدة انبعثت لتصادر كل ماهو بوسعه جلب المال والرقي .

التفكير النقدي للاقتصاد والبدائل المتاحة:

إن جميع الكتابات حول التنمية البديلة، عادة ما تكون مفتتة ومتفرقة فباستثناء كتاب ، روس وآشر من، Rose,And,Usher، من الجذور لأعلى التنمية الاقتصادية كما لو كانت معنية بالمجتمع From

[1] إبراهيم مشورب الاقتصاد السياسي مرجع سابق ص 133-134-135

[2] فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها، سلسلة عالم المعرفة، رقم 147، الكويت 1990، ص 7-8

[3] إبراهيم مشوربّ الاقتصاد السياسي المرجع السابق ص 150--152

Roots Up. ….Economic devlopment as it community, Mattred1986، ، .لا توجد بيانات مرتبة حول مذهب تنمية بديلة يمكن للمرء أن يختبرها اختبارا نقديا.

كما أن "روز" وآشر يتناولان مشكلات تنمية محلية في سياق أمريكي شمالي فهما ليسا مهتمين على نحو محدد بفقر العالم الثالث[1]. وهذا المسعى للتنمية البديلة كثيرا ما يلتقي بحكم ما يكون ردا على سياسة الإقصاء والتهميش مقيدا بشكل حاد وقوي من قوى الاقتصاد العالمي وهياكل الثراء غير المتكافئ وتحالفات طبقية معادية. تيارات الانتقادات رافقت تطور نظريات النمو والتنمية الاقتصادية التقليدية وما بعدها منذ بداياته تيارات انتقادية متنوّعة أسهمت في الكشف عن العديد من المحدّدات التحليلية والجوانب السلبية في بناءها وقد تجلّ هذا الامر في بضعة أبعاد حيوية هي:

1- كيفية التعامل مع البعد الاجتماعي (العدالة والتوزيع) بصورة عامة، والعامل البشري ب بصفة خاصة.

2- عدم قدرة هذه النظريات على إدامة عملية النمو والتنمية في جانبها البشري وفي كيفية استغلال للموارد الطبيعية على الصعيد التطبيقي. بالإضافة الى ذلك فإن ما تجدر الإشارة به هنا أن الريادة في هذه التيارات لم يشارك فيها الا القلة من الاقتصاديين، حيث استلم زمانها بشكل خاص علماء الاجتماع المنظرين والمشاركون في صنع القرار عمليا وفي تتابع العقود منذ السبعينات ارتفعت حدة هذه الانتقادات وتوسعت قاعدتها كلّما ثبتت محدودية نظريات النمو والتنمية في تحقيق غاياته[2]

الواقع أنه في إطار التطور في التفكير التنموي وبعد الإخفاقات التي تعرضت لها النماذج السائدة في التنمية وعجزها عن مواجهة المشكلات العامة للفقر والاستدامة البيئية. طرحت فكرة التنمية البديلة عن طريق تحقيق ديمقراطية شاملة واقتصاد ملائم والمقبولة للأجيال[3]. وقد تبلورت الأفكار الساعية الى

---

[1] جون فريدمان التمكين سياسة التنمية البديلة تر، ربيع وهبة القاهرة المركز القومي للطباعة ط، 1، 2010 ص 20

[2] باسل البستاني جدلية نهج التنمية البشرية المستدامة مركز دراسات الوحدة العربية ط،1، بيروت 2009ص 48-49

[3] بهجت قربي، التنمية الإنسانية العربية في القرن الحادي والعشرين، أولوية التمكين، جلسة نقاشية بمركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ت، 2014/9/19 ص 24

تحقيق تنمية بديلة من خلال عدد من الاجتماعات المتتالية لمجموعة من المفكرين في لقاءات تبادلوا فيها الأفكار خارج إطار المؤسسات القادمة في تجاوز للنموذج السائد للنمو التراكمي السريع. وقد تطرّقوا الى مجتمعات المدن والسعي الى التصنيعتم على إثرها التوصل الى صياغة خطوط عريضة لمقاربة تؤدي الى تحسين مباشر لظروف الفقراء وخصوصا في الريف بحيث تواؤم في الوقت نفسه مع الاهتمامات البيئية.

وقد تابع *[1] جون فريدمان Fredman–Jhonما كتب حول التنمية البديلة، وتوصل الى صياغة كتابه: الام التمكين من سياسة التنموية البديلة، واصداره وقد أعاد فريدمان صياغة وممارسة تنمية بديلة في ضوء الخبرة، نظرا الى وجود كتابات عديدة في هذا الشأن، لكن لا يوجد تلخيص علمي لهذا المذهب البديل، فتصدى هو لهذه المسألة، في محاولة لوضع إطار مناسب من الناحية النظرية، مُستوفِ للجانب الأخلاقي، بما يخدم عملية انطلاق لممارسة تاريخية للنخبة البديلة.[2]

برزت منذ أواخر الستينيات، مقاربات مختلفة جوهريا لعملية التنمية وأهدافها ومعوقاتها. نتج عنها مزيدا من التركيز على الجوانب غير الاقتصادية للتنمية ليس على شكل وسائل لتحقيق النمو الاقتصادي بل كأهداف هامة في حد ذاتها. وانعكس هذا في الانتباه الأكثر عمقا الذي يوليه الافراد والوكالات الدولية الآن للجوانب الاجتماعية والسياسية والبيئية للتنمية. وتبرز في الادبيات المعاصرة حول التنمية جهود أكبر لفحص أثر السياسات التنموية البديلة على عدم المساواة الإقليمية والاجتماعية ولتحديد السياسات المخصوصة التي تقلص مثل هذه اللا مساواة خاصة في المناطق الريفية وفي القطاعات الافقر للسكان. إن هذه المقاربة تقود في بعض الأحيان الى تصادم بين الأهداف الاقتصادية والغير الاقتصادية. في بعض الحالات فإن التنمية الاجتماعية والسياسية والبيئية

* جون فريدمان هو أستاذ التخطيط الحضري في جامعة كاليفورنيا، وعمل لسنوات كاستشاري في أمريكا اللاتينية وشرق وجنوب آسيا، كما أدار [1]
مؤسسة فورد للمساعدة الإنمائية الحضرية والإقليمية في التشيلي

بهجت، قرني، التنمية الإنسانية العربية في القرن الحادي والعشرين، أولوية التمكين المرجع السابق ص 24–25[2]

تسهم في التنمية الاقتصادية والعكس صحيح.[1] فبدأت تظهر بوادر مجتمع ما بعد صناعي بوصفه مجتمعا صناعياانتقاليا من خلال الدراسات المستقبلية بذلك الجانب المتعلق بانتشار الوعي العالمي بتزايد الاتصال والاعتماد المتبادل. وأحرزت هذه الدراسات نفوذا قوياً خلال السبعينيات في سياق أزمة البترول ونهاية فترة الازدهار الاقتصادي التي أعقبت فترة ما بعد الحرب العالمية ولذى كان التركيز الرئيسي في هذه الدراسة على التكاليف البيئية والاجتماعية للتغير العلمي والتكنولوجي السريع[2] هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بزوغ الوعي بهذه التكاليف والتغير الحاصل في المعايير والقيم التي بدت ظاهرة في الحركات الاجتماعية الجديدة لدى فئة الحركة الطلابية والنسوية، وفي نفس الوقت فإن أغلب الدراسات التي تبنت التقليد الماركسي بحلة جديدة اهتمت بنقد علاقات القوة السياسية خاصة ما يتعلق بالمجتمع العسكري الصناعي.

وربما كان الدافع المهم للتعامل بشكل مكثف مع المستقبل يكمن في فهم النمو غير المسبوق في أغلب القطاعات الاجتماعية والاقتصادية المهمة مثل الناتج القومي الإجمالي والنزعة الاستهلاكية الجماهيرية والابتكارات التكنولوجية مع النمو الديموغرافي الفعال، الذي يبدو أنه قادر على تغيير المجتمعات الحديثة وكل المجتمعات المجاورة للمجتمع المنتش بالنمو المثير في المعرفة العلمية [3] .وهذا ما تؤكده الإحصائيات حيث ثلث المعلومات العلمية جلها ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية من خلال توسع نطاق البحث العلمي وفي منتصف الثمانينات وصلت الإصدارات العلمية السنوية على نطاق العالم أكثر من ستة ملايين منقول[4] . وقد حرص التوجه الجديد للنمو الاقتصادي أهمية موقع التنمية البشرية في أن القوة الدافعة الحقيقية للتقدم الاقتصادي هي البشر وتفنيد ما ادعته النظرية الاقتصادية

[1] أحمد عارف العساف، محمود حسين الوادي التخطيط والتنمية الاقتصادية دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة الأردن ،ط،1، 2011ص ص34

[2] ريتشارد، كوبر ريتشارد لايا ر: ماذا يخبئ المستقبل للعالم؟ رؤى من منظور العلوم الاجتماعية تر، محمد رفعت عوادو مصطفى عبد الجواد المركز القومي للترجمة ، القاهرةط،1 2018 ص 318

[3] ريتشارد، كوبر ريتشارد لايا المرجع نفسه ص 303-304

[4] Rolf Kreiblch Die WissEnschftsgesellschatt. Von Gallel Zur HighTech-Revolution،M :Suhrkamp,Frankfurt 198620-28

الكلاسيكية بأن النمو الاقتصادي يأتي نتيجة لتراكم رأس المال المادي مع القوة العاملة في تلاحمها مع عامل خارجي Exogenous يمثله التقدم التقني الذي يجعل كلا من القوة العاملة ورأس المال أكثر إنتاجية[1].

ورغم أهمية التنمية من هذا المنظور المادي فقد أثيرت حوله عدة نقاشات من قبل تيارات فكرية سياسية واقتصادية واجتماعية . وكان المفهوم الاقتصادي للتنمية قد شكل نقطة اختلاف بالرغم من محاولة ادخال مجالات أخرى غير اقتصادية، ومن نتائج هذا المفهوم الكلاسيكي الذي حاول تقليص الفجوة بين الأغنياء والفقراء ترسيخ فكرة أن النمو الاقتصادي يتلاءم مع التنمية[2] . وبإقصاء وعدم التركيز على دور الانسان كعنصر مركزي للتنمية واهمال البعد الدولي للتنمية لأنها كانت موجهة نحو الداخل بالإضافة الى عدم تمتع الانسان بثمار التنمية، كان لزاما على إيجاد مفهوم جديد لها يتجاوز الأزمات التاريخية التي ظهرت في سبعينيات القرن العشرين من انخفاض في معدلات النمو في الدول الصناعية ، وما صاحب من ارتفاع في الأسعار وشيوع ظاهرة التضخم وارتفاع معدلات البطالة [3] . وهكذا تلاشت أمال القائمين على المشروع التنموي الذي يعتمد الجانب المادي لصالح مفاهيم تنموية حديثة. تضاف الى تلك المكاسب المادية كالتصنيع وزيادة الدخل القومي مقومات و أهداف أخرى تتعلق بالجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية وتمتد بشكل متناسق ومتكامل نحو تحسين نوعية الحياة [4] ما هو التعريف الجديد للتنمية الذي يستوفي مطالب البشر والأرض والمستقبل والظروف الطارئة التي تنجم عن كيفية التعامل مع المستجدات الإقليمية فيما يخص قضايا الاقتصاد والنظرة الجديدة لمقومات التنمية؟

---

[1] باسل البستاني المصدر السابق ص 46

[2] مصطفى حسن علي، نقد مفاهيم المنظمات الدولية للتنمية والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، مجلة دراسات عربية، العدد 6، دار الطليعة بيروت1983 ، ص، 11

[3] رمزي زكي، التاريخ انقدي للتخلف، سلسلة عالم المعرفة 118، الكويت، 1987، ص، 306

[4] مصطفى حسن علي المرجع السابق ص 23

أدت إعادة اكتشاف القضايا الرئيسية لاقتصاديات النظرية التقليدية الحديثة الى تطوير فهم عريض لعملية التنمية. وفي هذا الصدد يعد أمارتي، سن، Amartya,Sen الحائز على دكتورا نوبل للعلوم الاقتصادية لعام 1998، من أهم المنتقدين لنظرية الرفاه الاجتماعي التقليدية الحديثة التي ترى أن الرفاه يعتمد على المنفعة المترتبة على استهلاك السلع والخدمات. ولم تقف مساهماته في هذا المجال عند نقد أساسيات نظرية الرفاه فحسب بل هدفت الى إيجاد بديل فلسفي مقنع. [1]

ويعتبر كتابه صنو الحرية تلخيصا مكثفا لأهم هذه المساهمات في تطبيقاتها على قضايا التنمية. تتلخص الفكرة المحورية لمساهمات أمارتيا سن في أنه يمكن النظر الى التنمية على أنها عملية لتوسيع الحريات الحقيقية التي يتمتع بها البشر. ويتجاوز مثل هذا المنظور الذي يركز على حريات الانسان مع المقاربات الضيقة للتنمية كتلك لتي تعتبر التنمية على أنها نمو الناتج القومي الإجمالي، أو أنها زيادة متوسط دخل الفرد، أو أنها التصنيع أو التقدم التقني أو الحديث الاجتماعي. وعلى الرغم من أن بعض هذه المقاربات تمثل وسائل لتوسيع حريات البشر، إلا أن الحريات تعتمد على محددات أخرى – كالترتيبات الاجتماعية لتوفير خدمات الصحة والتعليم، والحقوق السياسية والمدنية التي تهيأ الفرص للمشاركة في الجدل حول القضايا العامة ومساءلة الآخر، بما يكفل حرية أفراد المجتمع من الفقر والاستبداد السياسي الذي يحرمهم من العيش بكرامة ويعيقهم على المساهمة الفعالة بالنهوض بمجتمعاتهم[2].

سوف نختار من بين هذه المقاربات الحق في التنمية كمطلب شرعي تكفله لوائح هيئة الأمم المتحدة و في البداية يرتكز الاقتصاد لإحراز التنمية وهي تهدف الي تضييق الفجوة في دخل الفرد بين الدول المتقدمة والدول الفقيرة[3]. كما طرح صن بديلا معلوماتيا للحاجات الاقتصادية للفرد وهو التركيز على

[1] احمد عارف العساف، محمود حسين الوادي المصدر السابق ص 36-37

عبد الخالق ع الله : البعد السياسي للتنمية البشرية ، حالة دول مجلس التعاون الخليجي ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت العدد 290، سنة 2003 ، ص 130[2]

[3] Charles Débâches : science Administration, Paris : Dalloz, 2emme edition.pp3-4

حرية انجاز حياة فعلية واقعية يمكن أن يتوافر للمرء المبرر للشعور بقيمتها.[1]، وجدير بالذكر أنه ابتداءمن عام1990وتحت قيادة عالم الاقتصاد الباكستاني[2]**محبوبالحق**بدأ البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة UNDP في نشر تقارير سنوية عن التنمية الإنسانية التي نلقي النظرة الميدانية والحقيقية.وهناك نقطة تضاف الى اهتمامات قضية التنمية وهي قضية الحريات والديمقراطية والمشاركة الشعبية التي تهدف للقضاء على الفقر ، تحسين الدخل الى جانب منظولا حماية البيئة وتحقيق التورزن[3]

وتعرف التنمية وفق التصور الحديث بأنها تعني حصيلة تفاعلات سياسية واقتصادية واجتماعية وإدارية متداخلة ومستمرة، تشكل كل منها وبدرجة متفاوتة عاملا مستقلا وتابعا في آن واحد[4].كما تعرف أيضا:" التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال أيديولوجية معينة لتحقيق التغيير المستهدف من أجل الانتقال من حالة غير مرغوب فيها الى حالة مرغوب الوصول اليها[5].وهكذا فالتنمية البشرية هي توجه يهدف الى توفير فرص حياة أفضل للناس مرتكزة على ثلاثة أهداف رئيسية حياة أطول وصحة جيدة، تمتع الفرد بالمعرفة المتجددة، إتاحة مستويات معيشية مرتفعة ولا يمكن تحقيق تنمية بشرية إلا في إطار مناخ يضمن الحرية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحرية الابداع والاحترام المتبادل، والامتثال الى مبادئ حقوق الانسان.

---

[1] أحمد جميل، التنمية حرية عرض كتاب أمارتيا صن " رؤية شاملة للتنمية، الحوار المتمدن العدد 2322 – 2008، ص 6

[2] محبوب الحق، هو عالم اقتصاد شهير بباكستان اهتم بنظريات تطور المجتمع الإنساني، وساهم مساهمة كبيرة في انشاء مؤشر التنمية البشرية التابع لهيئة الأمم المتحدة وقد اقترح انشاء مجلس استشاري للاقتصاد والمجتمع في الأمم المتحدة ولد في 22-فبراير 1934 في مدينة كشمير "لديه مؤلفات بالإنجليزية، Reflections,on human .The poverrty,curtain, ويكبيديا .

[3] إبراهيم العيسوي التنميو في عالم متغير ، دار الشروق مكتبة القاهر مصر ،ط، 1، 2000 ة ص 34

[4] محمد الصادق، إدارة التنمية وطموحات التنمية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، عمان الأردن 1983، ص 20

[5] عاطف غيث، في تقديمه لكتاب، نبيل السمالوطي، علم الاجتماع التنمية، دراسات في اجتماعات العالم الثالث، الهيئة المصرية للكتاب،الإسكندرية، 1974 ص 5-6

ركز برنامج هيئة الأمم المتحدة الإنمائي ومنذ إصدار تقريره الأول للتنمية البشرية في عام 1990 على أن الهدف النهائي لتحقيق التنمية البشرية هو توسيع خيارات البشر، وهذه الخيارات لا نهائية غير أنها تتحدد من الناحية الواقعية بمحددات اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وبيئية .

يمكن استخلاص ان الحق في التنمية يحتاج في تحقيقه الى تغيير النظام الاقتصادي الدولي، وإقامة نظام جديد يقوم على العدل والمساواة وانهاء حالة الاستغلال وتكريس التعاون والتضامن في العلاقات الدولية. للوصول الى التمتع بحقوق الانسان وحرياته الأساسية، ويتطلب إعمال هذا الحق إقامة نظام اقتصادي جديد يقوم على التعاون والتضامن الدولي وانهاء حالة التبعية والاستغلال وتقليل الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة[1] وهذه الرؤية الاستشرافية من طرف أعضاء المجتمع الاممي البحث عن بدائل بما يخدم الصالح العام وبالرجوع الى إعلان الحق في التنمية تُعرّف التنمية في الفقرة الثانية من الديباجة بأنها عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة تستهدف التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرهم والافراد جميعهم، والمقصود هنا جميع السكان في الدولة الواحدة وفي العالم بأسره، وجميع الافراد بدون تمييز بينهم.

[1] راؤول فيريرو، النظام الاقتصادي الدولي الجديد وتعزيز حقوق الانسان، منشورات الأمم المتحدة، ص 35 وفي إطار التأكيد على تحرير الدول الفقيرة وانهاء استغلالها وتنميتها يقول" هكتور غروش أسبيل أن " الحق في التنمية الكاملة للفرد هو حق أساسي يشترط ويتضمن في الوقت نفسه الحق في تنمية الدول والشعوب النامية.

الفصل الثالث:التفكير النقدي للاقتصاد المعاصر

المبحث الأول: التنمية المستدامة واحترام كرامة الانسان

المبحث الثاني: مشكلات البيئة والوعي الإيكولوجي نحو تنمية شاملة متكاملة.

المبحث الثالث:الإقتصاد الأخضر وموقع البيئة في الفكر الاقتصادي

الفصل الثالث: التفكير النقدي للاقتصاد المعاصر

المبحث الأول: التنمية المستدامة واحترام كرامة الانسان

فينومولوجيا هوسرل استعادة معنى الانسان:

من الملاحظ أن الفلسفة في هذه الفترة والتي تميزت بظهور التخصص وتنوع العلوم وتطورها لم تعد تصبو الى القول في كل شيء كما كانت في السابق خاصة مع ازدياد الحاجة الى التخصص، هذا بالإضافة الى تعدد المناهج العلمية وسيطرة النزعات التجريبية القائمة على البحث التجريبي والمقنن وهذا ما جعل من دور الفلسفة بحسب الكثيرين ينحصر في التأريخ لمباحثها التي عرفت بها. وكانت حلقة فيينا آخر مسمار في نعش الفلسفة التقليدية لحساب العلم[1]. وهذا ما جعل إدموند هوسرل 1859-1938 يعلن عن ميلاد الفينومينولوجيا باعتبارها فلسفة ستعاود طرح سؤال البداية، وتحديدا بداية الفلسفة. وهكذا فتح البحث الفينومينولوجي أفاقا جديدة جعلته أحد المنابع الرئيسية للتفكير الفلسفي للحضارة الغربية في القرن العشرين.

فاليوم وأكثر من أي وقت مضى تتعرض الفلسفة لعدة تحديات بل وهجمات شككت في قيمتها والجدوى من تعاطيها. يحدث هذا في زمن تطغى فيه العلوم التطبيقية ويلتف حولها لما توفره من منافع وامتيازات تسهل أكثر أطوار الحياة والعيش داخل المجتمعات المتحضرة إن لم نقل قد تجعلهم يلجون عالما من التقوقع والخمول .وهكذا يشهد التاريخ عالما ميؤوس منه لتخلف الفلسفة [2]. فالتحولات العلمية والتطورات التقنية أصبحت حاضرة جليا مما يشكل تحديات ثقيلة أما التفكير الفلسفي النقدي حيث أضحى المشروع الفلسفي أمام عالم جديد يتسم بحركة متسارعة تصل الى درجة الانقلاب على المفاهيم والقيم والأعراف والتصورات السائدة حيث وفي هذا العالم الجديد الذي يتميز

[1] عطيات أبو السعود الحصاد الفلسفي للقرن العشرين وبحوث فلسفية أخرى، مكتبة الإسكندرية، ط،1 ص 21-22

[2] عمر مهيبل ، من النسق الى الذات ، قراءات في الفكر الغربي المعاصر الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ط، 1، 2007 ص 237

بسيطرة الروح العلمية نشأ مناخ جديد وحقل معرفي يكشف أسرار هذا الوثوق الجنوني للعلم حيث رجعت الفلسفة من خلال الابستمولوجيا لتتفقد محصلات ونتائج العلوم [1]

هل يمكن الحديث بالفعل عن أزمة للعلوم رغم نجاحاتها المطردة؟ إن أزمة العلم هنا لا تعني سوى أن علميّتهُ الحقة أي الكيفية التي حدد بها مهمته وأنشأ بها المنهجية الكفيلة بإنجاز هذه المهمة فأصبح بأكملها موضع سؤال.

إن رؤية الانسان الحديث للعالم التي تحددت كلها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من قبل العلوم الوضعية وحدها انبهرت بالازدهار الناجم عن هذه العلوم ما أدى الى الإعراض في لا المبالاة عن الأسئلة الحاسمة بالنسبة لكل بشرية حقة[2]. ظهرت أزمة العقل بصورتها الحالية بعد أن تشبعت الحضارة الغربية بالعقل، فلا يتحول شيء الى أزمة إلا بعد أن يوجد وأزمة العقل في الحضارة الأوروبية أزمة لطول وجود العقل وكفاحه على مدى خمسة قرون منذ عصر النهضة حتى الآن. فبعد أن استطاع العقل في الحضارة الأوروبية تنظيم كل شيء الطبيعة والعقل نفسه، بعد أن لم يعد هناك شيء خارج العقل بدأ الملل منه لأن الحياة بطبيعتها متغيرة ولأن الجنس البشري بتكوينه متطور بفعل الزمان فالملل من العقل ناتج عن طول ألفته.

ظهرت أزمة العقل أيضا بعد أن ظهرت الآثار الوخيمة للتصنيع على حياة الفرد والجماعة فبعد أن اكتشفت الآلة من أجل خدمة الانسان أصبح الانسان في خدمة الآلة وتحول العامل الى مجرد شيء منتج وحرم من قيمة عمله كما هو معروف من تحليلات ماركس للعمل والتقنية[3] .فأصبحت الآلة في المجتمع الرأسمالي تمثل رهبة الانسان تسلب منه وقته وجهده وعمله وحياته. فثورة الانسان على الآلة وعلى المجتمع الصناعي جرّت معها الثورة على العقل باعتبار أن العقل هو المسؤول عن التصنيع لما

---

[1] محمد شوقي الزين، كيف نقارب الثقافة من وجهة نظر ثقافية، نحو نقد العقل الثقافي، مجلة يتفكرون، العددالاول، ربيع 2013، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات ، ص 114

[2] إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية تر اسماعيل المصدق، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط، 1، 2008ص 44

[3] حسن حنفي، في الفكر الغربي المعاصر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط،1، 1990ص 51

يتطلبه من قدرة فائقة على التنظير. فالآلة هي عمل للعقل في المادة وتطبيق لقواعد الميكانيكا التي صاغها العقل ... فأزمة العقل ظهرت في المجتمع الرأسمالي كظاهرة تابعة لآثار التصنيع على الحياة الإنسانية كخلاصة شعر بها الجميع.

ولما سادت الفلسفات العقلية باستمرار نزعة التفاؤل المطلق منذ ليبنيز،Leibniz ،حتى برانشفيج، ظهرت مآسي القرن العشرين حربان عالميتان، الاستعمار والسيطرة، الاستغلال والاحتكار، الاضطهاد العنصري، الفقر. أحس بعض المفكرين بالوجود الأنطولوجي للشر وبأن هذا العالم ليس أفضل العوالم.[1] في هذا المقام يستوقفني موقف حنّة آر ندت Hannah,Arrendt فكانت بالفعل تلك الشعلة النشطة من الفعاليّة السياسية والناقدة القادرة على استعادة ما سُلب من الانسان وحريته في مستويات فضح الضياع الذي انتجه العصر الحديث ولا سيما نتاجاته المهلكة في السبيل السياسي من التوتاليتارية وهيمنة البروباغوندا**، واقتحام الضروري لمساكن الحرية الى غياب الفعل الذي لم يستطيع الارتقاء لمعنى الإنسانية[2]. ونستطيع تلخيص التوتاليتارية حسب أردنت فهي تنتج أو تعمد تحقيق الآتي تحطيم المجال العام، النشاط السياسي، تحويل المجتمع بطبقاته الى جماهير ، اغتراب العالم ومن ذلك فقد عملت التالتوتاليتاريات على مسخ انسانها وتحويله من فاعل الى كادح فقط، لذلك أطلقت آر ندت عبارة تفاهة الشر The,banality,of,evil وصفا على ما قام به أدولف ايخمان Karl,Adolf,Eichmann النازي في زجه وتحشيده لليهود في معسكرات الإبادةالهولوكوست بصورة لا تضمن شرا متجذرا في ذاته بل لتفاهته وعاديته [3]. حدثت في القرن العشرين حربان عالميتان رأت

---

[1] حسن حنفي في الفكر الغربي المعاصر المرجع السابق ص 52،51

[2] حنة آر ندت ايخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشرّ تر، نادرة السنوسي دار الروافد الثقافية – ناشرون بيروت لبنان ص 9

[3] حنة آرندت المصدر نفسه ص 17، 18

**أول من استعمل مصطلح الشمولية–التوتاليتارية وهو الصحفي والسياسي المناهض للفاشية Giovanni Amon dola في 1923 وذلك في إشارة منه الى معاداة موسي ليني لليبيرالية واستهانته بقواعد ومبادئ القانون (ينظر : ايزاك، جيفري سي، نقاد الشمولية " (تحرير) ، ترجمة مي مقلد ومراجعة طلعت الشايب ، ط، 1 المركز القومي للترجمة ،القاهرة، 2009، ص 206.

فيهما أوروبا من وسائل الدمار ما لم تره من قبل في أية حروب سابقة ولم يظهر أثر الفلسفات المثالية التي دعا اليها أكثر الشعوب ايمانا بالحرب وأول من بدأها . فبدا أن الواقع له قانونه الخاص الذي يسيره والذي هو حتما ليس قانون الفكر [1]. ولكن في مجتمعات أخرى قد تكون هناك ازمة حقيقية للعقل لا لأنها تشبعت منه بل لأنها مازالت تصبو اليه نظرا لسيادة الخرافة والوهم، والمطلوب منها أن ترى انتصارات العقل في الحضارة الغربية كنموذج لها إن أرادت أن تكافح هي الأخرى باسم العقل ومن أجله فجاءت الفلسفة الظواهرية من أجل التخفيف من حدّ هذه الأزمة داعية الى التشبث بعلم جديد يهدف الى حل المشكلات الإنسانية والفلسفية[2].

ولذلك فإن تجاوز أزمة العلوم يمكن في إعادة ربط البحث العلمي بآفاق العالم اليومي الأمر الذي يتطلب حسب هوسرل إنشاء علم فلسفي يهتم بالعالم اليومي يبين كيف أن العلوم الموضوعية تتأسس على التجربة اليومية لأن الفينومينولوجيا عندما تنشأ علمّا بالعالم اليومي وتبرر كيف يتأسس هذا العلم بالنسبة للوعي ستكون قد حققت الفكرة الاصيلة للفلسفة .

نقد النزعة الموضوعية: إن التطور الذي عرفه البحث العلمي أدى الى افتراض صياغة الطبيعة صياغة رياضية مطلقة واعتبارها وجودا مستقلاّ عن الذات . فتتحقق بذلك النزعة الموضوعية التي هي من وجهة هوسرل المحور الرئيس لأزمة العلوم الأوروبية، فهذه الأخيرة خطت بالإنسان باتجاه القوانين الصارمة والبناءات المثالية متجاوزة بذلك عالم الحياة، فالأزمة تشير الى التراجع و الانحطاط و التدهور للعالم الوضعي بما يقدمه من دلالات تنم عن عطاء علمي مبهر. من هذه المفارقة Paradoxe تُطرح أزمة العلم لا بالمحاولات الآنفة الذكر بل بفقدان العلم روح الانسية ونسيان عالم العيش . العلم كمعرفة جاءت لتنظيم العالم في سلسلة محكمة الحلقات ذات تراتبية نهائية أو لا نهائية، فالانقلاب الذي حدث مع نهاية القرن الماضي في التقييم العام للعلوم إنه لا يتعلق بِعِلْمِيتها بل بالدلالة التي

[1] حسن حنفي المرجع االسابق ص 53

[2] غيورة فريدة، المرجع السابق ص 55

كان العلم عموما يتخذها والتي يمكن أن يتخذها بالنسبة للوجود البشري .إن رؤية الانسان الحديث للعالم تحددت كلها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من قبل العلوم الوضعية وحدها وانبهارها الناجم عن هذه العلوم. وهذا ما أدى الى الإعراضِ في لا مبالات عن الأسئلة الحاسمة بالنسبة لكل البشرية الحقة[1] هذا ما جعل هوسرل ينتقد الفيزياء النيوتونية كموجّه للفلسفة الحديثة باعتبارها تصوغ الطبيعة صياغة رياضية.

إن الثقافة الأوروبية ابتعدت خلال تاريخها عن فكرتها الاصيلة ووقفت ضحية النزعة الموضوعية، أما البرنامج الفينومينولوجي فيمكن في تطهير الفلسفة والعلم من هذه النزعة الموضوعية وتحقيق الفكرة الأصيلة للفلسفة كعلم صارم[2] ، والتي تلغي مرض نسيان عالم الحياة اليومية لأن الأهمية من ابراز الطابع التقني للعلوم الحديثة وأثرها على الانسان وعلى كل المجالات بوصفه الأسلوب الوحيد الممكن للتفكير، وكأن مشاكلنا يمكن حلها بممارسات تقنية يكون الانسان عاجزا عن ابداع آفاق حديدة للمعرفة والفعل، كما يعجز عن ابتكار إمكانات جديدة لوجودنا ولحريتنا ولذا يجب على الفلسفة أن تنتقد هذه العلوم حتى نقف عند حدود التقنية التي ما فتأت أن أصبحت غاية بدل أن تكون وسيلة التحرر من التوجه العلمي التقني ثم تعود الى الأشياء في ذاتها لتصير الفلسفة علما دقيقا [3].

مع آدم سميت خطا الفكر الاقتصادي أطول خطواته وكان رجال الصناعة التوّاقين الى القضاء على القيود المفروضة على السوق وعلى توريد الأيادي العاملة بقايا النظام العتيق نظام رأسمال التجاري والمصالح وكان هناك جانب واحد مهم لا يحتاج فيه الثراث الكلاسيكي الى حماية فالبضائع التي ينتجها النظام كانت تنتج بكفاءة وبقدرة من التنوع مؤكدة الأداء الإنتاجي المتميز إلا أنه ومع الوفرة الإنتاجية كانت هناك مطالب إجتماعية رافقت الحركة الاقتصادية المتسارعة فرضتها

[1] ادموند هوسرل أزمة العلوم الأوروبية المصدرالسابق ص 44

[2] مصدق إسماعيل، الفلسفة في عصر العلم والتقنية، نظرة فينومينولوجية للأبحاث والدراسات الفلسفية، المغرب، ص 13

[3] مصدق اسماعيل ، الفلسفة في عصر العلم والتقنية ،المرجع السابق ص 14- 15

الثورة الصناعية تمثلت في اتساع الهوة بين العمال والطبقة المالكة لوسائل الانتاج بين أجور العمال ومستويات المعيشة المتوفرة ، ولذلك نحن نوّد أن نكشف النقاب عن العيوب التي لازمت المنظومة الاقتصادية وكيف استطاع رجال الاقتصاد المعاصريين التصدي للأزمات المتتالية التي عرفها العالم عبر التاريخ القريب بالرغم من التطور التكنولوجي الذي شهدته المصانع العالمية .

كان ذلك هو المذهب الرأسمالي الذي يرى في المحرك الأساسي للإنتاج هو الطلب ومن ثم فإن الإعلانات التجارية تقوم بفتح شهية المواطن للاستهلاك وتلقي في روعه أنه إذا لم يستهلك السلع المعلن عنها فسيكون غير سعيد وغير فعال، وسيظهر بمظهرٍ غير لائق،وهذا ما جعل مجتمعاتنا تلهث وراء قضاء الحاجة الملحة والضرورية لسلع تبدو وكأنها في خانة الحاجات الأساسية.

إن التنمية الجيدة تحتاج الى مجموعة من القرارات الصعبة والتغيرات الجذرية و يؤكد تقرير للتنمية البشرية في عام 1990 منذ انطلاقة النهج ضرورة وجود بيئة خارجية ملائمة وحيوية لدعم استراتيجيات التنمية البشرية [1]. في التسعينيات هذه الفترة التي سجل فيها العالم النامي انطلاقة تنموية واعدة وشهدة انعقاد الكثير من الملتقيات والمؤتمرات للدفع بالتنمية في هذه الأقطار ويضيف التقرير أيضا إن التسعينيات تأخذ شكل عقد التنمية البشرية لأنه نادرا ما وجدت قناعات كهذه حول الأهداف الحقيقية للتنمية [2]. ويأتي تقرير لاحق ليعلن نحن متأهبون في البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة للانتقال من الرسائل الأساسية لتقارير التنمية البشرية الى تحقيقها الفعلي [3].

يعيش العالم منتصف تسعينيات الماضي ثورة صامتة وهي ثورة المعلومات التي استطاعت بهدوء شديد زلزلة الكثير من المفاهيم الاقتصادية التقليدية وعظمت أزمة النظام الرأسمالي الذي يعيش أزمات متعددة خاصة منذ تخليه عن التنظيم الكنزي التي اعتبرت فترته أزهى فترات الرأسمالية حتى أطلق على

[1] برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام 1990 نيويورك البرنامج، 1990ص 5.

[2] مصدق اسماعيل المصدرالسابق ص .61

[3] أنظر المقدمة في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية للعام 2005 التعاون الدولي على مفترق الطرق المعونة والتجارة والامن في عالم غير متساو نيويورك 2005، ص 3

فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بالعصر الذهبي للرأسمالية. لتأتي السبعينيات حتى يتراجع التنظيم الكنزي للاقتصاد وتتغير بالتالي البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[1] عرفت الرأسمالية منذ أكثر من مائتي عام أن الحركة العمالية سيصبح لها تأثير كبير على العملية السياسية وتوجهها. وظهر هذا عندما كتب في تلك الفترة السياسي والصحفي البريطانيJhon,Taylorجون تيلور محذرا بإن كل ورشة كبيرة أو مصنع هو نوع من المجتمع السياسي لا يستطيع أي برلمان إسكاته، ولا تستطيع أي محكمة حله . تلك الكلمات كانت بمثابة إنذارا مبكرا لها وهذا ما تعلمته الرأسمالية وكان أحد عوامل تدافعها للتحول الكبير الذي شهدته الى الأتمتة التي بدأت أولى خطواته أوائل سبعينيات القرن الماضي والانتقال تدريجيا الى الاستغناء عن خطوط الإنتاج التقليدية التي تعتمد على قوة عمل العامل ومهارته لتأتي أواخر الثمانينات ليبدأ عصر سيطرة الآلة على العملية الإنتاجية وأصبح خط الإنتاج الذي كان يقوم على إدارته ما بين 300 الى 350 عامل لا يديره أكثر من خمسة أو ستة جالسون أمام شاشات المراقبة لمتابعة عمل الآلة التي أخذت مكان العامل [2]. فتاريخيا وكما هو مؤكد ومعلوم القاعدة والأساس المبدئي للرأسمال Capital ليس زيادة الإنتاج ولكن تخفيض الكلفة الإنتاجية حتى يستطيع زيادة تراكم الأرباح لديه من خلال بيع بأقل سعر ممكن لإزاحة منافسيه. ويشرح لنا آرنست-ماندلErnest Mandel في كتابه النظرية الاقتصادية، كيف تم ذلك؟

رأت صناعة السجائرLe tabac النور في الولايات المتحدة في ستينيات القرن التاسع عشر، وفي البداية كان العمل يدويا ولم يكن العامل المختص يلف أكثر من 3000 سيجارة في يوم عمل كامل مدته 10 ساعات، وفي عام 1876 كانت تكاليف الأجور من 96.4 سنتا لكل ألف سيجارة من ماركة محددة، وقد قدمت آنذاك إحدى الشركات جائزة قدرها 75.000 دولار لاختراع آلة لصنع السجائر، وعرض بونساكBonsnak في عام 1881 آلة تنتج من 200الى 220 سيجارة في الدقيقة

[1] عمر إمام عمر ثورة تكنولوجية تؤسس عالم ما بعد الرأسمالية الحوار المتمدن ا14- 6 2018- صص 1، 2

[2] عمر امام عمر المرجع السابق ص ، 2

وتخفض الأجور من 96.سنتا الى 20سنتا لكل ألف سيجارة وكان وسع آلة واحدة من تلك الآلات أن تنتج كل السجائر التي كانت تصنع باليد في الولايات المتحدة في عام 1875.

أدى هذا التغيير في العملية الإنتاجية الى مجموعة كبيرة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بإلغاء الضوابط التي كانت تحكم العملية الاقتصادية، فبسبب الإسراع في التحول الى الأتمتة بداية سبعينيات القرن الماضي أثر هذا على الطبقة العاملة خاصة الأوروبية والأمريكية التي بدأ عددها يتقلص في مقابل الآلة التي أخذت مكان العاملين ،وبالتالي تأثرت الأسواق بانخفاض القدرة الشرائية لدى جانب كبير من المجتمعات فكان لا بد للرأسمالية التي شعرت بالأزمة وبدأ الخطر يفرض نفسه بضرورة إيجاد حلول لهذه الوضعية فالبضائع المنتجة لن تجد من يشتريها . إنه *الكساد ومن حسن حظ هنري فورد وضع فرضية مفادها من الأحسن دفع أجور كافية للعمال من أجل شراء المنتوجات التي تصنعها الشركات [1] .

لم تتوقف عمليات التحديث فقط على الأُتُوماتيزم والذكاء الصناعي فقد تبع ذلك ظهور قوة اقتصادية جديدة هي المعلوماتية التي كانت بمثابة ثورة علمية جديدة لها تأثيراتها الكبيرة على العملية الاقتصادية، فقد أفرزت عن رافد اقتصادي جديد اندفعت الرأسمالية للاستفادة سريعا منه والسيطرة عليه في وقت لم تتبلور بعد طبيعته ولم تتضح أمام الجميع بنيته الأساسية، لتنطلق في أواخر الثمانينات

[1] جيريمي ريفكن نهاية العمل تر رجب بودبوس دار الكتاب الوطنية بنغازي ، ط،1 2005 ص 137

* أزمة الكساد العظيم 1929-1934 The Great ,Depression* كشفت ازمة الكساد العظيم التي اجتاحت العالم يوم الخميس الأسود الموافق ل 19أكتوبر 1929 واستمرت حتى العام 1934 عجز الفكر الاقتصادي الكلاسيكي بشقيه الارثودكسي والنيوكلاسيكي عن تقديم نظرية عامة لمكافحة الازمات الاقتصادية، خاصة في أوقات الركود الاقتصادي .لذلك لم يكن غريبا أن يلتزم أنصار هذا المذهب الكلاسيكي الصمت حيال هذه النكسة نظرا لافتقارهم الشديد الى السياسات الاقتصادية الكلية للتعامل مع هذه الازمات .وكان منطقهم في ذلك هو انه ما يعانيه النظام الاقتصادي من أزمات إفراط انتاج لا تخرج عن كونها أوضاعا استثنائية ،وتحدث فقط في الاجل الطويل، حيث تختفي هذه النوعية من الازمات الاقتصادية حيث كانت دعوتهم عدم عمل أي شيء ، وتفضيل الترقب والانتظار .وأكد جوزيف شومبتير : الذي كان يعمل في جامعة هارفارد أن الشفاء يأتي من تلقاء نفسه أن والانتعاش لا يكون صحيحا إلا إذا كان بعيدا عن صورة من صور التدخل، وشكلت البيئة الاقتصادية التي صاحبت الكساد العظيم من خلال الدعوة الى القوا بأن تشييد البنية النظرية يجب أن يسبق العمل الإحصائي فالعلاقات نفسها لا تستوحى من المشاهدات الإحصائية فهي فرضيات وليست نتائج جوزيف شومبتير تاريخ التحليل الاقتصادي تر حسن عبدالله بدر المجلس الأعلى للثقافة 2005

شركات " مايكروسوفت آبل وآي ،بي ،أم مهيمنة على هذا الرافد الجديد لكن تلك الهيمنة بدأت في التحلل أمام طبيعة البنية الأساسية للمعلوماتية واقتصاداتها.[1]

ظهور المجتمع الغربي :كيف ظهر المجتمع الغربي الليبرالي؟

Laisser-FaireEconomic': يعد الاقتصاد الحر اتجاه من اتجاهات علم الاقتصاد يحظى بتأكيده على أهمية السوق حيث يسود التناقض الحر بين الافراد والبائعين والمشترين مما يؤدي الى كفاءة الإنتاج والتوزيع، وتخصيص السلع والخدمات بالإضافة الى تعظيم فرص الاختيار أمام الأفراد مع التأكيد على أن يظل تدخل الدولة في الحدود الدنيا. وترتد الجذور الأولى لاتجاهات التنظير الحديثة داخل الاقتصاد الحر الى علماء الاقتصاد الكلاسيكي مثل ريكاردوRiccardo وتوماس مال توس وآدم سميت في أواخر القرن الثامن عشر، حيث يرى آدم سميت في كتابه ثروة الأمم الصادر عام 1776 أنه على الرغم من أن الافراد سوف يحققون مصالحهم من خلال السوق إلا أن اليد الخفية لسوق سوف تؤدي الى تحقيق المصلحة المشتركة. وخلال القرن العشرين ترتب على فترة الكساد التي حدث خلال فترة الثلاثينات هيمنة الاقتصاد الكنزي الذي كان يؤكد على تدخل الدولة وعلى أهمية الانفاق العام كوسيلة من وسائل تقليل البطالة[2]. وبالتالي برز اقتصاد مختلط يجمع بين المشاريع الخاصة والعامة ومع ذلك فمنذ نهاية السبعينيات وهي الفترة التي تلت الازمة المالية وتزايد تأثير فلسفات اليمين الجديد. عاد الاقتصاد الحر مرة أخرى الى صدارة المسرح السياسي بفضل كتابات فريدريك هايك الطريق الى عبودية الأرض الصادر عام 1944 وميلتون فريدمان الرأسمالية والحرية الصادر عام 1961 ما أفضى الى تزايد خصخصة الأنشطة الاقتصادية للدولة والعودة الى اقتصاديات السوق. ويتعلق علم الاقتصاد كنسق أكاديميبصفة أساسية بدراسة عملية تخصيص الموارد النادرة للاستخدامات البديلة من خلال الأسعار السائدة في السوق، وتعد النظرية الكلاسيكية الجديدة: :New-Classical,Economics

[1]. جريمي ريفكن المرجع السابق ص 2

[2] جوردان مارشال موسوعة علم الاجتماع تر محمد الجوهري وآخرون المجلس الأعلى للثقافة ط، 2، 2007

النموذج المهيمن في علم الاقتصاد الحديث، وهي النظرية التي تطورت من خلال ما يسمى بالثورة الهامشية التي كان من بين روادها في أواخر القرن التاسع عشر هوليون والراسHulion, Walras، شخصية مهمة في تاريخ الاقتصاد كانت التكلفة قد قبلت كمصدر للقيمة[1] وأضاف هذا الأخير الى ذلك الجدوى و المنفعة بالإضافة الى الاقتصادي ووليام ستانليWilliam, Stanley وجيفونزWilliam, Stanely, jevons، والفرد مارشالAlfred, Friedman وتفترض هذه النظرية أن الأسعار تتحدد من خلال **المنفعة** الحدية للمستهلك والإنتاجية الحدية لعناصر الإنتاج وتنهض النظريات الكلاسيكية الجديدة على نماذج سلوكية بسيطة على مستوى الوحدات الصغيرة الاسرة و المعيشة والشركة و تفترض هذه النظرية التدفق التام للمعلومات و حرية الحركة و الاحتكار الضروري و الرشد والمثالية في اتخاذ القرار. ويمثل المشروع الخاص وسيادة المستهلك والتخفيضات السعرية السوقية شروطا أساسية لهذه المناهج التي تتبنى نظرية اللعب بغرض تفسير سلوك الافراد في إطار القواعد النظامية.

ظهر كينز 1883-1946في مرحلة حساسة من مراحل الاقتصاد العالمي حيث كانت الحكومات قبله، تتبنى سياسات الاقتصاد الحر التي ترى أن الاقتصاد الذي لا يخضع للتوجيه سوف يسير في اتجاه العمالة الكاملة ومن ثمة الى التوازن، و في كتابه النظرية العامة للعمل، والفائدة والنقود المنشور عام 1936 الى أن التوازن يمكن أن يتحقق قبل الوصول الى المرحلة العمالة، ومن ثمة تسعى الحكومات الى الوصول الى التشغيل الكامل وهذا بتدخل الدولة عن طريق خلق طلب عام، والعكس إذا ما ترتب على التشغيل الكامل **التضخم** فإنه يتعين على الدولة أن تسعى للتقليل من الطلب العام من خلال فرض الضرائب والانفاق الحكومي والسياسة النقدية (التغير **في معدلات الفائدة وتوفير الائتمان**)[2]

[1] جون كينيث جالبريت تاريخ الفكر الاقتصادي تر أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2000 ص 121

[2] جوردون مارشال موسوعة علم تر محمد الجوهري وآخرون ط 2الاجتماع المجلد الأول 2007

والحقيقة أن الأفكار الاقتصادية هي دائما وفي الأساس نتاج لزمانها ومكانها، ولا يمكن النظر اليها منفصلة عن العالم الذي تفسره. مثلما يتغير العالم وهو في الواقع في تحول مستمر كذلك هذه الأفكار لابد أن تتغير أيضا إذا أريد لها أن تحتفظ بأهميتها[1] لكن في أفضل الأحوال كان الاقتصاد يحدث بطيئا ويقبل كرها، فمن يستفيدون من الوضع القائم يقاومون بالتغيير مثلما يفعل الاقتصاديون الذي لديهم مصالح مكتسبة فيما كان يدرس أو يعتقد ويجب السعي لمعرفة أو النظر الى الاقتصاد باعتباره رؤية للعالم الذي تطورت فيه أفكار اقتصادية محددة أفكار سميت في سياق الصدمة المبكرة للثورة الصناعية، وأفكار ريكاردو في المراحل التالية الأكثر نضجا لتلك الثورة وأفكار ماركس في عصر القوة الرأسمالية المطلقة العنان ، وأفكار كينز استجابة لكارثة الكساد الكبير العنيفة [2] وحيثما لا تجود في الحياة الاقتصادية أمور مشوقة مما يمكن اكتشافه فيها مثلما كانت الحال قبل ظهور الرأسمالية أو في اقتصادات الكفاف في أيامنا .

يشتق اسم هذه المدرسة من الإيطالية التجار، وهي أول مدرسة اقتصادية في الرأسمالية التي عبرت عن سياسة اقتصادية تخدم مصلحة التجار و الهدف الأساسي الذي وضعته هذه المدرسة هو اجتذاب أكبر كمية من الذهب والفضة الى داخل البلاد، فالثروة كانت بالنسبة للتجار تقتصر على ما تحوزه الدولة من الذهب والفضة، وليس ما ينتجه المجتمع من سلع وخدمات تفي الحاجات الإنسانية، إن الحركة التجارية تتطلب الحاجة الى النقود من أجل تبادل السلع المنتجة. [3] يقول الدكتور جلال أمين كانت أوروبا تعيش إذن خلال ذلك العصر، الذي يكاد يتطابق مع عصر النهضة، مرحلة يناسبها تماما هذا الفهم لطبيعة الثروة والتنمية، وهو الفهم الذي يبدو لنا محدودا وقاصرا، كما كانت تناسبها تماما درجة عالية من التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي[4]، بينما ما يعاب علينا نحن

---

[1] جون كنيت جالبريت المصدر السابق ص 16

[2] جون كنيت جالبريت المصدر السابق ص 16،17

[3] إبراهيم مشورب الاقتصاد السياسي مبادئ مدارس، أنظمة دار المنهل اللبنانيلبنان مكتبة رأس المنبع، ط، 1، 2002 ص 27،28

[4] جلال أمين، كشف الأقنعة عن نظريات التنمية الاقتصادية، كتاب الهلال ، القاهرة 2002، ص 66

كعرب أننا دائما ننتقد الغرب من الطريقة التي بها يتم استغلال الموارد الطبيعية والكيفية التي استعملها الاقتصاد الغربي وهو الطريق الوحيد لاستكمال الاقتصاد العالمي. التاريخ الاقتصادي كما نعلم لم يتطور ليشمل الجوانب الاجتماعية فهي مرحلة كانت حاسمة ومفصلية ونستطيع بالإمكان تلخيص السياسة المركنتيلية في هذه المرحلة على الشكل التالي

- منع إخراج النقود

- المتاجرة بالنقود هي حكر على الدولة فقط.

- إجبار التجار الأجانب على إنفاق أرباحهم داخل البلد.وقد أدت هذه السياسة الى عدم تطور التبادل التجاري الدولي وأثرت على تطوّر الإنتاج السلعي، و من هنا فإن النقود لم تقم بإحدى وظائفها الهامة كوسيلة للتبادل السلعي بسبب هذه السياسة .

الدولة والرفاه: تعرف الليبيرالية من بين ما تعرف بأنها مذهب سياسي واجتماعي واقتصادي يرى المنفعة، أو المصلحة العامة L'intérêt,ou,le,bien,commun، تقتضي بتوسع القانون قدر الإمكان أمام الحريات الخاصة Leslibertés,individuelles ...وأمام ممارستها، قولا وعملا، مثلما تقتضي نفس تلك المصلحة العامة، التقليص، قدر الإمكان، من تدخل الدولة L'interventiondel'État في أمور الناس، وانحصار دورها في تحقيق استتباب الامن العام الذي يشكل الشرط السياسي لممارسته مثل تلك الحريات [1]. الدولة إنما هي الأداة الأساسية للسلطة في المجتمع الطبقي، وهي بالمعنى الاوسع شكل التنظيم السياسي للحياة الاجتماعية. وتتميز الدولة بقيام نظام من الأجهزة والمؤسسات التي تكوّن سوية مكانة الدولة، كما تتميز بوجود قوانين أو قواعد ملزمة للسلوك تؤسسها الدولة أو تقرها. بدأت الليبيرالية الاقتصادية والتي سادت خلال فترة الهيمنة البريطانية في العقود الوسطى من القرن التاسع عشر في الانحسار **كبراديغم** للسياسات بنهاية القرن التاسع عشر وذلك عندما أقرت عدد من

[1]Paul Foulquie : Dictionnaire de la langue philosophique, PUF Paris 1978.p79

الدول الرأسمالية الرائدة تعريفات جمركية عالية ومركزة هائلة للصناعة Centralisation,of,Industry .مهددة بذلك الأسس المحلية للتنافس الليبيرالي منذ الحرب العالمية الثانية وما تلاها. أخذت الدول على عاتقها دورا متزايدا في الاقتصاد دورا رسخته جهود حل الازمة الاقتصادية الكارثية الناتجة عن الكساد العظيم [1]والدولة ظاهرة اجتماعية نشأت نتيجة لتقسيم العمل الاجتماعي وظهور الملكية الخاصة وتقسيم المجتمع الى طبقات. ومن الناحية الاقتصادية تحتاج الطبقات الحاكمة للدفاع عن امتيازاتها[2] كما أن الليبرالية الجديدة حسب هايك فريديرككHayekFrediric,1899–1992 تقتصر تدخلاتها في ضمان الصحة وتنظيم العمل ...خاصة النساء والأطفال وأنظمة التقاعد. [3] ولكن احتدام التناقضات الطبقية في الرأسمالية الاحتكارية والاستعمارية أدى الى تعاظم دور الدولة وتوسيع وظائفها وتقليص القاعدة الاجتماعية للسيادة السياسية لرأس المال الاحتكاري بالنظر لتعاظم الوعي وكفاح الطبقة العاملة وحلفاءها واقتران القوة الاقتصادية للاحتكارات الرأسمالية بالسلطة السياسية إنما يؤدي الى تحول سياسة الدولة من الليبرالية الى التداخلية والى اكتسابها القوة السياسية التي تجعل منها أداة طيعة للتدخل في الحياة الاقتصادية [4]. وكما تغيرت بنية الاقتصاد العالمي فإن المخيلة الاجتماعية الهامة والاشكالية الاجتماعية التي تعززها **النيوليبيرالية** تم استبعاده بشكل واسع حول العالم ويبدو أن اللغة و النموذج المؤسساتي للسوق تسربت لجميع جوانب الحياة المعاصرة. فالإعلام والثقافة العامة تشربت بمفهوم أنه ينبغي علينا امتلاك ذوات ريادية وانه يجب علينا أن نكون دائما

[1] Evan, Peter B.and sewell,Jr,policy Regimes,international Regimes; and social Effects In social Resiliences in the neoliberal Era, edited by perter A Hall and Michelle Lamont 35 68 New York Cambridge University press 2013

[2] أُسكار لانكا، مايكل كالتسكي، الاقتصاد السياسي ، الرأسمالية والاشتراكية ، محمد سلمان حسن دار الطليعة بيروت ط، 1، 1980ص 57

[3] حيرش سمية، أطروحة دكتورا الفلسفة الامريكية بين الليبيرالية والبرغماتية، جامعة وهران، سنة،2011،212 ص 9

[4] أُسكار لانكة ،المصدر السابق ص 57-58

على أهبة الاستعداد لإعادة تأهيل ذواتنا تأهبا لفرص جديدة، وأن السعي وراء المنفعة الذاتية أمر طبيعي وأن الثراء العريض هو مجرد مكافأة للمبتكرين والمبدعين [1].

لقد ساهمت النيوليبرالية في تقييد سلطة مسؤولي الدولة وبالرغم أيضا أنها أدت الى ازدياد دور السوق لكنها أدت الى تراكم وجني المال بطرق غير عادلة مع غياب الديناميكية الاقتصادية لرأس المال وكانت النزعة **البولانية** التي تهتم بالجوانب الاجتماعية وإعطاء قيمة عالية للمساواة أن اعتبرت السوق ذاتي التنظيم وهو مجرد **يوتوبيا**خطرة. واضعاف المؤسسات العامة التي كانت تدعم سعي المواطنين العاديين وراء حياة منتجة ومثمرة للأسف.

إذ تقرر أن الرأسمالية أسلوب نوعي من التنظيم الاجتماعي للإنتاج له شروطه التاريخية المسبقة واشكال تطوره المعين والدولة الاقتصادية ووسائل تدخلها ليست بالمحايدة بل انها مدمجة في حركة رأس المال وتكون مجالا من مجالات النزاع بين المصالح. هذا يعني أن تدخل الدولة له تقييداته الكامنة من حيث تأمين شروط تراكم رأس المال ويخضع على الدوام لتأثيرات الصراعات الطبقية والكفاحات الديمقراطية الشعبية [2]. يري كينزKeynes بالبرهان على عدم قدرة قوى السوق على تأمين الاستغلال التام للموارد المنتجة، وتبنى قيام دور الدولة بعمل ما إزاء ذلك، فقد كان هو و مايكل وكالتشكيMichel,Kalitsky مختلفين في دوافعهما اختلافا مهما، وكذلك اختلف نوع التدخل الذي تصوره كل منهم. فغرض كينزKeynes الرئيسي من تبني التدخل في سريان قوى السوق بحرية هو الحيلولة دون الضياع غير الذي تسببه البطالة وإنقاذ النظام الرأسمالي، فمن دون التدخل الحكومي في الاقتصاد يبقى هناك خطر حدوث الكساد الدوري والبطالة الجماهيرية التي تهدد وجود النظام الفردي [3].

---

[1] ايفانز وسويل ، النيوليبرالية : الأيديولوجيا، والسياسات، والآثار الاجتماعية تر خبيب زهير 2016 ص 80

[2] أُسكار لانكةا لمصدر السابق سابق ص 59

[3] اوسكار، لا نكه،، المصدر نفسه ص 29

كان كينزKeynes يقصر التدخل الحكومي على تلك الإجراءات التي تؤّمن الاستخدام التام، بيما تترك تخصيص الموارد وتوزيع الدخل لقوى السوق، حيث قال كان فشل النظام القائم يكمن في تحديد حجم الاستخدام الفعلي لا في اتجاهه واختتم حجته من أجل تدخل الدولة بقوله: إذن بينما يبدو توسيع وظائف حكومية المتضمن في مهمة المواءمة بين ميل الاستهلاك وحافز الاستثمار بالنسبة لكاتب من كتاب القرن التاسع عشر أو لممول أمريكي معاصر تجاوزا هائلا على الفردية. إني على الضد من ذلك أدافع عنه بوصفه العملية الوحيدة لتجنب تحطيم الاشكال الاقتصادية القائمة برمتها وبوصفه الشرط لسريان المبادرة الفردية بنجاح معا ، وحسب النظرية العامة يبدو أن البطالة الجماهيرية هي أوضح أمراض الكساد الاقتصادي.

فهل تعود البطالة الى عجز في رأس المال؟

يعاني رأس المال من سوء الاستغلال في أثناء الكساد. وما رأس المال العاطل إلا المقابل للبطالة الجماهيرية. لماذا لا ينتج مالك وسائل الإنتاج العاطلة باستخدامها واستخدام اليد العاملة العاطلة؟ لأن الرأسمالي لا يجد الإنتاج مربحا. لذي يرى من الضروري تخفيض الأجور لمجابهة الكساد، لكن إذا خفض رأسمالي معين الأجور فقد يصبح الإنتاج مربحا ويجد المنتوج سوقا ولكن إذا كان التخفيض من طرف طبقة واسعة من الرأسماليين لكل للأجور فقد لا يصبح الإنتاج مربحا ولا يجد طرقه الى السوق. [1] بالرغم من أنكينز،Keynes صاحب الرؤية الاقتصادية للإجماع على الرفاهية في فترة ما بعد الحرب العظمى لم يكن اشتراكيا، إلا أنه يتفق مع ماركس والاشتراكيين في بعض ما ذهبوا إلي ويمارس الرأسمال الرقابة على العامل وبالتالي يصبح الأجير العامل بمثابة تابع للرأسمالي.

إن العامل في النظام الرأسمالي هو حرمن الناحية القانونية، ولكن غير حر اقتصاديا حيث هو مضطر الى بيع قوة عمله من خلال فائض القيمة الذي يضاف الى الإنتاج وإطالة يوم العمل[2] وقد صدر في

[1] اوسكار لا نكه، مايكل كالتشكي الاقتصاد السياسي المصدرالسابق ص 32

[2] ابراهيم مشورب ا المرجع السابق ص 274

بريطانيا سنة 1446 قانون بموجبه يستمر العمل من الخامسة صباحا حتى السابعة أو الثامنة مساءا كما أن الرأسمالية تحاول زيادة القيمة الزائدة عن طريق تقليص العمل الضروري مع بقاء وقت العمل على حاله. فقد نظرKeynes الى الرأسمالية شأنه في ذلك شأن ماركس باعتبارها تنطوي على بعض الخصائص غير الرشيدة، إلا أنه كان يعتقد أن هذه الخصائص يمكن السيطرة عليها لكي ننقذ الرأسمالية من نفسها وعدم التشكيك فيها[1]. فقد أوضح Keynes كيف يمكن تثبيت رأسمالية السوق من خلال إدارة الطلب وخلق اقتصاد مختلط، وعلى الرغم من أنه لم يكن يفضل التأميم إلا أن التأميم كان أحد سمات الاقتصاد المختلط في بريطانيا، فبعض القطاعات الاقتصادية يجب أن تخرج من نطاق السوق الحر ليس فقط بسبب تشوهاته، ولكن لأن الصناعات ذات الأهمية للمصالح القومية لا ينبغي لها أن تبقى في يد القطاع الخاص.

إن عالم الاجتماع مارشال Gordon,Marshall والذي قدم عرضا مفحما لمشروع دولة الرفاه التي تمثل قمة عملية تطورية طويلة لحقوق المواطنة، وتوقع أن نظم الرفاهية سوف تتوسع باضطراد، بحيث يتم التطابق بين التطور الاقتصادي والتطبيق المتعاظم لمزيد من الحقوق الاجتماعية[2] بالرغم من أن مشروع دولة الرفاه حاول القيام بواجباته الاجتماعية على أحسن وجه الا أنه لم يفق من أحراز تقدم فيما يخص المسائل الكونية.

ينبع العداء للحكومة من بين المميزات الواضحة في فلسفة المؤسس للنزعة المحافظة في بريطانيا أدموند برك Edmund,Burke فالدولة وعلى الأخص دولة الرفاهية تعمل على تدمير النظام المدني ولكن الأسواق لا تفعل ذلك، لأنها تنتعش بفضل المبادرة الفردية. والاسواق شأنها شأن النظام المدني، وإذا ما تركت لحالها فسوف تقدم للمجتمع أعظم الفائدة، فهي آلات حركة أبدية تتطلب إطارا قانونيا وعدم تدخل الحكومة لكي تستطيع أن تدعم نموا غير معوق بالإضافة الى عدم المبالاة بمظاهر عدم

[1] انتوني جندر، االطريق الثالث، تجديد الديمقراطية الاجتماعية، تر، أحمد زايد ومحمد محي الدين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2010، ص 44

[2] انتوني جيندر المصدر نفسه ص 45

المساواة ودليلها في ذلك أن فكرة المساواة الاجتماعية ساذجة وغير معقولة بحكم التجربة السوفياتية التي لم تستطيع التطلع الى مجتمع تسوده رياح العدالة والمواساة ولا يمكن تحقيقها في الواقع حيث تحولت الدولة الى نظام استبدادي قمعي، وبذلك سقطت شعارات العدالة الاجتماعية.[1] فالمجتمع الذي يطلق العنان لقوى السوق قد يخلق عدم مساواة اقتصادية حادة، ولكن هذا لا يهم طالما أن الناس الذين يتمتعون بالإصرار والقدرة بوسعهم أن يرتقوا الى المواقع التي تتناسب مع قدرتهم.

هذا العداء لدولة الرفاه يمثل واحدة من أبرز السمات المميزة لليبيرالية الجديدة. إن الدولة الرفاهية تلحق آثارا بالغة الضرر ومدمرة للأفراد الذين يفترض أن ينتفعوا منها كالضعفاء، والمحرومين، والتعساء... إذ تكبل روح المغامرة والاعتماد على الذات لدى كل من الرجال والنساء وتغرس في الأعماق شحنة من الكراهية القابلة للانفجار تحت أساسيات مجتمعنا الحر. إذن ما الذي تقع عليه المسؤولية بعبء تقديم الرفاهية إذا كنا قد قمنا بتفكيك دولة الرفاهية؟ .

إن الإجابة هي النمو الاقتصادي الذي يقوده السوق، فالرفاهية لا ينبغي أن تفهم على أنها منحة تقدم من الدولة بل بأنها تعظيم للتقدم الاقتصادي، ومن تم لجمل الثروة من خلال السماح للأسواق بأن تحقق معجزتها. وعادة ما يتم استبعاد للمشكلات الإيكولوجية باعتبارها قصص مرعبة، وقد بدأت تاتشر رئيسة وزراء الحكومة البريطانية سابقا شيئا من الترحيب باتجاه الرأسمالية الخضراء لكن الاتجاه الذي كان سائدا آنذاك كان معاديا [2].

إن قوى العولمة التي أسهمت فيها الليبيرالية وفي اتجاه معاكس للنظرية الاجتماعية الكلاسيكية ترى الليبيرالية الجديدة بأن العالم سوف يكون في أفضل أحواله إذا ما تركت الأسواق تعمل بأدنى قدر من التدخل . ودفاعا عن الدولة القديمة لدى المحافظين هي نظرية واقعية في العلاقات الدولية ، فالمجتمع العالمي ما يزال عالما تحكمه القومية و بالتالي يكفي أن يكون هذا المبرر لاستخدام القوة كعنصرٍ

[1] اتوني جيندز المصدر نفسه ص 48

[2] امتوني جيدنز نفس المصدر نفسه 49

حاسم فالاستعداد للحرب والحفاظ على القوة العسكرية تعد عناصر ضرورية لدور الدول في النظام العالمي[1].

شكلت البيئة الاقتصادية التي صاحبت عصر الكساد العظيم مناخا خصبا لميلاد الاقتصاد الجديد أو الاقتصاد الكنزي. غير ان النجاح الذي حققته النظرية الاقتصادية الكينزية لا يرجع فقط الى حدة الكساد العظيم واخفاق الاقتصاد الكلاسيكي في التعامل مع هذه الازمة الاقتصادية الحادة ولكنه يرجع أيضا الى درجة كبيرةالى قوة حجة كينز Keynes في القضايا الاقتصادية التحليلية وسلامة وقوة منطقه في التعامل مع المواقف والاحداث الاقتصادية الدائرة من مؤلفاته "النظرية العامة"، رسالة في النقود الذي نشر في سنة 1930 ثم جاء كتاب كينزKeynes المشهور في النظرية العامة للتوظيف والفائدة والنقود سنة 1936 ، وقدم حزمة متكاملة من نظريات الكساد والسياسات الماكرو–اقتصادية ليعالج بها حالة الكساد العظيم الذي انتشر في ربوع العالم الصناعي المتقدم[2].

وفي مواجهة هذا التشتت والتباين الأيديولوجي سئم الكثيرون من هذا النمط الإيديولوجي في تناول القضايا الاقتصادية وانتقلوا في اتجاه البحث الاقتصادي المعتمد على الأساليب الكمية وعالم الكمبيوتر ونظم المعلومات . فظهر في الثمانينات من القرن الماضي باحثين اقتصاديين ابتعدوا عن الجدل والحوار الأيديولوجي وتم إزاحة العلوم الاجتماعية من حقل الاقتصاد متجاوزين السياسات الماكرو–اقتصادية. [3].

التنمية البشرية: تتضمن التنمية البشرية ثلاثة جوانب هي تشكيل القدرات البشرية مثل تحسين مستوى الصحة، والذي يتعلق باستثمار المجتمع لقدراته المكتسبة أما الجانب الثالث يتعلق بالمعرفة والتعليم ختاما بالاقتصاد البيئي الذي يعتبر الجهاز العصبي للتفاعلات بين البيئة والتنمية، لذلك فإن

[1] انتوني جيندز المصدر نفسه ص 49

[2] سامي عفيفي، حاتم الاتجاهات الحديثة في الاقتصاد الدولي والتجارة الدولية، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ط،1، 2004 ص 189–190

[3] سامي عفيفي حاتم المصدر نفسه ص 193

التنمية المستدامة تعتمد على مدى النجاح في الموازنة بين النظام الاقتصادي والنظام البيئي،أما الضامن الخامس لتنمية شاملة استعمال وتوظيف لتقنيات تكنولوجية سليمة لتحقيق التنمية المستدامة لابد من إعادة توجيه التكنولوجيا المستخدمة مما يجعلها أكثر ملائمة للبيئة وذات استخدام أقل للموارد والطاقة، وتولد قدرا أقل من التلوث والنفايا،.لذا يتعين على الدول النامية أن تستورد تكنولوجيا نظيفة ملائمة لبيئتها المحلية، وأن تعمل باستمرار على تطوير قدراتها الذاتية فيما يتعلق بالتعامل مع التكنولوجيا مما يجعلها تكسب قدرات ومهارات تقنية تؤمن لها في نهاية المطاف القدرة على تطوير وإنتاج تكنولوجيا محلية نظيفة.واليوم ومع نهضة اقتصادية تجلت مظاهرها في دول كالهند والصين والربرازيل ، وبوادر تحسن في دول أخرى لا تزال الفوارق ين الشمال والجنوب قائمة هناك 49دولة خارج المشاركة الكاملة [1] . أما فيما يخص التعاون الإقليمي فالتنمية المستدامة نوعا خاصا يليق بطموحات الأطراف التي همشت وأقصيت من حصتها التنموية المحلية خاصة تنمية تعتمد على الإطارات الخاصة والكفاءات المحلية للتقليل من هجرة الادمغة والاستفادة من الإطارات بالاعتماد على الذات داخل الحدود الوطنية وفي حدود القيود التي تفرضها الموارد الطبيعية، أي لابد لكل دولة أن تتعايش مع بيئتها وفقا للأسس المحلية وبما يتيح الموائمة بنجاحاتها ورغباتها والإدارة الرشيدة للموارد الطبيعية. ولإرساء مفهوم التنمية المستدامة لابد من توفر عدد من المقومات التي تشكل مرتكزات التنمية المستدامة وأهمها، تلبية الحاجات الإنسانية للسكان، فالوظيفة الأساسية للتنمية المستدامة هي إعادة توجيه الموارد بما يضمن الوفاء بالاحتياجات الأساسية للمجتمع وتحسين مستوى معيشتهم، لذلك نجدها ترتكز كثيرا عل بمسألة القضاء على الفقر انطلاقا من اقتناعها أن عالما يستوطنه الفقر والـلا مساواة سيكون دون شك عرضة للأزمات البيئية والاجتماعية والاقتصادية.ولم تلعب الآثار الخارجية للنشاط الإنساني بما في ذلك الاضرار بالبيئة دورا هاما في الدراسات الاقتصادية[2]

[1] عبلة عبد الحميد، محاضرات التنمية والتخطيط الاقتصادي، الاقتصاد كلية الاقتصاد والإدارة جامعة الملك عبد العزيز 207 ص 31

[2] محمد عبد الكريم، على عبد ربه وآخرون التنميو إقتصاديات الموارد البيئية ، دار المعرفة الجامعية مصر 2000ص 292

ويتطلب ذلك تأمين مستوى سكاني مستديم، أي يمكن تلبية هذه المتطلبات بيسر أكبر عندما يكون حجم السكان مستقرا على مستوى ملائم لحجم إنتاجية النظام البيئي، كما يشترط أيضا أن يكون هناك التزام أخلاقي بأن نفعل من أجل الأجيال القادمة، ما فعلته الأجيال السابقة من أجلنا على الأقل، ثانياً الإدارة البيئية السليمة لا يمكن تلبية احتياجات الحاضر دون إخلال بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية حاجاتها، ما لم توجد إدارة قادرة على ضمان استمرارية الاستفادة من الموارد الطبيعية، دون إهدار وفي إطار القيود البيئية.ونعني بالإدارة البيئية السليمة تلك التي تساهم في تحقيق التنمية المستدامة بالاستخدام الفعال لكل الأدوات الممكنة، التشريعات والقوانين البيئية، تقييم الأثر البيئي، الالتزام بمبدأ المحاسبة البيئية، قاعدة المعلومات البيئية وغيرهاكما أننا لا ننسى أن ندرج ضمانة لا تقل أهمية على عن باقي الضمانات الأخرى وهي التنمية البشرية وفي هذا السياق تأتي مذكرات المتحدثين –البيئة والتنمية–الصادر عن الأمم المتحدة، بأن التنمية البشرية تساوي التنمية القابلة للاستمرار، ويؤكده فلا وجود للتنمية المستدامة بدون تنمية بشرية مستدامة، والتنمية البشرية، هي عملية توسيع الخيارات المتاحة أمام المجتمع، وأهم هذه الخيارات اكتساب المعرفة، الحرية السياسية، ضمان حقوق الإنسان.

وبما أن التنمية المستدامة هدفا لك لشعوب العالم، المتقدمة والنامية تعترف ان بالحدود الإقليمية، فإن التعاون الدولي أمرا ضروريا لدفع التنمية المستدامة نحو الأمام. وهذا يحيلنا الى البحث في المفاهيم الجديدة للتنمية.، فالنظرة الجديدة للحياة الاقتصادية التي لا تستثني في برنامجها دور الانسان ثم دور الطبيعة من التنمية الاقتصادية النظرة التي تنشد المشاركة الواسعة للفاعلين سواء من الطبقة السياسية أو الاجتماعية على اختلاف انتماءاتهم الدينية والثقافية وانتسابا تهم الإيديولوجية للوصول الى مخرج يرضي الجميع دون اقصاء،[1] لأننا نعيش في كوب واحد وبالتالي يجب أن نحتكم الى حلول مستدامة تحافظ على الجنس البشري وفق العدالة والمساواة بين الجنسين وبالتالي الوصول الى مشروع تنموي

[1] أحمد الراشدي ، حقوق الانسان، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية ، مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة ، العدد 24، السنة ديسمبر 2006، ص 25، 26

كوني.ومادام أن حقوق الانسان غير قابلة للإنتقاء أو الاستثناء، فهي حقوق عامة ومطلقة يتعين الاعتراف بها وما يتصل بها من حريات لكل انسان

إن مأزق الرأسمالية سطع منذ قامت الثورة الصناعية في بريطانيا في أوائل النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ثم في عدد كبير من دول أوروبا كانت هذه الدول بحاجة الى كميات كبيرة من المواد الأولية، وعندما تقدمت الصناعة، وأصبح الإنتاج في كثير من هذه الدول يزيد على حاجات الاستهلاك، بدأت في البحث عن أسواق خارجية لتصريف الفائض من انتاجها الصناعي في كل من آسيا وأمريكا اللاتينية وافريقيا[1] .

فهل التخلف الذي ينجم عن الحرمان النابع من استفحال عملية الاستغلال التنموي الأوروبي ذلك المشروع الذي ظهر نتيجة اختلال موازين القوى العالمية وخاصة الاقتصادية بعد أن فقد الاقتصاد العالمي التمويل التقليدي وهل هذا التباين التنموي هو قدر محتوم أم وضعًا مُدبرًا؟

منذ أن بدأت الحضارة العلمية تسيطر على حياة الناس في النصف القرن التاسع عشر ظهرت للعيان مشكلة انقسام الشعوب والمجتمعات الى متقدمة ومتخلفة وصَاحَب ذلك سيطرة الدول المتقدمة على الدول المتخلفة سيطرة أوثق وأشد من الاستعمار المباشر،[2]وفي نطاق عملية التصنيع التي تبنتها الدول المتخلفة حدث وأن تمت عدة عمليات احتكار من طرف الدول الصناعية فيما يخص تشجيع ونقل التكنولوجيا الى الطرف الآخر وكان ذلك بداية استفزاز تعرض لها العالم النامي من طرف المجتمعات الصناعية ، وكان ذلك بداية عصر جديد في الاقتصاد الذي غير من استراتيجياته الذكية لاستغلال فرص العمل والبحث عن رأس المال بأساليب وخطط تخلوا من تكاليف التي تطلبها الدورة الانتاجية التي كانت تنتهجها الدول الغربية كلاسيكيا. إنها بداية عصر جديد يختلف عن سابقه اختلافا نوعيا.

[1] هند بن عمار، المسؤولية الدولية عن تخلف التنمية الاقتصادية في الدول الناميةرسالة الدكتوراه جامعة ابن خلدون الجزائر سنة 2004 ص 17

[2] زهير الكرمي ، العلم ومشكلات الانسان المعاصر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت 1978 ص 130

وقد ذكر الاقتصادي محمد نجيب بوليف أن المعروف لدى المختصين في دراسة تقدم الأمم ورفاهيتها ومستوى معيشتها أن المؤشرات التي استعملت منذ بداية القرن العشرين والى أواسط الثمانينات تعلقت في عمومها بالمجال الاقتصادي، بل لم يكن فيها كثير من الضبط اللازم لتحديد ألتقدم الاقتصادي الحقيقي، ويقصد مفاهيم التقدم، والتطور، والنمو والتجديد...اضافة الى التنمية التي بقيت تتضمن أبعاد اقتصادية أكثر منها إنسانية –اجتماعية[1] .

كما تسهم العولمة في تصفية أنماط الإنتاج الرأسمالي غير الرأسمالية أي من خارج دائرة الرأسمالية وتصفية شروطها لصالح سيادة أنماط الإنتاج الرأسمالي وحده. فهي تفرض إعادة تنظيم الهياكل الإنتاجية لتُوائِم التقسيم الدولي الجديد للعمل. وبالإجمال يمكن القول بأن العولمة لم تأت بحلول سحرية لصالح الكون، بقدر إسهامها في زيادة الهوة بين الفقير والغني واستنزاف الموارد المالية لحاجات غير أساسية [2]. يرى الباحث إبراهيم مشورب أن ظاهرة التخلف ظهرت مع تكوّن النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي، وأن هذه الظاهرة ارتبطت بتقسيم العالم اقتصاديا وفق احتكارات عملاقة، ومع تبع تلك الفترة من تقسيم عالمي للعمل. ويضيف بالنتيجة أن التخلف هو مقولة اقتصادية عالمية [3].

فالإطار الضروري لانتشار خيارات تسمح بردم هذه الفجوة يستجوب بناء عالم متعدد الأقطاب وذلك هو المعنى الوحيد الذي يمكن أن يُعطي في الشروط الجديدة الناتجة عن تطور قوى الإنتاج ببعديها الإنتاجي والتدميري للبعد الإيجابي للعولمة وبناء عالم متعدد الأقطاب يمرّ عبر أقلمته ولا يمكن تصور قوى فك الارتباط الجديدة أو تعريفها بمقاييس محلية فقط، بل يجب أن تُتمم وتتعزز على المستويات الاقليمية[4].

---

[1] عمراني عمر، التطور المفاهيم للتنمية: من التنمية الى ما بعد التنمية مجلة الحوار المتمدن 09-12-2014

[2] هند بن عمار المرجع السابق ص 7

[3] إبراهيم مشورب، قضايا التخلف والتنمية في العالم الثالث، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت 1997، ص 23

[4] سمير أمين ما بعد الرأسمالية المتهالكة تر فهيمة شرف الدين الناشر دار الفارابي– بيروت – لبنانط، 1 2003 ص 202

ضمن هذا الخيار، لا بد من موقع يعطي لاقتراحات العمل القصيرة الاجل والمباشرة التي تلتقي حولها قوى سياسية واجتماعية فعلية على الصعيد المحلي أولا، حتى ولو كانت رؤاها تتخطى البعد الواقع الذي تفرضه العولمة، ومن بين القرارات التي يمكن تنفيذها بسرعة للتقليل من وتيرة الاستغلال في كل ميادين الاقتصاد ضرائب على التحويلات المالية و الغاء الجنّات الضريبية و الغاء الديون وعلى مستوى البيئة حماية الأنواع و منع المنتجات الضارة و إطلاق سياسة ضريبية معولمة على استهلاك الموارد التي لا يمكن تجديدها، والاجتماع لتشريعات العمل و مبادئ التوظيف و مشاركة ممثلين عن الشعوب في الهيئات الدولية والسياسة الديمقراطية وحقوق الفرد والثقافة كرفض تتجير القيم والمنتجات الثقافية [1].

ولقد برزت على الساحة العلمية مفاهيم مثل التنمية المستدامةوالتنمية البشرية والتنمية الإنسانية خصوصا بعد استصدار "ميثاق الحق في التنمية " ولا زال هذا المفهوم يثير جدلا حتى الساعة بين الباحثين والدارسين حول ظهوره وتقسيماته ومجالاته وتدخله وطرق استخدامه وأشكال الاستفادة منه.

لقد بدأت الكتابات التنموية تؤكد أن الايكولوجيا هي أكثر تحكما في التنمية من الأيديولوجيا ، وأن البيئة ليست وسيلة لتحقيق التنمية بل هي غاية في حد ذاتها ولربما كانت التنمية هي في النهاية السعي من اجل تطوير البيئة وإغنائها. والتنمي، حتى تكون تنمية ناجحة لا بد أن تساير حتى تكون منسجمة مع البيئة. هذه التنمية المنسجمة مع شروط وضوابط البيئة هي التنمية المستدامة.

ومن ناحية أخرى فقد برزت قضية إشباع الحاجات الأساسية للسكان في الفكر التنموي المعاصر بعد أن تبين خطأ هذا التصور النظري الذي كان تنطوي عليه معظم نظريات التنمية التقليدية والذي كان يذهب الى انه من المهم أولا ان يتحقق النمو، ثم يأتي ارتفاع مستوى المعيشة في مرحلة لاحقة قياسا على تجارب النمو في البلاد الرأسمالية الصناعية . ففي الجزء الأعظم من السكان تشير الدراسات التي

[1] سمير أمين ما بعد الرأسمالية المتهالكة المصدر نفسه ص 205-206

أجريت مؤخرا الى انتشار الامية وتدهور البيئة ونقص التغذية وسوء الرعاية الصحية إضافة الى دراسات وبحوث مختلفة تمت في مجالات خط الفقر وتوزيع الدخل والتنمية والعدالة الاجتماعية في عدد لابأس به من دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية [1]، وهكذا نجد الفكر التنموي المعاصر يرى أنه للقضاء على الفقر والتخلف يجب الاهتمام أساسا بمستوى معيشة الفئات الهشة وأن توجه جهود التنمية لإشباع الحاجات الأساسية من خلال برامج تنموية أصيلة لا تستثني طرفا دون طرف آخر.

في خلال السنوات السبعينيات وانطلاقا من اشغال المكتب الدولي للشغل BIT للأمم المتحدة وعلى يد نخبة من الاقتصاديين العامليين في الهيئات الدولية للتمويل والتنمية وخاصة البنك الدولي، برز تيارا جديدا في ميدان الاقتصاد الذي يلح على ضرورة البحث عن أفضل الشروط المحلية للتنمية واقترح روبرت مكنمارا Robert McNamara رئيس البنك في تلك الفترة أن يكون الهدف هو سد الثغرة التي تفصل مجموعتي الدول فيما يطلق عليه نوعية الحياة Quality,of,live ، معرفة بانها تشمل التغذية والقراءة والكتابة وتوقع الحياة والبيئة الطبيعية والاجتماعية، فالتقطوا خبراء البنك هذا الخيط وضموا اليه تلبية الحاجات الأساسية [2] .

إن هذا المسعى التنموي الجديد من خلال تعميم مؤشر التنمية البشرية IDH، ومؤشر تنمية المنتوج الداخلي الخام PIB ألهم نشاط عدة منظمات غير حكومية ONG ومن بين موجز ولأهم الانتقادات التي وجهها ماركيوز Marcus للمجتمع الصناعي وتبيان استراتيجيته المبنية على النظام والعقلانية والتحديث والسيطرة والاستغلال،في كتابه المشهور الانسان ذو البعد الواحد 'indimentionnell كتب ماركيوز في مقدمة استهل خطابه مبينا طبيعة المجتمع الصناعي وحذر من تأثيراته السلبية على ديناميكية المجتمع وصيرورته التاريخية التي أُزيحت عن مسارها الطبيعي الذي كانت تمثله الطبقة البرجوازية المالكة لوسائل الإنتاج وطبقةالعمال المالكة لقوة العمل، والصراع القائم بينهما

[1] حاتم محمد الحاج وأحمد على سبيتي، حاجة الانسان العربي للنقل والاتصالات، دار طلاس،دمشق ط1، 1990، 11

[2] محمد محمود الامام مستقبل التنمية العربية والعمل الاقتصادي العربي المشترك، المعهد العربي للتخطيط الكويت 1993، ص 260

حول ملكية وسائل الإنتاج وتقسيم الثروة، فالمشروع كلما تطور كيّفا وحدد عالم الكلام والعملو عالم الثقافة على الصعيد المادي وعلى الصعيد الفكري وعن طريق التكنولوجيا تلتإم الثقافة والسياسة والاقتصاد في نظام كلي شمولي يفترس أو ينبذ كل الاختبارات والحلول البديلة.[1] واحتدم هذا الصراع بعد الطفرة النوعية التي شهدها الاقتصاد مع الثورة الصناعية في جميع مجالات النشاط الاقتصادي وخاصة في مجال الصناعة (الإنتاج والتبادل والمنافسة والبيع ...الخ،) إلا أن التطور الاقتصادي المتسارع قد شوه بنيتهما ووظيفتهما في عملها السياسي الى الحد الذي فقد التاريخ فيه عامل التحول نتيجة انعدام الصراع الذي شهد تشويها وتغيرا عن مساره الحقيقي ، لأن منطق المصلحة المنشودة والقوية وحدت خصوم الامس.

إن الإنتاجية التي تقضي على التطور الحر للحاجات والملكات الإنسانية للمجتمع، وفي ظل وجود حياة بشرية جديرة بأن تعاش، أو بتعبير آخر أدق أنها يمكن أن تكون كذلك ويجب أن تكون كذلك، وعلى كل نظرية نقدية للمجتمع أن تتطرق من البداية لمشكلة الموضوعية التاريخية لان هذا الأخير يشتمل على إمكانات نوعية لتحسين الحياة الإنسانية، ويتوفر على طرق ووسائل نوعية وليست حصرية لتحقيق هذه الإمكانيات. للإجابة على هذه الأسئلة ينبغي أن نبدأ بسلسلة من التجريدات، وإنما من تنظيم موارد المجتمع الراهنة وطرق استخدامها بما يخدم الحاجات الأساسية الواقعية. وهذا التحليل يعارض كل محاولة لإعادة تثبيت فكر ميتافيزيقي يعتبر نفسه منزها، وغير قابل للمساءلة وفرضه على أساس أنه نموذج يصنفه التاريخ الذي يلبسه شيء من القداسة والتعالي[2] إننا نقصد الإمكانات التي هي في متناول كل مجتمع مستقل.

فالتقدم التقني يرسخ دعائم نظام كامل من السيطرة والتنسيق الذي يخلق أشكالا للحياة (السلطة) تبدو وكأنها منسجمة مع نظام القوى المعارضة. بل هو كفيل بإدماج هذه القوى من خلال العراقيل

[1] هربرت ماركيز المصدر السابق ص 28---33

[2] هربرت ماركيوز المصدر نفسه ص 27

التي استطاعت أن تخمد كل محاولة مناهضة للمجتمع الصناعي. [1] لقد ذهب ما ركوز الى أن التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج لم يعد تناقضا قائما، فقد أضحت القوى المنتجة تنتج في الوقت الحالي مقدار من الثروة يبلغ من ضخامته، أن أخذت هذه القوى في تدعيم الملكية الخاصة بدلا من الدخول في صراع معها، وقد كانت الثورة تستخدم لصنع بضاعة عديمة النفع ولخلق حاجات زائفة. وأدى نمو الاحتكارات وزيادة تدخل الدولة على المستويين القومي والدولي الى السيطرة على حياة البشر بطرق أكثر تعقيدا[2]. فالإنتاجية ووسائل التدمير تنمو بوتيرة واحدة والبشرية مهددة بدمار شامل والفكر والأمل والخوف رهن بإرادة السلطات. إن البؤس يجاور الغنى الذي لا مثيل له في السابق، أفلا تبرز هذه الظاهرات وضع المجتمع موضع اتهام حتى وإن لم تكن مبررا لوجود هذا المجتمع، وانما تمثل فقط نتائجه الثانوية؟.

الحقيقة أن عقلانية المجتمع المعاصر وتقدمه وتطوره هي في مبدئها لا عقلانية وإذا كانت الغالبية العظمى من السكان المشروطين في هذا الاتجاه تقبل بهذا المجتمع، فهذه الواقعة لا تزيد من عقلانية المجتمع ولا تقلل من قابليته للنقد. فالتمييز بين الوعي الحقيقي والوعي الزائف و بين المصلحة الواقعية والمصلحة الفورية لم يفقد شيئا من دلالته [3] ولكن هذا التمييز بحاجة الى الإثبات والبرهان وعلى كل انسان ان يكتشفه وأن يبحث عن الطريق الذي سيقوده من الوعي الزائف الى الوعي الحقيقي، ومن مصلحته الفورية الى مصلحته الواقعية، والانسان لا يستطيع أن يفعل ذلك الا إذا شعر بالحاجة الى تبديل نمط حياته الى نفي الإيجابي الى الرفض، وإنما هذه الحاجة هي التي يسعى المجتمع القائم الى قمعها بتناسب مطرد مع قدرته على انتاج الخيرات وتوزيعها على صعيد أوسع باطراد ومع قدرته على استخدام الفتح العلمي للطبيعة لغزو الانسان علميا [4].

---

[1] هربرت ماركيوز المصدر نفسه ص 29

[2] إيان كريبة النظرية الاجتماعية من بارسونز الى ها برماس المصدرالسابق ص 277

[3] هربرت ماركيوزالمصدر السابق 1988 ص 30

[4] هربرت ماركيوز المصدر نفسه نفس ص 30

لقد وصلنا بعد جهد جهيد الى عصر الحداثة الذي كان الأمل يحذوا كل شخص يعيش لحظة النقلة النوعية التي صنعها التطور والتكنولوجيا من خلال الوفرة في جميع نواحي الحياة الاجتماعية ، واستطاع الانسان أن يعيش في كنف الحرية والاطمئنان والعيش الرغد ولكن في الحقيقة أن ما شهده الانسان من تطور في الحياة الاقتصادية ما فتأ يتحول الى خطرٍ محدق بعد أن استنفذ المجتمع الصناعي كل ما يجعله مرحلة بديلة عن الحقب السابقة المظلمة التي شهدها التاريخ الإنساني ،وعليه سوف نتطرق الى مفهوم الميثولوجيا التي تعني ببساطة فكر بدائي... ، فكر لم يبلغ النضج.

إن المهمة العلاجية للفلسفة في عالم كلي استبدادي يجب أن تكون مهمة سياسية من اللحظة التي يميل فيها عالم الانشاء القائم الي التبلور في شكل عالم يخضع بأسره للتكيف المذهبي، وعلى السياسة في مثل هذه الحال ان تتدخل في الفلسفة لا بوصفها فنا بذاته ولا بوصفها مادة للتحليل، بل على العكس ان تحلل مضمون المفاهيم الفلسفية حتى يمكنها ان تعقل واقعا غير مشوه. وإذا لم يسهم التحليل اللغوي في صيرورة إدراك وتفهم من هذا النوع وإذا أسهم على العكس في حبس الفكر في عالم الانشاء العادي المشوه أمكن آنذاك القول بأنه غير منطقي البتة مع نفسه وغير أصيل. بل يمكن القول أيضا بأنه فكر جبان يتهرب ويحتمي ب «الحقائق الواقعية " التي لا يمار أحد في صحتها والتي لا تطرح على بساط البحث إلا في الأكاديميات والمجامع اللغوية والتي لا تنطبق عليها بحال من الأحوال بالتالي صفة الواقعية[1].

إن العقلية التكنولوجية هي أحدث شكل أمكن لمثال العقل أن يأخذه. وفي عالم العمل المغلق للحضارة الصناعية المتقدمة التي تحقق توازنا مرعبا بين الحرية والاضطهاد، بين الإنتاجية والتدمير، بين التقدم والانتكاس، متجسدا مسبقا في مثال العقل ذاك بوصفه مشروعا تاريخيا في جوهره[2]، فالبطالة مرض مزمن في الرأسمالية والناس تريد العمل ولكن المجتمع لا يستطيع أن يوفر العمالة للجميع، ويعود

[1] هربرت ماركيوز نفس المصدر ص 217

[2] هربرت ماركيوزالمصدرالسابق ص 164

السبب الى أنه بتطّور الرأسمالية لا يتم توظيف القسم المتراكم من الرأسمال في إيجاد فرص جديدة للعمالة وإنما في تزويد المصنع أو المعمل بآلات جديدة ومكائن مستحدثة. فالهدف النهائي للرأسمال هو الحصول على أكثر معدل للأرباح.[1] فلقد دخلت عناصر العقل الناظمة في صراع مع عناصره الهدامة وعارض الفكر الإيجابي الفكر السلبي الى أن كفلت منجزات الحضارة الصناعية الانتصار للواقع الأحادي البعد وخفضت من حدة مختلف التناقضات. والوجود الذي يكرس نفسه لتلبية ضروريات الحياة الأولية وجود كاذب على حسب ادعاء هيربرت ماركيوز وبالتالي وجود غير حر. وبديهي أن هذا الوجود يعكس معطى اجتماعيا غريبا عن أي أنطولوجيا. ففي مجتمعنا المعاصر ما يزال تأمين الأشياء الضرورية للحياة الشغل الشاغل، على مدى الأيام والحياة، لطبقات خاصة لا يمكن بالتالي اعتبارها حرة ولا أمل لها في أن يكون لها وجود انساني.

إن المشروع الحر لا يشكل في الأصل نجاحاً تاماً كاملاً إذ لم تكن الحرية أنداك إلا العمل أو الموت جوعاً ولم تكن إلا الكدح وعدم الأمان والقلق بالنسبة الى الغالبية العظمى من السكان. وإذا لم يعد على الفرد من الآن فصاعدا أن يقدم نفسه في سوق العمل بوصفه ذاتا اقتصادية حرة فإن اختفاء هذا النوع من الحرية يمثل في الواقع أحد منجزات الحضارة.[2]

منذ السبعينيات أذيعت الليبيرالية الجديدة منمنظور فريديريك هايك Fredirk,Hayek لتصبح الخطاب والممارسات اليومية بدرجات متفاوتة حول العالم. لقد أنشأت أساسا بديل لما أصبح بعد ذلك يسمى المشروع الاقتصادي السياسي المهيمنين، الكنزية والفوردية. وأصبحت الليبيرالية الجديدة هي الاختزال الأكاديمي الشعبي لوصف الإصلاحات الاقتصادية للغرض الذي يتم استخدامه بدرجات متفاوتة من أجل تنشيط الاقتصادات الأساسية للعديد من الدول الصناعية في مرحلة ما بعد الفوردية ، وبعد الوقوف على تلك النجاحات للتجربة الليبيرالية في تشيلي ودول أمريكا اللاتينية

[1] إبراهيم مشورب الاقتصاد السياسي مرجع سابق ص 276- 277

[2] هربرت ماركيوزالمصدرالسابق ص 38

أضحت الليبيرالية العقل المدبر لاحتمالات الانكماش العالمي. يعتمد الفكر الليبيرالي الجديد على الاعتقاد بأن الأسواق المفتوحة والتنافسية، والتي لا يتم التدخل بها بالتنظيم، والمتحررة من تدخل الدولة والإجراءات التي تتخذها الجماعات الاجتماعية تمثل الآلية المثلى لتحقيق التنمية الاقتصادية[1].

لقد حصدت سياسات الطريق الثالث لحزب العمال الجديد أمكانية الاستمرار أو عدم قطيعة مع سياسة مارغريت في مجال السياسة الصناعية ، حيث دعا الى تجاوز كل من الديمقراطية الاجتماعية قديمة الطراز والليبيرالية الجديدة Giddens1998 ،ى واحتضن توني بليرTony Blair العديد من السياسات لغريمته مارغريت تاتشر مثل الالتزام بمصادر خارجية ومرونة سوق العمل وعدم التسامح مع نقابات العمال.[2] ومع ذلك وخلافا لتتشر كان بلير حريصا على تحقيق التوازن بين المرونة الموجهة نحو السوق مع الالتزام بالحد الأدنى من معايير الانصاف في العمل. على هذا النحو نفّذ حزب العمال الجديد مجموعة من السياسات التي هدفت الى خلق مردود مادي للعمل من خلال مزيج من أرضية قانونية للحد من الأجر واعتمادات ضريبية للعمل كوسائل تحفيز للعمال [3] وفي العام 1998وعدت وزارة التجارة والصناعة Margaret-Becket1997،1998 بأنه سوف ينهى الحد الأدنى الوطني ما يجلبه الفقر من عار وسوف يبدأ سد الفجوة المتزايدة بين الفقراء والاغنياء. وفي ضوء الآثار الضارة لليبيرالية الجديدة على العمال ذوي الأجور المنخفضة فإن ملاحظة عدم كفاية الحد الأدنى للأجر الحالي وظهور مفهوم الاجر المعيشي الذي من خلاله تم استقراء النظام الليبيرالي.

فالأجر المعيشي يعد مفهوما جوهريا من مفاهيم العدالة الاجتماعية. و العدالة الاجتماعية تقوم على العدالة والمساواة في الحصول على الفرص، أما بالنسبة لهارفي Harvey1972 فالعدالة الاجتماعية تعني فقط بتوزيع الدخل بحيث يمكن تلبية احتياجات السكان، بينما يرى سين Sen1985 أن العدالة الاجتماعية تدور حول القدرات ما يستطيع الافراد القيام به ومع ذلك فقد أشار

[1] أدريان سميت، وآخرون العدالة الاجتماعية والليبيرالية الجديدة منظورات عالمية تر وائل حمدي مركز القومي للترجمة القاهرة، ط،1، ا 2016 ص 150

[2] المصدر نفسه ص 154

[3]أالمصدر نفسه ص 155

كاتسون,katsun وآخرون 2000 أن السياسات الليبيرالية خلال رفع القيود على ممارسات القوى الغير المتكافئة تؤدي الى زيادة الظلم وحدوث هبوط اقتصادي تزييد الدوامة الاجتماعية[1].إن المرحلة الثانية من التأريخ للثورة الصناعية التي افترضها كاندين Candin كانت بالمثل تركيزا تشاؤميا على الطبيعة الشفافة للنشاط الاقتصادي والتقلبات قصيرة الاجل المرتبطة بالحروب مباشرة في الخمسينيات والستينيات مع الظهور غير متوقع وغير مسبوق للرأسمالية الغربية فإن الثورة الصناعية بدلا من أن تمدنا بسياق تاريخي للمشكلات الاجتماعية المعاصرة أصبحت فجأة المرشد السابق للجهود الحالية أي ذات نجاحات، ولقد أتاحت المناقشات السابقة لدور التجارة حسب نظرية النمو الاقتصادي نظريات التحديث لدى علماء مثل روستو 1960Rostow الذي رأى أن الثورة يعترف بها على أنها الانطلاقة الاقتصادية ذات الأهمية التاريخية [2]،ومع ذلك لم يستمر هذا التفاؤل كما اعتقد كاندين 1984 باستخدام عناوين جالبريث مجتمع الوفرة، مما أتاح ظهور الطور الرابع الذي يوصف بأنه عصر الشك. ومن الرفاهة في السبعينيات فصاعدا بدأ المؤرخون الاقتصاديون وعلماء الاجتماع في التركيز على قضايا المجتمع ما بعد صناعي Touraine1971, Bell1974.، والتناقضات الثقافية للرأسمالية Bell ، وانحلال التصنيع Blue,stone, and,Harrison 1982:.ومناقشتهم التي ظهرت في سياق إعادة تفكير واسعة النطاق للثوابت السابقة والشك في روايات الحداثة الغربية المسلم بها سابقا .

طبيعة المعلوماتية:

إن طبيعة قوة المعلوماتية التي تعتمد في أساسها على الابتكار والتجديد المستمر لا ترتكز على مفاهيم احتكارية في كينونتها التي تعتمدها الرأسمالية، هذا أدى الى قوة رفض مجتمعية تمثلت في مفاهيم جديدة أسسها **ريتشارد ستلمان** ، وهو مطور متمرد على تلك المفاهيم الاحتكارية وقرر وضع مفاهيم جديدة تناهض الفكر الرأسمالي الاحتكاري ليؤسس حركة البرمجيات الحرة تختلف طبيعة

[1] أدريان سميت المصدر السابق ص 175

[2] جير مندرك باميرا إعادة التفكير في الحداثة تر ابتسام سيد علام المركز القومي للترجمة ط، 1، 2016 القاهرة ص 196

الإنتاج المعلوماتي عن المنتج الصناعي التقليدي. و مع حلول ستينيات القرن الماضي كان علماء الاقتصاد يرون أن المعلومات ، سلعة عامة حتى أتى عالم الاقتصاد " **كنيت– آرو**" ليؤسس مفهوم جديد ليجد **هذا الأخير** أن هناك روافد اقتصادية جديدة لها طبيعتها الخاصة تعتمد على الخلق والابتكار الدائم فأشار الى الملكية الفكرية للمعلومة والمنتج القائم عليها. القضية ليست بتلك البساطة بل أكثر تعقيدا بكثير خاصة مع انتشار سيطرة الشبكات على حياتنا. فقوة المعلوماتية ازدادت لتكون ما يمثل **العقل العام للمجتمع**[1] ، فهي لا تقتصر فقط على البرمجيات بل تعدتها لتواكب حياتنا اليومية والشخصية وباتت جزء من المعلوماتية، فكل شيء أصبح عبارة عن معلومة وبات تحت المراقبة والسيطرة ليتحول الى سلعة يتم تداولها.

شكلت المعلومة بالنسبة للرأسمالية سلعة يمكن تداولها وبيعها، إلا أن تلك السلعة كان من المستحيل تسعيرها. فالأزمة التي وقعت فيها الرأسمالية هي أن تلك المعلومات مع الوقت تفقد قيمتها التسعيرية حتى تصل الى الصفر. فالمعلومة بطبيعتها متغيرة ومتقلبة فلا توجد آلية ثابتة لتطورها ونموها أو اضمحلالها فهي تفيد في توقيت محدد للحظة آنية تختلف نتائج تحليلها بتغير العوامل المؤثرة على صنعها. كذلك سهولة نقل المعلومة بنسختها ونشرها وبالتالي تفقد قيمتها التسعيرية لتصل الى الصفر المطلق لتكون المعلومة السلعة واحدة من أكبر عناصرالخلل في المنظومة الاقتصادية الحالية والتي أصبحت تعتمد عليها بشكل واسع.

* تعني المعلوماتية عموما إمكانية ، وربما ، أحقية اختزال " المعنى في " العلامة " الاعتباطية التي يخترعها عقل حسابي نجح في ترجمة بناه ومحتوياته في لغة تكنولوجية اصطناعية بقدر ما هي تفاعلية .هذا الحدث الاستثنائي – الذي كُني بالثورة الصناعية الثانية –انقلب فجأة الى تحد ميتافيزيقي أمام أي" لسان " طبيعي أو قومي تكلّمه البشر الى حد اليوم : التحدي الاصطناعي للعلامات بشكل يعد بإمكانية الاستغناء عن الحروف بعامة ولأول مرة أصبحنا نخاطب بواسطة "لغات " ليست " ألسنا" خاصة بهذا الشعب أو ذاك فإننا سوف نجد أنفسنا امام هذا التحدي غير المسبوق : الى أي مدى يمكننا أن نقول أنفسنا من دون" حروف " قومية ،بل فقط بواسطة علامات اعتباطية بلا أي انتماء هووي وبعبارة أدق الي أي حد بمقدورنا أن نقول أنفسنا بشكل معلوماتي هل نحن مجرد معلومات اعتباطية حول انفسنا ؟ مجرد أرقام ورسوم ونظم وتركيبات بحيث يصدق علينا الترادف اللاتيني بين العقل والحساب وتمحي المسافة الأخلاقية بين المعنى والعلامة بين الذات والمعلومة " أن نقول أنفسنا معلوماتيا فتحي المسكيني مجلة الدوحة العددس 9، ج98 ديسمبر 2015 ص ص 139 141

هذا النموذج يعتبر مثالا عمليا واضحا لنمط جديد قد يؤسس لحقبة إنتاجية قادمة، تعتمد في أساسها على قوة المجتمع في إنتاج احتياجاته، أشار إليها عدد من المفكرين الاقتصاديين أنها شرارة تأسيس عالم ب " ما بعد الرأسمالية.

من الملاحظ في هذا النمط من الإنتاج الجديد المستحدث أنه يقارب بشكل كبير مع ما طرحه ماركس. إن الرأسمالية هي مرحلة تاريخية وستتجاوزها المجتمعات ببناء المجتمع الشيوعي فإننا تابعنا هذا النمط الإنتاجي الجديد فهو في وجهه الأول نمط يقوم على إنتاج قيم تبادل منفعة تقوم على تحويل مباشر لعدد من العلاقات نشاط العمل، الإنتاج ، الاستهلاك والعلاقة بين الفرد والمجتمع وينظمها في اطار من التوازن الدائم ، أما في وجهه الثاني فهو ينتج سلعا في إطار احتياجاته وقدرته أي أنه يقوم على الحاجة لتصل بنا تلك التجربة الى مواجهة مباشرة لعامل الاستلاب السلعي الذي يحرر الفرد والمجتمع من قانون السوق وتحقق سيطرة المجتمع على مصيره بإلغاء مبدأ الملكية الفردية وابداله بالملكية المجتمعية التشاركية في العملية الإنتاجية بخلق نموذج جديد لإدارة الأعمال .

استطاع هذا النموذج البديل كسر حالة التبعية فهو بتناحره مع مفاهيم الاحتكار يخلق نمط مخالف يعطي حق المعرفة والتطوير الإنتاج للجميع ليكسر السيطرة الاحتكارية التي فرضتها دول المركز الرأسمالي على دول الأطراف ليؤسس أزمة جديدة في بنيتها فالمنظومة الرأسمالية نتيجة لنموها وتطورها الطبيعي لا تستطيع العمل إلا في ظل الاحتكارات، لكن في ظل هذا الاضطراب الذي تشهده الرأسمالية بدأت تنمو اقتصاديات شبه مغايرة استطاعت تحقق قفزة واضحة في الاقتصاد العالمي وتؤكد جودتها يقول البحث سمير أمين في كتابه **الرأسمالية المتهالكة** إن الآثار البعيدة المدى للثورة العلمية والتقنية الجارية إذا كانت الثورة –تحديدا المعلوماتية والأتمتة التي تدفعها –تعبر عن نفسها بواقع أعلى من الإنتاج المادي ، فيمكن الحصول عليها بعمل أقل لكن أكثر مهارة وتخصصا ورأسمال أقل في آن[1]

[1] سمير أمين، الرأسنالية المتهالكة، تر ، فهيمة شرف الدين دار الفرابي لبنان ط، 1، 2003 ص ص 150،151

إن نمط الإنتاج الرأسمالي استنفذ دوره التاريخي لأن الرأسمال مبني على سيطرته على العمل، بكلام آخر لم تعد علاقات الإنتاج الرأسمالية تسمح باستمرار تراكم دائم فهو الذي يحدد مهمتها التاريخية.

سياق تكنولوجي واقتصادي جديد:

منذ قرون وعبر شطر كبير من الحياة الزراعية والصناعية وما بعد الصناعية المعاصرة، كان ينظر الرجال على أنهم أهم اقتصاديا، وأنا النساء أقل أهمية بكثير من الرجال. ونظرا الى أن جل العمليات والمنتجات المالية الى هيكليات الشركات يعكس احتياجات الرجل. وتدخل الولايات المتحدة عصرا جديدا هو عصر ما يسمى بوفرة المعلومات ، ففي 1965 فحسب تناول هارولد لاسويل ، وهو محلل اجتماعي القضايا المتعلقة بالسياسات المتبعة في المجتمع الغنس بالمعلومات [1]لكن ونحن نلج القرن الحادي والعشرون، نعمل على تعديل عدستنا لنرى من خلالها ما يمكن للمخلوق الفضائي رؤيته، فتتحول المرأة بكل وضوح من الخلفية الى الشكل، أيا كان النشاط التجاري، فإن الأشياء من منظور الحقيقة العارية تعد واحدة من أقوى الدروس والعبر والإمكان اعتبار شركة أمازون تتبع مشتريات كل عملائها، ويمكنها الجمع بين سجلها الإلكتروني وطلبية العميل الجديدة لتعرض عليه توصياتها حيال المنتج. وهذا من شأنه أن يسهل الحياة كثيرا على الزبون، فلولا ذلك المكان لكان عليه البحث طويلا للعثور[2] وحين تثار هذه النقطة فغالبا ما تأتي صرخات الاعتراض الشديدة من المرأة، لأنها تعتقد أنه لا يجوز أن يكون هناك فرق في تصميم المنتجات والخدمات للرجل والمرأة، وأنه يجب أن تتساوى 'المرأة) والرجل في عملية الشراء، وأن تخضي بالقدر نفسه من الاحترام والتقدير في الشراء وهذا برهان أكيد على أنه لا ينبغي استطلاع آراء النساء وحدهن لفهم ما الذي سيكون عليه مستقبل السوق النسائية

[1] هربرت أ ، شيبير، المتلاعبون بالعقول، تر عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، سنة 1999، ص 206

[2] إدي فاينر وأرنولد براون، التفكير المستقبلي ،كيف نفكر بوضوح في زمن النغير مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية أبو ظبي،ط،1، 2008 ص 21

[1] وحالها حال الرجل إذ تعاني المرأة من فرط معرفة الماضي مما يجعلها غير قادرة على رؤية كيف يمكن للأشياء أن تتغير

تعتبر مجتمعاتنا الحديثة اليوم في حالة خضوع لازدواجية المعايير، هذا ما قاله عالم الاجتماع مانويل كستيل، Castel،Manuel، هيكلة شاملة وعميقة للرأسمالية من جهة، وازدهار ما يسمى بالمجتمع المعلوماتي من جهة أخرى بمعنى أن هناك عالما أصبح فيه الابداع والمعالجة. وانتقال المعلومة يشكل المصادر الرئيسية للسلطة الإنتاجية ، بمثل هذا السياق فإن تكنولوجيات الاعلام والتواصل وبطريقة استعمالها في الشبكة وبمرونة تكيفها وإعادة تنظيمها تسهم في ابراز نمط جديد للحياة في المجتمع.[2]

إن مجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يقرر بناء سياساته واستراتيجياته المستقبلية واتخاذ قراراته استنادا الى حالة معرفية أصيلة، وهو المجتمع الذي يسعى بكل جدية الى انتاج المعرفة ونشرها وتوظيفها للإفادة منها في المجالات كافة وبخاصة المجالات الحياتية[3] ، أما المعرفة فهي محصلة المعلومات والأفكار والنظم الرمزية المتفق عليها والتي تهدف في الأساس الى تنظيم حياة الناس وتوجيهها بشكل رشيد. فالمعرفة يجب أن تسخر في تحسين حياة الناس ومعيشتهم وتنعكس آثارها على حاضرهم ومستقبلهم.

إن المعرفة المفيدة هي التي تقدم تشخيصا للواقع واستشرافا للمستقبل وهي في ذات الوقت القادرة على تقديم الحلول وبدائلها في ضوء ما هو ممكن لأجل هدف لأجله يمكن تفجير الطاقات الإبداعية وتشكيل النماذج الابتكارية ومنح الانسان قدرات وامكانيات إضافية للكشف عن المجهول والتعامل

[1] إدي فاينر وأرنولد براون المصدر السابق المصدر نفسه نفس الصفحة

[2] ريمي ريفيل، الثورة الرقمية، ثورة ثقافية تر سعيد بلمبخوت، والزاوي بغورة المجلس الوطني للثقافة والآداب الكويت 2018 ص 23

[3] عبد الرحمن صوفي عثمان، مجتمع المعرفة، التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي، المؤتمر العلمي الدولي لكلية العلوم الاجتماعية والآداب، منشورات جامعة لسلطان قابوس، سلطنة عمان،المجلد الثاني، 2007 ص 13

مع الغامض والتعمق في الاستكشاف والتحليل واستشراف المستقبل، ولا يمكن لمجتمع المعرفة أن يولد الا بتوفر الاتصال والاعلام والثقافة ورأسمال البشري ومستوى تعليمي راقٍ[1].

ما الرقمي؟:

بالتمعن في المصطلح و أول خاصية فرنسية و هي التي تستعملها كل اللغات الأوروبية النعت اللاتيني digitus، الإصبع، لتحديد التكنولوجيا الحديثة Digital, technolology مفضلة إذن معنى اللمس وبراعة الأصابع ،أما المصطلح الفرنسي فهو يتجه نحو numerus الرقم بحكم هذا التصور التكنولوجي الراهن في مختلف ميادين الاعلاميات والمواصلات السلكية واللاسلكية[2]. في الأصل إن كلمة الرقمي تأتي في إطار المفردة التقنية إنها مرتبطة بالحساب بالوضع الآلي للإشارة الى نمط آلي الإشارة الرقمية مقابل الإشارة التناظرية[3] ، كما جاء على لسان الباحث في الاعلام جرار بيري،Berry،Gérard بأن عالمنا أصبح رقميا عقب أربعة تحولات أساسية يرتبط التحوّل الأول بالمعالجة بطريقة متجانسة لكل معلومة كيفما كانت طبيعتها والتي تضع حدا للتحديد التقليدي الذي طالما تعايشنا معه بين نوع المعلومة والدعامة المادية النص على الورق والصوت على الأشرطة المغناطيسية والصور والأفلام. ففك المعلومة عن دعامتها يشكل إذن ثورة بالغة الأهمية أما التحول الثاني فله علاقة بتلك التطورات الحاسمة التي تحققت بفضل الاليكترونات والبرمجيات وأجهزت البث التي مكنت من خلق آلات أكثر فاعلية والتحول الثالث يهم تطوير علوم جديدة كالإعلاميات ومعالجة الإشارة أما التحول الأخير فنجده في غنى التطبيقات الناتجة عن المهارات التي تحققت عقب الابتكار التكنولوجي والصناعي. ففي ميدان **الاقتصاد** الرقمي هو ابتكار ناجح له قيمة كبيرة من

---

[1] عبد الرحمن صوفي عثمان، المرجع نفسه ص 13،14

[2] ريمي ريفيل، الثورة الرقمية، ثورة ثقافية تر سعيد بلمبخوت، والزاوي بغورة المصدر السابق ص 26-27

[3] Guilhem Fouetillou, le web est traité constitutionnel européen .Ecologie d'une localité thématique compétitive, réseaux n' 144, 2007p p279-304

المفترض أن يعين القطاع الصناعي والخدماتي الذي يشمل أمورا عدة منها الاعلاميات. [1]وسرعان ما بدأ استعمال الرقمي بطريقة أكثر اتساعا في تحديد كل ما هو غير مادي حتى لا تندرج درجة القاعدة المادية والقاعدة البرمجية التي يقوم عليها ويعتبر هذا التمثيل الرقمي، بالإشارة اليه الى عدم الاهتمام **بالعلم والتقنية** والتقييم الزائد للوظائف والاستعمالات المتعددة. كما يحق الشفافية والاتاحة لجميع المؤشرات الاقتصادية والتجارية والمالية في الدولة خلال فترة معينة. وهناك من يسميه باقتصاد المعرفة الذي يعتمد فيه على إنتاجية وتنافسية المنظمات والوحدات ويعتمد الاقتصاد على قدرتها في التوليد والمعالجة مستخدما المعلومة بكفاءة فائقة [2]. ويحيلنا الاقتصاد الرقمي كذلك الذي يتجسد في هذا المنظور بالمقاولات الواعدة والشركات الناشئة وكل ما يظهر مثل مدينة أحلام إلدورادو الجديدة.

إن فهم تأثير التوسع الرقمي واستيعاب ضخامة التغيرات الجارية يفرض أيضا التفكير سلفا في العلاقات بين التقنية بمفهومها الواسع للتكنولوجيات الرقمية و بمفهومها الضيق للمجتمع.

لقد سبق لجاك، إلولJacques,Ellul أن لا حظ في زمانه سنت 1954 الثقل الحاسم للتقنية في مجتمعاتنا . فحدد خصائص الظاهرة ووصف انبهار الانسان بهذه الأخيرة، بالرجوع الى كتاب الخداع التكنولوجي، Le.bluff.technologie1988حول ديانة التكنولوجيا وحول الخطاب المغري للتقنيات والاوهام التي جاءت بها ليحدد من جديد أن التقنية ليست محايدة وأنها في الأساس مترددة لأنها تؤدي أيا كان الاستعمال الى عواقب إيجابية أوسلبية، فازدهار الاعلاميات لا يشكك ظاهريا في الجهاز التقني بل يؤكده ويعقده.

تسعى الاعلاميات دائما الى أن يصبح جبريا، بترسيخه كلغة عالمية فيظهر بشكل كامل كنمط من الثقافة. وفي الواقع، " فالجهاز من الناحية التقنية يُحتم استعمالا عالميا، من دون أن يتأصل فيه،

---

[1] ريمي ريفيل المرجع السابق ص 27-28

[2] محمد مراياتي ، المعلوماتية ودورها في تحقيق التعاون الاقتصادي العربي وأفاق المستقبل ، مركز البنك العربي للبحث العلمي ، دار فارس للنشر الأردن ، 2011، ص 131

ويتفاعل مع التنوع الثقافي والحضاري.[1] ولا يمكن للحضارة أن تكون كونية لأن الانسان ليس كذلك وأنه ينتمي الى مكان ما وجنس وماض ولتكوين و زمن محددين. فحقيقة كونية تقنية تبعد وجود ثقافة..Le fait de l'universel technicien exclu la possibilité d'une,culture[2] .

من دون شك فإن ثقافة تفترض كما يرى جاك إليل تجانسا بين المعيش والمعرفة .

لم تكن معلوميات الثمانينات داخلة بعمق في حياة وتجربة الأشخاص كما هي حاليا . فلا يسعنا إذن الا الاعتراف بأهمية تلك المرحلة ،أما البيئة الرقمية فإنها غيرت تحديد المعطيات . فاستعمال الرقمي لا يؤدي الى تغيير انسانيتنا وافقار تعدديتهاو يتعلق الامر أيضا بتجربة شخصية كونية من شأنها أن تغير عميقا من معارفنا ومدركاتنا على عكس التقنية التي تطبع بالتأكيد علامتها على ذواتنا وتثير التساؤلات جول قيمنا لكنها تعيد أيضا بناء الصلات التي تربطها بالثقافة وكخلاصة يمكن استنتاج ما يلي **المجتمع** و**التقنية** في صدام وكواجهة دائمة بشكل ما فالتصادم الأول يتجسد في الحتمية التقنية فيضع التقنية في صلب تغيير مجتمعنا [3] والآخر يمثل الحتمية الاجتماعية ويؤكد على ثقل عدم التكافؤ والانقسامات السوسيو –ثقافية حول تنمية التقنية بينما المقاربة من حيث الحتمية التقنية فترتكز على تأثير الأجهزة التقنية في تصرفاتنا الشخصية والجماعية، لذا يمكن القول بأن التقنية تفرض قواعدها على المجتمع أما فيما يتعلق بالموضوع الذي يشغلنا فالتكنولوجيا الرقمية تحدد سلوك الأشخاص وأيضا تنظيم المجتمع. وعليه نقول منذ زمن طويل كشفت التفسيرات المتعلقة بالحتمية التكنولوجية مدى محدوديتها.

شهد العقد الأخير تطورا باهرا بخصوص التطور التكنولوجي والتقنيات الرقمية بحيث بدأت تلك التقنيات والتطبيقات الجديدة آثارا قوية على حياتنا اليومية، بحيث بدأت بالفعل تغيير عادة تسوقنا

---

[1] ريمي ريفيل: الثورة الرقمية، ثورة ثقافية تر سعيد بالمبخوت، والزاوي بغورة نفس المرجع ص 31،32

[2] ريمي ريفيل، الثورة الرقمية، المرجع السابق ص 32

[3] ريمي ريفيل، الثورة الرقمية المرجع نفسه ص 33

البيع من بعد وتبادل الممتلكات كما أنها تغير حياتنا المهنية في التنظيم الجديد للعمل والحركية وإدارة الوقت بمرونة أفضل. ومن ثمة فإن تلك الوسائل تمس الحميمية والهوية الشخصية و تقديم الذات في المواقع الاجتماعية واستعمال أسماء مستعارة[1]. ويرى ريفيل بازدهار الرقمي يمكن تحديد خطوط التصدع وترقب ما يمكن أن يقع من أشكال مؤانسة جديدة وعلاقات جديدة من حيث الابداع والمعرفة والاعلام والمواطنة، وبهذا الخصوص حالتنا الرقمية. فأولئك الأكثر حماسا يمدحون الإمكانيات الاستثنائية للشبكة العنكبوتية مع التأكيد على الولوج المباشر ودائم وبالمجان وحجم المعطيات غير المحدود والمعلومات والمؤلفات من كل الأجناس وكثافة حجم التبادل، وبهذا الخصوص عبر ميشال سيرس،Michel-Serres ،[2] مدهوشا من الذكاء الابتكاري لدى جيل الشباب الواعد المنغمس في العالم الرقمي وبتلك الطريقة ب حكاية **بوست الصغيرة** البراعة التي تتم بها الرسائل بالسبابة وعلى عكس تلك الإشادة نجد سيدريك بياجينيCédric,Biagini الذي يدعو الى مقاومة الانسياق التكنولوجي ومنطقه الفردانيوذلك للخروج من التنويم الرقمي والابتعاد عن الطوعية والأجهزة التجارية [3]. فنحن نتطور في كل الأحوال بحكم التوسع الهائل لشبكات الاتصالات في عالم انتشرت فيه المعلومة والسرعة وعالم الفعالية والعلاقة الجديدة من حيث الزمان والمجال.

لقد أصبح المرء يسبح أكثر فأكثر فيما سماه جيرمي ريفيكينJeremy,Rifkin ثقافة الولوج Une,culture,del'accès: حيث يفقد مفهوم الملكية قيمته وصلته بالموضوع وتتجلى أهمية عيش اللحظة الراهنة ومن ثم يصبح الشعور بالعلاقة الربطية أمرا حاسما.[4] فالأيديولوجية الممرّرة من طرف

ريمي ريفيل : الثورة الرقمية ، ثورة ثقافية تر سعيد بالمبخوت، والزاوي بغورة ، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 2018 الكويت ص 15-16[1]

ريمي ريفيل المصدر نفسه ص 16[2]

ريمي ريفيل المصدر نفسه 16-17 [3]

[4] Thierry Vedel, L'idée de démocratie électronique. Origines, visions, questions, in pascal périnéaux (d'Ir), le désenchantement démocratique,Ed la tour –d'aigue, l'aube. 2003p,p243.266

الرقمي تطابق على ما يبدو في كل نقاط فترة ما بعد الحداثة التي يتحدث عنها المحلل الأمريكي. لقد أصبحت عملية الربط أكثر أهمية من كل الأمور الأحرى فثقافة العلاقة واستهلاك التجارب المعيشة فوق كل اعتبار.

في الواقع إن الخطاب السائد على الانترنت والشبكات الاجتماعية يقيم دائما مفاهيم وقيّما تُحْلى هذه النظرة للعالم المعاصر لنذكر هذه الفوضى الإمكانات المعاصرة الهائلة للوسائل السمعية البصرية كتابات، أصوات، صور ومركزية الشبكة، ومزايا المجانية وثقافة التقاسم والتعاون ونهاية الوساطة و تطور العلاقات الافقية بين الأشخاص. واشعاع الابداع والابتكار وعالم الاستقلالية والحرية الشخصية.[1] يقدم الاقتصاد المشخصن حلا جزئيا لمسألة التنمية المستدامة هذه وذلك بتسخير ما يدعى حالة انعدام الوزن " اللاوزن".فالاقتصادات الصناعية " ثقيلة " والقيمة فيها تعني وزنًا وعمليا تضمن كل التقدم الصناعي من العام 1750م إلى 1950م بناء منشئات صناعية أكبر فأكبر ومع نمو الاقتصاديات أنتجت منتجات أثقل فأثقل من أمثال الفولاذ والإسمنتوالحديد والجرارات والسيارات والدبابات والطائرات.

لكن التقدم منذ العام 1950 عني بتكاثر منتجات وخدمات أخف وأصغر مما كان سابقا فالحواسب الأولى كانت ثقيلة بشكل ضخم وبحجم عدة ملاعب لكرة القدم، أما الآنفغن القدرة الحاسوبية الكبيرة توجد في حاسوب الحضن اللابتوب وكان من العادة أن تكون معظم قيمة الحاسوب كامنة في معداته الصلبة أما الآن فهي في برمجياته . فهل هناك شيء آخر يتطلب مثل هذا الحيز الصغير والطاقة الصغيرة وهو مفيد قدرة فائدة الحاسوب . وكذلك فإن شبكة النسيج العالمي تقوم بدورها على نحو سحري بإعدام الوزن والمسافة. وبعض المنتجات طبعا مثل السيارات ما زالت تزن الكثير ولكن مع السيارات نفسها فإن الطريقة الجديدة لتضيف قيمة هي أن تطرح من الوزن وتضيف ملامح خفيفة، وذلك عادة من خلال تحديث البرمجيات ورفع درجتها. وإن ثلث تكلفة السيارة الجديدة

[1] ريمي ريفيل المصدر سابق ص 17-18

والكثير الزائد في قيمتها يأتي من**البرمجيات**[1].*في الانتقال من الرأسمالية إلى الاقتصاد المشخص تشكل الخدمات الشخصية من كل الأنواع حصة أكبر فأكبر من المخرجات الكلية فالمنتجات تصير أخف ولكنها أيضا على الرغم من أننا ما زلنا طبعا نحتاج إلى الآلات، والأشياء تصير أقل أهمية ومن هنا فإن الاقتصاد يستطيع أن **ينمو** ولكنه مع ذلك لانستهلك المزيد من الموارد، ويقدر أن قيمة مخرجات الولايات المتحدة زادت حوالي عشرين ضعفا من العام 1900 ومع ذلك فهي لاتزن أكثر.[2]

هكذا ربما يتراجع الخطر الذي يحيط بتلوث المساحات الخضراء إذ إن الاقتصاد المشخصن ليس كثيف رأس المال ولا كثيف المواد والى الدرجة نفسها ليس كثيف الطاقة إنه كثيف الإنسانية. فالعقل والروح للإنسان يتمددان ويتقلص استخدام الصناعة والمواد فإنه من الممكن الآن أن نتخيل نموا اقتصاديا قويا يتعايش مع تناقضات مهمة في استخدام الموارد المحدودة والاتجاه نحو اقتصاد أكثر خضرة يحدث الآن طبيعيا ولكن الحكومة والمبادرات الخاصة والفردية تستطيع أن تعززه.[3] الخوف قد يتراجع ولكنه لن يختفي. فإن الغرب يزداد خضرة وقد جاء ذلك في جزء منه عن طريق نقل الغرب لإنتاجه الى بقية العالم بتكليف مورّد أو صانع خارجي وذلك لخفض التكلفة وهناك استخدام اقل للموارد وتلوث أقل في الحزام الصدئ من أمريكا ولكن هناك المزيد منهما في منيلا وفي المدن الأخرى و في كل أنحاء العالم الذي يجري تصنيعه وإذا صار الاقتصاد المشخصن كونيا فحينئذ فقط يستطيع أن يحل المسألة الخضراء

*البرمجيات وهي عبارة عن وصف لكلّ المسائل الرياضية والإحصائية، بالإضافة الى إجراء التصحيح Softwares: يطلق عليها بالإنجليزية اللازم على الصيغة التحرّرية وإنجازا العمليات التي يطلبها المستخدم على أكمل وجه، فإن مصطلح البرمجيات يشير الى كل ما يتّكون منه جهاز الحاسوب باستثناء مكوّنات الحاسوب المادية. ويدرج تحت هذا المصطلح مختلف البرامج ولغات البرمجة وكلذ ما لا يمكن لمسه داخل جهاز الحاسوب، ومن بينها المواقع الإلكترونية ونظم التشغيل، وغيرها كما يشير مفهوم البرمجيات الى مختلف التعليمات والاوامر التي يتولى جهاز الحاسوب قراءتها آليا، وتكتب باستخدام لغات البرمجة خاصة ومتخصصة لإنشاء البرمجيات والتطبيقات، ويتم تنفيذها بواسطة المترجم الخاص بلغة البرمجة لقد شهدت . وهو الاختراع الذي DIGITAL، Computerملامحها الأولى في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين حيث خرج الى الوجود الكمبيوتر الرقمي يمثل ثمرة الالتقاء بين علوم الفيزياء والرياضيات والهندسة الالكترونية، وقد أدى هذا الى ثورة تكنولوجيا المعلومات في مطلع الستينيات بين عتاد الكمبيوتر Communication ,networks شبكة الاتصالات Software البرمجيات ; Hardware

[2] Diane Coyle Paradoxe of prosperity .Texere. Nexfor2001. And Diane coyle the weightessWorld .Cap stone Oxford1997

[3] ريتشارد كوك كريس سميتانتحار الغرب تر محمد محمود التوبة، هيئة أبو ظبي للثقافة كلمة ط 1-2009 ص 178

وذلك لن يحدث على عجلٍ.[1] وكما للاقتصاد المشخصن من أهمية بالغة فيما يخص التقليل من التلوث الا أنه يشتمل على بعض النقائص منها، مظهران سلبيان للاقتصاد المشخص عدم المساواة الجامع.

فالرأسمالية تلائم غالبا على عدم المساواة ولكن هذا اللوم هو سوء تصور فمع مرور الزمن وتحت ضغط المستخدمين والمجتمع وصلت المؤسسات الكبيرة للرأسمالية إلى صفقات مع اتحادات العمال ومارست نفوذا بفرض المساواة.

وقد أظهرت المسوح الاستطلاعية التي أجريت باستمرار حتى وقت قريب أن العمال غير المهرة والشبه مهرة في الشركات الكبيرة شريطة أن يكونوا أعضاء في اتحادات العمال كانوا يحصلون على أجور تزيد عن 30المئة الى 40بالمئة عن أجور نظرائهم في الاعمال الصغيرة [2]ولكن الأعمال التجارية الصناعية لا تستطيع بعد الآن أن تكون سخية على هذا الشكل فالشركات الكبيرة يجري اعتصارها في كل الجوانب من المسهمين المتطلبين أكثر والراغبين في أرباح أعلى، وهذا ما يجبر المؤسسات خفض عدد العمال واحالتهم الى بطالة ذات عقود مؤقتة وعرضية، وتستأجر عمالة أقل تكلفة وكل هذا ليس خطأ الرأسمالية أو الإدارة فإن اللوم يقع بحق مباشرة على الاتجاه من الرأسمالية نحو الاقتصاد المشخصن . ومن دون تدمير الفوائد العديدة التي جاء بها اقتصاد مستند الى الفردية والابداعية فإن المجتمع بوصفه الكل ومن خلال اتخاذ القرار ديمقراطيا هو الوسيلة الوحيدة لحماية الناس المهمشين في العملية [3] فالموهبة ليست موزعة بالتساوي بين السكان ولكن الموهبة ليست مائلة كذلك ميلا رهيبا والمشكلة هي أن القدرة على كسب المال في جزء منه حظ وفي جزء منه فرصة وفي جزء منه سرقة أفكار عظيمة وتكييفها وفي جزء منه عبقرية تجارية محضة مهما تكن الخلطة فإن نسبة مئوية صغيرة

[1] ريتشارد كوك ، كريس السابق ص 178-179

[2] ريتشارد كوك المصدرنفسه ص 179

[3] ريتشارد كوك انتحار الغرب المصدرنفسه ص 180

جدا من السكان سوف تكتسب نسبة مئوية كبيرة جدا من الدخل وتلك هي المشكلة مع ما يدعي نظام المقدرة او الانجازات تحت سوق غير مركزية ومشخصنة.

والعائق السلبي الثاني للاقتصاد المشخص هو أنه يزيد ويحتمل أن يستمر في زيادة الفجوة بين الغرب وبقية العالم. ولقد كان أحد الأشياء العظيمة في الرأسمالية التي تشبه الآلة كان تتغنى أنه بوجود اقتصاد مفتوح الى الغرب وسياسات صديقة للمستثمر كان يمكن للرأسمالية أن تُستورد مثل نظام تسليم المفتاح تقريبا الجاهز للاستخدام الفوري وكان يمكن إغراء مؤسسات غربية ضخمة للمجيء أو تقليدها وكانت التقانة وطرائق العمل تستورد،وعليه نقول لم يكن استيراد الرأسمالية صعبا[1].

على العكس من ذلك فإن الاقتصادالبديل المشخص لا يحتاج إلى ظروف سياسية واجتماعية ليبرالية بل الى ظروف داعية للتحرر و يحتاج الى درجة عالية من الأصالة والتقانة والى نظام تعليمي يشجع على الأقل في ذروته على التفكير المخالف للمألوف، وعلى الفرد أن يتسم بنوع من روح التمرد ضد الدولة والمؤسسة الخاصة ، انه يحتاج الى ان يقوم الناس بعمل أشياءهم الخاصة بهم، بينما على عكس من ذلك فالرأسمالية قابلة للتكيّف وقد ازدهرت تحت لواء الارستقراطية مثل نظام انجلترا 1750،1867، تحت الإمبراطورية اليابانية من القرن التاسع عشر وحتى عام 1945، وتحت حكم الدكتاتوريات المستبدة،Franco فرانكو، وسالازار،Salasar، وبنوشي،banutshi وفي أمريكا اللاتينية المالكة للرقيق، وأمريكا الديمقراطية. وبالتالي تقليد الاقتصاد المشخصن أصعب بكثير على البلدان الغير غربية مما كان عليه تقليدها للرأسمالية[2].

عندما تحل الآلية محل البشر:

الوقائع أو الحقائق الاقتصادية الجديدة للعصر تشير الى أنه ليس من المحتمل أن السوق أو القطاع العام يستطيعان مرة أخرى الحفاظ على الاقتصاد من زحف البطالة التقنية وانهيار الطلب عند

[1] ريتشارد كوك انتحار الغرب المصدر نفسه ص 181

[2] ريتشارد كوك المصدر السابق ص 181-182.

المستهلكين فالمعلوماتية والاتصالات تهدد عشرات الملايين من فرص العمل ويمكنها تدمير بدون علاج عدة فئات.

يرد المتحمسون للتقنية بأن المنتجات الجديدة وخدمات ثورة التقنية العالية سوف تخلق فرص عمل إضافية مشيرين الى أنه في بداية القرن السيارات والآلات المتحركة أرسلت الحصان والعربات الى متحف التاريخ، لكنها في نفس الوقت خلقت ملايين فرص العمل الجديدة هذا إذا كان صحيحا أن عدة منتجات وخدمات عصر المعلوماتية تجعل غيرها من التي سبقتها بدون جدوى. إلا أنه صحيح أيضا أن تصنيعها وتشغيلها يتطلب عمالة أقل كثيرا. لنأخذ مثلا هذا الطريق السريع للمعلومات الشهير والذي هو شكل جديد وثوري من الاتصالات ثنائية الاتجاه قادرة على حمل سلسلة من المعلومات والخدمات مبادرة الى المستهلك قاضية على القنوات التقليدية للنقل والتوزيع أنه يستخدم عدد متزايد من المتخصصين والمهندسين والمنتجين من الفاعلين والمروجين الذين يبرمجون ويشرفون ويشغلون الشبكات.[1] مع ذلك فإنهم لن يكونوا إلا مجموعة صغيرة بالنظر الى ملايين العامليين في قطاع التوزيع الجملة والتجزئة والذين عملهم صار بدون موضوع وسوف تكنسهم وسيلة الاتصال الجديدة.

في مواجهة تنافس دولي تشتد وتيرته وتكاليف أجور آخذة في الارتفاع، يبدو أن الشركات المتعددة الجنسية مصممة على الإسراع بالتحول من الاعتماد على العمال البشر الى بديلهم الآلي. وحسب شهادة العالم الاقتصادي **فاسيلي ليونتيف**1905،Wassilly.Leontief الاقتصاد الحاصل على جائزة نوبل ملحاً على معنى التحول الجاري يحذر من أنه مع إدخال العقول الآلية المعقدة باطراد فدور الانسان باعتباره العامل الأساس في الإنتاج محكوم عليه بالتقليص بنفس الطريقة التي تقلص بها دور الحصان في الزراعة ، لقد تقلص في البداية ثم قضي عليه بواسطة إدخال الجرارات [2].

[1] جريمي ريفيكن نهاية العمل مأزق الرأسمالية تر وتقديم رجب بدبوس دار الكتب الوطنية بنغازي ط 1 2005 ص 156-157

[2] جريمي ريفيكن ،المصدر السابق ص 105-106.

وبفضل الثورة العلمية والتكنولوجية تدخل الرأسمالية في عالم حضاري جديد تتمثل حضارته في المعرفة التي تقوم على المعلومات بدلا من المواد الخام والوقود والموارد الطبيعية وموارد العمل البسيط للبشر. وتصبح المعلومات هي المورد الرئيس لثروة المجتمع وتصبح القوى المنتجة للمعرفة هي مفتاح تحديد وتجديد القوى المنتجة للمجتمع بل تصبح المعلومات في الشكل الرئيس لرأس المال.

"إن المعلومات مورد مثل سائر الموارد الطبيعية كالثروات المعدنية والأرض والمياه ومثل الثروات البشرية وهي مورد متجدد يتزايد كل يوم ويتضاعف كل خمس سنوات وهو قادر على أن ينتج موارد جديدة لم تكن معروفة فالمعلومات تحول المواد التي لم تكن تعرف لها قيمة الى موارد طبيعية...والواقع أن أهم تحول يشهده الاقتصاد الدولي هو التحول من الخامات الطبيعية الى الخامات الصناعية."

في البداية لم تفض الثورة التكنولوجية الى تحولات كيفية في جهاز الإنتاج المستقر والتكنولوجيا المستخدمة. فقد كان الإنتاج يعتمد على الاستخدام الواسع لموارد النمو الاقتصادي ولم تكن الثورة معنية بعد بقضية محدودية الموارد الطبيعية والبشرية ولقد نجحت اللقاءات المتنامية بين العلم والإنتاج في زيادة سرعة نمو الإنتاج فهكذا اتجه الامر لتغيير وتحويل جهاز الإنتاج بالاتجاه الى تكنولوجيات التوفير في الموارد والطاقة.[1] وفي ظل سيطرة النيوليبيرالية تتعرض التعبئة الاجتماعية لأخطار تتمثل في الطرد الإجباري من عالم الشغل إذ تلقى حقل العمل ضربات موجعة جراء هذه التحولات فلم يعد الأُجراء يمتلكون القدرة المبدئية لحرية الاختيار بل إنهم مجبرون على القبول أو التسريح من العمل وقاد هذا الوضع الى تراجع عدد المنخرطين في النقابات وتراجع المشاركة في العمل السياسي والمهني وبالتالي أفضى هذا المشهد الى نوع من الشكوك والصدام .. وبذلك تحول المصنع أو الشركة الى إطار مثالي للاستراتيجيات النيوليبرالية القائمة على تغليب أولوية المصلحة الفردية بمعناها الاناني والخلاص الفردي من واجبات الأيديولوجية التيلورية ..

[1] فؤاد مرسي،الرأسمالية تجدد نفسها، عالم المعرفة، العدد 147 مارس 1990، ص 67

والنتيجة واضحة للعيان، إذ يتقمص الأجير أيضا نفسية المصنع كليا، مثلما يتقمص الابن نفسية أبيه. ولم يعد الاجتماعي يشكل المكان الملائم لتشكيل هوية جمعية مستقرة تأخذ مكانتها في لعبة السلطة وإنما وسيلة لتحرير طاقات الأفراد في سيرورة تفضل فاعليتهم وإنتاجهم الى أقصى حد[1]. منذ عشرات السنين القطاعات الصناعية الناشئة استطاعت استيعاب جماعي لعدة ملايين من العمال الزراعيين وصغار المزارعين المطاردين من قبل المكننة السريعة للزراعة بين منتصف سنوات الخمسين وبداية سنوات الثمانين، قطاع الخدمات الذي ينمو سريعا استطاع إعادة تشغيل عدد من العمال ضحايا الآلية. ليس هناك أي فرع مهم يمكنه استيعاب ملايين العاطلين الجدد فالقطاع الوحيد الذي يلوح في الأفق هو قطاع المعرفة سلسلة جديدة من الصناعات والمجالات المهنية ذات المستوى المعرفي العالي والتي تفتح الطريق للاقتصاد الجديد المؤسس على الروبوت الانسان الآلي المستقبلي.[2] كل القطاعات الزراعية والصناعية والخدماتية في طريقها الى الآلية وإعادة الهيكلة قاذفة بملايين العمال الأمريكان الى شارع البطالة. يتعلق السؤال إذن بمعرفة أين هؤلاء العمال المطرودون سوف يجدون في النهاية فرص عمل بعد أن يحصلوا على تكوين مهني جديد. بالرجوع الى الدراسة التي قامت بها وزارة العمل تأكد بأن أقل من 20/ من الأشخاص المعاد تكوينهم في طار البرامج الفيدرالية المكافحة للبطالة ينجحون في العثور على عمل جديد يقدم لهم أقل من 80/ من أجرهم القديم [3]، فرص العمل الجديدة ذات الأجور الحسنة والتي تظهر في الاقتصاد العالمي ذي التقنية العالية تتعلق بالمعرفة إنه من السذاجة الاعتقاد أن الكثرة الساحقة من عمال الياقات الزرقاء أو البيضاء مؤهلين أو غير مؤهلين يمكن تحويلهم الى علماء طبيعة أو معلوماتية أو تقنيين من مستوى رفيع بيولوجيين، محاميين، محاسبين وغيرهم.

---

[1] توفيق المدني وجه الرأسمالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق.2004 بدون صفحة

[2] جريمي ريفيكن المصدر السابق 160-161.

[3] جريمي ريفيكن المصدر نفسه ص 162، 163

ووفقا لدراسة شارلال بريخت،Charle.Albrecht رئيس شركة المستشارين في شؤون الموارد البشرية داركيممور ان اسم الشركة يشرح أن نسبة كبيرة جدا من الأشخاص المطرودين بسبب المعلوماتية لا يملكون الأسس الضرورية ولا القدرات من أجل إعادة تكوينهم الحقيقة المرة يقول هكذا يقول هي أن العمليات العقلية وقدرات المبادرة الضرورية لاستخدام هذه الأجهزة وجعلها تعمل ليست في حوزتهمّ.

وفي هذا الشأن كتب **توران** منذ حوالي ربع قرن يعبر فيه عن كتابه نقد الحداثة، لم يعد للإنسانية التي تنهض من البؤس بفضل العمل وتتقدم في تطور صاعد نحو الوفرة وتحرير الحاجات أي تأثير فينا.

ولم نعد نبحث عن المعنى في التاريخ وأخلاقنا لم يعد يمليها احترام الاب والتعارض بين اللذة المدمرة والطموح أو التوفير كمصدر للربح والفرح، ولم يعد الدين الرأسمالي للتقدم يبدو إلا كإيديولوجيا تستخدمها الطبقة السائدة كي تفرض تراكم رأسمال، يتأسف توران عن ذلك العالم الجميل الذي انتهى كان الفكر فيه يظن واهما أنه قد وصل الى كنه الأشياء وسيطر على مواقع الواقع [1].

يرصد توران أنه في كل مرحلة معينة من تطور المجتمع هناك علم يمثل موقعا مركزيا ويكون فيه بالغ التأثير، كالاقتصاد في المجتمع الصناعي والفلسفة السياسية في المجتمعات التجارية قبيل الثورة الصناعية أما اليوم فهذا الموقع يمثله علم الاجتماع، فلقد أصبح بؤرة الحياة الثقافية المعاصرة كما أصبح دوره إيجابيا في انتاج المجتمع، فكما رأى كل من "مارك يوزMarcus وفوكوFoucault وألتوسيرAlthtusser وبورديو،Bourdieu الذين رأوا أن المجتمع المعاصر يميل أكثر فأكثر الى التسلط والمراقبة والمحكمة بحيث أن الحياة الاجتماعية مجرد تمرد يتم على هامش المجتمع دون تأثير كبير[2]. وهكذا ينبغي لعلم الاجتماع حسب تورين أن يقر لنفسه بهدف ووظيفة، وخاصة مع الوضعية الاجتماعية الجديدة يجب أن يساهم أعضاء المجتمع كفاعلين بقدر الإمكان وأن يتخلص المجتمع نفسه من نظامه وايديولوجياته

[1] ألان توران نقد الحداثة المصدر الأسبق ص 7

[2] آلا ن توران، نقد الحداثة ،المصدر السابق ، ص 12- 13

وبلاغته عن طريق إبداع نظما للفعل بواسطتها تصيغ المنظومة الاجتماعية باستمرار نفسها، فهدف علم الاجتماع هو تنشيط المجتمع [1].

المبحث الثاني:مشكلات البيئة والوعي الإيكولوجي نحو تنمية شاملة متكاملة:

يعرف برنامج الأمم المتحدة للبيئة الاقتصاد الأخضر على أنه الاقتصاد الذي ينتج عنه تحسين رفاهية الانسان والمساواة الاجتماعية في حين يقلل بصورة ملحوظة من المخاطر البيئية وندرة الموارد الإيكولوجية " ويمكن أن ننظر للاقتصاد الأخضر في أبسط صورة كاقتصاد يقلل انبعاث الكربون وتزداد كفاءة استخدام الموارد كما يستوعب جميع الفئات الاجتماعية. ويجب أن يكون النمو في الدخل وفي العمل مدفوعا من جانب الاستثمارات العامة والخاصة ويجب أن يحافظ مسار التنمية على الرأس المال الطبيعي ويحسنه بما يخدم فئة الفقراء الذي ليسلهم بدا إلا الطبيعة كمصدر رزق.[2]

ويمكن القول بأن الاقتصاد الأخضر هو اقتصاد يتم فيه توجيه النمو في الدخل على المستويين الوطني والعالمي وفي قوة العمل من خلال الاستثمارات وهو اقتصاد نظيف من حيث الإنتاج وشامل من حيث الاستهلاك والنتائج استنادا الى المشاركة والتداولية والتعاون والتضامن وهو ينصب على توسيع الخيارات بما في ذلك التمويل المتناهي الصغر على النحو المعبر عنه في الهدف الأول للتنمية المستدامة والقضاء على الفقر بجميع أشكاله.

إن غرض الاقتصاد الأخضر تحقيق رفاهية الانسان والحد من المخاطر البيئية على المدى الطويل، كما يُبين الاقتصاد الأخضر بأنه عملية إعادة تكوين الشركات والبنية التحتية لتحقيق عوائد أفضل على الاستثمارات الرأسمالية الطبيعية والبشرية والاقتصادية مع الحد في الوقت نفسه من انبعاثات الغازات الدفينة ، والتقليل من استغلال الموارد الطبيعية والتحكم في النفايات الناتجة عن الصناعات الكيماوية والمضرة بالمحيط وخاصة المحيطات والبحار من خلال إيجاد تناغم بين التفكير في الطبيعة و استخدام

[1] آلا ن توران، نقد الحداثة، المصدر نفسه ، ص 13

[2] محمد عبد القادر الفقي، الاقتصاد الأخضر المنطقة الإقليمية لحماية البيئة البحرية، 2014، ص، 3

التكنولوجيات المتطورة [1] إن اندماج الاقتصاد الأخضر مع الاقتصاد الرقمي يؤدي الى تحول الهيكل التنظيمي والنظم المالية ، ويدعو الى تنفيذبرنامج الاستثمار والمحافظة على الطاقة والطاقات المتجددة الى جانب إدارة الطلب الفعال ، محليا ووطنيا وإقليميا و عالميا ولقد أثمرت هذه التعاونية المبرمة بين الآفاق المستقبلية التي يرمي اليها الاقتصاد الأخضر وما تتوفر عليه التكنولوجيا الحديثة : الرقمنة" تمنح فرصة للاقتصاد العالمي أن يخطو خطوات كبيرة فيما يخص معدلات والتقليل من آثاره الجانبية [2].

لقد كانت البيئة منفصلة عن محور التنمية لسنوات طويلة بينما أعادت السياسة التنموية المستدامة لقضيا البيئة أهمية كبيرة جدا يتوقف علي مسار الاقتصاد العالمي ما لم يأخذ في حسبانه المحيط الذي تدور في رحابه كل العمليات التنمية المختلفة ومن بين الدعائم التي توفرها التكنولوجيا الرقمية في الاقتصاد الواعد نذكر ما يلي:

تحسين كفاءة الطاقة والموارد وزيادة مصادر الطاقة المتجددة وخفض استخدام المواد السامة وتحسين إعادة التدوير بالاعتماد على تكنولوجية متطورة وأليفة.

ترشيد استهلاك الطاقة من خلال تمكين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من تطوير الاقتصاد الأخضر: تحسين الكفاءة الإنتاجية والتوزيعية الى أبعد حد والبحث عن مصادر أقل تكلفة.

اشراك الفئات الاجتماعية في التوعية من خلال دعم قنوات التواصل الجماهيرية من أجل تغير نظرة المستهلك بالتأثير على سلوكه وقيمه، صناعة تكنولوجيا معلوماتية واتصالية تشاركية مع قطاعات أخر

[1] هشام مرزوك علي الشمري، وآخرون، الاقتصاد الأخضر مسار جديد في التنمية المستدامة، دار الأيام للنشر والتوزيع ،الأردن ، ط، 1، 2006 ص 162

[2] طالب قويدر ،الاندماج في اقتصاد المعرفة، الفرص والتحديات، الملتقى الدولي حول التنمية البشرية وفرص الاندماج في اقتصاد المعرفة، جامعة الجزائر، ص 5

لأول مرة في التاريخ يكون العقل الإنساني قوة منتجة مباشرة، لا مجرد عنصر حاسم في نظام الإنتاج وهكذا فالحواسيب وأنظمة الاتصال وفك رموز الوراثية وبرمجتها كلها مضخات للعقل البشري الإنساني وامتدادات له[1].

ومن العسير أن نتصور تحولا أكثر شمولاً من المركزية الى اللامركزية، ومن الآلات الى الرجال والنساء ومن السلطة غير المتجسدة غير الشخصية الى السلطة المشخصنة، ومن الماضي المحدد الى الإمكانات غير المحدودة من المستقبل ..ومن رأس المال الى الأفراد .

في الغرب صارت المعرفة مشخصنة على الرغم من أن الكثير من المعارف القيّمة تبقى بحوزة الحكومة والمؤسسات فإن الاتجاه الجديد هو أن تصير المعرفة القيّمة فعلا ملكية للأفراد، ومن الفكر الى الفعل يكون الافراد في قلب الخلق والتجديد وخلق الثروة، وكل عنصر من الشخصية الإنسانية الفريدة يشارك بدوره في الخلق حيث الفكر والخيال والعاطفة والحسابات والتقمص الوجداني والاتصالات و والعلل وردود الفعل والاتصالات، وهكذا فبعيدا عن كون المشروع غير شخصي فإن كل مشروع مهم لعمل قد صار مشخصنا حتى يكاد يكون عملا فنيا[2] فنحن نتحرك في كل الطرق مبتعدين عن الرأسمالية عن اقتصاد يرتكز على رأس المال وعلى المؤسسات الكبيرة الراسخة المترامية هرميا. فنحن نتحرك نحو نظام هو نفسه موجه حسب السوق أكثر من الرأسمالية كذلك وهو أكثر لا مركزية بكثير لا شك أننا نتحرك نحو عالم يكون فيه الفرد الشخص المستقل مركزيا نحو الاقتصاد المشخصن.[3] والنتيجة النهائية هي إعادة توحيد التقدم الاجتماعي والشخصي والتقدم الاقتصادي وفي المسيرة الطويلة للتاريخ كانت الرأسمالية انحرافا وشذوذا ففي حين صنعت أوروبا، ولاحقا أمريكا طوال 800 سنة من خلال التوسع ومن خلال طاقات الوسطى الحضرية الصاعدة وأدى في النتيجة الى النمو

---

[1] ريتشارد كوك ،كريت سميت، المصدرالسابق ص 169

[2] ريتشارد كوك ،كريت سميت المصدر نفسه ص 173

[3] ريتشارد كوك& كريس سميت المصدر نفسه ص ص 174- ،175

الاقتصادي وتقدم الحرية الشخصية والسياسية، فإن الرأسمالية الصناعية مزقت هذه الوحدة أجزاء فلقد جاءت الرأسمالية بتقدمات ضخمة لكنها همشت المنْتِج الفرد.

"فالقول أن النمو التلقائي كان اختراعا غريبا أدى الى نمو غير مسبوق في السكان وزيادة في درجة الأعمار والوفرة والنمو الصناعي جالبا معه المنافع الفورية ولكن تسبب في ضرر ضخم لا يمكن أن يقبل الاستدامة لكوكب الأرض وفي الوقت نفسه فإن الغرب قد انتقل من الرأسمالية الصناعية الى الاقتصاد المشخصن وهو يستند الى الخيال الفردي و الاقتصاد المشخصن هو تحسين ضخم على الرأسمالية وهو يطور ويزيد من إثراء وتعظيم للحرية الفردية لأجل المهن الإبداعية، ويقلل الأذى الذي يفعله النمو في البيئة."

في مطلع القرن العشرين، تنبأ كثير من المراقبين عبر كل الطيف السياسي تماما، أن الفلسفات الجماعية سوف تحل محل الفردانية على نحوٍ كامل، ورأى أوزفلد شبنغلر السلطة التنفيذية وهي تنتقل الى قوى جديدة وحين مر القرن العشرين صارت الفردية متجذرة بعمق في أوروبا وفي أمريكا أكثر من أي وقت مضى، وما جعل التزايد المستمر في الفردية أمرا محتوما تقريبا في الغرب هو ترجمة الثورة الخلاقة القادمة من حرم الجامعات الأمريكية و الأوروبية الى حلبة **التنافس** في الاعمال **التجارية** والصناعية [1].فنحن نجد هناك صناعات خلاقة جديدة تنمو نموا سريعا في الفن، والتصميم، والاستشارات، والاتصالات، والأفلام السينمائية، والموسيقا، والبرمجيات، والتقانة الحيوية .

وفي هذه الصناعات يخلق الخيال الإنساني الثروة وأهم اتجاه اقتصادي يتسارع منذ العام 1950 كان اختراع تقانة المعلومات، وجعلها لا مركزية، مع موجة جديدة ضخمة من نشاط مشروعات الاعمال التي بنيت حول المجددين الفرديين ومنفعتهم.[2] .

[1] ريتشارد كوك ، كريس المصدر السابق ص ص 236-237

[2] مصطفى حجازي الانسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ، المركز الثقافي الدار البيضاء المغرب ،ط،2، ص 238

التفكير المغاير للمألوف، واندفاع قوي لثورة تحطم الأفكار والمؤسسات الشائعة التقليدية، والخيال الذي لا حدود له هي دوافع نجاح الأعمال التجارية والصناعية وفي هذا الشأن الاستراتيجي وكيفية معالجة القضايا المستعصية كتب مارسيل بروست[1]، Marcel–Proust،معلقا تكمن رحلة الاكتشاف الحقيقية ليس في السعي الى مناظر جميلة بل في أن تكون لنا عيون جديدة " هناك الكثير من المعلومات المتعلقة بما يجري في البيئة الخارجية وتنفق المؤسسات الكثير من الأموال على مثل هذه المعلومات لكن الأموال والوقت والموارد التي أنفقت يمكن أن تضيع سدى إذا أغفلت هذه المؤسسات التركيز على أفضل الطرق للتفكير في المعلومات الجديدة [2].

لا شك في أن ظاهرة الاهتمام بالبيئة والدفاع عنها كانت أهم ظاهرة في الثلاثين سنة من القرن العشرين وبالفعل فلقد احتفلت الإنسانية رسميا في 22أفريل 1970بيوم الأرض وتأسست في السنة التي تلتها مباشرة 1971 جماعة السلام الأخضر للدفاع عن البيئة والتصدي للتحديات التي فرضتها الوثيرة السريعة للاقتصاد والحركة التجارية والنمط الجديد للحياة البشرية كان شعارها اللون الأخضر رمزا للمقاومة[3].

ولم يكن الفلاسفة بعيدين عن الأحداث التي تدور حينذاك فلقد سعوا هم أيضا الى نقل مشكلات البيئة الى الفلسفة وجعلوا تلك المشكلات في قلب اهتماماتهم وقد تسبب النقاش الفلسفي حول البيئة في انقلاب فلسفي كبير وثورة كبرنيقيه من نوع جديد، لم يعد الانسان هو المركز بل الطبيعة والحياة [4]وبعبارة أخرى تخلى الفلاسفة عن التمركز حول الإنسان الذي هيمن على الفكر الغربي لفترة

إدي فينر وأرنولد براون التفكير المستقبلي كيف تفكر بوضوح في زمن التغير، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيةابوظبي دولة الامارات ط،1 2008ص 10[1]

إدي فينر وأرنولد براون المصدر نفسه ص 9[2]

Nathalie Blanc . Ethique et esthétique de l'environnement [3]

www.espacestemps.net/document2332.html.15.02.2008

جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001، ص 124[4]

طويلة وتجندوا للدفاع عن البيئة وقد قاد هذا الانقلاب في الفلسفة جماعة من المفكرين نذكر منهم "لوك فيري LucFerry صاحب كتاب النظام البيئي الجديد Lenouvel,ordre,écologique، و هانز جوناس " H.Jonas ،صاحب كتاب " مبدأ المسؤولية الذي يشرح فيه مفهوم المسؤولية و هي ما تستطيع أن تتحمله الذات بمعزلٍ عن كل الاعتبارات التي يمكن ان تعفي الذات من مسؤوليتها بهذا المعنى ان أكون مسؤولا هو أن أكون إنسانا وبالتالي تعبر المسؤولية عن الإنساني في الانسان وتعتبر قدرة الانسان المحتوم ،بهذا المعنى ليس الانسان كائنا اتقيا إلا لأنه مسؤولا وعن طريق مسؤوليته يرتقي بوجوده النوعي مقاما أرفع . **فانا أستشعر نفسي ملزما قبل أن أدرك ملزما بماذا في هذا الاطار لست كمن يتلقى الأوامر ويستجيب لها بحجة مسؤوليتي المهنية لكنني اتصرف إزاء الواجب لمجرد كوني إنسانا** [1] مبدأ المسؤولية كتاب إتيقا موجهة الى الحضارة التكنولوجية الحالية أراده صاحبه **بوصلة** تقترح على الإنسانية الحالية كيف التوجه في مجال العمل نحو وجهة كفيلة بضمان شروط إمكان إقامة مستقبلية في عالم تهدد التكنولوجيا الحالية بإستنفاذ موارده وتشويهه، بل بإنقراضه. مبدأ المسؤولية هو إذن أمر أخلاقي مطلق كوني ملزم على منوال الامر القطعي لكانط The,imperative,of,responsibility.[2] وبعيدا عن الاطروحات السابقة يقف مارتن سيل Martin, Seel، الذي يرفض المبررات السابقة التي من اجلها نقدر المحيط الطبيعي ونحافظ عليه فهو يرفض مثلا أطروحة لوك فيري التي ترد الاستطيقا الى الاخلاق ويرى على العكس من ذلك إنه من المستحيل أن يحمل الجمال الطبيعي معنى أخلاقيا او يشير إليه[3].

يميز مارتن سيل بين ثلاثة مواقف نتخذها نحو الطبيعة أولهما الموقف العلمي أو الايكولوجي الذي ينظر الى الطبيعة كمكان للحياة أي شرط فيزيقي وبيولوجي لوجودنا وهذا الموقف هو الذي يجعلنا

[1] سامي غابري، اتيقا المسؤولية لدى إيمانويل ليفينا س، مجلة دراسات فلسفية الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية،الجزائر، أبريل 2017 ص 143.

[2] أم الزين بن شيخة ،كانط والحداثة ، الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء – المغرب ط،1، 2015 ص 145.

[3] جمال مفرج، الفلسفة العاصرة من المكاسب الى الإخفاقات، منشورات الاختلاف، بيروت ط، 1، 2009 ص 35،،40.

نفهم المخاوف المشروعة اتجاه ظاهرة التلوث او ظاهرة الاحتباس الحراري مثلا ويجعلنا ننظر الى هذه الظواهر كعوامل مهددة لحياتنا ووجودنا، وثاني هذه المواقف هو الموقف الاقتصادي أو البراغماتي الذي ينظر الى الطبيعة كمصدر يلبي حاجاتنا، وهذا ما يفرض مدى أهمية النظر الى الحفاظ على الطبيعة فالتقدير الجمالي للبيئة الطبيعية غير كافي مهما لهذا التقدير التأملي من فرص ممارسة الحرية وبالتالي دفعه للحفاظ عليها لأنه بذلك يحافظ المتأمل على حريته.[1] ليست الاعتبارات الجمالية فقط هي التي تدفعنا الى الحفاظ على البيئة وبالتالي تكون لنا مسؤولية اتيقية من تقدير هذا المحيط وبالتالي التقدير الجمالي لا يكفي لأداء هذا الواجب على الرغم من أنه قادر على تذكيرنا بذلك.

كما يتبين لنا أن الإنسان لا يزال هو صاحب الامتياز في هذه العلاقة الاستطيقا وليس الطبيعة فقضية الدفاع عن الطبيعة والمحافظة عليها هي قضية ترتبط أولا وأخيرا بمصلحة الانسان والمحافظة على وجوده.

تتمركز التنمية البديلة على الناس وبيئتهم أكثر من تمركزها على الإنتاج والارباح، وتماما مثلما يتناول النموذج التجريبي في السيطرة مسألة النمو الاقتصادي من منظور المؤسسة التي تعد أساس الاقتصاد الكلاسيكي الجديد،new-classic،فإن التنمية البديلة والتي تتأسس على فضاءات الحياة من المجتمع المدني تتناول مسألة إجراء تحسين في ظروف الحياة والمعيشة .

إن علم الاقتصاد يعمل على نموذج الانسان الاقتصادي كمفهوم عقلاني يعلى من شأن المنفعة كونه موجودا مع حسبة أخلاقية داخلية قوامها أن كل ما يعزز مصلحة الانسان المادية فإنه بالضرورة من مصلحة جميع الافراد بشرط أن تحكم أفعالهم قواعد المنافسة[2]

التنمية المستدامة واحترام كرمة الانسان:

[1] جمال مفرح االمصدر نفسه ص 43، 44

[2] جون فريدمان، التمكين وسياسة التنمية البديلة، تر، ربيع وهبة المركز القومي للترجمة ،القاهرة، 2010 ص 70

لنتناول فيما يلي الأصل التاريخي لمفهوم التنمية المستدامة، ثم المعنى اللغوي لها وأخيرا الاصطلاحي، وذلك على النحو التالي متى ظهر مصطلح التنمية المستدامة؟

يلاحظ المتتبع لتاريخ التنمية على الصعيد العالمي والإقليمي تطورا مستمرا وواضحا في مفهوم ومحتواها، وكان هذا التطور بمثابة استجابة واقعية لطبيعة المشكلات التي تواجهها المجتمعات، وانعكاسًا حقيقيا للخبرات الدولية التي تراكمت عبر الزمن في هذا المجال، ويمكن تمييز أربع مراحل رئيسية لتطور مفهوم ومحتوى التنمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى وقتنا الحاضر وهذه المراحل هي:

أ التنمية رديفا للنمو الاقتصادي تميّزت هذه المرحلة التي امتدت تقريبا منذ الحرب العالمية الثانية وحتى منتصف العقد السادس من القرن العشرين في الاعتماد على استراتيجية التصنيع كوسيلة لزيادة الدخل القومي وتحقيق معدلات نمو اقتصادي مرتفعة وسريعة، وقد تبنت بعض الدول استراتيجيات أخرى بديلة بعدما فشلت استراتيجية التصنيع في تحقيق التراكم الرأسمالي المطلوب الذي يمكن أن يساعدها في التغلب على مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، ومن هذه الاستراتيجيات، استراتيجية المعونات الخارجية، والتجارة من خلال زيادة الصادرات ويعتبر نموذج رستوRostow.المعروف باسممراحل النمو ومحتواها أحد النماذج المشهورة التي تعكس مفهوم وعملية التنمية ومحتواها في هذه المرحلة [1]

ب التنمية وفكرة النمو والتوزيع:

غطت هذه المرحلة تقريبا الفترة من نهاية الستينيات وحتى منتصف العقد السابع من القرن العشرين، وبدأ مفهوم التنمية فيها يشمل أبعادا اجتماعية بعدما كان يقتصر في المرحلة السابقة على الجوانب الاقتصادية فحسب، فقد أخذت التنمية بالتركيز على معالجة مشكلات الفقر والبطالة واللا–مساواة من خلال تطبيق استراتيجيات الحاجات الأساسية والمشاركة الشعبية في اعداد خطط التنمية وتنفيذها

[1]. عوض الحداد، الأوجه المكانية للتنمية الإقليمية، دار الاندلس، الإسكندرية1993، ص55،

ومتابعتها وتتجسد هذه المرحلة بشكل واضح في نموذج سيرز .Seers الشهير، الذييعرف التنمية من خلال حجم مشكلات الفقر والبطالة و اللامساواة في التوزيع، وكذلك تتجسد في نموذج Todaro يحدد عملية التنمية في ثلاثة أبعاد رئيسية هي: اشباع الحاجات الأساسية، واحترام الذات Self-e-streem وحرية الاختيار To be able to choose[1].

امتدت هذه المرحلة تقريبا من منتصف التسعينات الى منتصف ثمانينيات القرن العشرين، وظهر فيها مفهوم التنمية الشاملة، التي **تعني تلك التنمية التي تهتم بجميع جوانب المجتمع والحياة**، وتصاغ أهدافها على أساس تحسين ظروف السكان العاديين وليس من أجل زيادة معدلات النمو الاقتصادي فحسب، بمعنى أنها تهتم أيضا بتركيب هذا النمو وتوزيعه على المناطق والسكان [2]ولكن السمة التي غلبت على هذا النوع من التنمية تمثلت في معالجة كل جانب من جوانب المجتمع بشكل مستقل عن الجوانب الأخرى ووضعت الحلول لكل مشكلة على انفراد، الامر الذي جعل هذه التنمية قادرة على تحقيق الأهداف المنشودة في كثير من المجتمعات، ودفع الى تعزيز مفهوم التنمية المتكاملة التي تعني بمختلف جوانب التنمية ضمن أطر التكامل القطاعي والمكاني

ستدفع سهولة التواصل في المستقبل الى الشفافية الجذرية وستجبر جميع الشركات على التصرف بأخلاقية من خلال الأنظمة واللوائح أو عن طريق شبكة عملائها، وستحمل جميع العلامات التجارية مكونا أخلاقيا، وستسعى جميع الشركات الى التوسع في الاهتمام برفاه موظفيها وعملائها ومجتمعها أما بالنسبة الى المخاطر الرئيسية فإن أمامنا العديد من الاختيارات التوتر بين العولمة والمحليةlocalite ربما يؤذن الارتباط العالمي والاعتماد البيني ببدء عصر جديد من التعاون، غير أن الأمور يمكن أن تتخذ المنحنى الآخر أيضا، ربما يملّ الناس من الانتماء الى قرية عالمية ويسعون بدلا

[1] غانم عثمان، مقدمة في التخطيط التنموي الإقليمي، عمان، دار البيضاء 1999، ص41

[2] رمزي زكي، المشكلة السكانية وخرافة الملطوسية الجديدة، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عدد 84 ، 1984

من ذلك الى تعميم اختلافاتهم الإقليمية والوطنية وسيكون ذلك عالما يشغل فيه الفرد مكانة سامية وتزدهر الوطنية والقومية الى جانب نزعة الحماية الاقتصادية [1].

إن ظهور مفهوم التنمية المستدامة في أواخر الثمانينات من القرن الماضي كنتيجة حتمية للمشاكل البيئية الخطيرة التي مست حياة الكائنات الحية والأرض عموما صاحبه أيضا اختلاف أراء العلماء في تحديد مفهوم دقيق وموحد لتنمية المستدامة وسوف نعرج فقط على التعريف الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.[2]،من وجهة نظر اقتصادية لا بد من التفرقة بين النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية فيقصد بالنمو زيادة الدخل القومي وزيادة دخل الفرد وعناصر الإنتاج، هذا التعريف يقتصر على بعض الجوانب ويغفل جوانب أخرى التي تدخل في إتمام عملية التنمية ألا وهي تحسين حياة الناس خاصة الطبقة العاملةو تحسين المهارات والمعرفة والخياراتو تحسين الحقوق المدنية والحريات والتمثيل السياسي.

ونظرا لازدياد الوعي العالمي بما طرأ من ظهور واقع اجتماعي متشائم وقلق . ازداد التوتر والخوف وانعدام الامن السياسي والبيئي والاجتماعي وقد عم نوع من عدم الثقة لدى الجهات الوصية وأهل القرار ما احدثه التطور الهائل في مجال الاقتصاد وآثاره الكارثية. ومن بين أهم المتغيرات المؤثرة في التنمية المستدامة وقد بلغ النمو الاقتصادي أثناء القرن العشرين أكثر من أربعة أضعاف متوسط الناتج المحلي الإجمالي GDP للفرد ولم يشارك كل البشر في العالم في هذا الانتعاش المثير في متوسط الدخل[3].

مكانة الانسان في التنمية المستدامة وابراز أهمية التنمية البشرية التي تفضي الى تحسين مستوى الرعاية الصحية، والتعليم ... مكانة الانسان في اطار التطور التكنولوجي وذلك من خلال تحقيق التحول السريع في القاعدة التكنولوجية للحضارة الصناعية، ونشير هنا الى حاجتنا الملحة والتي تستثني

---

[1] ريتشارد واطسون، ملفات المستقبل، تر عمر سعيد الأيوب هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة مشوع كلمة دولة الامارات ،ط1،،2012 ص 293

[2] دوناتو رومانو، الاقتصاد البيئي والتنمية المستدامة، المركز الوطني للسياسات الزراعية ، دمشق ص 53،55 .

ريتشاردن كوبر ريتشارد لا يارد، ماذا يخبئ المستقبل، للعالم رؤى من منظور اجتماعي، تر محمد رفعت عواد، المركز القومي للترجمة القاهرة ،ط،1، 2018 ص 46 .[3]

وتشترط تكنولوجيا نظيفة ذات كفاءة وقادرة على انقاذ الموارد الطبيعية بالإضافة الى المقاربة الحقوقية يجب أن تراعي التنمية المستدامة حقوق الأجيال القادمة ورسم افاق مستقبلية لتكريس حماية حقوق الأجيال الصاعدة من مخالب السوق المتوحشة فالعالم غدا يعيش منذ السبعينيات تحت هيمنة مطلقة للرأسمال العالمي الذي يكرس تفاوتا صارخا بين دول الجنوب ودول الشمال .حجب الانشغال بالنمو الاقتصادي وبناء الثروة والغني المادي حقيقة أن التنمية في نهاية المطاف تتعلق بالناس. ولسوء الطالع، أخرج هذا الانشغال الناس من مركز النقاش والحوار حول التنمية وأطرافها، وقد نشر التقرير الأول للتنمية البشرية من قبل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في عام 1990محاولة لعكس هذا الاتجاه عن طريق عرض مفهوم التنمية الإنسانية وتجميع مؤشر مركب لها ومناقشة مضامين السياسات ذات الصلة، ونجح التقرير في التأثير على نهج النظر الى التنمية ومعالجة القضايا التي تثيرها.

واطلاقا من الادراك للعلاقة الجدلية بين البيئة والتنمية ظهرت الحاجة الى ضرورة إيجاد مفهوم جديد يحقق النمو للإنسان ويستجيب لحاجاته دون الاضرار بالانساق البيئية، ومن هذا ظهرت الرؤية الشاملة لأبعاد التنمية في مفهوم جديد وهو التنمية المستدامة.

وقد تعددت تعاريفها فبالرغم من الالتزام الدولي تجاه التنمية المستدامة وبالرغم أنها تبدو للوهلة الأولى واضحة إلا أنها قد عرفت وفهمت وطبقت بطرق مختلفة جدا، مما تسبب في درجة عالية من الغموض ومما لا شك فيه أن زيادة الضغوط على الانساق الايكولوجية أدي الى مزيد من العجز عن تلبية حاجات الافراد الأساسية [1]وفي ظل تلك التعريفات المتفاوتة لهذا النوع من التنمية يمكن القول أن التنمية المستدامة تسعى لتحسين نوعية حياة الانسان ولكن ليس على حساب البيئة وهي في معناها العام لا تخرج عن كونها عملية استغلال المواد الطبيعية بطريقة عقلانية بحيث لا يتجاوز هذا الاستغلال للموارد معدلات تجدّدها وبالذات في حالة الموارد غير المتجددة، ويجب أن يكون هذا الاستغلال

محمد كامل عارف، مستقبلنا المشترك عمل مترجم إعداد اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، سلسلة عالم المعرفة،1989 ،الكويت ع 142، ، ص ص 18، 19 [1]

بطرق وأساليب لا تفضي الى انتاج نفايات بكميات تعجز البيئة عم امتصاصها وتحويلها وتمثيلها، على اعتبار أن مستقبل السكان وأمنهم في أي منطقة في العالم مرهون بمدى صحة البيئة [1].

ومن هنا فالتنمية المستدامة تستلزم تغيير السياسات والبرامج والنشاطات التنموية بحيث تبدأ من الفرد وتنتهي بالعالم مرورا بالمجتمع ويلاحظ أن الانسان هو محور كل التعاريف بشأن التنمية المستدامة حيث تتضمن تنمية بشرية تؤدي الى تحسين مستوى الرعاية الصحية والتعليم والرفاه الجتماعي ومحاربة البطالة ...وعلى ذلك يتمثل مفهوم الاستدامة في ضمان إلا يقل الاستهلاك مع مرور الزمن ، بمعنى أن تدفق الاستهلاك والمنفعة يتوقف على التغيير في رصيد الموارد أو الثروة وارتفاع الرفاهية بين الأجيال يأتي مع ازدياد الثروة مع مرور الزمن وفي ظل وجود بدائل واحلال محتمل بين الموارد على مر الزمن .وحيث أن مفهوم التنميةهو توفير عمل منتج ونوعية من الحياة الأفضل لجميع الشعوب ، تلبية احتياجات الأجيال المتعاقبة وتتصف التنمية المرجوة بالاستقرار وتمتلك عوامل الاستمرار والتواصل وتتسم بالشمول ةالمدى الأطول والديمومة[2].

عناصر التنمية:

ترتكز تنمية الموارد البشرية على خمسة عناصر هامة ومتداخلة ولا تنفصل إحداهما عن الأخريات هي التعليم، والصحة والتغذية، وتحسين البيئة، العمل، والحرية السياسية والاقتصادية وفيما يلي تفصيلا لي بعض هذه العناصر.[3]التعليم هو أساس التنمية بأكملها، فالتعليم مقياس حساس لمدى تحسين أحوال المعيشة، وفي الأربعين سنة الأخيرة تضاعفت معدلات محو الامية خاصة في البلاد النامية، حيث زادت من 30ب%الى 60% بهذا هو البيان الإيجابي أما السلبي فهو أن نسبة 40ب%المتبقية ستكون

[1] محمد عيد بلبع المسؤولية الاجتماعية للشركات ودورها في تحقيق التنمية المستدامة في مصر المجلة العربية للإدارة مج 38- ع4 ديسمبر 2018ص 259

محمود رجب فتح الله، الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للتنمية المستدامة في قضايا البيئة ،جامعة طنطة للحقوقأ طروحة مقدمة الى مؤتمر القانون والبيئة سنة 2018 ص،9،8.[2]

منال طلعت محمود، الموارد البشرية وتنمية المجتمع المحلي، الناشر المكتب الجامعي الحديث مارس 2013الاسكندرية ص -141- 145[3]

أشد أجزاء الامية صعوبة في القضاء عليها وما يدعو الى الأسف أن التعليم العام تضاءل مردوده حيث أن البلاد ذات الدخل المنخفض تناضل على مستوى غاية من الانخفاض لإجراء إصلاحات في اقتصادها المثقل بالديون.

الصحة والتغذية :

الصحة الجديدة مطلب آخر من مطالب التنمية البشرية، وهنا يمكن القول متوسط الاعمار في البلاد المتخلفة تتزايد لكنها لا تزال أقل بكثير من متوسطات الاعمار بين المواطنين في المجتمعات الصناعية والتي تقدر ب 76 عام. وبالمثل تناقصت تدريجيا معدلات وفيات الأطفال في البلاد ذات الدخول المنخفضة، حيث وصلت عام 1986 6،9 لكنها تظل حتى الآن أبعد بكثير عن نسبة ال 1 % المسجلة في البلاد الصناعية.

إن سوء التغذية المؤدي الى تدهور الصحة يعد تهديدا دائما لصحة ملايين البشر، ففي افريقيا التي شهدت مرحلة جفاف لسنوات طويلة لا يزيد نمو الإنتاج الزراعي سنويا 1% بينما يتصاعد معدل الزيادة السكانية ليصل الى 3 %كل عام

البيئة:أشار مؤتمر ري ودي جانيرو في المبدأ الرابع عام 1992 الى أنه " لكي تتحقق التنميةالمستدامة ينبغي أن تمثّل الحماية البيئية جزءا لا يتجزأ من عملية التنمية فالبيئة الجيدة أساس آخر من أسس متطلبات التنمية البشرية، وهي تتضمن سكن صحي مناسب وبيئة طبيعية تتحمل سكان العالم، واليوم نجد ما يقارب ثبت مسطحات الأراضي في العالم مهدد بنوع من أنواع التصحر وفي بعض مناطق الساحل تطغى الصحاري على المزارع والقرى بمعدل عشرة أميال في كل عام لتحول الأراضي الخضراء الى أراضي قاحلة ربما كان من العسير إيجاد حل لمشكلة توفير أحوال معيشة طيبة فهي مشكلة كبيرة في بلاد العالم النامي، فمن الأحياء الفقيرة ببعض الدول الى الاكواخ في دول أخرى. [1]

[1] إبراهيم سليمان مهنا، التصحر وهيمنة المدن الرئيسية في الدول العربية ، أبعاد وآثار في التنمية المستدامة ، دراسات اقتصادية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، العدد 44، سنة 2000 ، ص 22

كما توجد عناصر أخرى مثل الحرية السياسية من خلال ديمقراطية التمثيل في التنمية وكما نعلم أن الطاقة الإنسانية هي أعظم ما يملكه بلد ما، مثل اليابان الت تفتقر الى موارد طبيعية، ومع ذلك أصبحت الدولة الأولى التي تحقق أسرع وأكثر نمو صناعي في العالم، فالتنمية لا تتحقق بغير القدرة الخلاقة والابتكار والإرادة والالتزام.

ومع نهاية السنوات العشر القادمة من المتوقع أن يصل تعداد السكان في المناطق الحضارية بالعالم النامي الى نحو 750 مليون نسمة.

التنمية بوصفها حرية:

حرية الانسان مفهوم متعدد الابعاد، يتجاوز الابعاد الأساسية كما يقيسها مقياس التنمية البشرية ويشرح **سن**Sen ذلك ان هذاالاخير يدخل فكرة التعاطف (ويمكن تقريب الفكرة بالقول إنه قد يكون م مصلحتي الشخصية أن أخفف من آلام الأخرين وأيضا فكرة الالتزام ، كأن أكون ملتزما تجاه شخص آخر بحيث أضع مصلحته قبل مصلحتي [1].شهد النصف الثاني من القرن الحالي أخطر وأعمق تحول في تاريخ البشرية أو تاريخ العقل الإنساني وإنجازاته، ونعني بذلك ثورة العلم والتكنولوجيا والمعلومات وسرعة الإنجاز، والتي تُعرف باسم عصر ما بعد التصنيع، واقترنت هذه الثورة أيضا بمزيدٍ من بعد الشفقة بين حلم الإنسانية الحرة ،الإخاء ، المساواة وبين الواقع المعاش وما بين من يملكون أسباب الهيمنة وما يروجون من نظريات ويمارسونه من تسلط، ويبشرون به من مجتمع القطيع والذي يهدد بسلب الانسان إنسانيته[2] ."عندما ظن الانسان أن القيمة الأولى للعلم هي السيطرة على الطبيعة لتسخيرها لسعادة الانسان، إذ حقق العلم انتصاراته، وغزا أفاقا جديدة رحبة بعيدة، ولكن

[1] إيان كريب، النظرية الاجتماعية ، من بارسوزنز الى هابرماس ، تر محمد حسين غلوم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 199ص107

[2] شوقي جلال، العقل الأمريكي يفكر من الحرية الفردية الى مسخ الكائنات مكتبة مدبولي 2000 ص 33،32

بدت الطبيعة وجها يستعصي ترويضه، بل لقد أحدث التقدم العلمي والتكنولوجي خللاً وتلوثا في الطبيعة وفرض على الانسان مشكلات مصيرية جديدة وهيأ له إمكانات رهيبة لإفساد توازن البيئة وقد يفضي الى دمارٍ شامل."

تعالت الأصوات من أجل تدارك ما يمكن تداركه في الحين من خلال عقد مؤتمرات وابرام اتفاقيات دولية تحد من تدخل التكنولوجيا وممارساتها المسيئة والتشكيك في قدرة العلم والعقل من أجل غدٍ أفضل ولا يتأتى ذلك إلا من خلال نظرة متأنية من خلال ابداع ثقافة جديدة تكون إطارا للعلم والتكنولوجيا نحو نهضة تنموية تتصالح فيها القوى الذاتية للإنسان العقل والوجدان[1]وصحية واكتساب المعرفة هدفان عامان ولكن للناس خيارات وتطلعات أخرى خاصة بأسلوب عيشهم وطبيعة مجتمعهم.

مفهوم التنمية الإنسانية يشتمل خيارات وأهداف أخرى، وعمليات ونتائج يُقيمها الناس عاليا، وهي تتراوح من الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية من جهة، والفرص التي تمكن الانسان من أن يكون مبدعاً ومنتجاً ومتمتعاً **باحترام** الذات وحقوق الانسان المكفولة من جهة أخرى. يؤكد مفهوم التنمية أيضا توسيع الخيارات في هذين الميادين. وفي المجال المجتمعي والثقافي هذه الخيارات الأوسع، المتعلقة بالحرية وحقوق الانسان، واكتساب المعرفة والقرائن المؤسسية خيارات حاسمة، وما من مفهوم للتنمية الإنسانية يمكن أن يكون هاما وفعالا إلا إذا عالج هذه القضايا الخطيرة، تحليلا وتجريبا.

حرية الانسان: النظر الى التنمية من منظور إنساني ليس بجديد، ففكرة أنه ينبغي الحكم على الترتيبات الاجتماعية بمدى تعزيزها للمنافع الإنسانية فكرة تعود على الأقل الى عهد أرسطو الذي قال " من الواضح أن الثروة ليست هي المنفعة التي نسعى لتحقيقها، فهي مفيدة فحسب بقصد الحصول على شيء آخر ، ودعا الى التمييز بين الترتيب السياسي الخيّر والترتيب السياسي السيء على أساس النجاح أو الفشل في تسهيل قدرات الناس على أن يعيشوا حياة مزدهرة. ففكرة الحياة

[1] شوقي جلال، المصدرالسابق ص 34.

الإنسانية الأفضل كهدف حقيقي لكل الأنشطة الإنسانية كانت موضوعا متكررا في كتابات معظم الفلاسفة الأوائل وحرية الفرد ليست وليدة حراك إجتماعي سياسي فحسب ، بل هي أيضا ، مع هذا في وحدة واحدة وليدة ثراء المعلومات والأفكار التي تتوفر لنا [1]

أضحت ما بعد الحداثة عنوانا للجدل في التسعينيات ما بين أكاديمي التنمية في مواجهة تعمق الازمة الاقتصادية والاجتماعية بشكل يعكس تزايد الشك تجاه المشاريع التنموية الناشئة عقب الحرب العالمية الثانية تعكس طرق تفكير خبرات الغرب وليس المستهدفين من العملية ذاتها ، و هذا الخطاب التنموي ناتج عن مزيد من الحرمان والاحتلال الثقافي لشعوب العالم الثالث بحيث تعد التنمية ناجحة إذا ما تحققت السيطرة على الشعوب .الامر الذي خلق تخلفا يمكن إدارتهفي شكل أكثر رقة ومكرا من الاحتلال [2]. إن الحاجة اليوم ليست لخطاب تنمية آت من الغرب بل الى خطاب محلي أصيل Indigenous Development،وهو الذي تحتاجه العملية التنمية لتنجح وتأتي مثل هذه المقولات في اطار ما يسمى بمدرسة ما بعد التنمية.

ومن ناحية أخرى بدأ مفهوم التنمية يأخذ بعدا إنسانيا خاصة مع هيئة الأمم المتحدة وبرامجها وهيئاتها المختلفة وتواكب ذلك مع رؤية جديدة للتنمية اعتمدت على إعادة تشكيل الفكر التنموي ذاته، بحيث أضحت التنمية ليست فقط مستدامة بل مُنصِفة وعادلة كما ضبطها أمارتيا سن AmartyaSen " التنمية عملية لتوسيع الحريات التي تتمتع بها الافراد.،[3] ثمة سببان للأهمية الحاسمة للحرية الفردية في مفهوم التنمية أولا: يجري تقييم نجاح مجتمع ما أساسا في ضوء الحريات الموضوعية التي يتمتع بها أبناء هذا المجتمع، ثانيا إن الحرية ليست فقط أساسا لتقييم النجاح والفشل بل هي

[1] شوقي جلال، المصدر السابق ص 154.

[2] William Robinson ; 'Remapping,Revelopment in light of Globalisation : from a Territorial to a social Cartography ' Third world Quartely Vol123 ;n6 ;2002p 1054

[3] Elza Arison ; les théories économiques du développement édit ions la découverte ; paris ; 2002p ; 104

أيضا المحدد الرئيسي للمبادرة الفردية والفعالية الاجتماعية، فإن المزيد من الحرية يعزز قدرة الناس على مساعدة أنفسهم وكذا على التأثير في العالم[1] ، النهج الذي استخدمه صن في دراسته منهج المفهوم الشامل للتنمية يميزه عن الدراسات الاقتصادية الأخرى التي ترتكز على أولوية الدخل والثروة باعتباره المؤشر الوحيد للتنمية، ويرد على هذا الاتجاه الأخير بأمثلة كثيرة فمتوسط دخل الفرد للأمريكيين الأفرقة في و، م، أ اقل بكثير من نظيره للسكان البيض الا أن الأمريكيين الأفرقة أغنى بكثير من الناس في الصين وبعد تصحيح فوارق كلفة المعيشة ومع ذلك فالأمريكان الأفرقة ليست لديهم كجماعة فرصة أعلى بل أدنى لبلوغ الاعمار متقدمة في السن. ولهذا يطرح بديلا لمفهوم التنمية يرتكز على القدرة والفاعلية ونوعية الحياة التي جاءت كمطلب متأخر نسبيا وقد يكون مصدر الاهتمام القناعة بأن نوعية الحياة ليست بالضرورة ناجمة عن أو متماشية مع التقدم الاقتصادي أو التقاني[2] ونوعية الحياة تعبير ذاتي جدا عن رفاه الفرد أو شعور بهذا الرفاه، وقد تعبر عن جملة من الرغبات التي عندما تؤخذ معا تجعل الفرد سعيدا أو راض عن حياته، لكن نادرا جدا ما يصل الانسان الى الرضى الكامل أو إشباع كامل لرغباته وبالتالي يصعب احتواء هذا المفهوم وتعترضه مشكلات في قدرة قياسه وتحليل العناصر المهمة فيها، لذا يتطلب ذلك إسهاما من علماء الصحة والتغذية والتعليم والنفس والهندسة والاجتماع وغيرهم. وإليكم بعض الجهود الدولية لقياس نوعية الحياة وبحوث سياستها ومن هذه الجهود برنامج المؤشرات الاجتماعية للتنمية لدى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الذي انطلق في أواخر الستينيات وبرنامج اليونيسكو لبحوث نوعية الحياة ذات الصلة بالسياسات.[3]

إن التنمية حسب **أمارتيا** صن هي عملية توسع في الحريات والقدرات الموضوعية للناس، الحريات الحقيقية فهو يرى أن التركيز على الحريات البشرية يتناقض مع النظريات ضيقة الافق في التنمية مثل

[1] أحمد جميل حمودي، كتاب التنمية حرية إماراتيا صن ،رؤية شاملة للتنمية في ولايات المتحدة الامريكية، مجلة الحوار المتمدن العدد 23،22سنة 2008 .

[2] أحمد عارف العساف، محمود حسين الوادي، التخطيط والتنمية الاقتصادية دار المسيرة للنشر والطباعة،عمان ، ط 1، 2011 ص 59

[3] المصدر نفسه ص 60،59

القول بتطابق التنمية مع نمو مجمل الناتج القومي أو زيادة دخول الافراد باعتبارها أدوات مهمة جدا لتوسيع نطاق الحرية لكن الحريات تتوقف أيضا على محددات أخرى مثل التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية مثل التعليم والرعاية الصحية كذلك الحقوق السياسية والمدنية مثل حرية المشاركة وصنع القرار.

ويستذكر صن ما ذكره آ سميت أن حرية التبادل والمعاملات هما جزء مجمل ومقوم للحريات الأساسية بينما يرى صن أن حرية التبادل الكلمات أو السلع أو الهدايا ليست في حاجة الى تبرير دفاعي إنها جزء من وسيلة وأسلوب حياة الناس في المجتمعات وللتفاعل بينهم، إن رفض حرية المشاركة في سوق العمل هو إحدى الوسائل لإبقاء الناس خاضعين للسخرية والعبودية واجابة عن سؤال ل **ميتي ريبي فحواه عما إذا كانت الغاية سوف تتحقق حين تمتلك أقطار كوكب الأرض كل الثروات ' إذن ماذا عليها أن تفعل بهذا الذي يمنحها الخلود ؟ يرى صن " أن المسألة ليست القدرة على الحياة الى الابد بل القدرة على الحياة حياة طيبة جيدة** [1]

كثيرا من الناس اليوم يعرفون ستينيات القرن العشرين، بكونها عقدا من سياسة الحركات Movement,Politics، التي أثارت العالم من بكين الى باريس، إلا أنه بنهاية ذلك العقد، يبدو كما لوكان المد الشعبي قد انحسر، وأن الدول قد استعادت سيطرتها. محددة مسار الممارسة السياسية في قنواتها المعتادة هذه العودة الى الحالة الاعتيادية، كانت برغم ذلك خادعة وغير حقيقية [2] وقد لازم هذه الحركات الاجتماعية ذات القاعدة العريضة، حركة فكرية مقصورة في الغالب على أساتذة ومحترفين في مجال التنمية ناضلوا من أجل مقاربة بديلة لتنمية الدول الفقيرة، ولم تكن إنجازات تلك الحركة في الشوارع وإنما في مؤتمرات دولية كان المشاركون فيها قد التقطوا دعوة " دودلي –سيرز" لإسباغ معنى جديد على التنمية وإعادة وضع الأجندة السياسية ، وتمثلت اللقاءات في هذا الصدد في

[1] امارتي صن التنمية حرية رؤية شاملة للتنمية ترجمة شوقي جلال المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2004

[2] جون فريدمان التمكين سياسة التنمية البديلة تر ربيع هبة المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة 2010 ص 26

مؤتمر ستوكهولم حول البيئة الإنسانية سنة 1972 ذلك المؤتمر الذي أدى الى تأسيس برنامج الأمم المتحدة للبيئة. United Nation Environment Programوالحلقة النقاشية التي عقدت في **كوكويوك**،Cocoyoc بالمكسيك حول نماذج استغلال الموارد: استراتيجيات بيئية وتنموية أكتوبر 1974 ومؤتمر حول التجارة والتنمية U-N C-D.

لقد مرت ثلاثون سنة منذ أن دشن توقيع ميثاق الأمم المتحدة جهود إرساء نظام دولي جديد واليوم وصل هذا النظام الى منحنى حرج، فقد تعرضت أماله في خلق حياة أفضل للأسرة البشرية جمعاء الى احباطات كبيرة، وثبت أنه من المستحيل الوفاء بالحدود الداخلية InnerLimits ، من اشباع الحاجات الإنسانية[1].

كان لقاء **كوكويوك** قد جمع بين شقين رئيسين من التنمية البديلة،أولئك الذين دفعوا بضرورة إيلاء الاهتمام والأولوية لإشباع حاجات الناس الأساسية من غذاء، ومياه، ومأوى، وليس لمجرد تعظيم النمو Growth–Maximization ومثّل الشق الثاني أولئك الذي كانوا معنيينّ بالحدود الخارجية" لموارد الكوكب وبيئته، من أجل استدامة مثل هذا النمو والحقيقة أن التنمية المتمركزة حول الناس والمنسجمة مع البيئة، من شأنها الآن أن تتطلب مزيدا من جهود الاعتماد على الذات، أكثر من أي وقت مضى. ولقد اعتقدوا أن تنمية الاعتماد على الذات من خلال مشاركة كاملة في نظام يرسخ الاعتماد على الاقتصادي: سيكون ضربا من المستحيل.[2]

وبعد أن نشرت مؤسسة.Swedish-Dag Hammarskjöld-Foundation مطوية بعنوان مثير ماذا الآن؟ تنمية أخرى AnotherDevlopment ? WhatNow 1975 تم فيها دحض النماذج الرئيسية للتنمية والسياسات التي تقوم عليها نتيجة لفشلها في تناول المسألة الخاصة بالفقر الكبير-mass povery ،والاستدامة، وفي برنامجها المكون من عشر نقاط دافعت المؤسسة عن نموذج انساني لتنمية

[1] جون فريدمان ،المصدر السابق ص 27

[2] جون فريدمان ،المصدر نفسه ص 27،28،174 .

كل رجل وامرأة ،جميع الرجال والنساء، وليس نمو الأشياء فقط التي لا تعدو كونها مجرد وسائل تنمية تسعى الى اشباع الحاجات بدءا من الحاجات الأساسية للفقراء الذين يشكلون أغلبية سكان العالم وفي الوقت نفسه تنمية لضمان أنسنة الانسان بإشباع حاجاته الى التعبير والابداع والمؤانسة Convviability، وتحديد مصيره.[1]

على غرار المذهب السائد الذي تقف منه التنمية البديلة موقفا معارضا جدليا، لا تعد التنمية البديلة مبدئيا مجموعة من المقررات التكنيكية بل إنها إيديولوجية Sutton1988 ذات تماسك أخلاقي خاص تشكل أيضا نقدا بارزا لنموذج السيطرة وتحت راية التحديث تحتوي استراتيجيات التنمية المعظّمة للنمو Growth–Maximizing تناقضا أصيلا وقد بنى النموذج الغربي مقولات كبرى ونظريات علمية ترى أن النموذج المجتمعي الأوروبي هو النسق القياسي للبشرية جميعها تقاس به باقي النماذج البشرية، ويتراوح تقدمها وتأخرها طبقا لمدى قربها من النموذج الغربي وقد تبينت هذه المقولات وهذه النظريات على أسس هي:

1: اختزال البشرية في عرقين هم ونحن–2: إسقاط الخبرة الغربية على غيرها من المجتمعات– 3: دراسات المجتمعات الأخرى طبقا لمؤشرات النظريات الغربية [2]، إضافة الى ذلك يرى النموذج الغربي أن المؤسسات التقليدية هي مؤسسات معاقة وهي عقبة في طريق التنمية ،كما أن الثقافة التقليدية تعتبر في نظر العلم الحديث عائقا إضافيا يجب تجاوزه وإقامة قطيعة ابستمولوجية بما يخدم التقدم والتطور التنموي المعاصر بالرغم مما للتاريخ من أهمية للأمم والبشرية.

إن النموذج التقليدي للتنمية لم يعد مقبولا فبالرغم من أن الشيوعية ترتبط في أذهان الكثيرين بانتصار اقتصاد السوق والديمقراطية الليبيرالية، إلا أنه يتضح باطراد بأن الطريقة التي اعتدنا أن نفكر بها في

[1] جون فريدمان التمكين سياسة التنمية البديلة نفس المرجع ص 28

[2] محمد نصر عارف، التنمية من منظور متجدد،مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ط، 1القاهرة: ، 2002، ص 45–47

التنمية لن تعد ملائمة فليس هناك مجال للزعم بأن كل شيء على ما يرام خصوصا وأن الوضع الراهن يتميز بأزمة ثلاثية تؤثر على التطبيقات التنموية.

فالأزمة الأولى هي أزمة الدولة، وهي مؤسسة فقدت الكثير من سلطتها في ظل العولمة والشركات العابرة للقارات وشبكة المعلومات العالمية، ولم تعد موضع ثقة في كثير من البلدان والأزمة الثانية هي أزمة السوق. فالسوق بمساعدته على التعجيل باستغلال الموارد الطبيعية القليلة، وبتقديمه الحوافز على تقويض أنظمة الأمن بوضعه مبدأ جعل الأسعار صحيحة فوق الاعتبارات الأخرى. [1]إنما يزرع الشكوك والمخاوف في أذهان الناس وهو بذلك مهدد بفقدان كثير من الدعم الذي كان يلقاه ولهذا عمدت المنظمات التابعة لهيئة الأمم المتحدة مثل منظمة الدولية للصحة العالمية ومنظمة الفاو بأن تقدم تقارير حول أثر برامجها على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تقع في نطاق اختصاصاتها،أما الأزمة الثالثة فهي أزمة العلم، فانغلاق العلم على نفسه أكثر من اللازم وعدم قدرته على المحافظة على التنوع الحضاري جعله رغم أهميته مثيرا للجدل، [2] ولم تكتسب التنمية البشرية معنى أعمق إلا في السنوات الأخيرة من خلال إدراك بأن التنمية قابلة للإدامة فقط عندما يكون البشر قادرين بصورة متزايدة على التحكم بمصائرهم وذلك أن جوهر التنمية البشرية هو جعل التنمية في خدمة الناس بدلا من وضع الناس في خدمة التنمية.

ولهذا الأمر وضع تعريف جديد للتنمية يراعي فيه دور الرأسمال الاجتماعي من خلال المشاركة ويعتبر التراث الاجتماعي رصيدا كامنا من القدرة والطاقة. وكان هناك رهان يجب بلوغه أو الإشارة اليه أنه من أخطر عواقب الأزمة الثلاثية للدولة والسوق والعلم، والمرتبطة بنموذج التنمية التقليدية، تبدد الثقة في أهمية التفاعل الاجتماعي والسياسي وهذا ما أثار شكوك الكثيرين في ضعف المنظمات كون

[1] مؤسسة ماعت للسلام، والتنمية وحقوق الإنسان، التنمية البشرية وحقوق الانسان وجهان لعملة واحدة، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الانسان، 16،12،2008 .

[2] عبد العزيز بن عبد الله السنبل، دور المنظمات العربية في التنمية المستدامة ،مؤتمر التنمية والامن الوطني المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم ،الرياض 2001 ص 2

التفكير الإنمائي قد أخضع كل من رأس المال الطبيعي والبشري والمؤسسي لرأس المال المادي، ونظرا لأن النمو في هذا الفكر مرتبط تماما بخلق رأسمال مادي فقط فقد تم تجاهل اعتبارات الاستدامة [1].

بدأ يظهر في الأدبيات الدولية في أواسط الثمانينات وتحت تأثير الاهتمامات الجديدة **الحفاظ على البيئة** بالنظر الى الدراسات والتقارير لنادي روما في سبعينيات القرن الماضي المحافظة على البيئة والتوازنات الجوهرية في الأنظمة البيئية Ecosystèmes وبالإضافة الى تعثر الاقتصاد الصناعي وتفاقم المديونية ما أضفى الى توسع الفروقات بين فئات المجتمع فتوجهت النظريات التنموية الى التركيز أكثر على هدف التنمية المتمثل في الانسان في مجالي الصحة والثقافة والسياسة عكس النهج القديم بالتركيز على زيادة معدلات الاستثمار ومعدلات النمو الاقتصادي وزيادة مستويات الاستهلاك من منتجات الصناعة الحديثة[2] فأوّلت التنمية البشرية أهمية كبيرة لقضية الحاكمية العالمية إدراكا منها لعمق الارتباط بينهما وبين أهداف النهج في ظل التيار الجامع للعولمة المعاصرة، وهذه الأهمية تنبعث من بعدين حيويين مترابطين الأول موقع هذه الحاكمية المهيمن في الاقتصاد الدولي وفي توجيه الاستراتيجية التنمية الدولية عموما، وبالتالي دورها الحاسم في تقرير مدى إمكانية تحقيق أهداف التنمية البشرية ذاتها،[3] وتقدم التطورات التي اكتشفت مسار إقرار وتنفيذ الأهداف الألفية للتنمية التي التقت مع أهداف النهج بشكل واضح، في تعثر بلوغها أهدافها المرصودة خير دليل على المواقع الحاكمة على الصعيد الدولي.

وبالتالي فإن الحقوق السياسية لإنسان العادي عند ممارستها دون أي شائبة هي السبيل الى الأمثل من المواطن السلبي الى المواطن المشارك وأيضا وهذا هو الأهم أن الحصول على الحقوق السياسية هو من أهم أسباب الانتماء والانتماء لا يحدث إلا بتوفر أربعة شروط الكفاءة والمشاركة في القرار واحترام القانون و الحرص على أمن الوطن والمواطن وبهذه الطريقة نكون قد وصلنا الى جوهر وأساس الحقوق

[1] عبد العزيز بن عبد الله السنبل: دور المنظمات العربية في التنمية المستدامة نفس المرجع ص 15-16

[2] عبد العزيز بن عبد الله السنبل: دور المنظمات العربية في التنمية المستدامة ورقة عمل مقدمة الى مؤتمر التنمية والامن الوطني مرجع سابق ص6-7

[3] باسل البستاني: جدلية التنمية البشرية المستدامة منابع التكوين وموانع التمكين مركز دراسات الوحدة العربية بيروت الطبعة 1 2009 ص 195

السياسية لنستخلص في النهاية قاعدة هامة لا انتماء دون حقوق سياسية، ولا مشاركة فاعلة دون انتماء وحقوق سياسية معا .

مجتمع حقوق الانسان كبديل عن المجتمع الصناعي:

هل يمثل ميلاد المجتمع الصناعي مرحلة حاسمة في تاريخ البشرية؟

ينطلق توران ليؤكد تاريخيا ما توصلت اليه القناعات الدولية والهيئات والمنظمات العالمية لحقوق الانسان فيما يخص مطالب المجتمع في حياة أفضل من مبدأ أساسي وهو أن أي مجتمع تاريخي هو مجتمع متوفر على شروط التطور يقوم على دعامتين أساسيتين: مجموعة من الممارسات التي يقوم بها تجاه محيطه ثرواته الطبيعية والبشرية وهو يسمى الاقتصاد ومجموعة من التأويلات التي ينتجها حول هذه الممارسات ليعطيها معنى وهو ما يسمى بالثقافة.إنه يمكن لمادعوته بالنموذج الثقافي ألا يظهر إلا بمثابة صفة ملازمة لإنسانية ما قبل التاريخ وفي مجتمع تحدده التنمية يتطابق إذن النموذج الثقافي عقلانيا وبالتالي طبيعيا وتزول بذلك ثنائية الطبقات التي تترجم الانفصال بين النموذج الثقافي والإنتاج[1]، وتختلف الأنماط المجتمعية باختلاف هذين العنصرين، فالمجتمعات الدينية تقوم بممارسات دينية وتفكر في نفسها وفق مقولات دينية تمثلت في الفكر اللاهوتي في القرون الوسطى والمجتمعات السياسية التي ظهرت مع عصر النهضة، وامتدت حتى القرن التاسع عشر، قامت على أساس ممارسات سياسية الملك، الشعب، الحرب. وتجلت التمثلات الثقافية لهذا المجتمع في انتاج مكيا فيل، ولوك، وروسو، وهوبز، وتوك وفيل والمجتمعات الاجتماعية التي ارتبطت بالثورة الصناعية، والتي اتسمت ممارساتها بالبعد الاجتماعي الأسرة، الطبقة، النقابة، المدرسة فكرت في نفسها **بمقولات االجتماعية** عبرت عنها السيسيولوجيا كما عرفها **دوركايم** بكونها تفكيرا في الاجتماعي بما هو اجتماعي وهذا يحيلنا في غالب الأحيان أن التفسير الذي يقدمه **دوركايم** هنا علامة عن التراجع

[1] ألان توران إنتاج مجتمع تر الياس بدوي منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1976ص 278

لقاعدة من قواعد علم الاجتماع بأن الظواهر الاجتماعية يجب أن تفسر بصورة تبسيطية بمعاملة الأشياء المعقدة كأنها مؤلفة من أشياء بسيطة [1].

إذن على حسب نظرية توران torraine فإن المجتمعات برمتها تتأسس على التوازنات بين التطبيق والتأويل بين الثروة والثقافة وعند حدوث خلل بين هذين العنصرين انتقلنا من نمط معين للمجتمع الى نمط اجتماعي آخر جديد، وهذا ما حدث بالنسبة للمجتمع الصناعي الذي لم يعد مجتمعا اجتماعيا يفكر في نفسه بمقولات اجتماعية. والسبب يرجع بالأساس إلى تلك الممارسات الاقتصادية والاجتماعية حيث أصبح يستعمل الرأسمال بدلا من إنتاج **الخيرات والوظائف ودعم المؤسسات الاجتماعية**، أصبح المال يسخر من أجل المال وليس من اجل إنتاج الثروة. وقد أدى هذا الاختلال الى إفراغ المؤسسات الاجتماعية من دلالاتها وأصبح يهدد بنهاية المجتمع الاجتماعي وهذا سبب اهتمام ماركيوز بفكر فرويد خاصة كتاباته التي أخذت الطابع الحضاري والفلسفي بمعنى أن ماركيوز لم يبدي اهتمام بكتابات فرويد التي تدور حول أساليب التحليل أو العلاج النفسي ويمكن اعتبار هذا الاهتمام من قبل ماركيوز منطلقا هاما لتفسير الأسباب التي أدت الى قمع الانسان المعاصر وفقدانه حريته في مجتمعه بعد إن اختفت الماركسية في تقديم تفسير يتجاوز الوضع الراهن في المجتمع الصناعي[2] وفي هذا الإطار جاءت مابعد التنموية كأحد امتدادات ما بعد الماركسية في كثير من التحليلات الغربية .

لقد أعلن افلاس جماعة ما بعد التنوية افلاس مفهوم التنمية وعدم صلاحية استخدامه خاصة أن تطبيق التنمية قد أضر أكثر مما نفع ،هذا الوضع يحمل سمات الكارثة التي أصبحت تهدد المجتمعات الغربية، وقد يدعو إلى الاعتقاد بغياب أي نموذج مجتمعي ما بعد صناعي. وبعد أن تبين لدى الكثير من الدول في العالم بأن التنمية الاقتصادية السريعة ، بفعل مسار العولمة، لم يحقق وعدها برفع

[1] انطوني جيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، تر أديب يوسف شيش جامعة كمبريدج للصحافة 2013 ص 83.

[2] Vincent Geoghegan : Reason and Eros. The Social Theory of Herbert Marcuse, pluto press, London, 1981, pp 43-44

الإنسانية من الفقر ولم تحسن الأوضاع الاجتماعية من ناحية توفير الحاجات الضرورية ودرجة الرفاهية وازدياد التباين بين طبقة العمال و أرباب العمل .

عرف مفهوم التنمية تحولات كبيرة انتقل فيها من المفهوم الضيق القائم على الكم الاقتصادي الى المفهوم الواسع القائم على محورية الانسان، أين ظهر الواسع والجديد، مع بداية التسعينيات، من خلال التقارير الإنمائية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، حيث جاء تقرير التنمية البشرية العالمي لسنة 1990 بأن التنمية هي عملية توسيع للخيارات الإنسانية ببناء القدرات الإنسانية، من جهة والانتفاع بها عن طريق التوظيف الكفء، لتمكين الافراد من المشاركة في مختلف المجالات الحياة اليومية، فحقوق الانسان فرع خاص من فروع العلوم الاجتماعية يختص بدراسة العلاقات بين الافراد استنادا الى كرامة الانسان بتحديد الحقوق والرخص الضرورية لرفاهية كل كائن إنساني (رجل، امرأة، طفل ...) وتتميز بالخصائص التالية: عالمية، غير قابلة للتجزئة، مترابطة، ومتكاملة، وتقوم على الاعتماد المتبادل، وغير قابلة للانتفاء، والاستثناء. وترتبط قضية التهميش بقضايا حقوق الانسان ، وتحتل جانبا مهما جدا من النقاش أو الجدل الغربي، وهذا التهميش وإن تركز الحديث فيه عن المرأة أولا ثم الأقليات وهي الجمعات الهشة وهو العالم الثالث [1]

هذه المقارنة المتكاملة لحقوق الانسان كانت بعد أن ثبت بأن التمتع بالحقوق المدنية والسياسية لا يكون إلا بالتمتع بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، فالأصل هو مبدأ التكامل والتوازن بين حقوق الانسان لا يجوز إعطائها الأولوية لحقوق على أخرى، فالتحرر من الخوف والعوز يرتبط بحرية التعبير والمعتقد، والحق في التعليم يرتبط بالصحة.

كما ثبت بأن التعامل مع حقوق الانسان من خلال مقاربة تجزيئية الذي تم الفصل فيها بين الحقوق السياسية والمدنية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية نتيجة الصراع الأيديولوجي بين الأنظمة

---

[1] الشرقاوي بان كينام، إشكالية الثقافة والتنمية في الاتجاهات الفكرية الغربية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة مصر تاريخ النشر.سنة 31-12-2007 ص 32.

السياسية السائدة آنذاك النظم الغربية الليبيرالية التي تولي الحقوق المدنية والسياسية كل الأهمية بينما الحقوق الأخرى هي مجرد أمنيات لدى أصحاب المذهب الليبرالي[1].

لقد اكتملت العلاقة بين التنمية وحقوق الانسان حينما أصدرت هيئة الأمم المتحدة في ديسمبر سنة 1948 على غرار الحقوق السياسية والمدنية والثقافية و الحقوق الاقتصادية والاجتماعية أيضا والتي تتضمن حق الانسان في الطعام والمسكن والتعليم والعمل والرعاية الصحية. فبزع نتاجا عن ذلك مفهوم جديد للتنمية مفاده أنها عملية شاملة تستهدف التحسين المستمر لرفاهية الأفراد جميعا على أساس مشاركتهم الفعالة والحرة في تلك العملية وفي التوزيع العادل للعوائد الناجمة عنها .وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأن الحقوق الاقتصادية لا يكفي للتمتع بها أن ينص عليها الدستور أو القانون، بل تترتب عليها التزامات بمعنى أن احترامها يستلزم القيام بأعمال معينة فالتمتع بحق التعليم يقتضي توفير المدارس والتمتع بالصحة يستلزم بناء المراكز الصحية وكذلك بالنسبة لكامل الحقوق الأخرى [2]،وفي ضوء التعريف السابق يمكن أن نبرز مجموعة من القضايا التي توضح لنا العلاقة بين التنمية البشرية و حقوق الانسان وذلك على النحو التالي ،من المؤكد أن التنمية عملية مستمرةوأن كثير من العلماء يدعون أنه لا يوجد هناك مجتمع يتسم بتمام التنمية على إطلاقها، ولذلك لا يخلو مجتمع، أيا كانت حضارته، وأيما علت مدينته، من النقائص والمشاكل والمعوقات. وهذا هو ما سوف يتسم به هذا العرض لحل الأوضاع التنموية المعاصرة وما اعتقده من اتجاهات مطلوبة وتصحيح مسار هذه الجهود التنموية وذلك على القيم السماوية الموجهة والمنظمة للتنمية، من ناحية، ثم على المكتشفات والدراسات العلمية في مجالات العلوم المختلفة والاجتماعية منها بصفة خاصة من ناحية أخرى.

وقد عرض لنا التاريخ قديما وحديثا ، تحولات بين سيادة الفكر المادي التنموي من ناحية والفكر الإنساني التنموي المعنوي من ناحية أخرى ، يتوسط هذه التحولات مرحلة قد تقصر أو تطول من

[1] هاني سليمان الطعيمات، حقوق الانسان وحرياته الأساسية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط، 1، 2003، ص 81.

[2] كريمة كريم الحق في التنمية، دراسة للأدبيات النظرية، في: محسن عوض (تحرير) حقوق الانسان التنمية، أعمال الندوة الإقليمية حول حقوق الانسان والتنمية القاهرة 19998-9 يونيو ص ص 99-100

التوازن بين الاتجاهين هي عصر الفترات الذهبية في تاريخ الإنسانية ، والآن لا يختلف المنظرون والواقعيون في تشخيص السيطرة المادية في الحركات التنموية المعاصرة في معظم دول العالم إن لم يكن جميعها، ويرجع هذا التوجه المادي الى طموحات القوة والسيطرة والأنانية وخاصة في الدول المتقدمة والى سيادة ثقافة الكم على الكيف في مركب القيم ومعايير الانجاز المعاصرة .

بالنسبة للمؤسسة الاقتصادية، فإنه يمكن القول بأن كافة مظاهر الخلل والاضطراب في المجال الاقتصادي والمتمثلة في تدني الإنتاجية، وشيوع البطالة المقنعة وانخفاض إنتاجية الفرد وضعف قدرته على مقابلة احتياجاته، وازدياد الاستهلاك الترفِ في المقابل وكان ذلك لعدة عوامل منها، سيادة منظومة قيمية رديئة تحكم على السلوك بصفة عامة، وتحكم السلوك الإنتاجي والاستهلاكي بصفة خاصة.

إن مفهوم التنمية المستدامة برز أول ما برز خلال مؤتمر ستوكهولم سنة 1972حول البيئة الإنسانية التي نظمته الأمم المتحدة، بمثابة خطوة نحو الاهتمام العالمي بالبيئة. ولقد ناقش هذا المؤتمر للمرّة الأولى القضايا البيئية وعلاقتها بواقع الفقر وغياب التنمية في العالم، وتم الإعلان عن أنّ الفقر وغياب التنمية هما أشد أعداء البيئة، من ناحية أخرى اتقد مؤتمر ستوكهولم الدول والحكومات التي لا زالت تتجاهل البيئة عند التخطيط للتنمية [1].

ترجع جذور التفكير العالمي بشأن تدهور البيئة سنة 1950 حيث نشر الاتحاد العالمي للحفاظ على الطبيعة l'union international pour la conservation de lanature. أول تقرير حول حالة البيئة العالمية، وهدف هذا التقرير الى دراسة حالة وضعية البيئة في العالم وقد اعتبر هذا التقرير رائدا خلال تلك الفترة في مجال المقاربات المتعلقة بالمصالحة والموازنة بين الاقتصاد والبيئة في ذلك الوقت [2]

[1] سليمان الراشي ، دراسات في التنمية العربية الواقع والافاق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص 238

[2] ساري نصر الدين، عبيدات ياسين السياق التاريخي والتنمية المستدامة، يوم دراسي حول واقع التنمية المحلية والتنمية المستدامة في الجزائر مع الإشارة الى ولاية خنشلة 2011

سنة 1979بدأ الفيلسوف والمفكر الألماني هانس جوناس يعبر عن قلقه على الأوضاع البيئية في كتابه مبدأ المسؤولية [1] لم يكن الفلاسفة بعيدين عن الاحداث التي كانت تدور حينذاك ،فلقد سعوا الى نقل مشكلات البيئة الى الفلسفة ، ولم يعد الانسان هو المركز بل الطبيعة والحياة وهناك مؤتمر يشتمل على إعادة النظر في السياسة الاقتصادية بما يتوافق المحافظة على البيئة في مؤتمر 1987 تحت عنوان مستقبلنا المشترك أين تم طرح نموذج بديل يراعي شروط تحقيق التنمية الاقتصادية بمراعاة المحيط البيئي. واقتنع الجميع بأنه يستحيل مواصلة عجلت التنمية ما لم تؤخذ في الحسبان قضايا البيئة ،ثم توالت الاجتماعات الدولية في هذا الاطار من خلال ابرام اتفاقيات دولية وطرح بروتوكولات دورية حول هذا الموضوع الخاص بالتنمية والبيئة لأجل غد أوفر حظا للجميع بروتوكول كيوتو سنة 1997، مؤتمر القمة العالمية للتنمية المستدامة ريو سنة 2002 وشهدت سنة 2010 انعقاد مؤتمر كوبنهاغن بعد تأكد استفحال ظاهرة التلوث وطرح موضوع الاحتباس الحراري وكيفية مواجهته وهذا المؤتمر أبان عن تصدعات بين الدول العالمية فيما يخص التقليل والحد من انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون [2] .

برز مشروع الاستدامة كفكرة لأول مرة في استراتيجية الحماية الدولية التي أقرها الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة في عام 1980 وأهم ما نصت عليه وثيقة الاستراتيجية تأكيدها أن تدمير البيئة لم يعد قاصرا على الدول الصناعية بل تعداه الى الدول النامية أيضا وبخاصة في حالة ترافق الفقر فيها مع النمو السكاني وقد أصرّ هذا الموقف الى تباين واضح مع الفكر البيئي السائد الذي نظر الى النمو الاقتصادي باعتباره المهدد لنوعية البيئة.

تعكس سيرة التنمية البشرية مسيرة نظريات التنمية نفسها ذلك أن التنمية البشرية هي جزء من كل فهي لم تطرح مستقلة بحد ذاتها. ولقد تطور مفهوم التنمية البشرية وكان في كل فترة يعكس جملة من المقاربات المعروفة تماما تعكس التنمية المتبعة حاليا في بلد محدد خلال فترة محددة حيث تم استخدام

[1] جمال مفرح ،الفلسفة المعاصرة من المكاسب الى الإخفاقات، منشورات الاختلاف ط، 1 سنة 2009 ص 35

[2] جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت 2001، ص 124

أكثر من تعبير للدلالة على مفهومها. فلقد استخدم مثلا في البداية تعبير تنمية العنصر البشريأو تنمية الرأسمال البشري ، او تنمية الموارد البشرية أو التنمية الاجتماعية الى أن استقر الرأي حاليا عند استخدام هذا المفهوم الذي حدده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عبر عملها الرائد الذي برز مع بداية التسعينيات عبر اصدار تقرير التنمية البشرية. فخلال الخمسينيات ارتبط مضمون التنمية البشرية بمسائل الرفاه وانتقل بعد ذلك الاهتمام للتركيز على أهمية التعليم والتدريب ، ومن ثم اشباع الحاجات الأساسية ليقدم مؤخرا برنامج الأمم المتحدة الإنمائي مضمون تشكيل القدرات البشرية تمتع البشر بقدراتهم المكتسبة في جو الحرية السياسية واحترام حقوق الانسان [1] ومن بين الخيارات الأساسية الثلاثة على جميع مستويات التنمية هي أن يعيش الناس حياة مديدة وصحية وأن يكتسبوا معرفة وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لمستوى معيشة لائق، فإذا لم نبلغ هذه الخيارات الأساسية تظل فرص أخرى كثيرة بعيدة المنال.

نقول في النهاية لنقترب من بؤرة التنمية البشرية أنها ذات جانبين، أحدهما هو تكوين القدرات البشرية ومن قبيل ذلك تحسين الصحة والمعرفة والمهارات، والآخر هو استخدام الناس للقدرات التي اكتسبوها في الأغراض الإنتاجية أو في الأغراض تمضية وقت الفراغ أوفي أغراض ممارسة نشاط ثقافي أو اجتماعي أو سياسي.

التبرير الأخلاقي لتنمية بشرية سليمة:

ولقد برز مفهوم تنمية **الموارد‌البشرية** إذن بعد أن كانت قضايا النمو الاقتصادي مقتصرة على شكل رأس المال واستثماراته، وبعد أن كان الاهتمام مركزا على الانسان كمورد اقتصادي ينتظر منه زيادة الإنتاج وتطويره من هنا شاع الحديث عن تحسين الأحوال الصحية لقوة العمل حتى تكون قادرة على الإنتاج وفي هذا السياق كثيرا ما نلحظ أن الحديث عن الموارد البشرية إنما يعتبر مرادفا للحديث عن القوى العاملة ومقتصرا عليها وهو خليط ناجم عن تلك الفترة الاقتصادية للإنسان باعتباره قوة منتجة

[1] محمود عابد الجابري وآخرون، التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 1995، ص 81

تعرفها هيئة الأمم المتحدة بأنها عملية توسيع نطاق الخيارات أمام الافراد و أهم هذه الخيارات هي أن يحيا الافراد حياة طويلة وخالية من الامراض و أن يحصلوا على قدر معقول من التعليم و أن يكونوا بوسعهم الحصول على الموارد التي تكفل لهم مستوى معيشي كريم بالإضافة الى تمتعهم بالحريات السياسية وحقوق الانسان واحترام الانسان لذاته [1] .

كان لا بد من وقوع حرب عالمية ثانية وبناء قنبلة ذرية جربت على عدو ومن ممارسة النهب الأكثر فظاعة **للموادالأولية** للطبيعة ومن نمو سكاني انفجاري الطابع وتدمير حادث مرتقب لمجالات حياة الانسان والحيوان والنبات كان لابد من مرور زمن لانهاية له قبل أن يدرك أناس بصيرون ما كان يحدث وكيف يمكن للبلاء الحاصل مواصلة تطوره خاصة أن له أبعادا مصيرية وأن الانسان هو من تسبب في هذا الوضع المأساوي ذو المخاطر غير المعروفة ومجهولة العواقب.إذ نادى أن مؤتمر روما أول من أشار الى حدود النمو وحذر الرأي العام دون أن يسلم نفسه للأوهام، و يبدو من السهل إدراك الفكرة الرئيسية لمجتمع يشهد توازنا اقتصاديا وبيئيا مع ذلك مازال مجتمعنا الحالي بعيدا كل البعد عن ذلك حيث نحتاج فعليا الى ثورة فكرية كوبرنيكية الحجم من أجل تحويل تصوراتنا الى سلوك عملي ولأن نادي روما لا يؤمن بمخرجات العقل خاصة عقل الأمم الصناعية فإنه يضع الانسان في تأملاته ولايرى فرصا قليلة لقيامه بسلوكات تمليها عليها رؤية أفضل كان ذلك عام 1972[2]، بعد عشرين عاما اجتمعت البشرية كما قيل صراحة في ريو لتحديد أسس التعامل مع كوكب الأرض وانتهى الاجتماع الى برنامج عمل جريء للقرن الحادي والعشرين دعا في أربعين فصلا الى الاستخدام العادل والحفاظ على البيئة لسائر احتياطات المواد الأولية الطبيعية وأيد بقوة العمل المشترك بين الشمال والجنوب وبين الدول الصناعية.

[1] منال طلعت محمود ، الموارد البشرية وتنمية المجتمع المحلي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003ص 133.

[2] ديترتسمرلنغ النهايات الهوس القيامي الألفي، تر ميشيل كيلو، قدمس للنشر والتوزيع، ،1999. دمشق سوريةط-1 ص 181،182

-في العام 1972نشر رونارد راندیرز:Jorgen,Randersأستاذ استراتيجية المناخ بكلية النرويج The,Norwegian,Busines School بعنوان حدود النمو The,limits,toGrow وفي كتابه هذا حذر راندرز من التأثير المدمر للنمو السكاني والاقتصادي في عالم محدود المصادر وبالرجوع الى التكهن ذاته في مقال كتبه في العام 2004 تأكدت تنبؤاته وكانت صحيحة. إن زعماء العالم أخطأوا حينما تجاهلوا الحاجة الملحة الي التصدي لمشكلة التنمية غير المستدامة والإصلاح الاقتصادي يوفر مناخا لاستخدام رؤوس الأموال بكفاءة غير أن الكفاءة لا تتحقق تلقائيا وإنما يتم ذلك من خلال تصرفات يقوم عليها العنصر البشري الموجود في المجتمع .[1] هناك اختلاف أساسي بين التنمية الاقتصادية وتنمية البشرية فمفهوم تنمية الموارد البشرية يعتبر جزءا لا يتجزأ من التنمية الاقتصاديةكما أن رأس المال يزداد عن طريق الاستثمار الانساني من خلال "**التغذية والصحة والتعليم, والتعليم من منظور التنمية البشرية والتدريب والرعاية الصحية ، من حيث هي عملية استثمار تتحول فيها قدرة الانسان الى عنصر من عناصر الاستثمار ، مما يعني تحول البشر الى مدخلات ومخرجات** بشكل خاص، وكما هو الحال لأي نوع من أنواع الاستثمار فإن تخصيص الموارد اللازمة له يتحدد بالمعدل الهامشي لمردود مقارنة مع أشكال الاستثمار الأخرى إذن إن فكرة تنمية الموارد البشرية هي في الدرجة الأساسية نتيجة لتطور نظرية وتجربة التنمية الاقتصادية في أعقاب الحرب العالمية الثانية.[2]إذا كانت أول مهمة إنمائية في تلك الفترة وكانت بالطبع لتعمير أوروبا، وكان النهج المعتمد لتحقيق ذلك بسيطا وناجحا الى حدٍ بعيد إذ كان لتحويل معونات مادية كبيرة من خلال خطة مارشال إضافة الى قدر من التخطيط والتعاون الاقتصاديين أفرز نتائج إيجابية مباشرة ، وفي الوقت نفسه تسارعت عملية إنهاء الاستعمار فنالت أعداد متزايدة من البلدان الثالث استقلالها وباشرت مسيرتها التنموية وعليه يجب تجاوز المنظور الاقتصادي لتنمية الموارد البشرية حدود المال والمكاسب المادية لتضمن زيادة قدرة الانسان على فهم نفسه وفهم محيطه ليتمكن من المشاركة الواعية

[1] أنتوني لوينشتاين، رأسمالية الكوارث تر أحمد عبد الحميد. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1978ص 11

[2] حامد عامر، العوامل الاجتماعية في لتنمية ندوة تنمية الموارد البشرية ، الكويت المعهد العربي للتخطيط 1987 ص 21.

للديمقراطية وهكذا نصل الى كون التنمية البشرية وتنمية الموارد البشرية يهدفان الى تنممية الفرد بكافة أدواره مستهلكا ومنتجا [1]، واتضح بسرعة أن الاستثمار الرأسمالي هو شرط ضروري لكنه ليس كافيا لأن العوامل البالغة الأهمية هي نقل التكنولوجيا المناسبة وخلق القدرة اللازمة لاستيعابها لذلك يجب أن تكتمل المساعدات المالية بالمساعدات الفنية التي تعتبر الأداة الرئيسية لتنمية رأس المال البشري .

التنمية الاقتصادية والمتغير الثقافي:

في السابق كانت تدور شكوك حول العلاقة بين الثقافة والتطور الإنساني في حقل الاقتصاد والأنثروبولوجيا، حيث يؤمن العديد من الاقتصاديين أن السياسة الاقتصادية الملائمة سوف تطبق بكفاءة بدون الرجوع للثقافة، فغالبا ما لا تنسجم نظرة علماء الاقتصاد مع الثقافة بسبب إشكالية التعريف والقياس الكمي وتداخلهما بشكل معقد مع الابعاد النفسية والمؤسسية والسياسية وغيرها لأنه يمكن رصد تحول ما داخل الادبيات الاقتصادية. فأخذآلان كريسبان .AlainGreenspanمن الاقتصاديين التقليديين بعد أن تبنى فكرة أن الرأسمالية جاءت من الطبيعة البشرية خلص الى أنها لم تكن مسألة طبيعية بل مسألة ثقافية.[2]

تباينت اللغات ومن ثمة اختلف الفكر وأسلوب تناول الواقع منعكساً على الفكر كل يحمل بين جوانبه وفي أعماق وجدانه وجهازه العصبي اللاشعوري ثقافة موروثة حتى وإن أعلن انصرافه عنها أو تنكره لها . لم يكن الدين وحده هو جوهر الثقافة أو مجملها فقد تعددت الأديان وتباينت المذاهب والنحل ولم يكن الاقتصاد وحده فالاقتصاد أو العمل الاجتماعي والانتاجي وعلاقاته لا تزال كلها مشروعا تضمره إرادة وعزيمة [3] ويمكن أن نقول بأن الثقافة هي مجموعة من المعارف والأفكار والقيم التي تتفاعل مع البيئات على مر الأزمنة فتكّون منها تاريخ طويل وهي طريقة الحياة التي يعيش

[1] تقرير التنمية البشرية، بعنوان حقوق الانسان مركز الاعلام للأمم المتحدة صنعاء الانسان والتنمية البشرية 2001 ص 17.

[2] Samuel P Harrison 'introduction : why culture mattersss'' lawrence e harrisson&samuel p huntington p 299.300

[3] شوقي جلال، العقل الأمريكي لا يفكر، المرجع السابق ص 36

الانسان في جميع مجالات الحياة، سوآءا في المجال المادي الذي يسمى بالمدنية أو في المجال الروحي والفكري الذي يسمى حضارة، هي المعارف والتقاليد المتعلقة بمكونات كل أمة وهي العلم الذي يبحث في المرتكزات الأساسية لبناء الذات ومواجهة التحديات [1].

لقد تحدث **فيبير** في كتابه الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية عن فكرة مماثلة عندما أشار الى أن الظروف النفسية والعادات الخلقية خاصة تلك المتعلقة بالبروتستانتية توفر البيئة المولدة لتنظيم الرأسمالية المعاصرة، وبالمثل فإن تدمير الثقافة ورأس المال البشري الاجتماعي في شرق أوروبا الشيوعية قد أقام حواجز أمام التحول المعاصر للرأسمالية، وأمام هذه المحورية المعطاة للثقافة في خلق رأسمال الاجتماعي وأهمية الرأسمال الاجتماعي لطبيعة التنظيم الاقتصادي نلاحظ وجود تطبيقات متنوعة للرأسمالية كما تتنوع الثقافات[2]، بل إنه بدأ الآن يتم شرح الفجوة الاقتصادية بين دول نامية وأخرى متقدمة بالعوامل الثقافية.

وقد تناول البنك الدولي مسألة الثقافة من خلال مؤتمر دولي في واشنطن ابريل 1992 مضيفا بشكل مثير للاهتمام أن الثقافة تهم، Culture,matters، ومن هنا بدأت تظهر تحولات في قلب الجدل الدائر من خلال إعطاء أهمية أكبر للبعد والطبيعة الثقافية وهي التنمية التي كانت تهيمن عليها التجارب الاقتصادية للتنمية نماذج خالية من القيم "ValueFreeومسلماتها، ولا يمكن مناقشتها فلقد سيطر حتى وقت قريب منظور يرى الاقتصاديات وفق البعض أن التنمية تتصف بالرشادة والخلو من القيم، إلا أن علماء العلوم الاجتماعية أعادوا اكتشاف أن السوق ذاتها مؤسسة اجتماعية بسننها وقيمها التي تتباين من مكان الى لآخر.

[1] ريمون بودون ، ف بوتريكو، المجم النقدي لعلم الاجتماع،ديوان المطبوعات الجامعية ط، 11986 ص 288،299.

[2] John Briggs &Joane Sharp % Indegenous Knowledges and development a postcolonial caution Third World Quartely Vol 25.N 4 2004. P 663

وظهر مفهوم يسمى الثقافة الاقتصادية وهي المعتقدات والقيم التي تدعم الأنشطة الاقتصادية للأفراد والتنظيمات والمؤسسات، ومن أهم تلك القيم المرغوب بها العمل الشاق والمبادرة والايمان بقيمة التعليم وقيم أخرى أكثر تحديدا من الناحية الاقتصادية مثل الادخار والاستثمار، وجميعها قيم مهمة إلا أن الأهداف والاتجاهات التي توجه لاستخدامها أهم [1]وعلى عكس منظور الحداثة الذي يرى التضاد والتسارع بين التنمية الاقتصادية وبين الثقافة، فإن النماذج التنموية الجديدة تطرح فكرة أن كليهما يمكنهما التعايش معا بل أيضا يدعمان بعضهما البعض[2]وفي هذا تؤدي العولمة الثقافية عن طريق اختراق الذهنيات الى تبعية فكرية أكثر عمقا من التبعية الاقتصادية والغاية من هذا الإمساك بزمام العقل الذي تنقاد وراءه العوالم الاخرى للأشياء ولكي تسهل عملية الانقياد التي توجهه الى نزعة استهلاكية للمواد الثقافية وتكيفها بحسب العصر المتسم بالسرعة والاختصار والتخفيف في الكلفة والوقت فإن النشاطات الترفيهية بدورها تعمق السذاجة المقصودة لتزييف العقل كالمعرفة ببرامج سطحية خفيفة هي أقرب الى التهريج منها الى الصدق والحقيقة في ذلك يقول عبد الاله بالقزيز تبدو **الثقافة على مستوى الهزل والفقر والسطحية يثور معه التساؤل المشروع عن مستقبلنا الإنساني وتشبه ثقافة العولمة سائر مواد الاستهلاك ، معلبات ثقافية تتضمن مواد مسلوقة جاهزة للاستهلاك في اخراج مثير يضعه تحت وطأة إغراء لا يقاوم** [3]،ومن جانب آخر يبدو أن التطورات الاجتماعية تحصل كلما تطورت في المقابل الأدوات التكنولوجية والوسائط الاتصالية، ومن تأثير هذه الوسائط في التغييرات الاجتماعية تتطور أيضا التطلعات وتتوسع دائرة الحاجات، وهو الامر الذي يغلب على طابعه المجتمع الاستهلاكي وهذا وما يحيلنا الى التساؤل حول قوة العولمة هل تسطيع أن تؤثر فينا لأنها ذات مقومات لا تقهر أم أن قوتها تستمد من ضعف المتلقي الذي تبدوعلاقته

[1]MichaelE Porter Attitudes Values behiefs and the microeconomics of posperity journal of industry competition an trad 2016

[2] Michael Keating John Loughlin Kris Deschouwer : Culture, Institution and Economic development Edward Elgar .USA. 2003 p3

[3]عبد الاله بالقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ المستقبل العربي السنة 20 العدد 229مارس 1998 ص 95-96

بقيمه هشة وسطحية وهذا ما يطرح أو يعكس الفرضيات بأن للاتصال الرمزي الخارجي تأثيرا كبيرا على السيادة الوطنية أي تحقيق شروط القابلية الإعلامية للعدو في هذا الشأن يرى هابرماس أنه في عصر التحولات فقد **إشهارالأفكار** الذي يتخذ شكل المحاججة والمواجهة الفكرية العقلانية جوهره وتم استغلال هذه الابعاد الفكرية من قبل المنظمات السياسية التي تمارس فيه الدعاية لأغراض سياساوية ولم يعد كما كان ذلك النقاش الثقافي الهادف العقلاني يثمن الاتصال الاستراتيجي الذي يحدد نمط الإنتاج وعمليات الاستهلاك[1]. ومن ذلك نعتبر أن الاتصال الثقافي يعبر عن البعد الفاعل في حركية المعنى ونشاطه والداعم العادي الحقيقي وخصوصا في احتكاكها وتأثرها مع بقية نظيراتها الثقافية الأخرى ويزيح بدوره الاغتراب والعزلة والهامشية . .

احتلت المحددات الثقافية مكانة ملحوظة في العلوم الاجتماعية منذ الاربعينيات والخمسينيات إلا أن الاهتمام خف ليعود بقوة منذ التسعينيات منتجا ما يمكن تسميته بالمنظور الموجه للثقافة في التنمية New culture-centeredparadigm وفي ظله أعيد النظر في إمكانية أن تلعب الثقافة دورا إيجابيا. لم يعد هذا الدور مقتصرا على الثقافة الغربية وإنما بدأ الانتباه لأهمية الثقافات غير الغربية أو ما يسمى بالثقافة المحلية Indigenousculture "في العملية التنموية، وقد اشتركت التبعية مع الحداثة في إغفال الثقافة وعدم الاعتراف بدلالة المعاني الرمزية والتوجهات القيمية دخل العمليات الاجتماعية ومن ثم فهم ابعاد الاختلافات بين المجتمعات [2].إن التنمية وفقا للمفهوم السابق وبالعودة الى الماضي القريب تكمن المشكلة الأساسية التي احتوتها نظرية النمو التقليدية هي أنها أخضعت كلَّ رأسمال الى رأسمال المال المادي فكان البعد البشري فيها ضحية عقلا نيتها، البشر فيها مجرد وسيلة إنتاجية متجانسة كسلعة ومتوفرة كعنصر إنتاجي. [3] ولكن تحت ضغط الانتقادات الشديدة التي تعرضت لها هذه

الصادق الحمامي، والمجال الإعلامي العربي: إرهاصات نموذج تواصلي جديد " المستقبل العربي السنة 29. العدد 335 يناير 2007، ص 52-53 [1]

[2] Lina Fruzzetti& Akos Ostor ; Culture and Change along the Blue Nile courts .Markets and strategies for develpement Westview press 1990. P27

[3] باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية المستدامة منابع التكوين وموانع التمكين مركز دراسات الوحدة العربية لبنان ط، 1 2009 ص 46.

النظرية، برزت في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات نظريات للنمو الاقتصادي جديدة تؤكد توجه وأهمية موقع التنمية البشرية في أن القوة الدافعة الحقيقية للتقدم الاقتصادي هي البشر. وهكذا نستنتج تعريفا مقبولا للتنمية فهي إعداد العنصر البشري إعدادا صحيحا بما يتفق واحتياجات المجتمع على أساس أنه بزيادة معرفة وقدرة الانسان يزداد ويتطور استغلاله للموارد الطبيعية فضلا عن زيادة طاقاته وجهوده[1] . وقد أشار مكتب العمل العربي أن مفهوم تنمية الموارد البشرية قد تطور ولم يقتصر فقط على التعليم والتدريب بل أصبح يركز على تطوير أنماط التفكير والسلوك ونوعية التعليم والتدريب ونوعية مشاركة الجهور في اتخاذ القرارات والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد وثقافة الشعوب وطرق وأساليب العمل والإنتاج ، أي تعبئة الناس بهدف زيادة قدراتهم على التحكم في مهاراتهم وقدراتهم...[2]. وبالتالي أصبحت التنمية البشرية تتسم بالشمولية والاتساع ولم تعد تقتصر فقط على الجوانب الصحية والتعليمية فمفهوم الموارد البشرية يضع الانسان على نفس مستوى الموارد المجتمعية الأخرى إلا أنه مورد من أغلى الموارد و هو القادر على تحويل الموارد الى طاقة منتجة ونافعة ذلك أن الانسان هو صانع هذا التحول في الموارد الأخرى وهو الموظف لها وهو بذاته مورد لا تنضب طاقاته وهو في نهاية الامر الغاية والهدف الذي من أجله يتم استثمار وتشغيل طاقات مختلف الموارد الأخرى [3] وقد حرص التوجه الجديد على إعطاء دور أكبر نوعيةللعامل البشري في تحقيق النمو الاقتصادي والنقلة النوعية التي أحدثها هذا التوجه الجديد تبرز عند مقارنتها مع قناعات النظرية الكلاسيكية المحدثة التقليدية والتي أشارت الى أن النمو الاقتصادي يأتي نتيجة لتراكم رأس المال المادي مع القوة العاملة في تلاحمها مع عاملٍ خارجي Exogenous يمثله التقدم التقني الذي يجعل كلا من القوة العاملة ورأس المال أكثر إنتاجية، بالمقارنة غيرت نظريات النمو الجديدة هذا المفهوم في تأكيدها أن

[1] موسى اللوزي ،التنمية الإدارية، المفاهيم والاسس، التطبيقات دار وائل للنشر والتوزيع ط، 1 2000 ص 87.

[2] مكتب العمل العربي. الموارد البشرية العربية ودورها في الحياة الاقتصادية " مجلة العمل العربي، منظمة العمل العربية، القاهرة 2000، عدد 98، ص، ص 117،142.

[3] حامد عمار العوامل الاجتماعية في التنمية، ندوة تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي المنعقدة في الفترة من 18-29 نوفمبر، بالكويت 1987 ص 1.

العامل الذي يزيد الإنتاجية ليس خارجيا بل داخلي Endogenous،لقد أضحى رأس المال البشري فيها من العناصر العضوية المكونة لعملية الإنتاج والإنتاجية و إذا كان مضمون التنمية قد تبلور في معظم أدبياتها على أنه الانتقال المخطط من الحالة الأسوأ الى الحالة الأفضل، فإنها بهذا المعنى ستكون أحد هموم الانسان والمجتمع منذ بداية الفكر الإنساني المنظم وقد تكون المدن الفاضلة التي قدمها العديد من المفكرين في العصور القديمة والحديثة وفي مختلف الحضارات سواء عند أفلاطون Platonفي الحضارة اليونانية، أو عند الفارابي في الحضارة الإسلامية، أو توماس مور Thomas Moreفي الحضارة المعاصرة هي محاولات بشكل أو بآخر لتقديم نماذج لكيفية نقل المجتمع من الحالة الأسوأ الى الحالة الأفضل تظهر نظرية تنمية الموارد البشرية بشكل خاص كيف أن التعليم يزيد من إنتاجية البشر وقدرتهم على الابداع بما فيه على الصعيد الإنتاجي بخاصة عن طريق خلق فرص جديدة أفضل للإنتاج، فإن تحسين الكفاءة التي يجلبها التعليم يساعد بدوره على احتواء وتعويض انخفاض إنتاجية رأس المال المادي نتيجة لاستمرار تراكمه حسب النظرية الحدية [1]ومن المضامين المهمة التي تترتب على هذا التصور ارتباطا بتقديم تفسير للتعاون بين الدول المتقدمة والفقيرة على هذا الصعيد تشير المشكلات التي يطرحها الوقت الراهن بصورة واضحة الى حقيقة أساسية هي أن التقدم العلمي المعاصر يسير وفق تفجير للنظم الاجتماعية التي ظل الانسان يعيش في ظلها حتى اليوم. فمشكلة الغذاء والسكان لا تحل الا على نطاق عالمي لم يتوافر الإطار اللازم له حتى الآن ومشكلة البيئة سوف تكون بمثابة أزمة عالمية متشعبة يستحيل التحكم في نتائجها في ظل التسارع الذي تشهده الوتيرة المتسارعة للاقتصاد والمهلكة للثروات الطبيعية ،ومشكلة الموارد الطبيعية تقتضي منا نوعا من التفكير في الحاضر وفي المستقبل يخرج عن إطار الأنانية والمصلحة وحب الاستهلاك التي تسود المجتمعات البشرية الحالية، ولهذا الأمر يجب إعادة النظر في الأهداف المسطرة واستغلال القدرات العلمية وفق لمتطلبات التنمية المستدامة والاقتصاد الذكي الذي يقلل من حدة التنافس الاقتصادي الذي كانت من نتائجه اهدار للموارد الطبيعية مما ساهم القضاء على التوازن الايكولوجي الذي

[1] باسل البستاني نهج التنمية المصدر السابق سابق ص 47

أصبح يهدد البشرية بالإضافة الى مشاكل اجتماعية ،كزيادة معدلات الفقر والبطالة ، اتساع الهوة بين طبقات المجتمع و العولمة .

لقد أصبح **جوهر** التنمية وهدفها **الاستراتيجي** والنهائي ينطوي على إحداث التمكين للأفراد والمؤسسات من خلال المساواة في فرص الحياة، وتوسيع البدائل والاختيارات أمام الافراد، وتحرير إرادة الانسان ..أن آلياتها وأدواتها في الوصول الى ذلك تدور حول منع الاستغلال بكل صوره، وتفجير الطاقات البشرية الكامنة للإنتاج والخلق والابداع لتحقيق الاشباع، وأن شروط تحقيقها هو التوازن بين كل القطاعات الاقتصادية، والشمول لكل المناطق والمساحات والمساواة بين كل الفئات والافراد [1]

و الإنتاجية تعني توفير الظروف المناسبة لرفع إنتاجية أفراد المجتمع بهدف تحقيق أكبر قدر من الإنتاج خلال ساعات العمل المحددة ، فالعدالة الاجتماعية والانصاف تعني أكثر من مجرد زيادة الدخل إذ تشتمل وجود نظام صحي يقدم خدمة للجميع ونظام تعليمي يمكن الجميع للالتحاق به كما أن التنمية البشرية تشتمل على ضمان عدم استنزاف الأجيال الحاضرة للموارد في تلبية حاجياتها المتعددة والمتجددة على حساب الأجيال القادمة، ضف الى ذلك الحصول على المساواة والجودة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية مع الاخذ في الاعتبار الى كل ما يضاف الى تحقيق الرفاهية والحافظة على استقرار وأمن العنصر البشري وتمكينه من حقوقه الكاملة [2]

المبحث الثالث: الإقتصاد الأخضر وموقع البيئة في الفكر الإقتصادي

[1] محمد كمال مصطفى، الطريق الى التنمية الفاعلة دار النشر فردريتش إيبرت مكتب مصر الزمالك القاهرة 2006ص 14.

[2] حميدة بورونيه وأنس بعيرة، الحكم الراشد أساس التنمية المستدامة، مؤتمر دول القانون، كلية القانون، مؤتمر دولة القانون، سيرت ليبيا 2013.

الثقافة الجماهيرية:

يعتبر مفهوم ثقافة الجماهير، .Culture-mass من المفاهيم التي برزت في مرحلة ما بعد الحداثة من خلال كلمة جماهيرmass يظهر أنها مرتبطة بالشعب بمختلف طبقاته الاجتماعيةكما أن كلمة ثقافة يشار إليها في هذا المجال بمعنى التعليم المعرفي والفني اللذان كانا الى وقت قريب حكرا على النخبة المسيطرة على الإنتاج، ومن جهة أخرى لابد من التوضيح أن ثقافة الجماهير ليست هي ذاتها الثقافة الشعبية popular,culture، حيث أن ثقافة الجماهير مرتبطة بالتطور التكنولوجي لوسائل الإنتاج والاتصال وبالتالي فهي تساير تطورات العصر الذي خلقت فيه، لهذا وجب تحديد الفرق بين هذين المصطلحين ومن بين أهم الفروق الفاصلة بين ثقافة الجماهير والثقافة الشعبية هناك من يتحدث عن ثقافة الجماهير على انها انزلاق للثقافة الشعبية ومن أهم هؤلاء فرانسوا غايلارد. FrançoisGaillard في كتابه :La culture populaire a l'Age de loisir de mass بينما يرى ما بعد الحداثيون أن هذا الفهم راجع الى خلط في المصطلحات سببه عدم الإحاطة التامة بمفهوم الجماهير الذي من أهم صفاته أنه غير محصور في رقعة جغرافية معينة على العكس من الثقافة الشعبية التي تنحصر في الأجواء اليومي للعائلة و النقابة و الحركات والجمعيات الجوارية [1] مما يخلق خصوصية محلية تتميز في أغلبها في كونها فولكلورا محليا لا يتجاوز رقعته الجغرافية ويتميز كذلك بقيمه الخاصة التي تكون اللغة واللهجة عاملا أساسيا لبقائها ومنه نستنتج أن الثقافة الجماهيرية هي حركة اجتماعية تهدف الى تحقيق أكبر قدر ممكن من المعارف الفنية والعلمية ، وتتجه نحو جعل نفسها جزءا مهما من النظام التربوي بحيث تصبح طريقة أساسية للحياة والتفكير وإطارا موحدا للتصرفات يتميز بتشفير الدلالات الاجتماعية الخاصة بمصدر هذه الثقافة وليس باتجاهها، كما أن ثقافة الجماهير ديمقراطية الى أبعد الحدود حيث أنها تقبل الأنواع الثقافية الموجودة من قبل والتي تظهر مشاركتها من خلال وسائل منها الفن و التكنولوجيا و الموضة والفكر حيث أن كل هذه العناصر ستعطي المجال لتشكيل رموز مشتركة تربط

[1]Véronique Gammpa, Discussion autour de la notion de culture de masse, paris institut national des langues et civilisation orientales inaloc france 2003,p13

مختلف الجماهير أولا المحتوى وطرق التعبير عنه قابلة لإعادة الإنتاج حسب الوضع الحالي للظاهرة ثانيا الاعتماد على البث الإعلامي لنشر وتفسير رموز هذه الثقافة ثالثا سعة الانتشار وتجاوز الحدود الوطنية والفواصل بين الطبقات الاجتماعية رابعا تنوع وسائل التعبير خامسا كل رموز هذه الثقافة مرتبطة بالحاجات والمتطلبات الشخصية للفرد بما يحقق له المنفعة الآنية والرضى الظرفي. [1] وفي هذا المجال كتب جاك، أتالي، Jack Atali ،أن شبكة محطات البث تمثل قارة سابعة لا يجب التخلي عنها للأمريكان فداخل هذه القارة الخالية من سكان حقيقين ستطور تجارة بين الوكلاء الافتراضيين لاقتصاد سوقٍ صافٍ بدون دول ولا أعباء اجتماعية وبالتالي التخلص من نفقات الأحزاب السياسية التي لم تعد تمثل الجماهير وبدون حدٍ أدنى من الثقافة يجب ضمانه[2]،كل شيء في المجتمع الصناعي المتقدم يرتد الى شكله السوقي لأن وسائل الاتصال الجماهيرية تخلط وبشكل يؤدي الى الانسجام كما يقول *ما ركوز بين الفن والسياسة والدين والفلسفة والتجارة ولا شيء يحسب له إلا قيم التبادل فحتى الحقيقة لا قيمة لها ذلك لان عقلانية الامر الواقع تتمركز في قيمة التبادل وكل عقلانية أخرى يجب ان أن تتنازل لها عن ذلك حسب ماركيوز[3] بل إن ما يسمى بالثقافة العليا أي ثقافة النخبة لم تتحول فقط الى ثقافة جماهيرية لان الواقع الجديد الذي أنتجته الحداثة التقنية أصبح يطعن حتى في مصداقية هذه الثقافة، فالواقع يتجاوز الثقافة وهذا الواقع يفرز عناصر وعي شقي جديد أساسه نوع من التصعيد القمعي.[4]

---

[1] Véronique Commpa' op. Ct, p 14

[2] جان بيير غاربي،، عولمة الثقافة تر، عبد الجليل الازدي. الدار المصرية اللبنانية، ط، 1، 2003، ص 140

* ولد هيربرت مارك يوز في برلين سنة 1868 وبعد أن أنهى دراسته في جامعة فريب ورج (في برس جاو) ترك ألمانيا سنة 1933، وعاش في الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة 1934، وكان محاضرا في علم الاجتماع وزميلا قديما في معهد الدراسات الروسية في جامعة كولومبيا من سنة 1951، ومن ثم في مركز الأبحاث الروسية بجامعة هارفارد من سنة 1952. ثم أستاذا للفلسفة السياسية بجامعة برديس في بوسطن من سنة 1958 حتى سنة 1965 وهو الآن أستاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا في سانت دييجو ..وقد نشر مركوز المؤلفات الآتية : انطولوجيا هيجل ، الحضارة والمجتمع ،العقل والثورة ، الحب والمدينة ، الانسان ذو البعد الواحد ، محاولة في التحرر

[4] محمد نور الدين، أفاية الحداثة والتواصل افريقيا الشرقبيروت لبنان الطبعة الثانية 1998 ص 40

ان المجتمع الصناعي المتقدم خلق أشكالا جديدة من المراقبة والضبط وأصبح بالتالي مجتمعا ذا بعد واحد في تصور مارك يوز، فالرفاهية والفعالية والعقل ونقص الحرية داخل إطار ديمقراطي هذا ما يميز الحضارة الصناعية المتقدمة ويشهد على التقدم التقني . ليس هناك أكثر عقلانية من الغاء الفردانية وذلك بمكننة الأعمال الضرورية اجتماعيا ولكنها أكثر قساوة[1]. فكيف يذوب اختلاف الفرد داخل آليات العقلانية التقنية وضمن علاقات العامة التي نسجتها مقاييس الحداثة؟ كيف تتم ترجمة مبدئي الرغبة والواقع في المجتمع الصناعي المتقدم؟

ان هوركهايمر،Horkheimer، ولا سيما ماركيوز Marcus، وكذلك فروم بلوخ في مستويات أخرى قدموا تحليلا متعدد المنطلقات للمجتمع الصناعي المتقدم ولأساسه الأيديولوجي وبهدف الكشف عن الآليات الواعية واللا واعية التي تتحكم في الفرد وفي الجماعة أو ما يسميه ما ركوز بالإنسان ذي البعد الواحد المتحرك داخل المجتمع المغلق.

ويلاحظ ما ركوز أنه حصل دمج لكل القوى الاعتراضية داخل النظام والتي كانت لا تكف عن احتجاجاتها في الفترات السابقة للرأسمالية فكما أن النظام عمل على تنظيم وتعبئة الغرائز والرغبات الإنسانية بشكل منهجي الأمر الذي جعل من العناصر التفجيرية واللا اجتماعية للوعي قابلة للتوجيه وللاستعمال،كل هذا أدى الى التحكم في قوة السلب[2] لدى الفرد الذي صار عامل انسجام وتوافق وتأكيد. بل إن إعادة إنتاج القمع من طرف الأفراد والطبقات في نظر ما ركوز، أصبحت تتم بدون أدنى مقاومة وعملية الدمج تحصل بدون ضغط واضح فالديمقراطية تكرس السيطرة بقوة أكثر من

---

[1] محمد نور أفاية، المرجع السابق ص 37

قوة السلب: وإذا كان الفكر السالب أو النافي (قوة العقل النقدية) هو أهم ما يميز الانسان الحر الذي يمتلك الجرأة على أن يرفض النظام القائم، فإن مجتمع البعد الواحد يستهدف أساسا استئصال هذا البعد " الداخلي " للفكر الذي يمتلك القدرة على ،" معارضة الوضع القائم " وبهذه الطريقة ينكمش البعد الخلاق الداخلي للإنسان، البعد القادر على النقد والاحتجاج والتمرد ،ويفقد الانسان في هذا المجتمع الوعي بالتناقض بين عقلانية النظام التكنولوجي ولا عقلانية الوضع الاجتماعي ، ويصبح كائنا مستسلما، عاجزا .وما يحدث في المجتمع الصناعي المتقدم والذي تسيطر عليه التكنولوجيا هو أنه تبذل محاولة لإقناع الانسان بأن ما تفعله التكنولوجيا هو تحقيق لما يصبو إليه هو نفسه .فيرتبط الانسان بفكره وواقعه بما زيفته له هذه الأجهزة من زيف وعليه أصبح من العسير تحقيق الثورة العالمية الشاملة، إذ هل من المعقول في شيء المطالبة بتغير مجتمع يثبت يوميا قدرته على تنمية الإنتاجية وتوفير الحياة الرغدة بل هي الحياة الخيرة .وإنما على هذا الأساس العقلاني والمادي تتوحد المتعارضات ويصبح السلوك السياسي الأحادي البعد ممكنا ،وطبقا لمفهوم ماركيز فإن الرأي السائد في المجتمع الأحادي البعد بأن المصلحة المشتركة لكل أعضاء المجتمع الراهن تنحصر في الدفاع عن الوضع الراهن وتدعيم النظام الاجتماعي الراهن والنضال ضد الحلول البديلة التي تهدد النظام ،كما تنحصر في المحافظة والوضعية .وعلى هذا الأساس أيضا، تجمد القوى السياسية المتعالية الموجودة داخل المجتمع وتلغي فعاليتها، ويبدو التغير النوعي غير ممكن ،إلا إذا جاء من الخارج " مارك يوز" الانسان ذو البعد الواحد ص 85،46 -

[2]

الحكم المطلق[1]، فالنمط الحضاري للمجتمع الصناعي أنتج ثقافة خاصة تتخذ أشكالا ديموقراطية، وتعبر عن رموزها في قوالب وصيغ جماهيرية ولنها في نظر مركوز لا تستجيب في عمقها، للنزوع الديمقراطي للفرد ولا للمضمون الجماعي للثقافة أن تكون لنا حرية فردية يجب أن يعني ذلك تجديد ما للفكر الفرداني الغارق، حاليا، في التواصل الجماهيري [2]، يعتبر ما ركوز في مقدمة كتابه ايروس والحضارة أنه بسبب الأوضاع الجديدة التي يعيش فيها الانسان الحديث فإن استعمال المقولات النفسية أصبح ضروريا لأنها صارت مقولات سياسية وبالتالي فإن الحدود التقليدية بين علم النفس والفلسفة الاجتماعية والسياسية أصبحت لاغية، فالعمليات النفسية التي كانت في الماضي خاصة ومستقلة تم اقتحامها من طرف المنتجين بحثا عن سوق تتحكم في توجهات وفيما ينطبع في الذات من رغبة ملحة لتدارك كل استهلاك لم يكن بمقدور الفرد من توفيره لأن الفرصة لم تكن متاحة، إذ تم امتصاص من خلال دور الفرد في الدولة وبسبب وجوده العمومي، أصبح ضروريا من طرف المنتجين دراسة وتطوير المضامين السيسيولوجيا والسياسة للمقولات النفسية، وهكذا أصبحت المشكلات النفسية مشكلات سياسية[3] وبالرجوع الى كتاب ايروس والحضارة يذكر ما ركوز بالنظرية الفرو يديه القائلة إن أساس الحضارة إخضاع دائم للنزوات الإنسانية وإن اشباع الحاجات الغريزية عند الانسان لا يتوافق مع المجتمع المتحضر ولهذا فإن نمو التقدم يرتبط بزيادة حدة الاستعباد. [4]

استخلص ماركيوز Marcus أن فرويد لم يكن فقط ناقد نفسي بل تعدت نظريته الى مجال الاهتمام بالمجال الاجتماعي لأنه وبكل جرأة طرح قضية الحضارة ومطلب الإنسانية والذي يبتغيه كل شخص ألا وهو السعادة ويعمد ماركيوز الى استعادة تلك المطالب الاجتماعية داخل التحليل النفسي ولهذا سوف ينصب اهتمام ماركيوز على ابراز المضمون الثوري لعلم النفس التحليلي ولأن فرويد طور ظرية

[1] محمد أفاية، المصدر السابق ص 37.

[2] محمد أفاية ، المصدر نفسه ص 38.

[3] فيصل عباس، الفرو يديه، ونقد الحضارة المعاصرة، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، ط،1، 2005، بيروت ص 554

[4] فيصل عباس المصدر نفسه ص 555

للإنسان مكنته من احتلال موقع محترم في التراث الفلسفي تثوير مفاهيم التحليل النفسي عملية ضرورية لإسناد النظرية النقدية نظريا من اجل الكشف عن الآليات المختلفة التي تتحكم في جسد وحرية الفرد في الزمن الحديث[1]، لم تكتف الحداثة التقنية بانتزاع المقومات الوجودية للفرد حرية عقل ورغبات وميولات، بل أنها وظفت تعبيرات هذه العناصر لكي ينسلخ أكثر عن ذاته ويرتمي كلية في الاقتصاد الثقافي ذي الامتداد الجماهيري ، ذلك أنه داخل الصناعة الثقافية لا يكون الفرد مجرد وهم بسبب تقنية وسائل الإنتاج، وإنما لا يسمح له بالوجود إلا إذا تماهى كلية مع العامة ومن هنا ضرورة نزع الطابع الأسطوري عن التقدم العلمي[2] ، فالتقنية أصبحت تقوم بدور إيديولوجي بالغ التأثير والقوة وبالقدر الذي تتحكم فيه التقنية من خلال تسخير الطبيعة لصالحها أو للصالح العام فهي تقوم بنفس الدور في المجال الإنساني حيث تفصل انفصالا تاما بين الفرد وبين طموحاته وأفكاره ورغباته التي تحققت أو لم تتحقق بعد، فهي تقتحم الفضاء الذي كان ينبغي أن يكون بين الافراد وفق آليات تواصلية طبيعية يتم من خلالها تدارس ومناقشة القضايا المصيرية التي تهتم لأمر الافراد وخاصة منهم العمال الذين يشكلون قوة العمل وقوة المجتمع. وهذا ما أشارت اليه المدرسة الألمانية، إن الاتحاد الذي تم من خلال اخضاع المقومات والآمال والافاق التي كانت منتظرة من مشروع الأنوار حيث تم اخضاع العقل مع العلم نتج من جراء هذا التلازم العضوي أدوات تعمل على تسييج حرية الفرد وممارسة السيطرة عليه عكس ما كان متوقعا أن يعمل على المبادئ التي ناضل من أجلها مشروع الحداثة حرية أخوة عدالة [3]في الفصل الثاني المعنون الرغبة والإنتاج يقول عبد الله العروي: في الدول المتقدمة يفكر الكل في مصير الإنتاج وهو في تحليله لموضوع الآلات الراغبة أو كما يحلوا له تسميتها بالآلات المنتجة فهو يرى آلات تعمل ليل نهار و أحيانا دون توقف و أحيانا بتقطع إننا نتنفس و نأكل و نتبرز ونضاجع لكل منّا آلاته كلنا إذن عمال مُرقّعون آلات داخل آلات آلات

[1] محمد أفاية المصدر السابق ص 39

[2] محمد افاية، المصدر نفسه ص 39.40.

[3] المحمد افاية، المصدر نفسه ص 38،.40.

عضو مرتبطة بآلات منبع ، آلة تصنع تدفقاً وأخرى تقطعه، الثدي آلة تصنع الحليب، الفم آلة مرتبطة بها آلات متعددة الوظائف يتردد الفم بين كونه آلة للكلام، وآلة للأكل، آلة شبقية[1]. هناك آلات فحص آلات بالمعنى الحقيقي للكلمة الرحم آل مزدوجة تنتج اللذة والحياة لم يعد راقص الفلامينغو آلة الرقص ولا ساحة شكل ذلك لكنهما يشكلانها، لم يعد هناك إذن انسان. يعطي د ولوز وغوتاري الآلة مكانة بارزة في منظوماتهما لهذا نجدهما يتحدثان أحيانا عن الآلات التقنية بالمعنى المتداول لكن تعريف الآلة يتم دائما ضمن نسق من التدفقات والقطائع، Deleuze. L'ile, déserte[2].

إن المسألة الأساس هي العلاقة بين الآلات الراغبة والآلات الاجتماعية فالآلات الراغبة هي استثمار للاشعور على مستوى الحقل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي فبين الآلات الراغبة والآلات الاجتماعية ليس هناك اختلاف في الطبيعة بل فقط اختلاف على مستوى النظام ذلك لان الآلة المجتمعية تطبعها الاستمرارية بينما الآلة الراغبة لا يمكنها السير إلا بشكل متقطع عنها لا تكف عن الارتباط والانفصال مع الآلة المجتمعية ومع التقنية. ذاك هو قانون انتاج الإنتاج كل الآلات الحاملة لرغبة تسجل أثرها على سطح الجسد بلا أعضاء وليس هذا الجسد كما يبدو من اسمه محض عدم بل هو فقط جسد بلا صورة إنه الوجه الآخر للإنتاج الساحة التي يسجل عليها كل الإنتاج الرغبوي الوسط ما بين اللاشعور المنتج والآلات المنتجة. من المفروض أن كل شخص يمتلك شعرا ومن المؤكد أن للشعر علاقة بالحلاقة لكن أشكال الحلاقة تختلق تبعا لاختلاف الافراد فحلاقة الرجل غير حلاقة المرأة وحلاقة المرأة غير حلاقة الفتاة وحلاقة الفتاة المحافظة ليست حلاقة الفتاة الأكثر تحررا لكن مع ذلك فإن هؤلاء الأشخاص يجمعهم شيء واحد هو كونهم نقطة التقاء بالنسبة لتدفق الشعر.[3]

[1] محمد أيت حنا ،الرغبة والفلسفة، مدخل الى قارئة د ولوز وغوتاري، دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب 2010 ص 56،57

[2] محمد أيت حنا، المرجع نفسه ص 59.

[3] محمد أيت حنا، الرغبة والفلسفة مدخل الى قارئة د ولوز وغوتاري، المرجع نفسه ص 59-61.

على المجتمع إذن حتى يقنن تدفق الشعر أي إخضاعه لتدفقات أخرى موضة، صناعة، تسويق أن يقنّن الافراد أنفسهم كل فرد هو عبارة عن شفرة معينة شفرة المرأة شفرة الفتاة على المجتمع متى أراد أن يستمر تدفق الإنتاج الرغبوي أن يفك شفرة كل فرد حتى يستمر التدفق ولا يكون هذا الفرد نقطة نهاية بالنسبة لتدفق معيّن.

يتم ذلك عبر المزاوجة بين الموضة والصناعة بهدف خدمة التسويق على الموضة أن تبتكر أشكالا من الحلاقة تناسب حالة كل فرد وعلى الصناعة أن تنتج المواد التي تجعل هذه الاشكال قابلة للتحقق ثم أخيرا على التسويق أن يحوّل هذه الأشكال الى صورٍ وازنة في سوق التداول، كل حالة مهما كانت شاذة يجب أن تفك شفرتها وأن يعاد توطينها داخل النسيج العام للمجتمع[1]، بينما الرأسمالية التي يطغي عليها التسويق والاعلام أكثر من التصنيع نفسه سينتهج نهجا مخالفا مع الانحرافات الجنسية فكل الانحرافات الجنسية بل وكل الجنس السوي منه والمنحرف بوسعه أن يصير وسيلة مثلى للربح.

إن الانتشار الكبير للقنوات الإباحية الذي يشهده عصرنا والتشجيع الكبير على السياحة الجنسية ما هو في الواقع إلا شكل جديد من أشكال التقنين من أشكال وضع الجنس داخل نظام خطابِ فتحرير الانسان يعني من بين ما يعنيه تقييده بالحرية تقنين الجنس[2]، إن تعريف المجتمع ما بعد صناعي يعني تفسيرا لأسباب هذه الثنائية الجديدة وعلى العكس لا يمكن فهم هذه الثنائية خارج الموقف التاريخي الذي تتطور داخله والذي يتحكم فيه النمو السريع للصناعات الثقافية و تسمية المجتمع المبرمج على لسان تورين هو تعبير أكثر دقة من تعبير المجتمع ما بعد الصناعي الذي يحدد طابع مجتمع ما بما سبقه على المجتمع الذي يحتل فيه الإنتاج والتوزيع الضخم للثروات الثقافية مكانا هاما كانت تشغله فيما سبق الثروات المادية في المجتمع الصناعي[3] فما كان تعدين ونسيج وكمياء وكذلك

[1] محمد أيت حنا، المرجع نفسه ص 62-63.

[2] محمد أيت حنا ، المرجع نفسه ص 65.

[3] آلان تورين نقد الحداثة المرجع السابق ص 318

صناعات اليكترونية في المجتمع الصناعي أصبح انتاجا وتوزيعا للمعرفة وللعناية الطبية وللمعلومات وبالتالي تعليم وصحة ووسائل اعلام في المجتمع المبرمج.

لماذا هذا الاسم مبرمج؟

لأن سلطة الإدارة في هذا المجتمع تتمثل في التنبؤ وفي تعديل الآراء والاتجاهات والسلوك وتشكيل الثقافة وبالتالي تتمثل في الدخول مباشرة الى عالم القيم بدلا من اقتصارها على مجال المنفعة ،تحل الأهمية الجديدة للصناعات الثقافية محل الأشكال التقليدية للتحكم الاجتماعي عبر آليات جديدة في حكم البشر، وبقلب الصيغة القديمة يمكن أن نقول إن الإنتقال من المجتمع الصناعي الى المجتمع المبرمج هو مجتمع الانتقال من إدارة الأشياء الى حكم البشر وهو ما يعبر عنه جيدا التعبير الذي أطلقه فلاسفة فرانكفورت الصناعات الثقافية[1]. في المجتمع المبرمج أو الصناعي على حد قول تورين لن تستطيع مقاومة سلطة الإدارة المستندة على فلسفة طبيعية للتاريخ فهي تكاد لا تستند إلا على الدفاع عن الذات أي موضوعات تثير العواطف في المجتمعات الأكثر تصنيعا أكثر من التعليم والتأهيل والصحة على وجه الخصوص ففي هذه المجالات يكون الدفاع عن مفهوم معين للحرية والقدرة على إعطاء المرء معنى لحياته ضد أجهزة تقودها إرادة ليبيرالية جديدة للتكيف مع التغيير.

فكيف يتم ذلك عبر رغبة في التحكم الاجتماعي أو عبر حجج تكنوقراطية؟ منذ الحرب العالمية الأولى هيأت الإنتاجية المتزايدة للصناعة والتوسع الهائل للطاقة الإنتاجية، والتي نمت بصورة متفاوتة وغير منتظمة نتيجة لارتباطها بنظام يقوم على المشروع غير المخطط، هيأت مناخا محموما من النزوع الاستهلاكي في المجتمع الأمريكي وكان من حسن حظ المشروع الخاص أن ظهر المذياع في العشرينيات ليقدم وسيلة جديدة وواعدة و ربما كان التعبير الأنسب هو مفسدة للاتصال فيما يتعلق باحتياجات السوق [2] ، وقد اضطر النظام الصناعي الغربي في الوقت ذاته نتيجة لإدراكه المتنامي

[1] لان تورين نقد الحداثة المرجع السابق ص 319.

[2] هربرت أ .شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت 1999 ص 176.

لضعفه الخاص واحتياجاته الناشئة عن الكوارث الاجتماعية التي شهدها الثلث الأول من القرن العشرين الى البحث في مبدأ تدخل الدولة والى الأخذ به لكي يحافظ على مسيرة نشاطه دون عوائق[1] و بعد الحرب العالمية الثانية أصبح الاقتصاد الأمريكي أول اقتصاد تستخدم فيه النسبة الأكبر من القوة العاملة في الخدمات وليس في الإنتاج ، فالعمال الكتابيون والإداريون وعمال الصناعة والزراعة وغيرهم من عمال المجال الإنتاجي والاتجاه في حالة استمرار إن لم يكن في حالة تسارع وتبدو النتائج المترتبة على ذلك في التقويم الأول سيكولوجية ثقافية أكثر منها اقتصادية[2] وهكذا نشأ المجتمع ما بعد صناعي الذي يعرف أكثر باسم مجتمع المعلومة أو مجتمع المعرفة أو مجتمع الاستهلاك، نجم عن التغيرات الجوهرية في بنية العلم والتكنولوجيا والاتصال والتراكم الرأسمالي في المجتمع الصناعي في المجتمعات الغربية في السبعينيات ارهاصات بزوغ نوع جديد من المجتمعات لم يستطع المفكرون الذين تنبأوا بقدومه تحديد اسمه بشكل دقيق بسبب غموض ملامحه في بدايته. وكان عالم الاجتماع دانيال بيل، Bell,Daniel، من أوائل الذين تنبأوا بقدوم هذا المجتمع في السبعينيات، فقد وصف في عمله المعروف المجتمع ما بعد صناعي، Bell.D1973 ،التحول والتغير الذي طرأ على النظام الاقتصادي في المجتمع الصناعي الذي تغير برأيه من اقتصاد قائم على الصناعة الى اقتصاد قائم على انتاج المعرفة وتطبيقها.[3] ويحدد بيل معالم هذا النوع من المجتمعات بخمسة مظاهر أساسية هي:

-الانتقال من انتاج المواد الى اقتصاد الخدمات وبخاصة في مجالات التعليم والصحة والبحث العلمي والتدبير الإداري.

-تحول بنيات العمل من عمل يدوي وميكانيكي الى تخصص تقني عالي المهارة وقائم على الخبرة واقتصاد المعرفة.

[1] هربرت أ .شيللر، المتلاعبون بالعقول، نفس المرجع ص 176.

[2] هربرت أ .شيللر، المتلاعبون بالعقول، ص 176-177.

[3] حلمي ساري، التواصل الاجتماعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى 2016 ص 156-157.

– تصاعد الدور المركزي للمعرفة النظرية في الابداع الثقافي والنمو الاقتصادي.

–بروز تقنيات جديدة قائمة على العلوم الذهنية. ويصف دانييلبيل المعرفة بأنها مورد استراتيجي ثم يطرح التساؤل التالي " ومثلما هي الحال مع كل الموارد، تصبح القضية هي من الذي يسيطر على هذا المورد، ومن الذي سيتخذ القرارات اللازمة فيما يتعلق بتقسيم الحصص.

–القدرة الواسعة في التحكم بالتطورات التقنية والاجتماعية.

لقد استخدم مفهوم مجتمع المعلومات في السبعينيات من طرف بيتر دروكر هذا المجتمع الذي يطلق عليه عمالة المعرفة ويصف بيتر دورك: المستخدم أو العامل في هذا الظرف الجديد بانه العامل المؤهل علميا ... الخليفة الأجير الأمس أي العامل اليدوي سوآءا كان ماهرا أو عاديا. ويلاحظ دوركر أن ذلك يمثل ارتقاءا جوهريا وبالغ الأهمية ولكنه يرى أن للعامل المؤهل وبين وضعه بوصفه مجرد أجيرا أما جانلوجكن في كتابه الثورة المعلوماتية هي في حقيقتها ثورة تكنولوجية حلت محل الثورة الصناعية وتمثل حضارة جديدة ستتجاوز التقسيمات الطبقية القديمة التي سادت في المجتمعات الطبقية بروليتاريا طبقة العمال وأرباب العمل، وميزت بين من ينتجون انتاجا مباشرا ومن يديرون عملية الإنتاج.[1] ومن الأعمال العلمية الأخرى المهمة التي اعتنت بتحليل مجتمع المعلومات فهي تلك التي قام بها الباحث الفرنسي **فيليب انجلهارت** إذ نحده في عمله المعروف **الانسان العالمي** يدعو الى ضرورة إعادة بناء المجتمع الغربي من خلال رد الاعتبار للأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية لأن العولمة بشعاراتها المدوِية حول حرية السوق وحرية التجارة وحرية انتقال رؤوس الأموال وضرورة الخصخصة وتشجيع الحافز الفردي أدت برأيه الى تقليص سيادة الدولة من ناحية ودفعها للانسحاب من مجال الرعاية الاجتماعية للمواطنين من ناحية ثانية [2]. إن التغيرات التي اوجدتها العولمة خلقت مجتمعات خالية من المضمون الثقافي والاجتماعي بالإضافة الى عدم الاهتمام بالإفقار المتزايد لملايين المواطنين في العالم

[1] حلمي ساري، التواصل الاجتماعي،المصدر السابق ص 157

[2] حلمي ساري التواصل الاجتماعي المصدر نفسه ص 158

ممن ينتمون الى الطبقات المتوسطة والفقيرة وهي نتيجة بائسة تدل على عقم اختيارات العولمة المتوحشة ديناميةالنظام الرأسمالي،من خلال نشر الدراسات لكل من البحاثة الإنجليزي دوب و موريس Mairice.Dobb1900-1976 حول تطور الرأسمالية و ما تحقق بفضل كافة مكتسبات البحث التاريخي المعاصر حول الإقطاعية جذور البرجوازية وبروز الرأسمال الصناعي و تراكم الرأسمال و النزعة التجارية و النمو الصناعي و الثورة الصناعية وتأثيراتها على الحقبة اللاحقة[1]، ونتيجة لتمركز الملكية بين أيدي الأسياد وأثرياء المزارعين على حساب المزارعين الصغار وانتزاع الملكية فهؤلاء المزارعين الصغار المجردون من الملكية صار يجب عليهم شراء ما كانوا ينتجونه هم بأنفسهم، كما كان يجب على المزارعين الرأسماليين شراء السلع الاستهلاكية ووسائل الإنتاجو يشكل المزارعون الصغار المجردون من الملكية يدا عاملة زراعية وصناعية في الآن ذاته، ساعدت نشأت المجتمع الرأسمالي إذن هذه العناصر إلى خلق تباين بين طبقة الملاك وطبقة العمال إلى عدائهما ومن ثم الصراع الطبقي بينهماوهكذا يكون نمط النظام الرأسمالي قد تشكل ما يخفي تلك النزعة الاختزالية الاقتصادية **حقيقة الاقتصاد** الذي يخضع دوما للعوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية[2] إن نظرية الانتقال يجب أن تعاين من جديد لكي تثبت أسبقية العد الاقتصادي في سيرورة الانتقال وأن التجارة والمال هما في أصل التراكم البدائي للرأسمال وعليه يجب أن نؤكد بأن حيوية التنمية ناتجة عن التقدم الزراعي والنمو الديمغرافي ما قبل التاريخية والتخلف يرجع الى عوامل موضوعية. فالنسق ليس ميكانيكيا ولا موضوعيا انه بحسب العلاقات الاجتماعيةإذا تماهت الصناعة مع الرأسمالية. وبالتالي فهذا لا يعني أن بلوغ الأوج يرجع أو يلتصق بالسلوكات الاقتصادية الرأسمالية في حين يمكن تحقيق التطور أو النمو بالنسبة لأي نوع من السلوك في أي نظام اقتصادي.[3]

[1] بوخريسة بوبكر، علوم الانسان بين الهوية والسؤال، ديوان المطبوعات الجامعية، 2013 ص 222-223.

[2] بوخريسة بوبكر ، علوم الانسان بين الهوية والسؤال، المصدر نفسه ص 224.

[3] بوخريسة بوبكر علوم الانسان بين الهوية والسؤال المصدر نفسه ص 224-224.

لقد كان يتوجب تخطي عتبة حاسمة هي عتبة تحوّل العمل الإنساني الى شكل سلعة مجردة وتحول هذه السلعة الى موضوع مبادلات لكي يأخذ التبادل شكل الذي نعرفه عليه اليوم في المجتمعات الرأسمالية.

إن الاقتصاد السياسي الانجليزي الذي ساد انكلترا بالذات بعد الانقلاب الصناعي والذي وضع أسسه سميت وريكاردو، أصبح أهداف الاقتصاد عندهم هو تشغيل العمال في إنتاج البضائع مقابل اجر بسيط لا يوازي جهد العامل ، بينما يحصل صاحب رأسمال على كل ثمارالعمل وحده [1]وقد رفض ماركس هذا التفسير المغرض وقرر أن قيمة الإنتاج في العمل مرتبطة بالوقت الملازم له وبحاجات العامل الأساسية في الحياة ، ثم قرر في نظريته عن فائض القيمة أن العامل في المجتمع الرأسمالي إذا كان يعمل للإنتاج اثنتا عشرة ساعة يوميا مثلا فإنه يحصل على اجر يوازي عمل ستة ساعات فقط بينما جهده في الست ساعات الباقية يمثل إنتاجا فائضا يعود بالفائدة على صاحب رأسمال وحده وبتراكم رأس المال لدى بعض الأفراد تزداد الفروق الطبقية بينهم وبين العمال لذلك يجب أن تكون المصانع والأراضي وكل وسائل الإنتاج ملكا لمن يعملون فيها حتى يعود الفائض كله بالفائدة ومن ثم تتلاشى الفروق الطبقية [2] .

انحطاط الروح البرجوازية: مع بدايات الثمانينات أخذ مفهوم الحداثة والذي أفرز وضعية اجتماعية سيطر عليها منطق الرأسمالية التجارية التي كان من بين نتائجها تغول ظواهر عدم المساواة الاجتماعية والتضخم الاقتصادي وازدياد البطالة وفساد الديمقراطيات ومحاولات الهيمنة الاقتصادية والثقافية. أخذ مفهوم ما بعد الحداثة يستخدم معان للإشارة الى المرحلة الثقافية التي نعيشها والتي توصف بتعبيرات قياميه Apocalyptique، وبوصفها ممارسة جمالية تمزق فرضيات تسليع الثقافة Co- modification of culture من خلال ما يسمى سياسة الرغبة وأخيرا

[1] سماح، رافع ،محمد المذاهب الفلسفية المعاصرة الناشر مكتبة مدبولي الطبعة الاولىسنه1973 ص30.

[2] سماح، رافع، محمد المصدر نفسه ص.36،37

بوصفها نقدا لفرضيات التنوير أو خطاب الحداثة وأسسه المتمثلة في الايمان بالعقلانية الكونية الطابع.

تعددت الاجتهادات لوضع تعريف محدد للعولمة كمفهوم شاع استخدامه لوصف عمليات التمييز المستمرة والمتسارعة في المجالات المختلفة ،تعني العولمة في معناها العام التحول من النطاق القومي والمحلي إلى النطاق العالمي أو الكوني[1] وبقدر ما يتسم به هذا المفهوم من تبسيط فإنه ينطوي على عمليات ثلاث أساسية تكشف عن جوهر العولمة العملية الأولى تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح متاحة ومشاعة لدى جميع الأفراد والعملية الثانية تتعلق بانهيار الحدود بين الدول والعملية الثالثة ترتبط بزيادة معدلات التشابه بين المجتمعات والجماعات.

ويعد البعد الثقافي ملهما للعولمة من خلال منظومة من القيم والمبادئ المستمدة من آليات السوق وقيم الديمقراطية الغربية والتي يجملها **منير بدوي** فيما يلي التحرر من كل أشكال القيود قومية كانت أو إيديولوجية واستبدالها بعقلانية العلم والتكنولوجيا وبما يفرضه ذلك التحول أو التحرر من أفق الدولة إلى أفق الإنسانية الرحب ثانيا التحرر من نظام التخطيط إلى نظام السوق الحرة واعتماد قيمها التي لا ضابط لها إلا القدرة على التنافس وآليات العرض الطلب ثالثا دعم التحول إلى الأخذ بقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان بل إن بعض الدراسات تشير الى الديمقراطية بوصفها إيديولوجية عصر العولمة والولاء للثقافة العالمية الواحدة التي تتساوى فيه الناس و الأمم جميعا بدلا من الثقافة الوطنية الضيقة.

ويوضح إكرام بدر أن ثقافة العولمة لا تعبر عن مزيج وتداخل بين الثقافات المختلفة كما أنها لا تعبر عن محاولة إيجاد ثقافة متوازنة ناتجة عن ثقافات متعددة ومختلفة ولكنها ثقافة تعبر عن تمدد وتوسع عالمي للثقافة الغربية وتصبح العولمة وفقا لهذا الإطار معبّرة عن تجانس ثقافي عالمي.

[1] مقال د عبد السلام علي نوير الاتجاهات المعاصرة في دراسة الثقافة السياسية مجلة الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد 40 2011

وكنقد موجه لهذا النوع من الثقافة ثقافة العولمة مرادفة للتغريب والانصهار في القالب الغربي الذي يحاول احتواء كل ما هو منافي للقيم الغربية. وهكذا تعتمد العولمة في نمط عملها وفي نمط تكونها مجموعة من الأفكار والقيم والمفاهيم، تهتم بتبيان المسائل الأولية والأساسية التي تخص مصير الفرد او مصير الجماعة في علاقتهما بالعنف المنظم والحركية الفكرية والأخلاقية والدينية التي تنتهجها استراتيجية العولمة في صيغتها الاقتصادية والسياسية، ولكن القضية المطروحة في الزمن الراهن هي أن هذه المعقولية الاستراتيجية الجديدة تحاول ضبط حقل معايير إنسانية وكونية تتجاوز المعطيات الظرفية والنسبية، وتؤسس للتدخل في الحياة البشرية على العقل القيمي حتى يشرع هذا العنف ويضبط استعماله.

أما هذا العقل القيمي فسيقوم بدوره في تسطير المبادئ الأخلاقية وشروط الممارسة العادية والمقبولة للعولمة حتى يظهرها ضرورة يقتضها الذكاء ويعتمدها كل نظام تنموي كامل وشامل. فرغم أن هذه الثقافة تعترف باختلاف المظاهر الاجتماعية والدينية والأخلاقية والثقافية والفكرية الثقافية وبتنوع الاعتقادات الإيديولوجية والتطلعات الوطنية والاختلافات القبلية، فإنها تقحم كل ذلك داخل لعبة الاستراتيجية نفسها في نطاق تسجيل ضرورة العولمة وتأحيد معالم ثقافتها، وتكسير الثقافات الوطنية وهيمنة نمط معين اختير لكي يوحد الذوق [1]، والغريب انه مع قيام النظام العالمي الجديد، لم يعد رجل الاقتصاد بعد امتلاكه لتكنولوجيا التصرف، يترك ثقافة العولمة الى المثقفين بل أصبح يضم هذه الثقافة الى الحقل العملي الإجرائي للاقتصاد نفسه فأصبح بذلك هو المدبر لشؤون الاقتصاد والمبرر الأيديولوجي لها والماسك بثقافتها والمدافع عنها. والمبدع الحقيقي هو الذي يفضح هذا التوجه الغريب للثقافة التي أصبحت دعامة للاستغلال.[2]

[1] فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة مكتبة دمشق دار الفكر بيروت لب نان2003 ص 251.

[2] فتحي التريكي ،نفس المصدر ص 252.

هذا جورج لوكا تش يكتب في بداية بحثه عن نتشه وفي كتابه ذي العنوان المعبّر تحطيم العقل يمكن القول بوجه عام أن انحدار الإيديولوجية البرجوازية الروح البرجوازية ينبثق من ثورة 1848 بالتأكيد يبقى بعد ولا سيّما في الأدب والفن أكثر من متابع لحقبة صعود البرجوازية وليس في أعماله شيء من انحطاط يكفي التفكير ب كينز، وبكلر ودوميه ، وخاصة بالنسبة للاقتصاد البورجوازي مع تفكك مدرسة ريكاردو بين 1820-1830، وبالنسبة للفلسفة البرجوازية مع انحلال الهيجلية1830-1850[1] ومن بعد ذلك لا هذه ولا ذاك أنتج أي شيء أصيل ولا أي شيء موجه نحو المستقبل، ما بعد الحداثة فكرة كبيرة جدا والتي عبر عنها نتشه حين قال بأن عصرنا غارق بالوعي التاريخي نحن نعرف الكثير عن ماضينا وليس باستطاعتنا أن نكون أصليين.

يرجع اهتمام الفكر الاقتصادي بقضايا البيئة الى مطلع القرن التاسع عشر وخاصة الى اسهامات رواد الفكر الكلاسيكي الأرثوذكسي، فلقد تم وصف المشكلة الاقتصادية منذ البداية بأنها مشكلة ندرة أي أن الموارد الاقتصادية ذات طابع محدود نسبيا وأنها لا تكفي لإشباع الحاجات المتعددة كما تم وصف هذه الموارد بأنها موارد اقتصادية..Resources, Economic ، وليست موارد حرة.Free،.Resources ولقد لعب كل من ديفيد ريكاردوRecardo, وروبرت مالتس.Maltus دورا رئيسيا في تسليط الضوء على هذا الجانب خاصة محدودية الموارد والأرض الزراعية في مواجهة التزايد السكاني

ولقد كانت من نتائج هذا الوصف للمشكلة الاقتصادية بالندرة النسبية وإدخال البعد البيئي في التحليل أن اتسمت نظرة الاقتصاديين الكلاسيك-أو للتقليديين الى المشكلة الاقتصادية بالطابع التشاؤمي. قد أظهر ريكاردو Ricardo، أن الريع نوع من الدخل مختلف في طبيعته عن دخل العمل أو رأس المال، فإذا كانت الأجور تمثل عائد عنصر العمل وكان الربح هو عائد عنصر رأس المال في اطاره الكلاسيكي فليس الريع الذي يمثل إضافة الى ثروة المجتمع وإنما ينشأ من ارتفاع قيمة السلعة

[1] نايف سلوم، ما بعد الحداثة، دار التوحيدي للنشر الطبعة الأولى، 1998ص 24

كلما انتقل المجتمع الى حد جديد للإنتاج[1]، وفي رحاب هذه القوانين الثلاثة سيطرت النزعة التشاؤمية في نموذج **حدود النموGroowth,to,limits ,The**. وواصل اقتصاديو القرن التاسع عشر اهتمامهم بالشؤون البيئية حيث أشار "جيفونز:في العام 1885 الى أن التقدم الصناعي أدى الى استخدام كثف للفحم ونبه الى مخزون الفحم في إنجلترا المحدود وأشار الاقتصادي هوتلنج،Hoteling عام 1931 لمختلف القضايا البيئية التي تم اثارتها على الساحة الدولية وأول تحليل اقتصادي تناول ظاهرة التلوث هي للاقتصادي بيجو Pigou عام 1932عند دراسات اقتصادات الرفاه[2] يضيف فريق الباحثين الذين صاغوا نموذج نادي روما الذي أكد بأنه إذا ما استمرت الاتجاهات الحالية للنمو في السكان، وإنتاج الغذاء، والتصنيع، وتلوث البيئة، ونضوب الموارد. فإن حدود النمو على الأرض سوف تبلغ منتهاها. ربط الاقتصادي جاغديش باغواتي Jagdish,Bhagwati البيئة بالتجارة الدولية من خلال إقرار حقيقة أن البيئة والتجارة الدولية متعارضتان لأن تلحق أضرارا بالتنافسية في الأسواق العالمية، مما يؤثر على الميزان التجاري [3].

تتعالى الأصوات في العقود الأخيرة بالشكوى تارة وبالتحذير تارة أخرى من مشكلات البيئة ستواجه البشرية في مستقبل ليس بالبعيد، ومن كوارث وشيكة الحدوث، وأزمات بدأ الانسان يعاني من عواقبها الوخيمة بفعل تدمير البيئة الطبيعية التي طالتها يد التقنية الحديثة بالاستغلال والتخريب مما يجعل فلاسفة الأخلاق المهتمين بشؤون البيئة يعيدون النظر في علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية التي ارتبطت بتاريخ الفكر البشري.

ومنذ بداية العصر الصناعي أصبح تدخل الإنسان في البيئة حقيقة أساسية من حقائق العصر لأن لفظ صناعة ذاته يعني تغيير عناصر البيئة بجهد **الإنسان** و كانت المشكلة موجودة بالفعل منذ وقت طويل ولكن التنبيه الى خطورته والى إبعادها المتعددة هو الذي تأخر في الظهور .من المؤكد أن

[1] سامي عفيفي حاتم ،ا المصر السابق ص 308.

[2] سامي عفيفي حاتم، المصدر نفسه ص 307.

[3] سامي عفيفي حاتم، المصدر نفسه ص 310.

مشكلة البيئة كانت موجودة قبل ظهور هذا الوعي المفاجئ بوقت طويل ذلك ان التقدم العلمي والتكنولوجي كان لابد ان يترك أثاره العميقة على بيئة الإنسان، فالبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من طبيعية، الأرض، الماء، والهواء وبيئة مشيدة منالمباني والطرق ، وبيئة اجتماعيةالنظم التي تنظم حياة الانسان وقد تكون البيئة الطبيعية هنا هي الموضوع لأن الأضرار بها قد لا يؤدي فقط الى إعاقة التنمية، بل الى عدم استمرارية الحياة على الكرة الأرضية [1]، أما هذا الظهور المتأخر للوعي بمشكلة البيئة فربما كان راجعا الى مجموعة من العوامل أهمها التوسع الهائل في التصنيع والزيادة الضخمة في الإنتاج بعد الحرب العالمية الثانية، وهو توسع وصل الى حد إدخال تغيرات أساسية في البيئة الطبيعية التي أخضعت لمتطلبات الصناعة الى حدٍ قضى على كثير من معالمها الأصلية.[2]هو ظهور وعي جديد في غمرة هذا السياق المحموم على الإنتاج الضخم بين الدول الصناعية الكبرى، فقد أدرك الكثيرون في المجتمعات الصناعيةأن تلاعب الانسان ببيئته قد زاد عن حده، وأن الجري اللاهث وراء التصنيع أدى الى نسيان الطبيعة الأم[3] فالتوسع الضخم في الإنتاج، والتسابق بين الدول وبين الشركات المنتجة في إغراق الأسواق بسلع جديدة، دون أي تفكير في الأعراض الجانبية المؤثرة في المحيط. ولعل الحملة العالمية الداعية الى حماية البيئة كانت تهدف الى تجنب الأخطار المباشرة للتلوث وتحقيق نوع من التوازن بين مطالب الانسان ومطالب الطبيعة، بعد أن أفرط هذا الأخير في حقه البيئي، وكانت من العوامل التي أدت الى ضياع معالم الاصيلة للطبيعة هو التقدم في تكنولوجيا الزراعة التي هي ألصق بالبيئة الطبيعية من الصناعة، وقد أفضى استعمال المبيدات على نطاق واسع الى الإخلال بالتوازن البيئيفعناصر الطبيعة المختلفة قد تعايشت على مدى مئات الألوف من السنين بحيث يعتمد بعضها على بعض في توازن دقيق.

---

[1] محمد كمال مصطفى، الطريق الى التنمية الفاعلة ،مؤسسة فريدريك ايريت ،مصر ، سنة 2016 ص 29.

[2] فؤاد زكريا التفكير العلمي سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1978 ص 173

=* تعريف الطبيعة (علم الإيكولوجيا هناك مصطلحات بيئية حاصة مع تطور علم الإيكولوجيا الحديث ، ولكن هذا الجزء من البحث يقتصر على المصطلحات الثلاثة فقط –لأنها في رأينا – تعبر عن المراحل التاريخية لعلاقة بين الانسان والبيئة الطبيعية ..الطبيعة عن الرؤية الفلسفية التي تطورت من خلال علاقة الانسان بالمحيط البيئي حوله .فقد كان مصطلح الطبيعة هو المفهوم الرئيسي الذي يعبر عن نظرة الانسان للعالم طوال تاريخ الفلسفة ، في حين أن مفهوم البيئة الطبيعية بالمعنى المعصر لم يكن من مصطلحات الفلاسفة لا في عصر اليوناني ولا حتى في العصور الحديثة .مع أواخر القرن التاسع عشر ومع تطور التقدم العلمي والتقني ، ظهر مصطلح الإيكولوجيا وهو المصطلح الثالث والأخير – بعد أن استفحلت أزمة الانسان مع البيئة .فجاء علم الإيكولوجيا كأحد وسائل الإنقاذ من الأزمة عطيات أبو السعود الحصاد الفلسفي الناشر منشاة المعارف الإسكندرية 2002 ص 239 الى 275

في النصف الثاني من هذا القرن رأى الانسان كوكب الأرض من الفضاء الخارجي لأول مرة. وقد بات الانسان بفضل التقدم العلمي الهائل يفهم الأنظمة الطبيعية على نحو أفضل، و الكثير من العلاقات الجدلية والخطية الغامضة بين عناصر النظام البيئي لكن ليست هذه المشكلة الأساسية إنما المشكلة تكمن في ان الانسان الذي يثبت في كل يوم تقدم عقله وعملهو يثبت أيضا ضعف إرادته واستسلامه لشهواته فهو عاجز عن إيجاد التلاؤم بين الأفعال البشرية وبين الطبيعة ومكوناتها المختلفة.

كان مفهوم **التنمية** في القديم وحسب المشروع الغربي يعتمد على الاستغلال واستنزاف للموارد الطبيعية واحتكار للثروة في أيادي عصبة من الأمم واتسم هذا المشروع الحضاري بالتفرد في اتخاذ القرارات المصيرية في شؤون البشر وحاجياتهم المادية واقتصرت العملية التنموية على النمو الاقتصادي الذي يراعي الكثافة في تدفق الاموال وانتقال رؤوس الأموال بما يخدم المصلحة الخاصة فقط بينما كل ما يتعلق بالجانب الإنساني فهو شيء هامشي لا يدخل في اهتمامات أصحاب القرار وممتلكي الشركات المؤسسات العالمية ويعتبرونه يدخل في زيادة تكاليف الإنتاج ولا شيئا آخر غير الخسارة في منطق الاقتصاد المبني على الربح وزيادة الإنت . غير أن التطورات التي طرأت على الاقتصاد نتيجة النظرة الضيقة لمستقبل الأسواق العالمية و للحركة السريعة التي ميزت هذه الفترة أدت لا محالة الى نفق مظلم وأزمات اقتصادية عالمية فكانت حتمية المراجعة وإعادة النظر في كل المنظومة الاقتصادية شيء حتمي فرضته المستجدات والتطورات الخطيرة لا على مستوى الاقتصادي بل شملت الأزمة جوانب أخرى سياسية، اجتماعية وبيئية ...هذه المراجعات أخذت في حسبانها الجوانب التي همشت وتم تحييدها والاستغناء عنها فكان التفكير الاقتصادي المفتوح قد أعاد توصيل علاقته بكل ما يخدم التنمية الاقتصادية مع التقليل من تكاليف والأعباء التي ورثتنا عن السياسات التنموية القديمة.[1]

[1]باسل البستاني، جدلية نهج التنمية المستدامة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 2009ص ..ووفقا لمنظور هيئة الأمم المتحدة زادت أهمية التنميةالبشرية ولقد اتخذ برنامج الأمم المتحدة لسنة 1989 والذي كانت من برامجه المسطرة أنداك مشكلة البيئة، **قرارا** بتفسير وتطوير هذا المفهوم الواسع للتنمية المستدامة، وهو المفهوم الذي اكتسب زخما قويا بصدور **تقرير للتنمية البشرية** الدولي الأول في عام 1990 من قبل البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وحينها عقد مؤتمر" " **قمة الأرض**" في ريو دي جانيرو وفي عام 1992، تم التوقيع على ميثاق الأرض الذي تضمن وثيقة المبادئ

اقتصاد يؤدي الى تحسين حالة الرفاه البشري والانصاف الاجتماعي مع العناية في الوقت نفسه بالحد الأدنى على نحو ملحوظ من المخاطر البيئية. [1]

أما على مستوى عالم الشغل فيمكن فهم الاقتصاد الأخضر بأنه يهتم بالنمو المزدوج بين القطاع العام والقطاع الخاص في الدخل والعمالة من شأنها تعزيز الكفاءة واستخدام الموارد والحفاظ على البيئة بشتى أشكالها، ويجب على الاستثمار أن يوجه بما يخدم الابتكارات التكنولوجية التي تصحح من مسار التنمية فيما يخص السياسات الضريبية والقطاعية بما يضمن انعكاسا إيجابيا للأسعار مع تكاليف البيئة.

لماذا القلق؟

إن البيئة العالمية واحدة، وتدهور أي عنصر في أي جزء منها سوف يمسّ باقي العناصر في باقي العالم على نحوٍ ما لكن الجهات التي تدير العيش على الكرة الأرضية ليست واحدة كما أن مصالحها ليست متلاقية ومن ثم فإن البيئة العالمية مهملة لا تلقى الاهتمام الذي يناسب قدر حاجة الأحياء والحياة لها،إن هناك فترة زمنية طويلة بين الأسباب التدميرية للبيئة وبين ظهور النتائج[2]، هذه الآراء قد لا تظهر أحيانا في أقل من عشرين سنة وهذا كاف لجعل مشاعرنا تترهل حيال نتائج سلوكنا وأسلوب عيشنا وهذا مظهر آخر من مظاهر مشكلة تدبير البيئة، من الناحية المادية والملموسة تشير الإحصائيات الى أن العالم قد خسر خلال نصف قرن مضى فقط خمس التربة السطحية الصالحة للزراعة وخمس غابات المطر الاستوائية ونحواً من عشرة آلاف نوع من الاجناس النباتية والحيوانية [3]

المتعلقة بالإدارة السليمة للبيئة، وكذلك وثيقة جدول أعمال القرن الحادي والعشرون (أجندة21) التي أصبحت الوثيقة الرئيسية في شأن التنمية المستدامة على الصعيد الدولي 47

[1] برنامج الأمم المتحدة للبيئة، قضايا السياسات العامة: قضايا السياسات العامة الناشئة فبراير 2000، ص 04.

[2] عبد الكريم بكّار، مدخل الى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية دار القلم دمشق ط01 1999ص 304

[3] بول كنيدي ،الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، تر محمد عبد القادر وغازي مسعود عمان –دار الشرق عام 1993 ص 136

انتشرت المواد الكيمائية في الأسواق الصناعية على نحو مذهل ويوجد الآن في الأسواق ما بين 70الى 80 ألف مادة كيمائية، ويدخل السوق كل سنة ما بين ألف وألفين من المواد الكيمائية الجديدة دون رقيب أو تقويم صارم وارتفاع درجة الأرض قد ترتب عنه زيادة الأعاصير حيث بلغت سرعتها 200 ميل في الساعة الى جانب الدمار الذي ألحقه بالسكان المحليين، بالإضافة الى حالات الجفاف وتقلص معدل سقوط المغياثية في إفريقيا والولايات المتحدة الأمريكيةو الفيضانات الفجائية في قارة آسيا ومن بين العوامل الخطيرة جدا التي دقت ناقوس الخطر هو تأثر القطبين الشمالي والجنوبي بفقدانه لكمية كبيرة جدا من طبيعته الجليدية وأصبح يهدد هذا النقصان الكبير من الثلوج السير الطبيعي لكوكبنا الأرض[1]، إن عدو البيئة الأول هو الدول الصناعية الكبرى نتيجة ما تنتجه هذه الدول من مواد طائلة تفوق الطلب العالمي وحاجاته الأساسيةما سمح بتسجيل ما قدره 90 بالمائة نفايات ضخمة وبأمريكا وحدها ما يقارب خمسة بالمائة من التلوث العالمي عالم.

نستخلص أن العالم لن يستطيع مواصلة السحب من المحيط الحيوي دون أن ينتهي به الأمر الى استنفاد رأس المال وفناء التوازن البيئي الى غير رجعة.

الأنماط الاستهلاكية واضمحلال البيئة:

مع تناقص المواد الطبيعة في كوكبنا الأرضي وزيادة طلب السكان العالم المتزايدين على هذه الموارد سوف تتصاعد حدة المنافسة على الحصول على يتبقى منها وسوف ينتج عن هذا الصراع على مواد محدودة حروب جديدة من أجل الموارد ، وفي هذا الاتجاه نسجل دعم برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الدول في عملية بناء القدرات من أجل التأكيد على أن تأخذ اعتبارات البيئة والتنمية المستدامة في وضع تطبيق السياسات والاستراتيجيات والبرامج للحد من التصحر و تحسين إدارة المياه

[1] محمد رحابي الطحلاوي العلاقة بين البيئة والتنمية مجلة أسيوط للدراسات البيئية العدد الخمس والثلاثون 35 يناير 2011 جامعة أسيوط

إن معدلات النمو السكاني المرتفعة في بعض المناطق تفوق بكثير إمكانات المجتمعات والشعوب التي يمكن اتاحتها للمواطنين الجدد.

وفي هذا المسار يعبر روجيه جارودي Roger Garaudy إن الفلاح الباكستاني يستهلك أقل ما يستهلك زميله الأمريكي في كاليفورنيا بأربعمائة مرة، ويقول **محمد بدجواي:** إن السويد بعشرة ملايين نسمة ينتج ويستهلك من الطاقة الكهربائية مثلا أكثر من الهند التي يبلغ سكانها 600مليون نسمة، ولبلوغ مستوى انتاج واستهلاك مساو لمستوى السويد يتوجب على حكومة نيودلهي بناء 10000 مركز ذري، طاقة كل منها 500ميجاوات[1] إن عدد سكان الولايات المتحدة الامريكية لا يشكل سوى 55 بالمائة من مجمل الموارد الطبيعية للعالم في العالم.

إن تشكل أنماط الاستهلاك في الدول الغنية الى جانب العسكرة والفقر تشكل ضغوطا رئيسية على النظم الطبيعية ، ولذلك فإن تقليم أظافر الاستهلاك الزائد عن الحاجة، وتخفيض الانفاق العسكري وتحويل ما يخفض منه للتنمية البشرية والخدمات الاجتماعية وعلاج الفقر سوف تقلل من حدة هذه الضغوط على البيئة الطبيعية .وقد عرفت اللجنة العالمية للبيئة بأنها التنمية التي تفضي بتلبية الحاجات الأساسية للجميع وتوسيع الفرصة أمام الجميع لإرضاء طموحهم لحياة أفضل ونشر القيم التي تشجع أنماطا استهلاكية ضمن حدود الإمكانيات البيئية التي يتطلع المجتمع الى تحقيقها بشكل معقول [2] لذا تعد عملية التنمية المستدامة عملية ديناميكية مستمرة تنبع من الكيان الاقتصادي فهي عملية تهدف الى تبديل الأبنية الاجتماعية Social–Building والمراكز، وتحريك الإمكانات المتعددة الجوانب بعد رصدها وتوجيهها نحو تحقيق هدف التغيير في بناء دعائم الدولة العصرية لترجمة الخطط العلمية التنموية الى مشروعات فاعلة تؤدي مخرجاتها الى إحداث التغيرات المطلوبة .كما أن التنمية تتضمن تحديد عدد من الجوهرية لا الشكلية في المعطيات والمؤسسات الاقتصادية والسكانية والتكنولوجية

[1] زيد بن محمد الرماني الاستهلاك في حياتنا إضاءات اقتصادية شبكة الاولوكة 1439 هـ ص27

[2] المنظمة العربية للتنمية الإدارية، التنمية المستدامة والإدارة المجتمعية، جامعة الدول العربية، (المؤتمر العربي الرابع للإدارة البيئية، 2004) ص 68

والاجتماعية والسياسية التي تكسب الفرد قدرة إنتاجية ذاتية تتيح له في النهاية الحصول على مستوى معيشي وظروف حياة أفضل ومستمرة التحسن، والتنمية هكذا نوع هي مجتمعية ولا يجوز اعتمادها على فئة قليلة ومورد واحد[1].

وللخروج بنموذج معرفي جديد لأزمة الانسان مع بيئته ليس هدفنا الحديث عن ذاتية القيم وموضوعيتها فهذا أمر لم يحسمه التاريخ الطويل لعلم الجمال، وانما نريد ان نؤكد النقطة الهامة في هذا الموضوع وهي أن الانسان هو الكائن الذي باستطاعته إدراك قيمة الأشياء بصرف النظر عما اذا كانت هذه القيمة نابعة من الذات المدركة أي الانسانأومن الشيء المدرك أي البيئة الطبيعة .وإذا صح ان الانسان لا يستطيع ان يحيا بلا قيمة، فمن الصحيح أيضا ان الأشياء الطبيعية لا يمكن ان تحيا بدون ان يكون لها قيمة في ذاتها بمعنى آخر اذا كان الكائن البشري له قيمة وهو جزء من ابداعات هذه الأرض فان الأرض بكل ما فيها وما عليها ينطق بالقيمة.

ما دمنا نعيب على النموذج المعرفي السابق انه أدى في النهاية الى اخضاع البيئة الطبيعية وقهرها بالعلم ونطالب بنموذج آخر جديد ينصت الى صوت الطبيعة ويعيد الاعتبار لقوانينها ونواميسها الداخلية كما قال" **باركلي** الطبيعة لها قيمة كامنة فيها ولبست متوقفة على الادراك[2] ، ويذهب بول تايلور Paul, Taylor الى طرح نموذج جديد باعتقاد مختلف يقوم على النظرة الحيوية الى الطبيعة التي ترتكز على احترام البيئة الطبيعية باعتبار الموقف الأخلاقي الأساسي هذه النظرة من كونها رصيد البشرية وميراثها الذي ينبغي صيانته ومن هنا تتأكد الفكرة الغائية النهائية للكون تبدو غريبة على العلم الحديث شأنها شأن الفكرة الأخرى التي تُثبت الانسان في مركز الكون وعليه فسيكون من الخطأ القول إن الطبيعة وجدت أو ظهرت الى الوجود من أجل تحقيق قيمة نفعية أو أداتيه للحياة البشرية أو غير البشرية [3] وتعتبر فرضية الاستقلال عن القيمة الباطنة في البيئة الطبيعية من خلال بعض

[1] إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير، ، دار الشروق النشر، مصر القاهرةط،1 ،2003، ص 12

[2] عطيات أبو السعود الحصاد الفلسفي، منشأة المعارف الإسكندرية ، 2002، ص 249

[3] عطيات أبو السعود المصدر نفسه ص 221

الخصائص الطبيعية التي يؤكدها تاريخ التطور الطبيعي الطويل ومنها أن الارض نشأت مستقلة عن البشر وسابقة على وجودهم.

وكنتائج لتقييم العلاقة بين البيئة والإنسان اتضح لنا من الدراسة السابقة والتي عرجنا عليها باختصار مفاده أن الدول الكبرى تتصرف بلا مسؤولية من منطلق التطور المعرفي العلمي المتقدم بينما تكتفي من التطور الأخلاقي البيئي بمراحله البدائية، وعليه يتوجب علينا إيجاد نموذج بديل في مقابل النموذج الديكارتي-البيكوني الذي أفضى بنا على مدى ثلاثة قرون الى عقلانية أداتيه خالصة. ونستعيد العلاقة الحميمية الآمنة بين الطرفين الإنسان ومحيطه التي افتقدها البشر نتيجة القيم الغربية التي ارتكزت على فروض فلسفية خاطئة بزعامة مجموعة من الفلاسفة نذكر منهم فرنسيس بيكون وديكارت وهوبز ولوك وهيوم ويمكن أن نوجز أهم الفروض فيما يلي:

النزعة الذرية التي نظرت الى الواقع على أنه أجزاء أو ذرات صغيرة غير مترابطة ولم تنظر اليه على أنه كل عضوي موحد مما ترتب عليه تحطيمه مشاعر الارتباط بالأرض. ثانيا النظر بعين الاعتبار الى الوضع الاقتصادي على حساب البيئة وهو ما بدأ مع التصنيع ونشأة الرأسمالية وتقديس الربح وتشجيع الحركة الاستهلاكية وتضليل الرأي العام وخلق حاجاتاصطناعية ثالثا الأرض هي مصدر الموارد الطبيعية فحسب وأن البشر حق السيطرة عليها واستغلالها، رابعا سوء فهم السعادة الذي يسود المجتمعات الصناعية للعالم الأول على وجه الخصوص، خامسا تدعيم السيطرة، وهو الموقف الذي ساد وكان له أكبر أثر تدميري في العصر الحديث بفعل السيطرة التقنية على الكائنات الحية ومحيطها الحيوي.[1].

وضمن هذا الاختلال في التوازن بين الانسان وبيئته ضرورة تنمية الوعي البيئي الكوني علة أن يكون الاحترام هو سيد الموقف يقول هوايتهد نحن في العالم والعالم فينا فليس هناك ما يدعو الى ابتلاع الكائنات الأخرى والسيطرة عليها، لأن هذا الوعي البيئي الجديد يولد لدينا الإحساس بجماعية

[1] عطيات أبو السعود المصدر السابق ص 264.

المصير، ويفرض علينا شكلا جديدا من المسؤولية ناحية البيئة بحيث نتخذ إزاءها موقف الاحترام وعلما آخر وتقنية أخرى يعتمدان على طريقة الانسان في النظر الى البيئة الطبيعية والاحساس بها ليكن المخرج هو التخلي عن الثنائيات الضدية أي لابد أن تتحول الثنائيات والازدواجيات المتضادة والحاسمة الى قطبين في داخل نسق أكبر لا يكون التفكير فيه منفردا بل تشاركيا.[1] وذلك من المحافظة على البيئة بما يضمن حياة طبيعية سليمة وضمان انتاج الثروات المتجددة مع عدم استنزاف الثروات غير المتجددة وبناءا على ما سبق فإن التنمية المستدامة هي التنمية ذات القدرة على الاستمرار والاستقرار من استخدامها للموارد الطبيعية التي تتخذ من التوازن البيئي هدفا مهما لها بهدف رفع مستوى المعيشة من جميع جوانبه مع تنظيم الموارد البيئية والعمل على تنميتها لذلك يوجد علاقة وطيدة بين التنمية المستدامة والعمل على استمرارها، إذ تشكل عنصرا أساسيا ضمن نشاط تنموي بحيث تؤثر على توجيهات التنمية واختيار أنشطتها ومواقع مشاريعها بما يهدف الى المحافظة على سلامة البيئة [2].

حدد ميثاق المدن الأوروبية شروط التنمية المستدامة بشكل مفصّل ووضح بين **نوعيةالحياة** ونظام تقسيم العمل، والوظائف، واستخدام الأراضي، والنقل والإنتاج الصناعي، والإنتاج الزراعي والاستهلاك وأنشطة الترفيه والعلاقة بين كل هذا ومستويات المعيشة، لقد عدّ إنّ كل هذه الأمور هي المسؤولة عن كافة المشاكل البيئية التي يواجهها الانسان انطلاقا من هذا التحديد لمصدر المشكلات البيئية وعلاقتها بمستويات المعيشة وطريقة العيش. إن الاهتمام العالمي بنوعية الحياة حديث نسبيا وقد يكون مصدر الاهتمام القناعة بأن نوعية الحياة ليست بالضرورة ناجمة عن أو متماشية مع التقدم الاقتصادي أو التقني ونوعية الحياة تعبير ذاتي جدا عن رفاه الفرد أو شعور بهذا الرفاه، وقد تعبر عن جملة من الرغبات التي عندما تؤخذ معا تجعل الفرد سعيدا أو راضٍ عن حياته ولكن من النادر جدا

[1] عطيات أبو السعودالمصدر نفسه ص 265

[2] عثمان محمد غنيم، التنمية، فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، ط1، دار الصفاء للنشر، عمان 2006، ص 41.

أن يصل الانسان الى رضى كامل عن حياته أو اشباع كامل لرغباته.[1] ومن هذه المقاربة لنوعية الحياة عرف ميثاق الاستدامة على النحو التالي: فهي تقابل عملية صيانة رأس المال الطبيعي، وهذا يتطلب إنّ تتجاوز معدلات استهلاك الموارد المتجددة والمياه وموارد الطاقة، تلك المعدلات التي يستطيع فها النظام الطبيعي الاحلال، لا تتجاوز معدلات استهلاك الموارد غير المجددة تلك المعدلات التي يمكن للموارد المتجددة إن تحل محلها كذلك تعني الاستدامة البيئية، إنّ معدلات انبعاث الملوثات لا ينبغي أن تتجاوز مقدرة الهواء الجوي والمياه والتربة على استيعابها أو معالجتها[2]

فضلا عن ذلك تستلزم الاستدامة البيئية المحافظة على التنوع الحيوي* وصحة الانسان ومستوى نوعية الهواء والمياه والتربة عند حدود التي تكفي لحياة إنسانية جيدة ومستدامة[3] وحتى لا يجب الخلط بين المفاهيم الاستدامة، والبيئية من خلال العرض لميثاق هيئة الأمم فيما يخص عملية التوازن تمت عملية اخضاع الموارد للفرز للأكثر أهمية لتحقيق الاستدامة البيئية مثل المياه والطاقة ، غير أن عملية الاحلال المطلقة بين الموارد غير المتجددة فهي غير صحيحة بهذه الصورة لأن هناك العديد من الموارد غير المتجددة التي لا يمكن احلالها في حالة نضوبها كالنفط مثلا، إلا بشرط كانت هناك مصادر أخرى للطاقة وهذه المصادر ليست مثل خصائص النفط ولا برخص كلفة استخدامه ولا تتماثل معه التكنولوجيا [4]

قسمت دراسة معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية .Drewnowski66etScott مجال مستوى المعيشة الى مكونات من الحاجات الأساسية التي يشكل إشباعها إسهاما في المستوى العام للرضى المعبر عنه في مستوى المعيشة. وهذه الحاجات إما فيزيائية كالتغذية والسكن والصحة أو ثقافية

[1] أحمد عارف العساف ومحمود حسين الوادي، التخطيط والتنمية الاقتصادية المرجع السابق ص59

[2] هاشم مرزوق علي الشمري وآخرون الاقتصاد الأخضر مسار جديد في التنمية المستدامة دار الأيام للنشر والتوزيع ، الأردنط،1 2016 ص 59

* التنوع الحيوي: -يقصد به التوع في أشكال الطبيعة الحية وكثيرا ما يكون عبارة عن مقياس لمدى صحة الأنظمة البيولوجية

[3] الأمم المتحدة، تقرير مؤشرات معدة لرصد الأهداف الإنمائية (نيويورك، 2003) ص 17

[4] صفوان العساف، الطاقة والفكر البيئي المستدام، دار العلم للنشر، عمان، ط، 1 2002 ص 7

كـالتعليم والـترويج والامـن وأضـافت مكونـا خاصـا عـن الحاجـات الأعلـى الـتي تفـوق الحاجـات الأساسية[1]

ومن أجل تخطي مشكلة البيئة والحفاض على المحيط بما يخدم التنمية المستدامة واحترام كرامة الانسان اخترنا هـذه العناصـر لعـلا تكـون بـديلا مناسـبا للمخـاطر المحدقـة: أولا: تحميـل المسؤولية للشـركات الكبرى نتيجة عدم مراعاة مقايس العمل بما تلوح به هيئة الأمم المتحدة. ثانيا: الايمان بمفهوم القيمة الباطنة في البيئة والطبيعة ثالثا: سن قوانين بيئية، تكـاثف جهـود العلمـاء لتنميـة تكنولوجيـا وإنتـاج تكنولوجية نظيفة صديقة للبيئة، ولكي يكلل هذا الاقتراح لا بد أن يتوقف العلم عن أن يكون عبدا تجره التقنية والمصالح الانانية وألا يقتصر دوره على خدمة الإنتاج والسلع المادية المتوجة بالربحية.

المنافسة والجودة:

تعريف الجودة: يرجع مفهوم الجودة Quality والتي تعني طبيعة الشخص أو طبيعة الشيء ودرجة صلابته. لقد تعددت تعاريف الجودة الشاملة باختلاف النظرة عليها وباختلاف تطور مفهومها في حد ذاته ويعرفها Radford–University على أنها " الجودة خاصية أو مجموعة أو تشكيلة من الخصائص التي تميز شيء عن آخر أو السلع التي ينتجها مصنع عن تلك التي ينتجها المنافسون أو المستوى الذي ينتج فيه مصنع معين منتوج عن مستوى منتوج آخر نتيجة نفس المنتج [2] كما تعرف شركة بوينغ " الجودة " هي تزويد الزبائن بالبضائع والخدمات التي تتعدى توقعاتهم واحتياجاتهم [3] من خلال هذا التعريف ، نجد أن الجودة تهجف الى تحقيق رغبات الزبائن وحاجاتهم بحيث يكون المنتج يفوق توقعاتهم. وتعرفها الجمعية الأمريكية على أنها: " الهيئة والخصائص الكلية للمنتوج خدمة أو

[1] أحمد عارف العساف ومحمود حسين الوادي:المصدر السابق ص 60-61

[2] عواطف إبراهيم الحداد، إدارة الجودة الشاملة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط،1، 2009، ص 13

[3] خضير كاظم محمود، وروان منير الشيخ، إدارة الجودة في المنظمات المتميزة، ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردنط،1، 2010، ص20

سلعة) التي تظهر وتعكس قدرة هذا المنتوج على إشباع حاجات صريحة أو علنية وأخرى ضمنية[1] من خلال التعريف، نستنتج أن الجودة هدفها إشباع رغبات المستهلكين.

انجذب الأوروبيون والأمريكان في القرن التاسع عشر لفكرة التقدم Bury1920 فقد احتفى البرجوازيون والماركسيون على حد سواء، بما وصفه كل من مانويل ومانويل ManuelandManuelفي دراستهما حول الفكر المثالي / الطوباوي من" منظور دينامي لا نهاية له وجداه في توسع العلوم والتكنولوجيا التي لا حدود له ، وفي استغلال موارد الكوكب القابلة للنفاذ ، وازدهار القدرات الإنسانية. لكن هذه النظرة المتفائلة سرعان ما تضاءلت وانعكست سلبا بالرغم من نجاح كل من أوروبا واليابان في إعادة بناء اقتصادها المدمر في زمن قياسي، وعندما لاقت معدلات النمو الاقتصادي الهائلة دفعات في البلدان الصناعية، في عصر غير مسبوق من الثراء، لكن جنبا الى جنب هذه الآمال المتجددة، حذرت أصوات معارضة من الهلاك الوشيك عام 1927 نشر نادي روما والتي تمثلت في أن نظاما يتكون من موارد محدودة، في كوكب الأرض، لا يمكنه أن يستمر صامدا أمام النمو التراكمي في السكان والإنتاج almaterial Meadows-et ومن خلال الثغرات العديدة لمطالب التنمية البديلة ، في المعرفة التي لا يمكن تغطيتها، إلا بمزيد من البحث ومراجعة شاملة لحسابات المنتوج القومي لاستخلاص التكاليف الاجتماعية والبيئية الرئيسية وأنظمة من المؤشرات الاجتماعية، خصوصا على مستويات منفصلة ، وحساب الموارد بالمعنى الفيزيقي وتجارب مع الحضرية المحافظة على الموارد .

-إن النمو النوعي أو الكيفي، يحدث و يكون أفضلا و مدركا، بأنه الأفضل، ليس عندما من حيث الكمية أو الكثرة التي يسجلها فحسب، ولكن معايير الجودة والنوعية لها مقاييس أخرى دولية وإقليمية وتنافسية وللحكم على " نوعية " ظاهرة معقدة مثل النمو الاقتصادي، يتطلب الامر شيئا

[1] سوسن شكر مجيد ومحمد عواد الزيادات، إدارة الجودة الشاملة تطبيقات في الصناعة والتعليم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردنط،1،، 2007، ص 16

مختلفا عن اعتماد معيار وحيد للحكم فمسألة كهذه تحتاج لا ريب الى تدبير مركب، يتضمن إرفاق أوزان مختلفة لعناصره ويتم اتخاذ القرار بناءا على تحديد متوسط درجة التوافق وفي حالة النمو الاقتصادي، يتم تحديد النوعية أو الجودة[1]

كانت مشكلة الجودة أحد المشكلات التي واجهت صادرات الدول الراغبة في تنمية صادراتها ، وتمثلت المشكلة في صعوبة توافق تلك المنتجات من منتجات ذات الجودة العالمية والمتحصلة على علامة ايزو ونعلم جيدا أنه من الصعب المنافسة على السلع ذات الجودة العالية التي تستعمل تكنولوجيا فائقة الذكاء أو السلع كثيفة رأس المال المنتجة بصفة عامة في اطار مبدأ اقتصاديات الحجم[2]، في عصر المنافسة والتحولات العلمية الجديدة والمتغيرات المتعاظمة والتطورات التقنية الهائلة تكون المنظمة في موقف صعب للغاية حيث لا يكفي الأداء العادي لمواجهة المنافسة وتطلعات الزبائن المتزايدة والمتصاعدة، ومن الواضح ألا تستطيع أي منظمة مهما كانت إمكانياتها أو قدرتها المحافظة على موقفها التنافسي بالعودة إلى نفس مستوى الأداء، أو الركون الى نفس الأساليب التقليدي، وهذا ما يدفعها إلى تحسين أدائها باستمرار إلى درجات تسمح لها بالبقاء في مسار المنافسة يسمح لها أن تكون ضمن المؤسسات ذات الطابع الأوروبي والتفوق العالمي. ومن بين شروط الجودة الإجبارية والتي تتمثل في المتطلبات القانونية والتي تولي اهتمام بالجانب الصحي ففي قانون التجاري للمستهلك وجود مادة تقضي بالإعدام لكل مروج لمواد تخالف الصحة العمومية مثل المواد السريعة التلف مثلا، الى متطلبات فنية مثل المواصفات الصحية الى جانب ننظم ضريبية مرتبطة بالحجم منشأ المنتوج وسنة الصنع الى جانب شروط خاصة بأذواق المستهلكين[3].

"ولما كان العصر الصناعي هو اكتشاف قوة رأس المال المادي ونموذجه الآلة الذي كان يعبر عن أهمية المنظمة الى غاية منتصف القرن الماضي، فإن التوجه نحو عصر الاقتصادي المعرفي ونموذجه المعرفة

[1] جون فيردمان المصدر السابق ص 217

[2] سامي عفيفي حاتم الاتجاهات الحديثة في الاقتصاد الدولي والتجارة الدولية مرجع سابق ص 439

[3] سامي عفيفي المصدر السابق ص441

خاصة في ظل التغيرات المستمرة التي شدها العالم ومنها التغيرات المتسارعة في مجال الإعلام والاتصال والإنتاج على الأسواق العالمية واستخدام التسويق والتجارة الإلكترونية، فرض على المنظمات الاهتمام أكثر بالأصول المعرفية اللا ملموسة وبخاصة رأس المال الفكري لقدرته على الابداع والابتكار، وخلق القيمة وبالتالي تعظيم أصول المنظمة الكلية وانعكاس ذلك على قيمتها السوقية مما يعني أن توليد القيمة انتقل من استغلال الموارد الطبيعية الى استغلال الموجودات الفكرية، ومن قانون تناقص العوائد الذي ينطبق على الموارد المادية الى قانون تزايد العوائد بالنسبة للمعرفة والأفكار تبحث المنظمات حاليا عن آليات جديدة للمنافسة العالمية كمتطلبات أساسية لضمان البقاء في عالم الأعمال ولعل أبرزها الأدوات التي تنافس بها المنظمات في عصر التكنولوجيا والمعرفة والمعلومات رأس المال الفكري الذي يتوجب المحافظة عليه وتنميته. "

لقد عرف محيط المؤسسة الاقتصادية منذ أزيد من عقد من الزمن تحولات جد قوية وعميقة وسريعة مما زاد من حدة المنافسة وما أُنجر عنها من تهديدات ومخاطر وضعت مستقبل المؤسسة في حالة من عدم اليقين. وأصبح صراع البقاء أكثر صعوبة، حيث ما يجب أن يدركه مسيرو المؤسسات الاقتصادية من اليوم هو أن بقاء هذه الأخيرة يرتبط أكثر فأكثر بمدى قابليتها وسرعتها في التفاعل مع محيط غير مستقر تاما ويعد أكثر تهديدا، إذ لا تكفي المؤسسة بأن تكون جديرة بالتنافس في مجال التكاليف، أو التسويق، الإنتاج ...، بل يجب أن تكون المؤسسة وفية لمجالات أخرى تظهر حسب الحاجة الاجتماعية وأن تكسب الرهان الذي ظهر نتيجة للضغوطات والنداءات المتزايدة حول حماية البيئة وترشيد استخدام الموارد والطاقات، من هنا ظهرت الحاجة الى إيجاد التدابير اللازمة لإسقاط أبعاد التنمية على ارض الواقع ولعل تحقيق الجودة يكون كفيلا للمؤسسة بأن تقوم بدورها في ظل المقاييس الدولية المطلوبة لضمان الاستمرارية والقبول الجماهيري.

خاتـمة

لقد شكلت الازمات الاقتصادية محور نقاش دائم بين الدول، ونحن نناقش كدارسين ونحلل حركة الاقتصاد وما آلت اليه الأوضاع الاجتماعية، ارتأينا أن نقدم تصورنا المتواضع لتقديم حلول ولو افتراضية لعلها تكون صائبة.

لقد انقسم العالم الى طرفين متنازعين يحذوهما سباق نحو العالمية بوسائل لم نعهدها سابقا، فبعدما كانت السيطرة بالسلاح والتوسع الاستعماري، ظهر نوع جديد من أنواع القوة ،ألا وهو القدرة على الاقناع والترويج والاستغلال في ثوب تنكري، وهذا ما أفرزه عصر الحداثة من أساليب متطورة في التوسع والاستثمار ،ولعبت الثقافة الجماهيرية دور كبير في تغول بعض الدول على الأغلبية الساحقة للمعمورة ، ونحن نتأكد كل يوم بأن الأزمات التي تحدث ونحن في ظل عصر لم يشهد له مثيل من حيث تطور وسائل الإنتاج وتوفر المواد الغذائية وارتفاع مستوى جودة الخدمات لدليل قاطع بأن عملية سطو واسعة ومضللة للرأي العام ،وأصبح الاستغلال والضياع مودة العصر .

إن الوسائل القديمة التي استعملت في الحروب لا تقل قسوة من وسائل التضليل الإعلامي التي استطاعت أن تدخل وتشارك حياتنا بأدق التفاصيل ،وعليه فإن عملية إيجاد حلول لتوغل المؤسسات الاقتصادية من خلال تزييف الحاجات الأساسية لهو منذر شؤم للحياة الاجتماعية الطبيعية.

ولقد توصلت في هذا الموضوع بأن العلم الذي كان منتشي بانتصاراته المتلاحقة أهله لأن يقود وبكل جدارة المرحلة التي تلت عصر الظلمات والحرمان والفقر الذي عاشته أوروبا، فما كان الا أن شغل العلم كافة ميادين الحياة، ولكن هل سقط العلم في التقاليد والعادات التي ألفناها عن العصور القديمة من خلال ما كرسته التقنية في الحياة الإنسانية؟، وهكذا تدور عقارب الساعة الى الوراء فبعد أن كان الأمل قائما في إقامة مجتمع متطور وذلك ما تمنته فلاسفة الانوار ،مجتمع تسوده الحرية والديمقراطية التي أصبحت وسائل استغلال من خلال اذكاء العمل والترويج

للبروباغونـدا،وبالتالي لـن تخـرج تسـاؤلاتي عـن بـاقي الأسـئلة الـتي ربطـت عصـر الحداثـة والسـرعة والتكنولوجيا بعصر التهافت والانبهار والتفسخ الأخلاقي .

وبالرجوع الى المجتمع الصناعي وما بعد الصناعي نعلم جيدا بأن مصير الإنسانية أصبح أيادي قلة قليلة يغلب عليها طابع الاختزال والانطواء لصالح المال والأعمال، وكذا المزاوجة بين العلم والاقتصاد للرفع من وتيرة الإنتاج لم يزد الفقراء إلاّ سوءا وظلما ،وعليه قدمنا هذا البحث الذي يحمل أفكارا ثرية لأننا أسسنا هذا المشروع الاجتماعي للتنمية، و نحن نمن النفس أن تصل رسالتنا ليس للمسؤولين ولكن الى محيط المجتمع الذي انغمس في توفره وسائل الاعلام التجارية من علامات اغرائية لصالح الزبون بحجة الترفيه والسعادة المطلوبة والتي شكلتها هذه الثقافة التي أصبحت تدفع بكل قوة لجلب المستهلك لإشباع رغباته بأقصى حد ،وكأن الحياة أصبحت نمطية لدرجة أن الانسان نسي كينونته على حد قول هيدجر...، ولهذا الوضع المزري ومادامت الازمة قد استفحلت وانتشرت في الهشيم يبقى التساؤل والبحث عن مخرج ضروري ومؤكد، وبالتالي علينا أن نقترح فيما يمكن أن يشخص الازمة والبحث عن حل.

إن بعث التساؤل من جديد حول إمكانية التصدي للممارسات الشاذة من طرف الشركات الاقتصادية التي يجب أن تراجع مقولات الليبيرالية باعتبارها رؤية عالمية كالخيط الرفيع لا تحقق وعودها بالتجانس ولا التفوق الفلسفي، وأن أبرز أساطير الليبيرالية التي ثبت أنها وهم فكرة الحياد الأخلاقي، حياد الدولة والتي أدت لتصور بالغ المحدودية للنفع العام أخفق في ضمان الحرية والعدالة وتحقيق المثل الليبيرالية.

أزمة الاقتصاد الليبيرالي الذي جاء بها متجاوزا التقاليد لكنه ما فتئ يصنع تقاليده أعلت من شأن العقل، إلا إنه عجز عن تقديم مفهوم للعقلانية.

لعل أهم التطورات الحديثة في الفكر التنموي تلك التي دعت الى توسيع مفهوم التنمية بعيدا عن التركيز على العوامل الذاتية، يمكن النظر الى التنمية على أنها عملية لتوسيع الحريات الحقيقية للبشر

التي يتمتعون بها، وهي تشتمل على كل ما يتعلق بالصحة والتعليم والحقوق، والتي تهيئ فرص المشاركة في القضايا العامة.

التنمية هي ليست فقط زيادة متوسط دخل الفرد الحقيقي أو التحديث الاجتماعي أو تحقيق التقدم التقني، ولأن الحريات الحقيقية تستند الى مقاربات جديدة مثل الاستطاعة التي لا بد وأن تؤكد على قدرة الفرد على اختيار نمط حياته وممارسة الأساليب التي من شأنها تجعله يتقلب من أسلوب حياة الى آخر، تمكنه من المشاركة الفعالة في المجتمع واحترام الذات .

بما أن مؤشرات نجاح الاقتصاد مرتبطة بمصيرنا وتنعكس نتائجه على الانسان ومحيطه ومصيره نفهم بأن الرؤية المستقبلية لقضايا العصر مهما كانت يجب أن نوفر لها الجو الملائم حتى يتسنى مجابهة المخاطر وذلك من خلال التنبؤ بحدوثها ونقترح كإجراءات عملية :

- توسيع مجال البحث العلمي بما يكفل إيجاد الوسائل المتاحة لأي طارئ .

- العمل على توسيع التكوين في المؤسسات الاقتصادية من خلال تسطير برامج تحمل مشاريع ذكية

- العمل على خلق ثروة بأقل الاثمان والتقليل من اهدار الموارد الطبيعية المحدودة .

- إعادة النظر في السلوكيات القديمة وتوجيه الناس الى السلوك السوي.

- البحث في مجال الاقتصادات المتطورة التي تستعمل التكنولوجية المتطورة .

- الى جانب بعض المطالب التي نتمنى أن تؤخذ بعين الاعتبار وهو التقليل من هدر الأموال في السباق نحو التسلح وإنفاق هذه الأموال على المشاريع التنموية بما يكفل كرامة الانسان.

- الزيادة في الوعي العالمي وتفكيك الحدود السياسية لأجل مجتمع مفتوح.

كما يحتاج الاقتصاد أكثر من ذي قبل بالعودة الى الوراء عندما كان الفكر الاقتصادي خصبا وأصيلا وكانت التحليلات تنبثق من صلب النشاط الاقتصاد مباشرة دون تغير مساره لأجندات

استغلالية ماكرة ،استغلت عملية التنظير والتخطيط لأغراض زائفة ومضللة وذلك من مركز القوة التي يشكلها الاقتصاد عندما يعتمد على سياسة التكنوقراط والبحث عن حلول سريعة تفي بالغرض الآني والتاريخ يشهد أن **ميناردكينز1946 1883 John Maynard,Keynes**حاول انقاذ الاقتصاد من الانهيار في لحظة ضعف الاقتصاد العالمي وانهياره، فيما كان الوضع المالي والاقتصادي والاجتماعي ينمو أو يتعافى الا دفع فاتورة غالية جدا كانت وابلا على الانسان حيث شهدت المراحل التاريخية القريبة عدة أزمات" البطالة، الفقر، الحرمان.

وعليه فالمسألة الاقتصادية أصبحت تتطلب تنظيرا وتخطيطا عالي وواسع النطاق يحاول أن يقرأ الواقع الاقتصادي بنظرات مستقبلية يافعة ترتكز على المقومات البشرية الخصوصية المحلية التي لم يكن لها نصيب في السياسات السابقة لدى رجال المال والاعمال، والشركات العالمية التي أهدرت جوانب استراتيجية لا يمكن تجاوزها، لأن التنمية تتوقف على مدى المحافظة على الاستقرار الطبيعي والمناخ بما يكفل استمرار الحياة والتقليل من القلق الإنساني حيال مستقبله الذي قاب قوسين كان تحت رحمة أقلية استطاعت رهن مستقبل أجيال واسعة من البشر، وهذا ما حتم إعادة النظر الى المستقبل بعودة العلاقة بين الفلسفة والعلم من أجل إيجاد وسائل أكثر جدية ونجاعة تستلهم جدارتها من المبادرات الفردية لذوي القدرات الذكية من أجل إقتصاد نقي يفي بوعوده للمصلحة العامة الاجتماعية، الطبيعية ... والتخفيف من حدة قوة النفوذ والمال والنقود ، هذا الأخير الذي قال عنه يوما أرسطو النقود لا نقودا.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- منال طلعت محمود ، الموارد البشرية وتنمية المجتمع المحلي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003

- رودرك، م. تشيرهولم، نظرية المعرفة ، تر نجيب الحصاد الدار الدولية للنشر والتوزيع ط،1 مصر- كندا 1985

- عوض الحداد الأوجه المكانية للتنمية الإقليمية دار الاندلس، الإسكندرية 1993

- غانم عثمان مقدمة في التخطيط التنموي الإقليمي عمان دار البيضاء1999

- هاني سليمان الطعيمات، حقوق الانسان وحرياته الأساسية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط، 1، 2003.

- بيتر بروكر الحداثة وما بعد الحداثة تر، عبد الوهاب علوب منشورات المجتمع الثقافي، ط، 1، 1996 ابوظبي

- أحمد مجدي حجازي، شادية علي قناوي، التنمية ومشكلات التخلف في المجتمع المصري

- أحمد عارف العساف ومحمود حسين التخطيط والتنمية الاقتصادية الوارد دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ط 1 2011 عمان الاردن

- إبراهيم بعزيز، تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية بيروت: دار الكتاب الحديث. 2012.

- إيان كريبت النظرية الاجتماعية من با رسونز الى ها برماس تر، محمد حسين غلوم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1997

- أحمد قائد بركات، مأزق التنمية ونظرة خاصة الى اليمن والتنمية العربية: دمشق دار الفكر 1998.

- إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، دار الشروق القاهرة، 2001

- أحمد مجدي حجازي، شادية علي قناوي، التنمية ومشكلات التخلف في المجتمع المصري جامعة عين شمس، كلية الآداب، 1988

- ألكسي روزن بورج ,فلسفة العلم ترجمة و تقديم أحمدا سماحي وفتح الله الشيخ ط 1 القاهرة المركز القومي للترجمة 2014 .

- إريك فروم، الهروب من الحرية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي (دمشق. دار الحوار للنشر والتوزيع، 2016) ص 101

- إبراهيم مشورب: الاقتصاد السياسي مبادئ —مدارس–أنظمة دار المنهل اللبناني مكتبة رأس النبع. ط، 1، 2002 .

- أنتوني جيدنز الطريق الثالث تجديد الديمقراطية الاجتماعية تر محمد محي الدين الهيئة المصرية العامة للكتاب 2010.

- إيان كريب تر د محمد حسين غلوم تر د محمد عصفور النظرية الاجتماعية من بارسونز الى "هابرماس" المجلس الوطني للثقافة الكويت 1999

- بوبنير، رودي جر، الفلسفة الألمانية الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة وتقديم أمير الأعصم بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1986

– جيرمندرك باميرا إعادة التفكير في الحداثة تر ابتسام سيد علام المركز، القومي للترجمة ط،1، 2016 القاهرة

– جيرار ليكرلك ، العولمة الثقافية الحضارات على المحك تر، جورج كتورة ،توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية ليبيا ، ط، 1، 2004 .

– جون كينيث جالبريت تاريخ الاقتصاد الوطني تر أحمد فؤاد بلبع مراجعة إسماعيل صبري عبد الله -- – عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت 2000 .

– جاك لوغوف ، هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط ظ تعريب وتقديم محمد حناوي ويوسف نكادي،وجدة، مطبعة مفكر 2015.

– دفيد هارفي الوجيز في تاريخ النيوليبيرالية، وليد شحادة منشورات الهيئة العامة السورية وزارة الثقافة دمشق 2013 .

– شوقي جلال: العقل الأمريكي يفكر: من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات الناشر مكتبة مدبولي

– فؤاد زكريا: آفاق فلسفية سلسلة الفكر المعاصر دار التنوير للطباعة والنشر، ط،1 لبنان .1988

– مؤنس حسين: الحضارة، المجلس الوطني، الكويت 1998، ط ثانية " عالم المعرفة رقم 237،

– فوكوياما فرنسيس: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين، مركز الانماء القومي، بيروت 1993.

– علي عبود المحمداوي، الماركسية وما بعدها منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر 2014

–جورجلوكا تش ، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة حنا الشاعر، بيروت، دار الاندلس، ب، ت

– هوركهايمر – ماكس،و ادورنو ثيودور، جدل التنوير ، شذرات فلسفية ، تر، جورج كنتورة بيروت، دار الكتاب الجديد

– يونس أحمد البطريق د محمد عبد العزيز عجمية، التطور الاقتصادي في أوروبا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1984 .

– مارك سكويسين، الثلاثة الكبار «آدم سميت، كارل ماركس، جون مينارد كينز ، ترجمة مجدي عبد الهادي المركز القومي للترجمة القاهرة ط 1 2018.

– عارف العساف ومحمود حسين الوادي التخطيط والتنمية الاقتصادية دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان الاردن ط 2011 .

– فؤاد زكريا، آفاق فلسفية دار التنوير للطباعة والنشر ط، 1، بيروت لبنان 1988

– حسين عبد الحميد أحمد رشوان الاقتصاد والمجتمع دراسة في علم الاجتماع الاقتصادي المكتب الجامعي الحديث /ط،2 2008، .

– فرناد بروديل، الحضارة والاقتصاد والرأسمالية من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر، ج .2.

– التبادل التجاري وعملياته، تر مصطفى ماهر (القاهرة. المركز القومي للترجمة 2013..

– محمد نبيل :جامع اجتماعيات التنمية الاقتصادية وتعزيز الأمن القومي دار غريب للطباعة والنشر والتوجيه القاهرة .

– ويليام ستانلي جيف ونس: الاقتصاد السياسي تر علي أبو الفتوح كامل إبراهيم صالح نور الدين

– محمد مسعود الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة سنة2012 .

– عزمي رجب: مبادئ الاقتصاد السياسي دار العلم للملايين، بيروت 1964 الجزء الأول.

- الطيب داودي بداية أسطورة مؤسس علم الاقتصاد الحديث الرائد ابن خلدون الجزء الثاني مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع ط 1، 2014 الأردن

- عزمي رجب، مبادئ الاقتصاد السياسي دار العلم للملايين، بيروت 1964 الجزء الأول.

- كارل ماركس: العمل المأجور ورأس المال، تر الياس شاهين الناشر: دار التقدم موسكو .

- محمد نبيل جامع اجتماعيات التنمية الاقتصادية وتعزيز الأمن القومي دار غريب للطباعة والنشر والتوجيه القاهرة ،سنة 2000

- ريمون آرون تر فكتور باسل المجتمع الصناعي منشورات عويدات بيروت باريس الطبعة الثالثة 1983 .

- جورج سارتون تاريخ العلم في العصر الذهبي لليونان تر، لفيف من العلماء (إبراهيم بيومي مذكور، قسطنطين زريق محمد كامل حسين محمد مصطفى زيادة المركز القومي للترجمة ل 2010 .

- محمد عبد العزيز ربيع التنمية المجتمعية المستدامة دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان الأردن طع 2015 .

- يمنى ظريف الخولي فلسفة العلم في القرن العشرين عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ديسمبر 2000

- محمد عبد الرحمن مرحبا من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية ديوان المطبوعات الجامعية .

- نزار دندش ما هو العلم رحلة في التفكير العلمي دار الفارابي – بيروت –لبنان الطبعة الأولى 2009

- فؤاد زكريا التفكير العلمي المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت مارس 1978

- زهير ألكرمي العلم ومشكلات الإنسان المعاصر عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت سنة 1978.

- محمود يعقوب. الوجيز في الفلسفة، الجزائر، 1984-1985.

- مصطفى حجازي الانسان المهدور، المركز الثقافي العربي، ط، 2، الدار البيضاء –المغرب 2006.

- ريتشارد كوك وكريس سميت، انتحار الغرب تر، محمد محمود التوبة، الطبعة الأولى 2009.

- عزمي طه السيد أحمد: الفلسفة مدخل جديد دار المناهج للنشر الطبعة الأولى 2003 عمان الأردن

- عبد الباسط محمد حسن. أصول البحث الاجتماعي. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية 1971.

- غاستون با شلا ر: الفكر العلمي الجديد تر، عادل العوا مراجعة عبد الله عبد الدائم الطبعة الثانية بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1983.

- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة ط،12 ،1988.

- جودت أحمد سعادة، مناهج الدراسة الاجتماعية، دار العلم للملايين، بيروت، ط،1 1984.

- عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري، علم الاجتماع والتنمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،1985.

- محي الدين صابر، التغير الحضاري وتنمية المجتمع، مطابع سارس اللبنانية، القاهرة، 1962.

- يونس أحمد البطريق د محمد عبد العزيز عجيمية التطور الاقتصادي دار النهضة للطباعة والنشر بيروت 1984.

- محمد شفيق: التنمية الاجتماعية، دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط،1، 1994.

- محمود الجوهري وآخرون، ميادين علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة ط، 5 ،1980.

- السيد محمد الحسيني وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية دار المعارف، القاهرة، ط،11979

- محمد نور أفاية، الحداثة والتواصل، افريقيا الشرق ط، 2، بيروت 1998

- محمد عبد الهادي أبو ريده . التنمية والأهداف العليا للإنسانية –محاضرة الكويت، وعصر التنمية مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع الكويت 1972.

- عاطف السيد، دراسات في التنمية الاقتصادية، دار المجمع العلمي، جدة 1978

-مصطفى زايد: التنمية الاجتماعية ونمط التعليم الرسمي في الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986

- محمد محمود الجوهري المدخل الى علم الاجتماع دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان الأردن ط:1،2010

- طارق السيد علم اجتماع التنمية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2007

- كمال بالهادي منوال التنمية في فكر ياسين الحافظ قراءة مستقبلية لمشروع مستقبلي، مركز دراسات الوحدة العربية ط،1، بيروت 2015

- جيرار ليكرلك: العولمة الثقافية ط الحضارات على المحك تر جورج كتورة توزيع دار اويا للطباعة والنشر ط، 1، ليبيا 2004

- كمال التابعي، تغريب العالم الثالث، دار النصر للتوزيع والنشر – القاهرة ط،2، 1995

- كمال التابعي الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية دار المعارف القاهرة ط،1، 1985.

- السيد الحسيني وآخرون دراسات في التنمية الاجتماعية ط،5، دار المعارف القاهرة 1984،

- عبد الهادي والي، السيد الزيات، مدخل الى علم الاجتماع التنمية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1995.

- بوبكر بوخريسة علوم الانسان بين الهوية والسؤال ديوان المطبوعات الجامعية 2013

- السيد محمد الحسيني، التنمية والتخلف، مطابع سجل العرب – القاهرة، 1980

- حسين عبد احميد رشوان، أسس التحليل الاقتصادي، دار الجامعات المصرية الإسكندرية 1981

- يونس أحمد البطريق ومحمد عبد العزيز عجمية التطور الاقتصادي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1984 .

-سمير بالكفيف الفلسفة الألمانية والفتوحات النقدية جداول للنشر والتوزيع ط، 1، بيروت 2014 .

- توفيق ألمدني، وجه الرأسمالية الجديدة، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- محمد محمود الجوهري علم الاجتماع التنمية دار المسيرة للطباعة والنشر الطبعة الثانية 2015 . أحمد

- مجدي حجازي، شادية علي قناوي، التنمية ومشكلات التخلف في المجتمع المصري،

- محمد نبيل جامع: علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية، دار الجامعة الجديدة .

- جمال حلاوة وعلي صالح مدخل الي علم التنمية دار الشروق للنشر والتوزيع ط 1 عمان الأردن 2009

- علي عبد الرزاق جلبي وهاني خميس أحمد عبده علم اجتماع التنمية دار المعرفة الجامعية 2009.

- طارق السيد علم اجتماع التنمية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2007

- ليسنج (حول مؤتمر مجالس مقاطعات فورتم برج ": كتابات في الفلسفة وفلسفة القانون والحق 1913.

- هيربرت مركوز الثورة والعقل ترجمة فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970

- مارك يوز، فلسفة النفي، ترجمة مجاهد عبد المنعم، دار الآداب، بيروت 1971.

- كير يليس نكو كور شوفا" ماهي الفلسفة؟ دار التقدم، موسكو 1990

- صفدي مطاع، نقد العقل الغربي، مركز الانماء، بيروت 1990.

- فؤاد زكريا هيربرت ما ركوز دار الفكر للنشر والتوزيع 4 ميدان الجمهورية القاهرة

- فؤاد زكريا: هيربرت، مارك يوز: كراسات الفكر المعاصر دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع، ط،2 القاهرة 1978 .

- هيربرت ما ركوز، الانسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الادب، بيروت، ط 3، 1988

- محمد إبراهيم مبروك، نقد الليبيرالية واستعبادها للشعوب، مركز الحضارة العربية ط، 1، القاهرة 2014

- خبابة عبد الله السياسة السعرية في إطار العولمة الاقتصادية مؤسسة الثقافة الجامعية 2009 الإسكندرية

- هاربت مارك يوز العقل والثورة ترجمة فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 .

- إحسان محمد إحسان النظريات الاجتماعية المتقدمة، دار وائل للنشر ط،2، الأردن 2010 .

- فيصل عباس، الفرو يديه، ونقد الحضارة المعاصرة، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، ط،1، 2005، بيروت .

- محمد أيت حنا الرغبة والفلسفة مدخل الى قارئة د ولوز وغوتاري، دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب 2010

- جان بيير غارني،عولمة الثقافة. تر، عبد الجليل الازدي: الدار المصرية اللبنانية ، ط، 1، 2003.

- فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري الحداثة وما بعد الحداثة مكتبة دمشق دار الفكر بيروت لب نان2003 .

- سامي عفيفي حاتم الاتجاهات الحديثة في الاقتصاد الدولي والتجارة الدولية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط، 2، 2004 .

- هربرت أ .شيللر المتلاعبون بالعقول، ترجمة ع السلام رضوان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت 1999 .

- حلمي ساري التواصل الاجتماعي دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان الطبعة الأولى 2016

- بوخريسة بوبكر علوم الانسان بين الهوية والسؤال ديوان المطبوعات الجامعية 2013 .

- سماح رافع محمد المذاهب الفلسفية المعاصرة الناشر مكتبة مدبولي الطبعة الاولىسنه1973 .

- أنطوني جدّنز الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة تر أديب يوسف شيش 3 مارس 1971 جامعة كمبريدج الإعلامية .

- كارل ماركس بؤس الفلسفة ردا على فلسفة البؤس لبروتون تر محمد مستجير مصطفى دار الفارابي التنوير بيروت لبنان .

- غازي الصوراني مدخل الى الفلسفة الماركسية المادية الجدلية والتاريخية 13 10 2013

- يرغن ها برماس العلم والتقنية ك أيديولوجيا ترجمة حسن صقر منشورات الجمل، ط 1، ألمانيا 2003

- رمضان بسطو يسي علم الجمال لدى مدرسة فرنكفورت أد ورنو نموذجا مطبوعات نصوص 90 القاهرة 1993

- علي عبود المحداوي الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل، منشورات الاختلاف ،ط،1 2014،الجزائر .

- ماتيلار أو متيلار ، نظريات الاتصال ، تر أوديب حضور، دمشق ، المكتبة الإعلامية .

- عبد الحميد محمد نظريات الاعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب القاهرة 2004.

- فليب جونز النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية، ترجمة محمد ياسر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة 2010

- آلان توران: نقد الحداثة، تر: أنور مغيت المجلس الأعلى للثقافة 1997.

- برنار كاتولا الاشهار والمجتمع تر، سعيد بن كيراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط،1 اللاذقية سورية 2012 .

- اسمهان طلحي، فلسفة الفكر الليبيرالي، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، ط، 1 2016 الجزائر

- روجر روزن بلات: ثقافة الاستهلاك (الاستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة، تر، ليلى عبد الرزاق، المركز القومي للترجمة، ط، 1، 2011، القاهرة

- العوا عادل، العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس، دمشق 1996

- شارل لالو، الفن والأخلاق، ترجمة عادل العوا، دمشق 1970

- إيمانويل كنط نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي ترجمة موسى وهبة مركز الانماء القومي لبنان

-كارل مركس:نظرية فائض القيمة في كتابه ، رأس المال و " نقد الاقتصاد السياسي " طبعة دار التقدم موسكو 1967

- جان بودريار، الفكر الجذري، أطروحة موت الواقع، .

- جون ليشتته، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، من البنيوية الى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة بيروت ط 1، 2008.

- كارل ماركس، رأس المال، الكتاب الأول، تطور الإنتاج الرأسمالي، دار اليقظة العربية، دمشق، 1958.

- هيربرت أ .شيللر المتلاعبون بالعقول ترجمة عبد السلام رضوان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ،مارس 1999 .

- علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، المركز الثقافي العربي، ط2، 2004

-محمد عابد الجابري قضايا في الفكر المعاصر مركز الوحدة العربية ط،1 بيروت 1997

- هارولد مولر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهنتن تون، تر إبراهيم أبو هشهش، طرابلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1 ، 2005،

- بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة، رؤية نقدية، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط12002

- محمد سبيلا: زمن العولمة فيما وراء دوائر الوهم، الدار البيضاء، دار توبقال لنشر، ط 1، 2006،

- محمد سبيلا، وعبد السلام بنعبد العالي ما بعد الحداثة دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى.

- فيصل عباس الفر ويديه ونقد الحضارة المعاصرة دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر الطبعة الأولى 2005، بيروت

- هنري هاردي الحرية خمس مقالات عن الحرية تر ، يزن الحاج المركز القومي للترجمة ط 2 2015 القاهرة

- فرنسيس فوكو ياما، نهاية التاريخ والانسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين، مركز الانماء القومي، بيروت 1993.

- هربارت مارك يوز الانسان ذو البعد الواحد تر جورج طرابيشي منشورات دار الآداب بيروت الطبعة الثالثة 1988.

- نور الدين زمام، القوة السياسية والتنمية، دراسة في علم الاجتماع السياسي (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 2007،

- محمد سبيلا مدارات الحداثة الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط 1 بيروت 2009.

- إيان كريبت النظرية الاجتماعية من بارسونز الى ها برماس تر محمد حسين غلوم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت .

- روجي جاروري، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط تر مروان حمود دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع دمشق. ط، 1. 1998.

- حسام الدين محمود فياض نقد هيربرت مارك يوز لمفهوم الحضارة في المجتمع الصناعي المتقدم: مكتبة نحو علم اجتماعي تنويري – سيسيولوجيا بلا حدود 2018 .

- فؤاد زكريا، هيربرت مارك يوز دار الفكر المعاصر القاهرة 1978 .

- أنطوني جدّنز ،الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة تر أديب يوسف شيش صحافة جامعة كمبريدج .

- فيصل عباس الاغتراب، الانسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني 2008

- محمد سبيلا مدارات الحداثة الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت لبنان ط الأولى سنة 2009

- كارل ماركس ،مخطوطات 1844 ،ترجمة الياس مرقص دمشق دار دمشق للطباعة والنشر 1980

- محمد سبيلا مدارات الحداثة الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت لبنان الطبعة الاولى 2009

- ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990 .

- كارل ماركس حول المسألة اليهودية، ترجمة نائلة الصالحي، منشورات دار الجمل، ألمانيا ط 1 2003

-كارل ماركس وفريديريك أنجلز ،البيان الشيوعي، ترجمة وتقديم محمود شريح، منشورات الجمل كولونيا، ألمانيا ط 1، 2000.

- مارك وز ، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جور طرابيشي ، الآداب ،بيروت

- أريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت 1972

- سربست نبي، كارل ماركس ومسألة الدين، تقديم، نصر حامد ابوزيد، مؤسسة حمدي للطباعة والنشر، العراق، السليمانية، ط2، 2006 .

- نايف سلوم ما بعد الحداثة دار التوحيدي للنشر الطبعة الأولى ص 24 ، 1998-

– جيرمندر ك.بامبرا: إعادة التفكير في الحداثة تر ابتسام سيد علام، حنان محمد حافظ، المركز القومي للترجمة، ط1،القاهرة 2019

– عبد الرحمان اليعقوبي: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون،محمد الجابري ، هشام جعيط، مركز نماء للبحوث والدراسات، لبنان.

– فليب جونز:النظريات الاجتماعية ترجمه محمد ياسر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع 2010 القاهرة

– محمد الشيخ، ياسر الطائري مقاربات في الحداثة وما بعد –الحداثة دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى 1997

– إبراهيم الحيدري النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة الطبعة الأولى، دار الساقي بيروت لبنان 2012

– هيربرت مارك يوز: فلسفات النفي (دراسات في النظرية النفسية) ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة ط 1، 2012 .

– محمد الجابري قضايا في الفكر المعاصر مركز دراسات الوحدة العربية، ط، 1، بيروت، 1997

– أبو النور حمدي أبو النور حسن يرغن ها برماس الاخلاق والتواصل دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 2009

– هاربت مارك يوز الانسان ذو البعد الواحد ترجمة جورج طرابيشي منشورات دار الآداب بيروت ط، 3، 1988.

– كمال بومنير النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونت، ط1، المطبعة العربية للعلوم، بيروت 2010

– أيسر عبد الرحمن، فلسفة الجمال عند مدرسة فرانكفورت، رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم الفلسفة الجامعة المستنصرة .

– توم بوتو مور مدرسة فرانكفورت، تر، سعد هجرس دارأويا للطباعة والنشر والتوزيع والنمية الثقافية، ط،2 2004 ليبيا .

– ايان كريت النظرية الاجتماعية من بارسونز الى ها برماس ترجمة د محمد حسين د غلوم مراجعة د محمد عصفور المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت نيسان 1999 .

– ألان تورين نقد الحداثة تر، أنور مغيت المجلس الأعلى للثقافة 1997.

– هوركهايم ر وأدورنو، جدل التنوير شذرات فلسفية، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

– محمد رمضان بسطا ويسي: علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط 1، بيروت 1998

– عمر مهيبل ، من النسق الى الذات ،منشورات الاختلاف ، دار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر ، بيروت ط 1 2007 .

– ألان تورين نقد الحداثة تر أنو مغيث المجلس الأعلى للثقافة 1987 .

– محمد أفاية الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة افريقيا الشرق بيروت لبنان ط 2 1998.

– فيصل عباس الفرو يدية ونقد الحضارة المعاصرة دار المنهل اللبناني، ط،1 بيروت .2005

– بول لوران آستون: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان ط1، 1990،

– جاك دريدا في الروح هايدغر والسؤال، تر، عماد نبيل دار الفارابي بيروت، ط 1، 2013 .

- محمد بكاي : أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق الى إقرار الانعتاق مكتبة مؤمن قريش ، ط، 1لبنان 2017

- علي عبود المحمداوي الإشكالية السياسية للحداثة منشورات الاختلاف ط 1 الجزائر.

- جورج لا رين الأيديولوجية والهوية الثقافية، ت: فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، ط، 1 2000.

- مصطفى حجازي الانسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية المركز الثقافي العربي ، ط 2 الدار البيضاء المغرب 2006

- بمنير كمال، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى اكسل هونت الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر ط، 2010 .

- محمد أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج ها برماس افريقيا الشرق الطبعة الثانية 1998 .

- محمد سبيلا، الأيديولوجيةنحو نظرية تكاملية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ،1992.

- كمال بومنير ، جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، الامارات ، ط1، 2010.

- جورج لا رين، الأيديولوجية والهوية الثقافية ..الحداثة وحضور العالم الثالث ،ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 2002.

- بول ريكور، محاضرات في الأيديولوجيا اليوتوبيا، تحرير وتقديم جورج هـ تايلور، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1 2002.

- إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدجر، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، لبنان والجزائر والإمارات، ط1 . 2006

- عطيات أبو السعود الحصاد الفلسفي للقرن العشرين وبحوث فلسفية أخرى، مكتبة الإسكندرية، ط،1

- عمر مهيبل ، من النسق على الذات ، قراءات في الفكر الغربي المعاصر الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف ، الجزائر ط، 1، 2007

- حسن حنفي، في الفكر الغربي المعاصر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط،1، 1990.

- حنة آرندت ،ايخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشرّ تر، نادرة السنوسي تقديم علي عبود المح مداوي دار الروافد الثقافية ، ناشرون بيروت لبنان.

- إدموند هوسرل أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترسندنتالية ترجمة إسماعيل المصدق المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت 2008 .

- جورج زيناتي، رحلات داخل الفلسفة الغربية بيروت، دار المنتخب العربي، 1993

- غيورة فريدة اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة الجزائر ،2002.

- سليم سلامة يوسف أنور، الفينومينولوجيا المنطق عند هوسرل، دار التنوير للطباعة والنشر، 2007

- علاء مصطفى أنور، علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية، دراسة في فلسفة مير وبونتي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.

- مصطفى إبراهيم إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999.

- خوري أنطوان، مدخل الى الفلسفة الظاهرتية، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1 1984

– مصدق إسماعيل، الفلسفة في عصر العلم والتقنية، نظرة فينومينولوجية، توفيق رشيد للأبحاث والدراسات الفلسفية، المغرب.

– جيرمندرك.بامبرا ،إعادة التفكير في الحداثة نزعة ما بعد الاستعمار والخيال السوسيولوجي ترجمة ابتسام سيد علام، حنان محمد حافظ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ط،1، 2016 .

– الزاوي بغورة، ما بعد الحداثة والتنوير – موقف الانطولوجيا التاريخية دراسة نقدية، دار الطليعة، بيروت ط1 2009 .

– عامر عبد زيد، نقد أطياف التمركز الغربي في الاستشراق وفلسفة التاريخ والاستراتيجية دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع العراق، ط 1، 2015

– جورج لا رين ،الأيديولوجيا والهوية الثقافية، فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، ط1، 2000،-معن الطائي، المرويات الكبرى وجماليات تزييف الواقع في الثقافة الكولونيا ليه

– فرنسيس فوكو ياما الثقة، تر، معين الامام، مجاب الامام منتدى العلاقات العربية والدولية .

– بشرى صالح قراءة نقدية في كتاب الثقافة والامبريالية ، ادوارد سعيد عمان العاصمة.

– محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ما بعد الحداثة جزء 3 تجلياتها وانتقاداتها دار توبقال للنشر المغرب، ط، 1، 2007

– إريك فروم، أزمة متصدعة الثقافة والمجتمع في القرن العشرين، تر، سهام عبد السلام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت، ط1 2015.

– برتراند رسل، حكمة الغرب، تر فؤاد زكريا، سلسلة المعرفة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت سنة 1983.

– عزمي رجب مبادئ الاقتصاد السياسي، دار العلم للملايين، بيروت 1964الجزء الأول .

-ريتشارد كوك ،و كريس سميث انتحار الغرب، تر، محمد محمود التوبة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ط 1 2009

- إبراهيم مشورب الاقتصاد السياسي مبادئ مدارس، أنظمة دار المنهل اللبناني مكتبة رأس المنبع، ط، 1، 2002لبنان

- جلال أمين، كشف الأقنعة عن نظريات التنمية الاقتصادية، كتاب الهلال رقم 614، القاهرة 2002، .

- عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط، 4، 2008

- شوفاليه جان تاريخ الفكر السياسي (من الدولة القومية الى الدولة الأممية) ، تر محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط،3، 2002،

- حسام الدين علي مجيد، إشكالية التعددية الثقافية في الفكر الساعي المعاصر، ط، 1، 2010، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

- جون كينيت ، تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر ، تر، أحمد فؤاد بلبلع ، سلسلة المعرفة 261، الكويت 2002

- باسل البستاني جدلية نهج التنمية البشرية المستدامة منابع التكوين وموانع التمكين مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2009

- مصطفي حنفي، من كانت إلى جون رولز:الجدل الأخلاقي والسياسي في نظرية العدالة، ضمن فلسفة الحق، كانت والفلسفة المعاصرة: تنسيق محمد مصباحي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط، 1، 2007

- كيلليوم. كوفالزون ، المادية التاريخية، تر أحمد داوود، دار الجماهير، دمشق 1970،

- غرغوري كلارك، الاقتصاد العالمي تر أمين الأيوبي الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2009 .

- رمزي زكي، الليبرالية المتوحشة ملاحظات حول التوجهات الجديدة للرأسمالية المعاصرة، دار المستقبل العربي، القاهرة 1993..

- توفيق المدني، وجه الرأسمالية الجديد من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2004

- زروخي الشريف،العقلانية والتنوير دار مكتبة عدنان بغداد ط، 1، 2013

- أسمهان طلحي، فلسفة الفكر الليبرالي، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط، 1. 2016

- عارف دليلة، بحث في الاقتصاد السياسي للتخلف والتقدم والنظام الاقتصادي العالمي، دار الطليعة، بيروت 1982،

- مينايف نشوء الاشتراكية العلمية ومبادئها دار القلم موسكو .

- فؤاد دهمان ، محاضرات في المذاهب الاقتصادية الكبرى، دمشق 1959 .

- مارك سكوين الثلاثة الكبار آدم سميت، كارل ماركس، جون ماينا رد كينز تر مجدي عبد الهادي المركز القومي للترجمة، ط، 1 2018

-كارل ماركس بؤس الفلسفة تر محمد مستجير، دار الفارابي – بيروت لبنان ط4 2010 .

- ستروش، دروس في الاقتصاد السياسي أو عرض للمبادئ التي تحدد ثروة الأمم باريس 1823،

- تيمونز روبيرت، من الحداثة الى العولمة أيمي هايت، تر سمر الشيشكلي الجزء الأول المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب الكويت 2004

- رمزي زكي، فكر الأزمة دراسة في أزمة علم الاقتصاد الرأسمالي والفكر التنموي الغربي، مكتبة مدبولي، القاهرة 1987

- فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها، سلسلة عالم المعرفة، رقم 147، الكويت 1990

-اوسكار، لا نكه، مايكل كاليتسكي: الاقتصاد السياسي (الرأسمالية والاشتراكية).تر محمد سلمان حسن، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ط1 1980

- انتوني جندر، الطريق الثالث تجديد الديمقراطية الاجتماعية تر أحمد زايد، محمد محي الدين الهيئة المصرية العامة للكتاب 2010

- سامي عفيفي حاتم، الاتجاهات الحديثة في الاقتصاد الدولي والتجارة الدولية، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ط،1، 2004 - إيان كريبة النظرية الاجتماعية من بار سينز الى "ها برماس، ترجمة محمد

- حسين غلوم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ابريل 1999

- فليب جونز، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، تر محمد ياسر خواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط ،1، سنة 2010،

- لورانس هاريزون،صمويل ،هنجتون الثقافات وقيم التقدم تر المركز القومي تر شوقي جلال ط،2، القاهرة 2009 .

- جون فريدمان، التمكين سياسة التنمية البديلة تر، ربيع وهبة ط، 1، 2010 القاهرة

- ريتشارد، كوبر ريتشارد لايا ر، ماذا يخبئ المستقبل للعالم؟ رؤى من منظور العلوم الاجتماعية تر، محمد رفعت عوادو، مصطفى عبد الجواد المركز القومي للترجمة ط،1، القاهرة 2018

- رمزي زكي، التاريخ النقدي للتخلف، سلسلة عالم المعرفة 118، الكويت، 1987

- محمد الصادق، إدارة التنمية وطموحات التنمية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، عمان الأردن 1983،

– عـاطف غيـث، في تقديمـه لكتـاب، "نبيـل السـمال وطـي"، علـم الاجتمـاع التنميـة: دراسـات في اجتماعات العالم الثالث، الإسكندرية: الهيئة المصرية للكتاب، 1974 .

– زهير الكرمي العلم ومشكلات الانسان المعاصر عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت 1978

–ريمي ريفيـل ، الثـورة الرقميـة ، ثـورة ثقافيـة تـر سـعيد بـالمبخوت، والـزاوي بغـورة ، سلسـلة عـالم المعرفـة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 2018 الكويت .

– ريتشارد كوك، انتحار الغرب تر محمد محمود التوبة، هيئة أبو ظبي للثقافة «كلمة "ط 1، 2009

– هشام مرزوك ،علي الشمري وآخرون، الاقتصاد الأخضر مسار جديد في التنمية المستدامة دار الأيام للنشر والتوزيع، ط، 1، الأردن 2006 .

– إدي فينـر ،وأرنولـد بـراون ،التفكـير المسـتقبلي كيـف تفكـر بوضـوح في زمـن التغـير، مركـز الإمـارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ط،1 2008

– جـاكلين روس، الفكـر الأخلاقـي المعاصـر، ترجمـة عـادل العـوا، عويـدات للنشـر والطباعـة، بـيروت، 2001

– جمـال مفـرح، الفلسـفة المعاصـرة مـن المكاسـب الى الإخفاقـات، منشـورات الاخـتلاف الجزائـر الطبعـة الأولى 2009 .

– محمود عابد الجابري وآخرون، التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 1995.

– أنتوني لوينشتاين، رأسمالية الكوارث تر أحمد عبد الحميد. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت .

- رياض طبارة، تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي –دار الرازي الكويت 1987

- ديترتسمرلنغ، النهايات الهوس القيامي الألفي، تر ميشيل كيلو، قدمس للنشر والتوزيع، ط-1 1999. دمشق سورية

- سليمان الراشي ، دراسات في التنمية العربية الواقع والافاق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 19،

- جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت 2001..

- رتشارد واطسون ملفات المستقبل موجز في تاريخ السنوات الخمسين المقبلة تر عمر سهيد الأيوبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع كلمة، ط، 1، 2012.

- محمد كامل عارف، مستقبلنا المشترك عمل مترجم إعداد اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، سلسلة عالم المعرفة ع 142، الكويت 1989-.

- توفيق المدني وجه الرأسمالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2004-

-امارتي صن التنمية حرية رؤية شاملة للتنمية ترجمة شوقي جلال المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2004

-محمد نصر عارف، التنمية من منظور متجدد، ط، 1القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية،

-محمد كمال مصطفى ا لطريق الى التنمية الفاعلة مؤسسة فريدريش إيبرت الزمالك القاهرة 2016

- شوقي جلال، العقل الأمريكي يفكر (من الحرية الفردية الى مسخ الكائنات) مكتبة مدبولي 2000

-أحمد عارف العساف، محمود حسين الوادي، التخطيط والتنمية الاقتصادية دار المسيرة للنشر والطباعة، ط 1، 2011 عمان .

- زكي نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر ط،2 القاهرة: دار الشرق 1979- إبراهيم مشورب: قضايا التخلف والتنمية في العالم الثالث، ط،1، دار المنهل اللبناني، بيروت 1997

- حاتم محمد الحاج وأحمد على سبيتي، حاجة الانسان العربي للنقل والاتصالات، دار طلاس، ط1، 1990،

- محمد محمود الامام مستقبل التنمية العربية والعمل الاقتصادي العربي المشترك، المعهد العربي للتخطيط الكويت 1993،

- أدريان سميت، أليسون ستينينج، كاتي ويلز: العدالة الاجتماعية والليبيرالية الجديدة منظورات عالمية تر وائل حمدي مركز القومي للترجمة، ط،1، القاهرة 2016 .

-جير مندرك باميرا إعادة التفكير في الحداثة تر ابتسام سيد علام المركز القومي للترجمة ط، 1، 2016 القاهرة

- عبد الرحمن صوفي عثمان مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي المؤتمر العلمي الدولي لكلية العلوم الاجتماعية والآداب المجلد الثاني منشورات جامعة لسلطان قابوس سلطنة عمان 2007

- محمد مراياتي ، المعلوماتية ودورها في تحقيق التعاون الاقتصادي العربي وأفاق المستقبل ، مركز البنك العربي للبحث العلمي ، دار فارس للنشر الأردن ، 2011.

-سامي عفيفي حاتم الاتجاهات الحديثة في الاقتصاد الدولي والتجارة الدولية، الناشر الدار المصرية اللبنانية. ط2 2005 القاهرة

- محمد عبد القادر الفقي، الاقتصاد الأخضر المنطقة الإقليمية لحماية البيئة البحرية، 2014

عطيات أبو السعود الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف الإسكندرية

– فؤاد زكريا التفكير العلمي سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1978

– عبد الكريم بكّار مخل الى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية دار القلم دمشق ط01 1999

–بول كنيدي الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، تر محمد عبد القادر وغازي مسعود عمان —دار الشرق عام 1993– عواطف إبراهيم الحداد، إدارة الجودة الشاملة، ط،1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.

– خضير كاظم محمود، وروان منير الشيخ، إدارة الجودة في المنظمات المتميزة، ط،1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2010.

– سوسن شكر مجيد ومحمد عواد الزيادات، إدارة الجودة الشاملة تطبيقات في الصناعة والتعليم، ط،1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007.

– خبابة عبد الله السياسة السعرية في إطار العولمة الاقتصادية مؤسسة الثقافة الجامعية 2009 الإسكندرية – هاشم مرزوق علي الشمري وآخرون الاقتصاد الأخضر مسار جديد في التنمية المستدامة دار الأيام للنشر والتوزيع ط،1، الأردن 2016

.

رسائل الدكتوراة:

– الصادق بخوش أطروحة الدكتوراه: تمظهرات الهيمنة في الفكر الغربي من عصر الأسطورة الى عصر العولمة سنة الجامعية 2013–2014 جامعة وهران

نور الدين بوزوار مذكرة دكتورا بعنوان الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت جامعة وهران2، الموسم الجامعي 2016،2017

– شراد فوزية، فلسفة اللغة عند يرغن ها برماس، أطروحة دكتورا في الفلسفة، غير منشورة لنيل شهادة الدكتورة علوم في الفلسفة، اشراف أ –د غبوة فريدة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم فلسفة جامعة قسنطينة الجزائر 2009-2010

– بن علي محمد رسالة دكتورا، العلوم في الفلسفة: الانسان في الفكر العربي والإسلامي والليبيرالي الغربي جامعة وهران السانيا قسم الفلسفة سنة 2012-2013 .

– حيرش سمية أطروحة دكتورا الفلسفة الامريكية بين الليبيرالية والبرغماتية جامعة وهران سن

– هند بن عمار رسالة الدكتوراه: المسؤولية الدولية عن تخلف التنمية الاقتصادية في الدول النامية جامعة ابن خلدون الجزائر سنة 2004

المواقع الالكترونية

– كامل ، وزنة : آدم سميت ، قراءة في اقتصاد السوق معهد الدراسات الاستراتيجية ، منتديات برامج نت أكرم كوردي.Critique 2003 p u f . paris , des reseaux

– جميل حمداوي جهود ماركس في مجال السيسيولوجيا، ط،1، 2015ا لالوكة . Hamdaouidocteur@ gmail.com

– حول وجه الشبكة وتمثيلاتها المختلفة منذ القرن 18، انظر جميل حمداوي جهود ماكس فيبر في السيسيولوجيا، شبكة الألوكة ط 1 2010 .wwwalukahnet .

– محمد سلامة الهاشمية: عائد الاستثمار في رأس المال البشري (قياس القيمة الاقتصادية لأداء العامليين موقع الأولوكة .wwwalukahnet

- ايفانز وسويل : النيوليبرالية : الأيديولوجيا، والسياسات، والآثار الاجتماعية تر خبيب زهير -

- كنزوي محمد فوزي : براديغم مدرسة فرانكفورت على المحك: منظور اتصالي مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 2014/9

- علي عبد الرزاق جلبي ، هاني خميس أحمد عبده علم اجتماع التنمية دار المعرفة الجامعية القاهرة 2009

- قراءات حول التطور التاريخي لفلسفة النمية المستدامة بوشنقير ايما ن ، وشبيرة بوعلام عمار bouchenkirimen@yahoo.fr.

- عويسي أمين ، النظام الاقتصادي والثقافة الاجتماعية دار احياء للنشر الرقمي 2014 .

Chiaa.pub@gmail.com

- حميدة ميلاد بورونيه، التنمية البشرية المستدامة من منظور النوع الاجتماعي: التمكين – التعليم – العمل: الرؤى والامكانيات كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة طرابلس .

المجلات العلمية:

- محمد بن هلال، " الاعلام الجديد ورهان تطوير الممارسة السياسية، تحليل لأهم النظريات والاتجاهات العالمية والعربية، المستقبل العربي، السنة 34، العدد 396 فبراير 2012،

- كريمة كريم: الحق في التنمية: دراسة للأدبيات النظرية، في: محسن عوض (تحرير) حقوق الانسان التنمية، أعمال الندوة الإقليمية حول حقوق الانسان والتنمية القاهرة -9 يونيو-1998

- عزام محجوبة علاقة التنمية بحقوق الانسان في محسن عوض تحرير حقوق الانسان والتنمية أعمال الندوة الإقليمية حول حقوق الانسان والتنمية القاهرة 7-8-9 يونيو 1999

- رشيد الحاج صالح الانسان في عصر الحداثة دار الثقافة والاعلام العدد 46 مايو ص 152013

- صفدي مطاع، الإنسان المرآوي ونهاية التاريخ " الفكر العربي المعاصر "، مركز الانماء القومي، بيروت 1990، عدد 82-83 .

- لعلي بوكميش ، الحق في التنمية كأساس لتنمية الموارد البشرية وتحقيق التنمية الشاملة مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 2013جوان أدرار الجزائر .

- بن بوهة أحمد، قيم التحرر عند مدرسة فرانكفورت مجلة دراسات في فلسفة السلم مخبر التراث والفكر المعاصر جامعة وهران 2013

- أحمد أبو زيد، الاغتراب الجديد، مجلة العربي، العدد 631، 2011.

- صفدي مطاع القوة القومية لوغوس/ ايروس، الفكر العربي المعاصر، مركز الانتماء القومي بيروت 1986، عدد 42

- محمد عيد بلبع المسؤولية الاجتماعية للشركات ودورها في تحقيق التنمية المستدامة في مصر المجلة العربية للإدارة مج 38- ديسمبر 2018

-مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية تصدر عن مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع العدد 16/ 213 ،

- جمال براهمة، مقال الحرية بين الحقيقة والزيف منظور أريك فروم وهيربرت ما ركوز قسم الفلسفة جامعة قسنطينة.

- زكي نجيب محفوظ، نافذة على الفلسفة كتاب العربي سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي أبريل الكويت 1990.

-جمال تالي الاغتراب من الفكر الفلسفي الى ما بعد الحداثة مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية العدد 16 2013 الصادرة عن كنوز الحكمة

– حياة ذيبون، حديث النهايات العقل التواصلي بديلا عن العقل الاداتي، مجلة مقاليد العدد 7، 2014

– محمد شوقي الزين، كيف نقارب الثقافة من وجهة نظر ثقافية، نحو نقد العقل الثقافي، مجلة يتفكرون، العدد، ربيع 2013، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات..

– عكنان منى النظرية الاتصالية عند يورعن هبرماس. شؤون الأوسط. مركز الدراسات الاستراتيجية. العدد 158 -159-.172.2018

– أحمد جميل، التنمية حرية عرض كتاب أمارتيا صن " رؤية شاملة للتنمية، العدد 2322 – 2008،

– مصطفى حسن علي، نقد مفاهيم المنظمات الدولية للتنمية والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، مجلة دراسات عربية، العدد 6، دار الطليعة للطباعة، بيروت 1983،

– جمال براهمة مقال الحرية بين الحقيقة وازيف قسم الفلسفة جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد - أحمد جميل – حمودي. كتاب –التنمية حرية –إماراتيا صن رؤية شاملة للتنمية في ولايات المتحدة الامريكية مجلة الحوار المتمدن العدد 2322سنة 2008

– محمد طاقة، حسين عجلان: المأزق الفكري للنظام الرأسمالي والازمة الاقتصادية العالمية، المؤتمر العلمي الدولي، الأردن 2009

– مجلة دراسات فلسفية، تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة بغداد العدد 39، 2017

– سلايمية يمينة الخطاب ما بعد الكولونيا لي في كتابات ميشال فوكو مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 13-2016 .

- غالي حسن 2013 المنظور السيسيولوجيا للتواصل عند هبرماس. مجلة الحكمة. كنوز الحكمة للنشر والتوزيع العدد 18-200-214

- بهجت، قرني، التنمية الإنسانية العربية في القرن الحادي والعشرين: أولوية التمكين، جلسة نقاشية بمركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ت، 2014/9/19

- عبد الخالق ع الله ، البعد السياسي للتنمية البشرية ، حالة دول مجلس التعاون الخليجي ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية العدد 290، بيروت 2003-

- رمزي زكي، الليبيرالية الجديدة تقول وداعا للطبقة الوسطى،مجلة عالم الفكر، ع 2، مج25أكتوبر 1996، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، .

- أحمد جميل حمود، عرض كتاب ،التنمية حرية ، أمارتيا صن رؤية شاملة مجلة الحوار المتمدن ، العدد:2322 -2008

- راؤول فيريرو، النظام الاقتصادي الدولي الجديد وتعزيز حقوق الانسان، منشورات الأمم المتحدة

- عمراني عمر، التطور المفاهيم للتنمية: من التنمية الى ما بعد التنمية مجلة الحوار المتمدن 09-12-2014

- طالب قويدر الاندماج في اقتصاد المعرفة، الفرص والتحديات، الملتقى الدولي حول التنمية البشرية وفرص الاندماج في اقتصاد المعرفة، جامعة الجزائر

- رمزي زكي، المشكلة السكانية وخرافة الملط وسية الجديدة، سلسلة عالم المعرفة عدد 84 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1984 [1]

- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام 1990 (نيويورك البرنامج، 1990

– المقدمة في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية للعام 2005 التعاون الدولي على مفترق الطرق المعونة والتجارة والامن في عالم غير متساو نيويورك 2005،

– عبد السلام علي نوير الاتجاهات المعاصرة ، مقال في دراسة الثقافة السياسية مجلة الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد 40 2011

– عمر إمام عمر ثورة تكنولوجية تؤسس عالم ما بعد الرأسمالية الحوار المتمدن القاهرة / 13 جوان 2018

– فؤاد مرسي،الرأسمالية تجدد نفسها، عالم المعرفة، العدد 147 مارس 1990،–

– سامي غابري اتيقا المسؤولية لدى إيمانويل ليفينا س مجلة دراسات فلسفية الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية أبريل 2017 الجزائر

– سماعيل صبري عبد الله: التنمية المستقلة، محاولة لتحديد التنمية المستقبلية، محاولة لتحديد مفهوم مجمل، مجلة المستقبل العربي العدد 90، آب/ أغسطس .1998 .

– ساري نصر الدين، عبيدات ياسين السياق التاريخي والتنمية المستدامة، يوم دراسي حول واقع التنمية المحلية والتنمية المستدامة في الجزائر مع الإشارة الى ولاية خنشلة 2011

– الشبكة العربية لمعلومات حقوق الانسان مؤسسة ماعت للسلام والتنمية وحقوق الإنسان، (التنمية البشرية وحقوق الانسان وجهان لعملة واحدة، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الانسان.

– عبد الاله بالقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ المستقبل العربي السنة 20 العدد 229مارس 1998.

– الصادق الحمامي، والمجال الإعلامي العربي، إرهاصات نموذج تواصلي جديد " المستقبل العربي السنة 29. العدد 335 يناير 2007.

– أحمد جميل حمودي. كتاب ،التنمية حرية ،إماراتيا صن رؤية شاملة للتنمية في ولايات

المتحدة الامريكية مجلة الحوار المتمدن العدد 2322سنة 2008

–عبد العزيز بن عبد الله السنبل: دور المنظمات العربية في التنمية المستدامة ورقة عمل مقدمة الى مؤتمر التنمية والامن الوطني المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم الرياض

– أحمد جميل حمودي. كتاب –التنمية حرية –إماراتيا صن رؤية شاملة للتنمية في ولايات المتحدة الامريكية مجلة الحوار المتمدن العدد 2322سنة 2008

– موسى أللوزي التنمية الإدارية: المفاهيم والأسس، التطبيقات دار وائل للنشر والتوزيع

– مكتب العمل العربي. الموارد البشرية العربية ودورها في الحياة الاقتصادية " مجلة العمل العربي، منظمة العمل العربية، القاهرة 2000، عدد 98

– حامد عمار: العوامل الاجتماعية في التنمية " ورقة مقدمة ضمن بحوث ومناقشات ندوة تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي المنعقدة في الفترة من 18-29 نوفمبر، بالكويت 1987

– بهجت قرني: التنمية الإنسانية العربية في القرن الحادي والعشرين: أولوية التمكين مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ت. 2014/09/19

– الجوة محمد، قراءة كون درسيه لتاريخ الفكر البشري، " الفكر العربي المعاصر " مركز الانماء القومي، بيروت 1990، عدد 82-83

– بحري دلال النظرية النسوية قسم العلوم السياسية جامعة الحاج لخضر باتنة مجلة الفكر العدد 11

– اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، النوع الاجتماعي والمواطنة ودور المنظمات غير الحكومية في دول عربية مختارة (دراسة حالة مصر العربية) سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية (نيويورك، الأمم المتحدة 2006،

- موجز يوميات الوحدة العربية، الشؤون القطرية، مجلة المستقبل العربي، العدد 259يوليو، 2000،

- نرجس رودكار ، فينيميزم ، الحركة النسوية مفهومها ، أصولها ، وتياراتها الاجتماعية ، تر، هبة ضافر بيروت ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، سلسلة مصطلحات معاصرة ، العدد 32

- هشام شرابي ، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية 1993،

- برنامج الأمم المتحدة للبيئة، قضايا السياسات العامة: قضايا السياسات العامة الناشئة فبراير 2000.

- حميدة بورونيه وأنس بعيرة: الحكم الراشد أساس التنمية المستدامة، مؤتمر دول القانون، كلية القانون، مؤتمر دولة القانون، سيرت ليبيا 2013

-زيد بن محمد الرماني الاستهلاك في حياتنا إضاءات اقتصادية شبكة الاولوكة 1439 هـ

- المنظمة العربية للتنمية الإدارية، التنمية المستدامة والإدارة المجتمعية، جامعة الدول العربية، المؤتمر العربي الرابع للإدارة البيئية، 2004

- إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير، ط،1، دار الشروق النشر، مصر القاهرة (2003)

- عثمان محمد غنيم، التنمية، فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، ط،1، دار الصفاء للنشر، عمان 2006.

- الأمم المتحدة، تقرير مؤشرات معدة لرصد الأهداف الإنمائية (نيويورك، 2003 صفوان العساف، الطاقة والفكر البيئي المستدام، ط، 1، دار العلم للنشر، عمان 2002 المتجددة

القواميس والموسوعات:

- جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر 1984.

- بنيت، غروسبورغ وميغان مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر سعيد الغانمي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة 2010.

- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، عام 1984.

- آلان وارد، الاستهلاك، ضمن كتاب توني بينيتي وآخرون (تحرير) مفاتيح إصلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي المنظمة العربية لترجمة، بيروت ط 1، 2010، .

- ألفية ابن مالك: شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محي الدين، دار الجيل بيروت، الطبعة الخامسة، الجزء الثالث.

- نديم مرغشلي—أسامة مرغشلي: الصحاح في اللغة والعلوم (معجم وسيط)، ط 1، دار المغارة بيروت 1975.

- أحمد رضا، معجم متن اللغة: ج 5، ص 5، ص 555، مكتبة دار الحياة بيروت 1970

- جوردون مرشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثالث، ترجمة، محمد محي الدين وآخرون المجلس الأعلى للثقافة، 2001.

- جوردون مارشال موسوعة علم الاجتماع المجلد الأول تر محمد الجوهري، محمد محي الدين، عدلي السمري، أحمد زايد، محمود ع الرشيد، هناء الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، ط، 1 2007

- قاموس الفكر السياسي: الجزء الثاني

- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر 1983

المصادر بالفرنسية:

- Edward Grant. THE fondations of modern Science in the middle AGES

- Jhon Baudrillard la societe de consommation ses mythes se structures editions Denoel 1970 France .

Pete Drucker ; The Age of Discontinuity, New York,M, Harper .and Row, 1968

-

- Ricardo principes de l'économie politique ;etc traduit de - .l'anglais par j s constancio ; paris , 1839 ;t 1

-Yvonne McEwan, Manufacturing Victims, LM, March 1999 -

- Hompson N. le siècle de lumière.trad. Werner et Janin –Ed du seuil. Paris 1972 textes cite .

- Gerhard Colman, Theodore, Geiger –développent of the - emerging and agenda for researchd.c. 1962.

- Véronique Gammpa, Discussion autour de la notion de culture - de masse, paris institut national des langues et civilisation orientales) inaloc) 2003,

- Sismondi : études .tome 2, page 162, Edition de Bruxelles-

Lauderdale : recherche sur la nature et l'origine de la richesse - publique : traduit par largentie de lavaisse paris, 1808.

-Ricardo : principe d'économie politique traduit par canstanio, - annotes par J- BABTISTE-SAY PARIS. 1835 T 2 ; chapitre sur la valeur et les richesses

- Proudhon : Système des contradictions ; ou philosophie de la - misère ; t1 ; chapitre 2

- Samuelson .Paula economic: Anntroductory, Analys.New York ;McGRAW-Hill book company

-Yvonne McEwan, Manufacturing Victims, LM, March 1999 -

- Dragutin,lekovie :.La théorie marxiste de l'aliénation (Beograd) - institut zaizuuvanjeradnickreta .1964

- Max weber : L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme 1904-1905 ; traduit par Jacques chavy, Plon, 1964 / Nouvelle traduction par I Kalinovskaïa, Gallimard p 18-19 année 2003

- Charles Débâches : science Administration, Paris : Dalloz, - 2emme edition.

- Gérard Timist : théorie de L'Admiration, paris : Edition Economisa

- Paul, Foulquie : Dictionnaire de la langue philosophique, PUF - Paris 1978.

– Guilhem Fouetillou, le web est traité constitutionnel européen .Ecologie d'une localité thématique compétitive, réseaux n' 144, 2007.

- Thierry Vedel, L'idée de démocratie électronique. Origines, visions, questions, in pascal périnéaux (d'Ir), le désenchantement démocratique, la tour –d'aigue, l'aube. 2003

- Diane Coyle:Paradoxe of prosperity .Texere. NexYork2001. And Diane coyle ,weightessWorld the.Cap stone Oxford1997

- Link.teekghee , political and priorities in human resources development in asia and the Pacific it's social dimension

- William Robinson ; 'Remapping,Revelopment in light of Globalisation : from a Territorial to a social Cartography ' Third world Quartely Vol123 ;n6 ;2002

- Elza Arison , les théories économiques du développement édit - .ions la découverte ; paris ; 2002

- John Briggs &Joane Sharp % Indegenous Knowledges and - development a postcolonial caution Third World Quartely Vol 25.N 4 2004.

- Vainnio ,matill ,anivigating,Gender : a frame,work and tool for participatorydevelopment, HelsinkmFinlandministry for foreing-affairs

- Vincent Geoghegan , Reason and Eros, The Social Theory of Herbert Marcuse, pluto press, London, 1981.

- Michael Keating John Loughlin Kris Deschouwer : Culture, Institution and Economic development Edward Elgar .USA. 2003

-Vainnio .matill ,anivigating,Gender : a framework and tool for participatorydevelopment. HelsinkmFinlandministry for foreing-affairs

فهرس المحتويات

المـوضوع **الصفحة**

مقدمة .....أ – و

الفصل الأول: التأصيل اللغوي والإصطلاحي والفلسفي للعلم والاقتصاد

المبحث الأول: جينيالوجيا المفهوم الاقتصاد والعلم **08**

كرونولوجيا الإقتصاد 08

الخلفية الاجتماعيةلعلم الاقتصاد 22

المبحث الثاني: كورونولوجيا الإقتصاد والعلم **24**

كرونولوجيا العلم 24

متى بدأ العلم؟ 26

المحطات الرئيسية في تاريخ العلم 27

العلم من الإغريق الى عصر النهضة مرور بالمسلمين 29

المرحلة المعاصرة للعلم 36

العلم والتكنولوجيا 37

النزعة العلمية المفرطة مدرسة فرانكفورت 38

جينيالوجيا العلم 39

العلم بين خطة البحث وآلية التطبيق 40

العلم والفلسفة 45

المعلومات بدل العلم 48
العقل الأداتي والحاجة الى الهيمنة 49
مأزق العقل الأداتي.....57
القراءة الفلسفية لمفهومي العمل والتفاعل 60
هايدجر تحقيق الوجود العلم لا يفكر 64
التقنية والايديولوجيا الأداتية 66
سلبيات الاقتصادي الكلاسيكي 69
نقد:Malts 74
اكشاف قانون جديد يثمن مبدأ المنفعة 74

الفصل الثاني: المشكلات الاقتصادية في ضوء التطور العلمي

المبحث الأول:مدرسة النقد الاجتماعي (رؤية عامة مشكلة الاستهلاك)..... 80
المجتمع الاستهلاكي ومرحلة الصدمة الكبرى 81
براديغم ما بعد الصناعة 93
من منطق القيمة الثنائي الى رباعية المنطق 95
ماركس وفائض القيمة 96
الصناعة الثقافية 101
نهاية الإيديولوجيا /نهاية الدولة 104
قوى الإنتاج في المجتمع 115

المبحث الثاني:النقد الإبستمولوجي لقضايا علم الاقتصاد 120

التشيؤ: وصنمية السلعة 126

النقد الاجتماعي في فكر مارك يوز 144

التمركز على الذات الأوروبية 154

نقد المركزية الأوروبية عند فلاسفة ما بعد الحداثة 157

المبحث الثالث: بدائل التنمية والإقتصاد الذكي 159

مبادئ نظرية التنمية العامة 160

كلاسيكيا 163

الفردانية 165

مبدأ المنفعة 166

المقاومة الاستراتيجية 171

عمل سميت يلقي اشادة عالمية 179

الثورة الحدية وقراءة في مبدأ المخاطرة 181

قراءة في مبدأ الاحتكار 183

التفكير النقدي للاقتصاد والبدائل المتاحة 186

الفصل الثالث: التفكير النقدي للاقتصاد المعاصر

المبحث الأول: التنمية المستدامة واحترام كرامة الانسان 196

فينومولوجيا هوسرل استعادة معنى الانسان 196

نقد النزعة الموضوعية 199
ظهور المجتمع الغربي 204
الدولة والرفاه 208
التنمية البشرية 214
طبيعة المعلوماتية 227
سياق تكنولوجي واقتصادي جديد 230
ما الرقمي؟..... 231
عندما تحل الآلية محل البشر 240
المبحث الثاني:مشكلات البيئة والوعي الإيكولوجي نحو تنمية شاملة متكاملة..... 244
التنمية المستدامة واحترام كرمة الانسان 251
عناصر التنمية 257
الصحة والتغذية 257
التنمية بوصفها حرية 259
مجتمع حقوق الانسان كبديل عن المجتمع الصناعي..... 267
التبرير الأخلاقي لتنمية بشرية سليمة 275
التنمية الاقتصادية والمتغير الثقافي 277
المبحث الثالث: الإقتصاد الأخضر وموقع البيئة في الفكر الإقتصادي..... 285
الثقافة الجماهيرية 285

انحطاط الروح البرجوازية 297

لماذا القلق؟ 305

الأنماط الاستهلاكية واضمحلال البيئة 307

المنافسة والجودة 313

خاتمة 318

قائمة المصادر والمراجع..... 323

فهرس الموضوعات 366